النوع الثاني والثلاثون: الإمالة

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ: أَمَالَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ كُلَّ اسْمٍ أَوْ فِعْلٍ أَلِفُهُ مُنْقَلِبَةٌ عَنْ يَاءٍ؛ كَمُوسَى وَعِيسَى، وَمَثْوَاكُمْ، وَمَأْوَاكُمْ، وَأَنَّى بِمَعْنَى كَيْفَ، وَمَتَى، وَبَلَى، وَعَسَى، وَكَذَا كُلُّ مَرْسُومٍ بِالْيَاءِ، إِلَّا حَتَّى وَلَدَى وَإِلَى وَعَلَى وَمَا زَكَى، وَلَمْ يُمِيلَا وَاوِيًّا كَالصَّفَا وَعَفَى وَشَفَى وَشَفَا جُرُفٍ وَدَعَا وَخَلا.

من أبواب علم الصرف[1]: بابُ الإمالةِ. وقد أتى هنا بأمثلةٍ هي قواعدُ أساسيةٌ في هذا الفنِّ -فَنِّ الإمالة- ولكن الكلامَ عليها طويلٌ؛ لذلك فهو يقول في آخِرِ هذا النوعِ: مباحثُ هذا العلمِ مكانُها كُتُبُ عِلْمِ القراءاتِ؛ لأنها مباحثُ طويلةٌ وَمُتَشَابِكَةٌ وَمُتَشَعِّبَةٌ. والمؤلف أتى بأمثلة تُمَثِّلُ قواعد أساسية في هذا البابِ -بابِ الإمالةِ- وأتى بأمثلةٍ أخرى لا تَدْخُلُ تحتَ قاعدةٍ معينة، إنما سُمِّيَتْ في كتب القراءات في بابِ الإمالة: إمالة أحرفٍ مخصوصةٍ فأتى بالأمرين معًا:

أما ما كان من باب القواعد فيقول: (**أَمَالَ حمزةُ والكسائيُّ**)، وهما من القُرَّاءِ السبعةِ المشهورين، والكسائيُّ اسْمُهُ: عَلِيٌّ، وَلُقِّبَ بالكسائيِّ لِكِسَاءٍ كان يَتَسَرْبَلُ به، وقيل: غير ذلك[2].

قال: (**أمال حمزة والكسائي كُلَّ اسْمٍ أو فعلٍ أَلِفُهُ منقلبةٌ عن ياءٍ كَمُوسَى وعيسى وَمَثْوَاكم وَمَأْوَاكُمْ**) فـ(مُوسَى) أَلِفُهُ ليس مُنْقَلِبًا عن ياء ولكنه مُشَبَّهٌ بما أَلِفُهُ منقلبٌ عن ياءٍ، كـ(الهُدَى)، لكنه أتى بها كُلِّهَا في موضعٍ واحدٍ.

---

(١) علم الصرف: علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة، التي ليست بإعراب ولا بناء. انظر: شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي (ص١١).

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي (ص٧٢).

والإمالة: أن ينحوَ القارئُ بالأَلِفِ نحوَ الياءِ، وبالفتحة نحو الكسرةِ[1]. مثلَ قوله تعالى: (نِعْمَهْ) و(فِضَّهْ) فتنحو بفتحة الميم نحو الكسرة فتقول: (نِعْمِهْ)، وَ(فِضِّهْ) بإمالةِ الفتحةِ نحوَ الكسرَةِ.

والإمالةُ قِسْمَانِ: إمالةٌ كُبْرَى، وإمالةٌ صُغْرَى[2]. أَمَّا الكبرى[3] فكالأمثلة السابقة عند حمزة والكسائي: كإمالة مُوسى وَعِيسى وَمَثْواكم... إلى آخرِه. وهذه الإمالةُ اخْتَصَّتْ بها قبائلُ وسطِ الجزيرةِ؛ مثل بني تميمٍ[4]؛ فإن الإمالة اشتهرت عنهم، حتى إن وفدًا منهم جاء إلى رسول الله ﷺ فَأَقْرَأَهُمْ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى:١-٢] بالإمالة، بخلاف قريش فلا تُميل، وهذه القبائل عندما رَحَلَتْ إلى البلاد المفتوحة أولَ الإسلامِ مثلَ بلادِ الشامِ والعراقِ نَقَلَتْ إليها الإمالةَ؛ لذلك فأهلُ الشامِ اليومَ يُميلون على قواعدَ معينةٍ لا يَخْرُجُونَ عنها؛ إنْ سَأَلْتَ عوامَّهم يقولون: لا ندري هكذا أَمَالَهَا آباؤُنا وهكذا نحن نُميل! أما إن سَأَلْتَ علماءَهم فيذكرون قواعدَ الإمالةِ التي جاءت حَسَبَ المعروفِ المشهورِ من قواعدِ الإمالةِ في اللغة العربية؛ فتَكْثُرُ الإمالةُ في بلاد الشام الكبرى؛ وهي: الأردنُ وفلسطينُ وسوريا ولبنانُ وفي بعض أجزاءِ

---

(١) وقيل: هي إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقًا يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة. انظر: إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس (١/ ١١)، الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش(ص١١٥).

(٢) انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ص٥٧).

(٣) أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر كثيرًا. التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ص٥٧).

(٤) بنو تميم: هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة، وكانت منازلهم بأرض نجد. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي (ص ١٨٨).

العراقِ، وهناك في بعض أجزاء الجزيرة العربية خاصةً في جنوب غربها، لكنهم يُميلون إمالةً وُسْطَى وليست كبرى، إمالة الألف نحوَ الياء نحوًا متوسطًا[١]. وتُسَمَّى أيضًا: إمالةً صُغْرى.

والإمالةُ أحكامها كثيرةٌ مُتَشَعِّبَةٌ، مكانُها كُتُبُ القراءاتِ.

ولكي نعرفَ أن الأَلِفَ منقلبةٌ عن ياء فعلينا في الاسم أن نثنيه، وفي الأفعال أن نلحق بها تاء الفاعل، فالفعل (أتى) مثلا نقول: أَتَيْتُ؛ فالأَلِفُ هنا منقلبةٌ عن ياء؛ ونقول في (رمى): رميتُ... وهكذا، فالياء ظهرت لما رَدَدْت الفعل إليك.

أما الأسماءُ فَتُثَنَّى فتقول في (فَتَى): فَتَيَانِ، فتظهر الياءُ، فإذا ظَهَرَتِ الياء علمت أن أَلِفَ فَتًى منقلبةٌ عن ياءٍ. هذه هي القاعدة[٢].

قوله: (**وكذا كلُّ مرسوم بالياء**) أَيْ: كلُّ ما جاء من الالفات المقصورة مرسومًا بالياء في كتاب الله ولو لم تكن أَلِفُهُ منقلبةً عن ياء فإنهما –أي: حمزة والكسائي– يُمِيلانِهِ أيضًا، إلا هذه الكلمات: حتى – لَدَى – إِلَى – عَلَى – مَا زَكَى – خَلا[٣]. فهذه كلها يُبْقِيَانِهَا كما هي على الفتح، (**ولم يُمِيلا واويًّا كَالصَّفَا**) وعرفنا أن ألف (صفا) منقلبة عن واو بالتثنية؛ لأن مثناها صَفَوَانِ.

وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو مَا كَانَ فِيهِ رَاءٌ بَعْدَهَا يَاءٌ بِالإِمَالَةِ. أي: إضافةً إلى حمزةَ والكسائيِّ أيضًا فإنهما يُمِيلَانِ ما فيه راءٌ بعدَها ياءٌ أيضا[٤]. والمقصودُ بالياء:

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٣٠).

(٢) قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ في متن حرز الأماني ص ٢٤:

وتثنية الأسماء تكشفها وإن ... رددت إليك الفعل صادفت منهلا

(٣) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ص٤٦).

(٤) انظر: المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر النيسابوري (ص١١٣).

أَلِفٌ رُسِمَتْ على هيئةِ الياءِ، مثل: ذِكْرَى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، وهذه تُسَمَّى: ذواتِ الراءِ، أَيْ: كلُّ راءٍ بعدَها أَلِفٌ على هيئةِ الياءِ فيُمِيلُهَا أبو عمرٍو رَحِمَهُ اللهُ.

أَوْ رَأْسَ آيَةٍ آخِرُ آيِهَا عَلَى يَاءٍ أَوْ هَاءٍ. المقصود هنا: أواخر الآي؛ لأن الفواصلَ هي أواخرُ الآيِ. فيقول هنا: إذا جاءت آيةٌ آخرها ياء، والمقصود الألف المرسومةُ ياءً. وذلك في إحدى عشرة سورةً -وهي: طه، والنجم، والمعارج، والنازعات، وعبس، والقيامة، والأعلى، والشمس، والليل، والضحى، والعلق – فهذه وضعوا لها قاعدةً خاصةً لحمزةَ والكسائيِّ ولأبي عمرٍو رحمهم الله جميعًا، وهي: إمالة آخِرِ الآياتِ في هذه السور الإحدى عشرة، بشرطِ أن تكونُ قابلةً للإمالة(١).

أما السوَرُ الباقيةُ فما كان منها قابلًا للإمالة أَمَالُوهُ ولو لم يَنْدَرِجْ تحتَ القاعدةِ الأُولَى في قوله: (**أَمَالَ حمزةُ والكسائيُّ كلَّ اسمٍ أو فعلٍ...إلخ**)، وهذه مسألةٌ دقيقة من مسائل القراءاتِ.

أَوْ كَانَ عَلَى وَزْنِ (فُعْلَى) بالفَتْحِ أَوِ الكَسْرِ أَوِ الضَّمِّ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ رَاءٌ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ. وهي الإمالةُ الْوُسْطَى. فكلُّ ما جاء على وزن فُعْلَى أو فِعْلَى أو فَعْلَى بفتح الأول أو ضَمِّهِ أو كَسْرِهِ فإن أبا عمرو رَحِمَهُ اللهُ يُقَلِّلُهُ. وهذا التقليلُ هو الإمالةُ الْوُسْطَى، وَيُسَمَّى: بَيْنَ بَيْنَ، ويسمى: بينَ اللفظين، أي: ما بينَ الفتحِ والإمالةِ الكبرى(٢)، أما إن كان فيه راء مثل (ذِكْرَى) فإن إمالته تكون إمالةً كبرى.

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ص٤٧).

(٢) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة (ص٢٠٤)، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٢/ ٣٠).

وَمَا عَدَا ذَلِكَ بِالْفَتْحِ، أي: أبو عمرو البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يفْتَح جميعَ ما عـدا ذلـك. **وَقَرَأَ وَرْشٌ جَمِيعَ ذَلِكَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، إِلَّا مَا كَانَ فِي سُورٍ أَوَاخِرُ آيِهَا عَلَى هَاءٍ.** بشرط أن تكون من السورِ الإحدى عشرة المـذكورة؛ لأنـه لـم يَـذْكُرْهَا الـسيوطي هنا. فما كان أواخر آيها هَاء فإنه أخلص الْفَتْح فِي ألفها [(١)]، مثلَ: (ضُحَاهَا) (تَلَاهَا) (دَحَاهَا)؛ لأن الشمسَ من السور الإحدى عشرةَ التي سبق ذكرها، وعند ورش خلافٌ في إثبات هذا؛ لذا قال رحمه الله: **فَأَخْلَصَ الْفَتْحَ فِيهِ عَلَى خُلْفٍ بَيْنَ أَهْلِ الأَدَاءِ فِي ذَلِكَ.**

فقوله: (**أَخْلَصَ الفتحَ فيه**)؛ أي: لم يُمِلْهُ أبدًا، (**على خُلفٍ**)؛ أي: بعض الناس قالوا: أَمَالَ، وبعضُهم قال: لم يُمِلْ، فهذه رواياتٌ، فقد أقرأ ورشٌ بعضَ تلاميذِه بالإمالةِ، وَأَقْرَأَ آخرينَ بالفتح، فالموجود عن ورشٍ اليومَ الْخُلْفُ بين الفتح والإمالة، فإذا أراد رجلٌ أن يقرأ لورشٍ اليوم ختمةً فإنه يقرأ: (تَلاهَا) بالفتح، ثم يعود فيقول: (تَلاهَا) بالإمالة الصغرى. والكلام عليها مبسوطٌ في النشر[(٢)].

إلى هنا يكون قد انتهى من القواعد الكلية، وهناك قواعد أخرى لم يذكرها. ثم انتقل هنا إلى إمالة أحرف مخصوصة متفرقة في القرآن لا تَطَّرِدُ على قاعدةٍ واحدةٍ، وليس لها سلكٌ واحدٌ ينظمها، فقال:

وَأَمَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَمَى) فِي الأَنْفَالِ، أبو بكر شعبة رَحِمَهُ اللَّهُ. **وَأَعْمَى فِي مَوْضِعَيْ سُبْحَانَ**، أي: مَوْضِعَيِ الإسراءِ التي تبدأ بـ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، ومراده بذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ص٤٧).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٤٨).

أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢][1].

وَأَمَالَ أَبُو عَمْرٍو أَعْمَى الأَوَّلَ فَقَطْ[2]. أي: في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾؛ لأن القراءةَ ليس فيها قياسٌ، إنما مَرَدُّهَا إلى الرواية[3]، إلا في أشياء قليلة يدخلها القياس. فلما لم يُمِلْ أبو عمرٍو البصريُّ (أَعْمَى) الثانيةَ وهما في سطرٍ واحدٍ والكلمتان على قاعدة سواء دَلَّ ذلك على أن القراءة لا يدخلها القياسُ، إنما هي محضُ روايةٍ عن رسول الله ﷺ.

وَأَمَالَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ ﴿مَجْرِنهَا﴾ [هود: ٤١] فِي هُودٍ فَقَطْ[4].

ولم يمل: ﴿وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ لأن حفصًا لم يأخذ عن شيخِه بالإمالة.

وَتَفَرَّدَ هِشَامٌ بِإِمَالَةِ ﴿وَمَشَارِبُ﴾ [يس: ٧٣] فِي يس[5]. ليس هِشَامٌ فقط الذي يميل (مشارب) إنما مَعَهُ ابن ذكوان أيضًا، أي: أن عبد الله بن عامر الشاميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ براوييه يميلُ هذه الكلمةَ على خلافٍ، فقوله: (**تَفَرَّدَ هشامٌ**) ليس تَفَرُّدًا مطلقًا إنما معه ابن ذكوان على خلاف[6].

---

(١) انظر: تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري (ص٢٤١).

(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ص ٤٨).

(٣) قال في الشاطبية ص٢٩:

وما لقياس في القـراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا

(٤) انظر: تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري (ص٢٤١).

(٥) انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش (ص ١١٩).

(٦) قال ابن الجزري: وأما (مشارب) فاختلف فيه عن هشام وابن ذكوان جميعًا، فروى إمالته عن هشام جمهور المغاربة وغيرهم، وكذا رواه الصوري عن ابن ذكوان، ورواه الأخفش عنه بالفتح، وكذا رواه الداجوني عن هشام. انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٦٥).

وَفِي ﴿عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ [الغاشية: ٥]، وَفِي (عَابِدٍ) أَيْ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ الثَّلاثُ فِي سُورَةِ الْكَافِرُونَ. (عابدونَ) كلمتانِ، و(عابدٌ) كلمةٌ، فهذه ثلاثُ كلماتٍ أميلت في سورة الكافرونَ، أمالها هشام بخلف عنه(١).

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِإِخْلَاصِ الْفَتْحِ فِي كُلِّ مَا ذُكِرَ. أي: ابن كثيرٍ ليس لَهُ إمالةٌ أبدًا، وحفصٌ عن عاصمٍ له إمالةُ حرفٍ واحدٍ في القرآن كلِّه وهو (مَجْراهَا)(٢).

هَذِهِ أُصُولُ الإِمَالَةِ، وَمَوَاضِعُ تَفَرُّدِ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ وَمُشَارَكَةِ أَبِي عَمْرٍو الْكِسَائِيّ، مَحَلُّ عَدِّهَا كُتُبُ الْقِرَاءَاتِ.



(١) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٦٦).
(٢) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة (ص٢١٩).

النوع الثالث والثلاثون: المد

تُمَدُّ الْهَمْزَةُ إِذَا صَحِبَتْ حَرْفَ لِينٍ. وحَرْفُ اللِّينِ هو الواوُ وَالياءُ[١] الساكنتانِ المفتوحُ ما قَبْلَهُمَا، مثل: (خَوْف)، (قُرَيْش). والمقصود به هنا حرفُ الْمَدِّ مطلقًا الذي يَلِينُ له اللِّسَانُ حالَ النطقِ، فعندما يقول القارئ: أَضْ، أَقْ، أَكْ، فهذه كلها حروف صعبة على اللِّسَان، لكن حين يقول: إِي – أُو – ءَا – فإن ذلك يخرج بِلِينٍ وعدمِ كلفةٍ على اللِّسَانِ، فهي تلينُ على اللِّسَانِ وهذا معنى اللين. والهمزةُ إذا جاءت مع حرفِ مَدٍّ وَلِينٍ ستأتي لها القواعدُ المشهورةُ: المدُّ المتصلُ[٢]، والمدُّ المنفصل[٣]، ومدُّ البدل[٤]...

قال رحمه الله: **تُمَدُّ الْهَمْزَةُ إِذَا صَحِبَتْ حَرْفَ لِينٍ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَطَرَّفَتْ أَوْ تَوَسَّطَتْ**. مثال الهمزة التي تطرفت: (جَاءَ)، ومثال الهمزة التي تَوَسَّطَتْ: (أُولَئِكَ)، وإذا سبق الهمزُ حرفَ المَدِّ فيكون المدُّ من نوعِ البدلِ.

فَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي تَمْكِينِ حَرْفِ الْمَدِّ زِيَادَةً. هذا في المد المتصل فقط، أي: يُمَدُّ حرف اللين إذا صَحِبَ الهمزةَ في كلمة واحدةٍ، تَطَرَّفَتْ أو تَوَسَّطَتْ: مثل: أُولَئِكَ، والسَّمَاء، فـ(أولئك) تَوَسَّطَتْ، و(السماء) تَطَرَّفَت الهمزة فيها، فليس بين القراء خلافٌ أن المدَّ المتصلَ لا يكون أبدًا حركتينِ، بل لا بد من

---

(١) وهي حروف المد التي يمد بها الصوت. انظر: الكتاب، سيبويه (٣/ ٤٢٦).

(٢) هو أن يقع بعد حرف المد همز متصل به في كلمة واحدة، مثل (جاء). انظر: غاية المريد في علم التجويد (ص ٩٦).

(٣) هو أن يقع بعد حرف المد همز منفصل عنه في كلمة أخرى. مثل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾. انظر: غاية المريد في علم التجويد (ص٩٨).

(٤) هو أن يتقدم الهمز على حرف المد في كلمة وليس بعد حرف المد همز أو سكون. مثال: ﴿ءامِنُوا﴾. انظر: غاية المريد في علم التجويد (ص١٠١).

زيادتِه، لكنهم اختلفوا في مقدار الزيادة، فبعضهم يمدونَه ثلاثَ حركاتٍ فقط، وبعضُهم يمدونَه أربعَ حركاتٍ، وبعضُهم خمسَ حركاتٍ، وبعضُهم ستَّ حركاتٍ[١]، مع اتفاقهم على أصل الزيادة؛ فإنه لا بدَّ لمن يريدُ أن يَمُدَّ مَدًّا متصلًا أن يضيفَ شيئًا إلى أصلِ المَدِّ الموجودِ، هذا اتفاقٌ بينَ القراءِ، وليس كالمدِّ المنفصلِ فإن القراء مختلفون في المدِّ المنفصلِ؛ فبعضُهم لا يزيد شيئًا على أصل المَدِّ. وبعضُهم يزيد بدرجاتٍ نحو درجاتِ المدِّ المتصلِ، وهي: ثلاثٌ، وأربع، وخمس، وست حركات في المد المنفصل كما هو في المتصل[٢]. هذا معنى قوله: (**في تمكينِ حرفِ المدِّ زيادةً**)؛ أي: إعطاؤه زيادةَ تمكين.

فَإِنْ كَانَتِ الْهَمْزَةُ أَوَّلَ كَلِمَةٍ وَالْمَدُّ آخِرَ كَلِمَةٍ أُخْرَى، فَاخْتَلَفُوا فِي زِيَادَةِ التَّمْكِينِ لَهُ، نَحْوَ: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ هذا هو المدُّ المنفصلُ، وهو أن يكون المدُّ في آخِرِ الكلمةِ الأُولَى والهمزةُ في أولِ الكلمة الثانية. **فَابْنُ كَثِيرٍ وَقَالُونُ وَالْبَزِّيُّ يَقْصُرُونَ حَرْفَ الْمَدِّ، فَلَا يَزِيدُونَ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْمَدِّ الَّذِي لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهِ،** الْبَزِّيُّ ليس له موضعٌ ها هنا، أُقْحِمَ في الكلامِ؛ إذِ البزيُّ مندرجٌ تحتَ ابنِ كثيرٍ؛ فرَاوِيَا ابنِ كثيرٍ: البزيُّ وَقُنْبُلٌ رحمهم الله تبارك وتعالى[٣]. ولعله يقصد: الدوريَّ راوي أبي عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ، أما البزيُّ فليس له وجهٌ ها هنا، فإما أن تُحذف وإما أن تُحَوَّلَ إلى الدوريّ؛ لأن الدوري عن أبي عَمْرٍو قرأ أيضًا بالقَصْرِ في روايةٍ عنه.

---

(١) انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المرصفي (١/ ٢٨١).

(٢) انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المرصفي (١/ ٢٨٤).

(٣) انظر: العنوان في القراءات السبع، السرقسطي (ص٤٠).

وَالْبَاقُونَ يُطَوِّلُونَهُ، وَأَطْوَلُهُمْ مَدًّا فِي الضَّرْبَيْنِ وَرْشٌ وَحَمْزَةُ ثُمَّ عَاصِمٌ.

المقصود بـ: (الضَّرْبَيْنِ): المتصل والمنفصل، فورشٌ وحمزةُ يَمُدَّانِ المتصلَ والمنفصلَ ستَّ حركات، فهما أطولُ القراءِ مَدًّا، ثم عاصمٌ [(١)]، فنحن نقرأ المتصل في رواية حفص عن عاصم أربعَ حركاتٍ أو خمسَ حركاتٍ فقط، وحفص يقرأ أربع حركات من طريق الشاطبيةِ وهو الطريق الذي يقرأ به كثيرٌ من المسلمين اليومَ. كذلك المنفصلُ يمدونَه أربعَ حركات وخمسَ حركات؛ لذلك الأئمةُ الذين يقصرونَ حرفَ المدِّ أنا أنصحهم بألا يفعلوا ذلك؛ لأن حَفْصًا رَحِمَهُ اللَّهُ لم يَثْبُتْ عندَه في طريق الشاطبية قصرُ المدِّ، إنما ثَبَتَ من طريقٍ آخَرَ[(٢)]، أما الرواية التي نقرأه بها اليومَ -رواية حفص عن عاصمٍ من طريق الشاطبيةِ- فليس فيها قصرُ المدِّ، ليس فيها إلا أربعُ حركاتٍ أو خمسُ حركاتٍ فقط؛ لذلك الأئمةُ الذينَ يتصدرونَ في المحاريب ويُقرئُون الناسَ ويسمعونَهم القرآنَ عليهم ألا يقصروا هذا المدَّ. وما يقرءونه في الصلواتِ هو من طريقِ الشاطبيةِ فقط؛ ولو قالوا: ثَبَتَ لحفصٍ القصرُ من طريقٍ آخرَ، فنقول: هذا الطريقُ الآخَرُ ينبني عليه كلامٌ طويلٌ، كالسكت في مثل: (منْ آمَنَ) ونحن من طريق الشاطبية لا نَسْكُتُ! فالذي يريد أن يَقْصُرَ عليه أن ينتبه لباقي المواضع، يعني: الذي يقرأ ختمةً لحفص من طريق الطيبةِ يحتاج إلى شيخٍ ويحتاج إلى تحريرٍ. وكذلك على طالب عِلْمِ القرآنِ ألا يقصرَ حرفَ المدِّ لحفص إن قرأ من طريق الشاطبية.

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ص٣٠).

(٢) وهو طريق طيبة النشر، وهو طريق لا يسلكه إلا العارفون من خواص أهل هذا الشأن؛ لدقته وكثرة ما يترتب عليه من الأحكام العلمية والعملية في الأداء. وهي صعبة متعذرة على غير المتخصص الواعي. انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المرصفي (١/ ٢٨٦).

ثُمَّ ابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ، ثُمَّ أَبُو عَمْرٍو مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَقَالُون مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَشِيطٍ، وَهَذَا كُلُّهُ تَقْرِيبٌ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مِقْدَارِ مَذَاهِبِهِمْ فِي التَّحْقِيقِ وَالْحَدْرِ[١]، وَنَقَلَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَدَّ وَرْشٍ وَحَمْزَةَ قَدْرُ سِتِّ أَلِفَاتٍ[٢].

هذه الأَلِفَاتُ لها مقادير تُقَدَّر بها؛ فقد جعلوا المدَّ الطبيعيَّ بقدرِ أَلِفَيْنِ، ثُمَّ ما زاد عليه بعد ذلك كلُّ حركةٍ منه بأَلِفٍ، فقالوا مثلًا: المدُّ عندَ حفصٍ عن عاصمٍ مثل ما نقرأ اليومَ نحن أربعة ألفات أو خمسة ألفات؛ أي: أربع حركات أو خمس حركات، وبعضهم قدر كل حركتين بألف. والأَلِفُ هذه تَنْضبِطُ أكثر من الحركات عندما تقول: مُدَّ لحفصٍ أربعَ حركاتٍ؛ لأنه قد يأتي مبتدئٌ ويقول لك: ما هي الحركة؟ فيقال: هي قَبْضُ الإصبعِ أو بَسْطُهَا، وقبض الإصبع وبسطها ينتج عنه حركتانِ، فيكون هو المدَّ الطبيعيَّ.

لكن أقول: هذا القبضُ والبسطُ مرتبطٌ ارتباطًا تامًّا بحالة الشخصِ النفسيةِ والعصبيةِ، فإذا كان الشخص هادئًا يغلبُ على طبعه التأنِّي، ويغلب على طبعه أخذ الأمور على هون وعلى يُسْرٍ، فحركته تختلف عن الشخص الذي هو عَجِلٌ مُتَسَرِّعٌ في طبعه، هذا أمر مقطوعٌ به. وعليه فليس هناك ضابطٌ يضبط به الشخصُ الهادئُ الحركتين ويضبطها به الشخصُ السريعُ العَجِلُ، بل هذا الشخص الهادئ نفسه هو اليوم هادئٌ لكنه غدًا مسرعٌ لأَجْلِ عملٍ أوْ أَمْرٍ ما، هو اليومَ راضٍ وهو بعدَ ساعةٍ غاضبٌ، فكيف تنضبطُ حركاتُ أصابعِه وهو أمرٌ يتصل بالخلايا العصبيةِ كما هو معلوم؟[٣]، فالإنسانُ يُحَرِّكُ أجزاءَ يديه بعضَ الأحيانِ

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ص٣١).

(٢) انظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، اليشكري (ص٤٢٢).

(٣) انظر: فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، صفوت محمود سالم (١/ ٧٥).

أو يحركُ بعضَ أجزاء جسمِه بلاشعور بدونِ أن يدريَ ما يفعل.

فضابطُ الأَلِفَاتِ ضابط أفضل إن شاء الله: اجْعَلْ كلَّ حركةٍ بِأَلِفٍ، أو كل حركتين بألف -كما مر سابقًا- فالمدُّ الطبيعيُّ قدرُ ألف أو أَلِفَيْنِ، والمدُّ المُتَّصِلُ قدرُ ألفين أو قدر أربعة أَلِفَاتٍ أو قدر خمسة ألفات.

وبعض الناس يدرسونَ التجويدَ بضبطِ هذه الألفات للشخص، فَتَنْضَبِط عنده انضباطًا لا يَضِيعُ طيلةَ حياتِه ولا يحتاجُ إلى غيره، لكنه يحتاج في البداية إلى مِرَانٍ ذِهْنِيٍّ متوسط حتى يضبطها إن شاء الله، وهذه الطريقة وجدتُها أفضلَ وأحسنَ في التدريس. وإذا وَجَدَ إنسانٌ أنه يرتاح لحركات اليدين فَلْيَفْعَلْ.

وَقِيلَ: بَلْ خَمْسٌ، وَقِيلِ: أَرْبَعٌ، وَعَنْ عَاصِمٍ ثَلَاثٌ، وَعَنِ الْكِسَائِيِّ قَدْرُ أَلِفَيْنِ وَنِصْفٍ، وَعَنْ قَالُونَ قَدْرُ أَلِفَيْنِ، وَعَنِ السُّوسِيِّ أَلِفٌ وَنِصْفٌ(١).

وتقدير هذه الألفات أن كل ألف بحركة، وسبق أن ذكرت أن هناك من قدر كل حركتين بألف.



(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٣١٩).

النوع الرابع والثلاثون: تخفيف الهمز

هُوَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: أَحَدُهَا: النَّقْلُ لِحَرَكَتِهَا إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا فَتَسْقُطُ، نَحْوَ: قَدْ أَفْلَحَ.

فوَرْشٌ رَحِمَهُ اللَّهُ أتى إلى قوله تعالى -مثلًا-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. فنقل حركة الهمزة إلى الساكنِ قَبْلَهَا[١]. والضميرُ في قوله: (حركتها) يعود على الهمزة، فَتُنْقَلُ حركتُها إلى الدال، فالدَّالُ كانت ساكنةً فَأَصْبَحَتْ مُتَحَرِّكَةً، والهمزةُ صارت بلا حركةٍ فتسقط الهمزةُ، وتقول: (قدَ افلح المومنون) بترك الهمز في (المؤمنون)؛ لأن ورشًا لا يهمز أصلًا. وترك الهمز لغة الْقُرَشيينَ.

وَبِهِ قَرَأَ نَافِعٌ مِنْ رِوَايَةِ وَرْشٍ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ كَانَ السَّاكِنُ صَحِيحًا آخِرًا وَالْهَمْزَةُ أَوَّلًا.

الساكنُ صحيحًا آخرًا -مثل: (قَدْ) في الآية السابقة- لا يكون حرفَ علة؛ فليس بِأَلِفٍ ولا واوٍ ولا ياءٍ[٢].

وَاسْتَثْنَى أَصْحَابُ يَعْقُوبَ عَنْ وَرْشٍ: ﴿كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ﴾[٣]، فالهاءُ هنا حرفٌ ساكن وليس حرفَ علةٍ، ولم تجر عليه القاعدةُ؛ لأن الهاءَ ليست حرفًا في الكلمة، إنما جيء بها هَاءَ سَكْتٍ؛ لأن العربَ تقف أحيانًا على بعض الكلمات بِهَاءِ السكتِ لِحِكَمٍ، منها مراعاةُ الفواصل، مثل: مَالِيَهْ، سُلْطَانِيَهْ، كِتَابِيَهْ، حِسَابِيَهْ. فأصلها: مالي، سلطاني، كتابي، حسابي، فَدَخَلَتْ عليها هاءُ السكتِ؛ لذلك لا ينقل ورشٌ حَرَكَةَ الهمزةِ إلى الهاء وَيُسْقِطُ الهمزةَ هنا؛ لأن هذه الهاءَ

---

(١) انظر: السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ص ١٤٨).

(٢) انظر: المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران النيسابوري (ص٣١٠).

(٣) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (ص٣٦).

هاءُ سَكْتٍ داخلة على الكلمة. **فَسَكَّنُوا الْهَاءَ وَحَقَّقُوا الْهَمْزَةَ، وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَحَقَّقُوا وَسَكَّنُوا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ**[(١)].

الهمزة من الحروف الشديدة. والحروف الشديدة هي: (أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ)[(٢)]: الهمزة، والجيم، والدال، والقاف، والطاء، والباء، والكاف، والتاء. وقد تخلص العربُ من شِدَّةِ هذه الحروف بِطُرق عديدة. فخمسةُ أحرف من أصل الثمانية -(أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ)- وهي حروف القلقلة: (قطب جد)[(٣)] تَخَلَّصَتِ العربُ من شدةِ هذه الأحرف الخمس بقلقلتها.

بقي ثلاثةُ أحرفٍ: الهمزة، والكاف، والتاء. أما الكاف والتاء فتخلصت العرب منهما بهمسهما بعد شدتهما. بقيت الهمزة فللعرب في تخفيها طرق: إما أن تسقطَ الهمزة تمامًا بنقل حركتها إلى الساكن قبلها، وهذا هو النوع الأول،

ثَانِيهَا: إِبْدَالُهَا حَرْفَ مَدٍّ مِنْ جِنْسِ حَرَكَةِ مَا قَبْلَهَا[(٤)]**؛ فَتُبْدَلُ أَلِفًا بَعْدَ فَتْحَةٍ، وَوَاوًا بَعْدَ ضَمَّةٍ، وَيَاءً بَعْدَ كَسْرَةٍ، وَبِهِ يَقْرَأُ أَبُو عَمْرٍو، سَوَاءً كَانَتِ الْهَمْزَةُ فَاءً أَوْ عَيْنًا أَوْ لامًا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ سُكُونُهَا جَزْمًا**[(٥)].

قوله: تُبْدَلُ أَلِفًا بعدَ فَتْحَةٍ، فتقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [طه: ١٣٢] فهنا قبل الهمزة

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، أبوعمرو الداني (ص٣٦)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي(١/ ٣٤١).

(٢) انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش (ص٦٢)، متن الجزرية (ص١٠)، النشر في القرءات العشر، ابن الجزري (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، الشاطبي (١/ ٩٢)، إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة (ص٧٥٤).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٣٢٠).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٣٢٠).

الواوُ وحركتها الفتحة، ويناسب الفتحَ الأَلِفُ؛ لأن الفتحةَ بنتُ الألفِ، والكسرةَ بنتُ الياءِ، والضمةَ بنتُ الواوِ، فالفتحةُ تناسبها الألف، فَأَبْدَلَهَا حرفَ مَدٍّ من جنسِ حركةِ الحرفِ الذي قبلَها فصارت: (وَامُرْ أَهْلَكَ)، أو: (وَامُرَ اهْلَكَ) على قراءةِ ورشٍ. وتبدل واوا بعد ضم، فقوله: (يُؤْمِنُونَ) تصير: (يُومِنُونَ). وتبدل ياء كقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] سواء كان هذا للسُّوسِيِّ أو لأبي جعفر أو لورش؛ هذه الهمزة قَبْلَهَا كسرةٌ فَأَبْدَلْنَا الهمزةَ حرفَ مدٍّ من جنسِ هذه الكسرةِ وهو الياءُ فصارت: (الآنَ جِيتَ بِالحَقِّ)، وبه يقرأ أبو عمرو، سواء كانت الهمزة فاءً للكلمة أو عينًا للكلمة أو لامًا للكلمة.

ويستثنى من ذلك مايلي:

الأولى: أن يكون سكونُها جزمًا، فَإِذَا كان السكونُ نَاشِئًا عن جزم فإن السوسي لا يُبْدِلُ الهمزة. مثل: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا) فجُزِمَتْ نَنْسَأْهَا؛ لأنها مَعْطُوفة على فعل الشرط (نَنْسَخْ)، وفعلُ الشرط حَقُّهُ الجزمُ. فالمجزومُ لا يُبْدِلُ السُّوسِيُّ هَمْزَهُ.

الثانية: أَوْ كَانَ بِنَاءً. مثل: أَرْجِئْهُ، ونحن نقرأ لحفص: أَرْجِهْ. فإذا كان الفعل مَبْنِيًّا فإن السوسيَّ لا يُبْدِلُ همزَه، نحو (أَرْجِئْهُ) فإنها فِعْلُ أمْر مَبْنِيّ على السكون.

الثالثة: أَوْ يَكُونُ تَرْكُ الْهَمْزِ فِيهِ أَثْقَلَ. ذكر في الهامش قوله تعالى: ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١]، فلو تَرَكْنَا الهمزَ صارت ثقيلةً (تُووِي)؛ فلا يبدله.

الرابعة: أَوْ يُوقِعُ فِي الالْتِبَاسِ. مثل: رِئْيًا في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]، فلو أبدلناه صار: رِيًّا. ومعنى الرِّيِّ: الشِّبَعُ بعد الظمأ، لكن المراد في

الآية: (وَرِئْيًا) والرِّئْيُ: المنظرُ.

وَإِنْ تَحَرَّكَتْ فَلَا خِلافَ عَنْهُ فِي التَّحْقِيقِ. يعني: لا يفعل فيها شيئًا.

ثَالِثُهَا: تَسْهِيلُهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَرْفِ حَرَكَتِهَا، فَإِنِ اتَّفَقَتِ الْهَمْزَتَانِ فِي الْفَتْحِ سَهَّلَ الثَّانِيَةَ الْحَرَمِيَّانِ وَأَبُو عَمْرٍو وَهِشَامٌ. الحرميانِ نسبةً إلى الحرمينِ؛ لأن ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ مكي، ونافعًا مدني، وإذا نسبتَ إلى الحرم تقول: حَرَمِيٌّ[1]. ثم إذا ثَنَّيْتَ تقول: حَرَمِيَّانِ؛ أي: رجلانِ ساكنانِ في الحَرَمَيْنِ. وهذا مصطلحٌ أتى به الشاطبيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

وَأَبْدَلَهَا وَرْشٌ أَلِفًا، وَابْنُ كَثِيرٍ لا يُدْخِلُ قَبْلَهَا أَلِفًا، وَقَالُونُ وَهِشَامٌ وَأَبُو عَمْرٍو يُدْخِلُونَهَا، وَالْبَاقُونَ يُحَقِّقُونَ.

يقول: فإن اتفقت الهمزتانِ -سواء في كلمة واحدة كقوله تعالى: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾، أو في كلمتين كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠]، وَ﴿شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢]- سَهَّلَ الثَّانِيَةَ الحرميانِ وأبو عمرٍو وهشامٌ، والتَّسْهِيلُ هنا مثل: (أَاعْجَمِيٌّ) وهو أن تنطقَ بالهمزةِ بينَها وبينَ حرفِ حركتِها؛ أي: أن تنطقَ الهمزةَ بينَ الأَلِفِ وبينَها، فلا تَنْطِقْ بهمزةٍ خالصة ولا بِأَلِفٍ خالصة، إنما بَيْنَ بَيْنَ، وفي الكسرة لا تنطق بهمزة خالصة ولا بياء خالصة، وإنما تنطق بَيْنَ بَيْنَ. هذا معنى التسهيل، وبين بين. وهذه تحتاج إلى ضبط وتحتاج إلى شرح أكثرَ حالَ المشافهةِ، ولا تستقيم أبدًا بِذِكْرِهَا مرةً أو مرتين، وإنما تحتاج إلى تدريب طويل حتى تنضبطَ. وبعضُهم يبدل الثانيةَ أَلِفًا، وبعضهم يُدْخِلُ قبلَ التسهيلِ بينَ

---

(١) فتح الحاء والراء المهملتين، هذه النسبة إلى حرم الله تعالى، إما لولادة به أو لسكناه. الأنساب، السمعاني (٤/ ١٣١).

همزتين أَلِفًا، وبعضُهم ينطقها بدون إدخال.

وَإِنِ اخْتَلَفَا بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ سَهَّلَ الْحَرَمِيَّانِ وَأَبُو عَمْرٍو الثَّانِيَةَ، وَأَدْخَلَ قَالُونُ وَأَبُو عَمْرٍو قَبْلَهَا أَلِفًا، وَالْبَاقُونَ يُحَقِّقُونَ.

أَوْ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ؛ وَذَلِكَ فِي: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾، ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، ﴿أَءُلْقِىَ﴾ فَقَطْ، فَالثَّلَاثَةُ يُسَهِّلُونَ.

قَالَ الدَّانِيُّ: وَأَشَارَ الصَّحَابَةُ إِلَى التَّسْهِيلِ بِكِتَابَةِ الثَّانِيَةِ وَاوًا. انْتَهَى[1].

كان الصحابةُ يشيرونَ إلى التسهيل حالَ الكتابةِ بكتابة الهمزة واوًا، فَمَنْ لا يسهل يَضَعُ همزةً فوقَ الواوِ. فنحن لا نُسَهِّلُ في قراءةِ حفصٍ عن عاصمٍ، فنضع همزةً فوق الواو، ومن يسهل يُبْقِي الواوَ بدون همزة.

رَابِعُهَا وَآخِرُهَا: إِسْقَاطُهَا بِلَا نَقْلٍ، وَبِهِ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو إِذَا اتَّفَقَا فِي الْحَرَكَةِ وَكَانَا فِي كَلِمَتَيْنِ، فَإِنِ اتَّفَقَا كَسْرًا نَحْوَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٣١] جَعَلَ وَرْشٌ وَقُنْبُلٌ الثَّانِيَةَ كَيَاءٍ سَاكِنَةٍ.

فمثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠]حذفوا الهَمْزَةَ الأُولَى فصارت: (جَا أَمْرُنَا)، فإن كانت الهمزةُ الأولى هي الساقطة فيكُونُ المَدُّ مِنْ قَبيلِ المُنْفَصِل. وعند حذف الهمزةِ الثانية تبقى (جاءَ) كما هي مدًّا متصلاً.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي السَّاقِطِ: هَلِ الْأُولَى أَوِ الثَّانِيَةُ؟ الْأُولَى عِنْدَ أَبِي عَمْرٍو، وَالثَّانِيَةُ عِنْدَ الْخَلِيلِ مِنَ النُّحَاةِ. وَفَائِدَةُ الْخِلَافِ حُكْمُ الْمَدِّ، فَإِنْ كَانَ السَّاقِطُ الْأُولَى فَهُوَ مُنْفَصِلٌ، أَوِ الثَّانِيَةُ فَهُوَ مُتَّصِلٌ. انْتَهَى.



(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٣٤١).

النوع الخامس والثلاثون: الإدغام

وَهُوَ قِسْمَانِ: إِدْغَامُ الْحَرْفِ فِي مِثْلِهِ، وَإِدْغَامُهُ فِي مُتَقَارِبِهِ؛ وَالأَوَّلُ إِمَّا فِي كَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ. فَلَمْ يُدْغِمْ أَبُو عَمْرٍو الْمِثْلَيْنِ فِي كَلِمَةٍ إِلَّا فِي: مَنَاسِككُمْ، وَمَا سَلَكَكُمْ.

الإدغام: هو إدخال حرف في حرف بحيث يصيرانِ حَرْفًا واحدًا مُشَدَّدًا يرتفع عنه اللِّسَانُ ارتفاعةً واحدةً[1].

مقدمة عن الإدغام:

الإدغام إما أن يكونَ عملًا واحدًا، مثل أن نُدْغِمَ الميمَ في الميم في نحو: (أَمْ مَاذَا). أو ندغم النونَ الساكنةَ من قوله تعالى: (مَنْ) في الياءِ المتحركةِ من قوله تعالى: (يَعْمَل) فنقول: ميَّعمل. فهذا فيه عملٌ واحدٌ لِلِّسَانِ. وهذا يسمى: إدغاما صغيرا.

وهناك إدغام فيه عملانِ للسان مثل:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]، وهذان العملانِ هُمَا أن نُسَكِّنَ الكافَ أولًا؛ لأن شرط الإدغام إدخالُ حرفٍ ساكنٍ في حرفٍ متحركٍ، ففي (سَلَكَكُمْ) كافانِ: الكافُ الأُولَى متحركةٌ، والكافُ الثانيةُ متحركةٌ، فنُدْخِلُ الكافَ الأولى في الكافِ الثانيةِ، فهذا عملٌ، لكن بشرط أن نعملَ عملًا آخرَ قبلَه؛ هو أن نُسَكِّنَ الكافَ الأُولى (مَا سَلَكْكُمْ فِي سَقَرَ)، ثم إدخالِها في الكافِ الثانيةِ. وهناك ثلاثةُ أعمالٍ. في الإدغام الكبير نقول:

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. بعضُ القراءِ – وهذه رواية ثابتةٌ

(١) انظر: جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (٤/ ١٦٠٠).

عن رسول الله ﷺ- يعمدون إلى الحاءِ الثانية مِنْ زُحْزِحَ، فَيُسَكِّنُونَهَا أولًا، ثم يُحَوِّلُونَهَا عَيْنًا، ثم يُدْغِمُونَهَا في العينِ فتصير: (فَمَنْ زُحْزِعَّنِ النَّارِ). فهنا ثلاثة أعمالٍ: إسكانُ الحرفِ، ثم إبدالُه، ثم إدغامه. فالإدغام إمَّا عمل واحد فَيُسَمَّى: إدغامًا صغيرًا، أو عملانِ وثلاثة أعمال وَيُسَمَّى: إدغامًا كبيرًا.

قوله: (**إِدْغَامُ الْحَرْفِ فِي مِثْلِهِ وَإِدْغَامُهُ فِي مُتَقَارِبِهِ**) إدغام المثلينِ مشهورٌ، مِيمٌ وَمِيمٌ، كافٌ وكافٌ... إلى آخره، أما إدغامُ الحرفِ في مُتَقَارِبِهِ أو مُقَارِبِهِ فمثل الحاءِ والعينِ، فالحاءُ مِنْ مخرجِ الحلقِ، والعينُ من الحلقِ، فَهُمَا تَقَارَبَا مَخْرَجًا وَصِفَةً، وكالهمزةِ والهاءِ[1].

(**وَالأَوَّلُ إِمَّا فِي كَلِمَةٍ أَوْ كَلِمَتَيْنِ**) يعني: إدغامُ المثلينِ إما في كلمة أو كلمتين (**فَلَمْ يُدْغِمْ أَبُو عَمْرٍو الْمِثْلَيْنِ فِي كَلِمَةٍ إِلَّا فِي مَنَاسِكَكُمْ، وَمَا سَلَكَكُمْ**)[2]. يعني: هذا الإدغام الكبير.

وَأَظْهَرَ مَا عَدَاهُمَا، نَحْوَ: جِبَاهُهُمْ، وَوُجُوهُهُمْ.

وَإِمَّا فِي كَلِمَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يُدْغِمُ الأَوَّلَ، سَوَاء سَكَنَ مَا قَبْلَهُ أَمْ تَحَرَّكَ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، إِلَّا فِي لُقْمَانَ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ [لقمان: ٢٣]، **وَإِلَّا إِذَا كَانَ الأَوَّلُ مِنَ الْمِثْلَيْنِ مُشَدَّدًا أَوْ مُنَوَّنًا أَوْ تَاءَ خِطَابٍ أَوْ تَكَلُّمٍ.**

هذه قواعد: مثل: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، فإنه لا يُدْغِمُ؛ بسبب التنوين.

فَإِنْ كَانَ مُعْتَلاًّ نَحْوَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥] **فَفِيهِ خِلَافٌ**. لأن الفعل مُعْتَلٌّ مُنْتَهٍ بياءٍ.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ص٦٣).

(٢) انظر: جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (١/ ٤٣٢).

إِلَّا ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٣٠]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ﴾ [غافر: ٤١]، فَلا خِلَافَ فِيهِ وَإِنْ كَانَ مُعْتَلاًّ، وَأَمَّا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖ﴾ [القمر: ٣٤] حَيْثُ وَقَعَ فَأَظْهَرَهُ عَامَّةُ الْبَغْدَادِيِّينَ، وَعَلَّلَهُ ابْنُ مُجَاهِدٍ بِقِلَّةِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ. قَالَ الدَّانِيُّ: وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى إِدْغَامِ: ﴿لَكَ كَيۡدًا﴾ وَهُوَ أَقَلُّ حُرُوفًا مِنْهُ؛ فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ الإِدْغَامِ فِيهِ، قَالَ: وَإِنْ صَحَّ الأَوَّلُ فَذَلِكَ لاعْتِلَالِ عَيْنِهِ؛ إِذْ كَانَتْ هَاءً فَقُلِبَتْ هَمْزَةً.

الحاصل: في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖ﴾ [القمر: ٣٤]، قال بعضُهم: لا نُدْغِمُ، أي: لا نُدْخِلِ اللامَ في اللامِ؛ لأَنَّ الكلمةَ عبارةٌ عن ثلاثةِ أحرفٍ، فلا داعي لإدغامها، لكنا نقول: قد أُدْغِمَ أقلُّ منها في كتاب الله تبارك وتعالى، وهو: ﴿لَكَ كَيۡدًا﴾ فَلِمَ لا تُدْغِمُونَ أيضًا ﴿ءَالَ لُوطٖ﴾ وهي ثلاثة أحرف؟! فالكلمتانِ مدغمتانِ في كتاب الله: آَلَ لُوطٍ، لَكَ كَيدا.

وَأَمَّا الْمُتَقَارِبَانِ فَقِسْمَانِ أَيْضًا. المتقاربَان هما الحرفان الذان تقاربا مَخْرَجًا وصفةً(١)؛ لأن لدينا حرفينِ متماثلينِ، مثل: لامٌ ولامٌ، وراءٌ وراءٌ، ونونٌ ونونٌ، وحرفينِ متجانسينِ وهما المُتَّحِدَانِ مَخْرَجًا المختلفانِ في بعضِ الصفاتِ(٢)، حَرْفٌ يَتَّحِدُ مع آخرَ في مَخْرَجِهِ مثل: الباء والميم، لكنه يختلفُ معه في بعضِ الصفاتِ؛ وهذا من قِسْمِ المتجانسِ.

أما المتقاربُ فهُمَا الحرفانِ المتقاربانِ مَخْرَجًا وَصِفَةً، مثل: العينِ والغينِ، والحاءِ والخاءِ، والهاءِ والعينِ، فهذانِ حرفانِ متقاربانِ مَخْرَجًا وصفةً، والقسم

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: المرجع السابق.

الرابع: الحرفانِ المتباعدانِ وهما اللذانِ تَبَاعَدَا مَخْرَجًا وصفةً[١]؛ مثلَ: الميمِ والحاءِ، والنونِ والعينِ، واللامِ والهمزةِ، فهذانِ حرفانِ متباعدانِ في المَخْرَجِ والصفةِ.

ثم أتى المؤلف إلى قسم المتقارب فَمَثَّلَ لإدغام أبي عمرو، وسآتي عليه بشيء من السرعة لأجلِ أنه من دقائقِ القراءاتِ التي لا يُستطاع الإحاطةُ بها إلا بالمشافهةِ المرةَ تِلْوَ الأخرى.

فَلَمْ يُدْغِمْ أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا مِمَّا فِي كَلِمَةٍ إِلَّا الْقَافَ الْمُتَحَرِّكُ مَا قَبْلَهَا فِي الْكَافِ فِي ضَمِيرِ جَمْعِ الْمُذَكَّرِ. مِثْلَ: خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ. **وَأَظْهَرَ مَا عَدَاهَا، وَالْقَافَ السَّاكِنُ مَا قَبْلَهَا أَوِ الَّتِي فِي غَيْرِ جَمْعٍ، وَأَدْغَمَ مِمَّا فِي كَلِمَتَيْنِ الْحَاءَ فِي الْعَيْنِ فِي: زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ.** فقط في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أَسْكَنَ الحاءَ أولًا ثُمَّ أَحَالَهَا عَيْنًا، ثم أَدْغَمَ العينَ في العين، ففي هذا ثلاثةُ أعمالٍ؛ لذلك كان إدغامًا كبيرًا فيه أكثرُ من عمل.

وَالْقَافَ فِي الْكَافِ وَعَكْسُهُ إِذَا تَحَرَّكَ مَا قَبْلَهَا، وَالْجِيمَ فِي الشِّينِ وَالتَّاءِ فِي: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ وَ: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ﴾. أي: أَنَّ أبا عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا أَدْغَمَ الجيمَ في الشينِ، والجيمَ في التاءِ في مثالينِ في القرآن وحيدين، وأتى بهما فقال: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩] فأسكن الْجِيمَ ثم أَحَالَهَا شِينًا، ثُمَّ أَدْغَمَهَا، وَقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ﴾ [المعارج:٣- ٤]؛ حيث أَسْكَنَ الجيمَ ثم أَحَالَهَا تاءً، ثم أَدْغَمَ التاءَ في التاء.

---

(١) انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المرصفي (١/ ٢٢٣).

وَالشِّينَ فِي السِّينِ فِي ﴿ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٤٢] فَقَطْ، وَالضَّادَ فِي الشِّينِ فِي ﴿لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ﴾ [النور: ٦٢]، وَالسِّينَ فِي الزَّايِ وَالشِّينِ فِي: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧]، ﴿ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾، وَالدَّالَ فِي حُرُوفٍ بِمَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ.

وَحَيْثُ كُسِرَتْ أَوْ ضُمَّتْ بَعْدَ سَاكِنٍ فِي الطَّاءِ وَالذَّالِ وَالتَّاءِ وَالْجِيمِ وَالسِّينِ، وَفِي الظَّاءِ وَالضَّادِ وَالشِّينِ وَالصَّادِ وَالزَّايِ بِمَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ.

وَالتَّاءَ فِي الذَّالِ وَالثَّاءِ وَالشِّينَ وَالضَّادَ فِي مَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ.

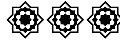
وَالرَّاءَ فِي اللَّامِ وَعَكْسُهُ إِذَا تَحَرَّكَ مَا قَبْلَهَا أَوْ سَكَنَ وَضُمَّتْ أَوْ كُسِرَتْ، وَاسْتَثْنَى: قَالَ رَبِّي، وَقَالَ رَبُّكُمْ، وَقَالَ رَبُّنَا، فَأَدْغَمَهُ وَإِنْ فَقَدَ الشَّرْطَ. لكثرةِ دورانها على الألسنِ، ولكثرة مجيئِها في القرآنِ، والعلةُ الحقيقيةُ هي الروايةُ، هكذا رُوِيَتْ.

وَالنُّونَ فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ إِنْ لَمْ يَسْكُنْ مَا قَبْلَهَا مُطْلَقًا، إِلَّا: وَنَحْنُ لَهُ، فَمَا نَحْنُ لَكُمَا، فَمَا نَحْنُ لَكَ.

وَالْبَاءَ فِي الْمِيمِ فِي: وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ حَيْثُ وَقَعَ لَا غَيْرَ.

حيث وَقَعَ الباء في الميم في هذه الصورة فقط: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] بإدخالِ الباءِ في الميمِ.

فَهَذِهِ أُصُولُ الإِدْغَامِ وَتَعْدَادُ صُوَرِهَا، وَمَحَلُّهُ كُتُبُ الْقِرَاءَاتِ.



النوع السادس والثلاثون، والسابع والثلاثون
الإخفاء، والإقلاب

أئمة التجويد القدامى رحمهم الله مثل مكي بن أبي طالب القيسي، وأبي عمرو الدَّانِي وغيرهما من قُدَامَى المصنفينَ في التجويد، إنما ذكروا الإظهارَ والإدغامَ والإخفاءَ، وَنَدَرَ عندَهم ذِكْرُ الإقلابِ. والإقلابُ هو النطقُ بحرفِ النونِ أو بالتنوينِ قبلَ الباءِ على هيئةٍ مخصوصةٍ[١]، هذه الهيئةُ هي محضُ الإخفاءِ.

ولأن النونَ أو التنوينَ عندَ الباءِ شَرْطُهُ أن يُقْلَبَ ميمًا، وَحُكْمُ الميمِ عندَ الباءِ الإخفاءُ؛ لذلك لم يكن قُدَامَى المصنفينَ أو أكثرهم يذكرونَ الإقلابَ، إنما أحكامُ النونِ الساكنةِ والتنوينِ عندَهم ثلاثةٌ: الإظهارُ والإدغامُ والإخفاءُ. فالإقلاب عندهم يعتبر داخلا في حكم الإخفاء؛ لأنك تقلب النونَ والتنوينَ ميمًا، والميم عند الباء حُكْمُهَا مشهورٌ وهو الإخفاءُ؛ لذلك لا داعيَ للتقسيم الرابع، لكن لَمَّا طَرَأَتِ الحاجةُ إلى بيانِ ما حصل مِنْ قَلْبٍ جُعِلَ قِسْما رَابِعًا وَدُعِيَ الإقلابَ.

والإخفاءُ: هو النطقُ بحرفٍ بطريقةٍ مخصوصةٍ ما بينَ الإظهارِ وما بينَ الإدغام، وحروفُه معروفةٌ، مجموعة في أوائل قوله:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا   دُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقى ضَعْ ظَالِمًا[٢]

كان المصنفون القدامى -رحمهم الله تعالى- يحرصون على جَمْعِ المعاني

(١) انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ص١٥٧).

(٢) انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ص ١٥٨)، تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، الجمزوري (ص٣).

مع جمع الأحرف أيضًا؛ أي: لم يكن جمعًا مجردًا فقط، لكنه كان جَمْعَ أَحْرُفٍ مع جَمْعِ مَعَانٍ أيضًا. فقوله: (صف ذا ثنا)؛ أي: صِفْ ذا ثناءٍ، ذا ذِكْرَى عَطِرَةٍ بينَ الناسِ صِفْهُ وَأَبْرِزْهُ. (كم جاد شخص قد سَمَا): بروحه وبنفسه حتى أصبح من الناس الذين هُمْ من أهل الخير ومن أهل القُرْبَى من الله تبارك وتعالى، وممن يَتْبَعُ سُنَّةَ رسول الله ﷺ. قد سما: بنفسه وبروحه. (دُمْ طَيِّبًا): في حياتك ما عِشْتَ، دُمْ طَيِّبًا مع الناس، (زِدْ فِي تُقًى. ضَعْ ظَالِمًا)؛ أي: حَقِّرِ الظالمَ ولا تُكْرِمْهُ ولا تُسَوِّدْهُ، وهذا تحقيق لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لِلْمُنَافِقِ: يَا سَيِّدُ فَقَدْ أَغْضَبَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»(١).

فهذا البيتُ أَوَّلُ كلِّ كلمةٍ منه هي أحرفٌ مخصوصةٌ بحالةٍ حالَ النطق تُدْعَى: الإخفاءَ. ويقع الإخفاء والإظهار والإدغام والإقلاب في الميم والنون؛ لأن النون والميم حرفانِ وحيدانِ في اللغة مُكَوَّنَانِ من قسمينِ، وسائرُ أحرفِ لغتنا العربية هي قِسْمٌ واحدٌ أو هي جسمٌ واحدٌ، أما النونُ والميمُ فَجِسْمَانِ متلاصقانِ حالَ النطقِ، فحَرْفُ النونِ عبارةٌ عن جزأين؛ جُزْءٌ مُكَمَّلٌ وَجُزْءٌ مُكَمِّلٌ، فالجزءُ المكَمَّل هو ذاتُ الحرفِ، أما الجزء المكَمِّل فهو الغُنَّةُ في النون والميم؛ أي: أن الغنةَ جزءٌ لا يتجزأ من النون والميم، فلا يمكن فصلُ الغُنَّةِ عن النون والميم أبدًا، بل إذا نطقتَ نُونًا أو نطقتَ ميمًا لا بد أن تأتيَ فيهما بغنة، لكن هذه الغنة تتراوح مَرَاتِبُهَا في السمعِ بينَ حرفٍ ساكنٍ وحرفٍ متحركٍ، فإذا سَكَنَ الحرفُ وضحت الغنةُ فيه أكثرَ من وضوحها في الحرف المتحرك، وإذا شُدِّدَ حرفُ النون أو الميم وضحت الغنةُ فيه أكثرَ من وُضُوحِهَا في الحرف الساكن المحضِ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٨٦٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: عقبة بن الأصم ضعيف.

فنحن في حال الإظهار ننطق النونَ بجزأيها المكَمَّل والمكَمِّل، أي: ذات الحرف والغنة: ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ٦٢] فننطق (مَنْ) بالغنة وبذات الحرف. وفي حالة الإدغام يُدْغَم الجزءُ المكَمَّل وهو ذاتُ الحرف في الحرف الذي بعدَه فتبقى الغنةُ وهي الجزء المكَمِّل، كذلك في الإخفاء يُخْفَى ذاتُ الحرف وتبقى الغنةُ؛ لذلك يقول كثيرٌ من الناس: عندما أقول: (يعْتَصِمْ بِاللهِ)؛ كأني أسمع نُونًا، ونفس الشيء حين أقول: (مَيَّعْمَلْ) مع أن الحكم في (يعتصم بالله) إخفاءٌ شفوي، وفي (ميَّعمل) إدغامٌ. نقول: لأنه قد بقي لكَ في حالة الإدغام الشيءُ نفسُه الباقي في حالة الإخفاء؛ وهو الجزء المكَمِّل أي: الغنةُ؛ لذلك سَمْعُكَ لم تختلف عليه طريقةُ النطقِ في المرتين، فمن يقول: عندما أُخْفِي أُخْرِجُ صوتًا يشبه الصوتَ الذي أُخْرِجُهُ حَالَ الإدغامِ. نقول: نعم؛ لأنك تُبْقِي في الحالتينِ شيئًا واحدًا تقريبًا وهو الغُنَّةُ.

ثم إن الغنةَ لها مراتبُ؛ أكمل مراتبه حالَ الإدغامِ: (مَيَّعْمَلْ) هذه أكملُ مراتبِ الغُنَنِ[1]، فالغنة ليست عبارة عن ثانيتين، أو عبارة عن حركتين، بل الغنة لها مراتبُ ليست ثابتةً بل متنوعة مختلفة، أكملَ ما تكون في حال الإدغام، ثم تكون غُنَّةً كاملةً في حال الإخفاء، ثم تكون غُنَّةً ناقصةً في حالِ سكونِ الميمِ والنونِ، ثم تكون أنقصَ ما تكون في حال تحرك الميم والنون، تقول: (مَنْ آمن) عندما نَطَقْتَ حرفَ النون وَضَحَتِ الغنةُ أكثرَ من وضوحها حالَ نُطْقِكَ لحرف الميم، مع أن الغنةَ مكوِّنة للميم ومكوِّنة للنونِ، لكنها وَضَحَتْ في النون الساكنة أكثرَ من وضوحها في الميم المتحركة، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾

---

(١) بل أكمل منها في المشدد نحو: (الناس)، (جمًا) وكذلك الإدغام الكامل بغنة نحو: (من ماء) (أم من). انظر: غاية المريد في علم التجويد ص ٧٢.

[الإسراء: ٩٠]. الغنة أكملُ ما تكون.

إذا فَهِمْنَا هذا نفهم كلَّ أحكامِ النونِ الساكنةِ والتنوينِ بدونِ وَصَبٍ ولا تَعَبٍ؛ لأنك لا تصنع شيئًا في حال الإدغام إلا أنك تُدْخِلُ ذاتَ الحرفِ في الحرف الذي بَعْدَهُ وتبقي الغنةَ، وفي حال الإخفاء تحاول أن تُخْفِيَ ذاتَ الحرف نفسِه وتبقي الغنة، وفي حال الإقلاب نفس الشيء؛ لأننا ذكرنا أن الإقلابَ جزءٌ من الإخفاء، أما الإظهار فإنكَ تُبقي ذات الحرف وَتُبْقِي الغنةَ.

هَذَانِ النَّوْعَانِ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُمَا وَالإِدْغَامُ إِخْوَةٌ عِنْدَ الْقُرَّاءِ، وَلَمْ يُذْكَرِ الإِظْهَارُ، وَإِنْ جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِذِكْرِهِ؛ لأَنَّهُ الأَصْلُ، كَمَا لَمْ يُذْكَرْ مَعَ الْمَفْهُومِ الْمَنْطُوقُ، وَمَعَ الْمُؤَوَّلِ الظَّاهِرُ. المؤول والظاهر والنصُّ والمفهومُ والمنطوقُ بأنواعه كلها سيأتي -إن شاء الله- ذِكْرُهَا في أبواب الأصول.

فَأَمَّا الإِخْفَاءُ فَيَكُونُ فِي الْمِيمِ فَتَسْكُنُ عِنْدَ الْبَاءِ إِذَا تَحَرَّكَ مَا قَبْلَهَا فَتُخْفَى حِينَئِذٍ بِغُنَّةٍ: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ١١٣]، **﴿مَرْيَمَ بُهْتَانًا﴾** [النساء: ١٥٦]، **﴿بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾** [الأنعام: ٥٣]. **قَالَ الْفَرَّاءُ: وَقَدْ عَبَّرَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ عَنْ هَذَا الإِخْفَاءِ بِالإدغام وَلَيْسَ بِصَوَابٍ**(١).

وَأَمَّا الإِقْلابُ فَالنُّونُ تُقْلَبُ مِيمًا قَبْلَ الْبَاءِ إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً، سَوَاءً كَانَا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ فِي كَلِمَتَيْنِ. وأتى بالأمثلة المشهورة للإقلاب عندنا.

أما الإقلاب: فتُقلب النونُ ميمًا، ثم الميم عند الباء من أحكام الإخفاء للميم الساكنة المشهورة.



(١) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ٢٩٤).

النوع الثامن والثلاثون: مخارج الحروف(١)

المخارج اعتنى بها أئمةُ اللغةِ وأئمةُ القراءة، أما اهتمام أئمةِ اللغةِ بالمخارج؛ فلأن العرب مَرَّ عليهم حينٌ من الدهر كانوا خُلَّصًا لا يخالط بلادَهم أحدٌ، ولا يخالط ألسنتهم لغة أخرى، حتى إذا فتح اللهُ تبارك وتعالى عليهم البلادَ ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وجاءهم الناس من كل مكان طلبًا للعلم والدِّينِ، وطلبًا للقرآن واللُّغَةِ، واحتك أقوامٌ من العرب بهم في خارجِ الجزيرةِ، وأيضًا الهجرات التي حَدَثَتْ من جزيرةِ العربِ وخرج الناسُ منها واستقروا في بلاد الرافدينِ، وفي بلاد الشام الكبرى، وفي بلاد العراق ومصر، وفي حوض النيل جنوبًا، وهكذا في بلاد المغرب العربي الكبير، عندما استقر العرب هنالك امْتَزَجُوا مع الناس، وهذه ميزةٌ من مِيزَاتِ المجتمعِ الإسلاميِّ أنه ليس بينَه وبينَ الناسِ حواجزُ ولا فواصلُ، ما إن يدخل الفاتحونَ بلدًا من البلاد إلا ويمتزجون بأهلها فَيُزَوِّجُونَهُمْ وَيَتَزَوَّجُونَ منهم؛ لذلك فإن الإسلام عندما دخل إلى جَاوَا وبلاد الملايو عمومًا: إندونيسيا وماليزيا وسينغافورا إلى آخره لم يجد الإسلام صعوبةً أبدًا في الانتشار السريع هنالك؛ لأن سلاطين الملايو جاءهم أناسٌ مسلمونَ من آل بيتِ النبيِّ ﷺ من الهند، والهند كانت مجمعًا في ذلك الزمان لكثيرٍ من الأنسابِ الشريفةِ، وهناك عائلةٌ نَزَحَتْ إلى إندونيسيا، وهؤلاء معروفونَ بآلِ عَظَمَة خَانْ؛ لأن الهنود يطلقون على أشرافهم لقبَ (خان) والعَظَمَة نسبةً إلى اتصالهم برسول الله ﷺ عن طريق النَّسَبِ، فهؤلاء الناس ذهبوا إلى إندونيسيا تجارًا ودعاةً لدين الله تبارك وتعالى، فَرَحَّبَ بهم سلاطينُ

(١) مخارج الحروف: هي موضع خروج الحرف من الفم. انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة (٧٤٣).

الملايو، بل صاهروهم وزوجوهم وتزوجوا من بناتهم؛ أي: تَزَوَّجَ هؤلاء الأشرافُ من بنات سلاطين الملايو، حتى إذا مات هؤلاء السلاطين نُصِّبَ أبناؤُهم سلاطينَ على جزر الملايو، فانتشر الإسلامُ انتشارًا سريعًا جِدًّا، بينما إذا نظرنا إلى النصارى وَمُكُوثِهِمْ في إندونيسيا محتلينَ قرابةَ ثلاثةَ قرونٍ، لم يتقبلهم الشعبُ، فنسبة النصارى بعد ثلاثمائة سنة من الاحتلال العسكري في بلاد إندونيسيا لا تكاد تُذكر بجانب المسلمين. مع أن النصارى دخلوا إندونيسيا بعد الإسلام بأقلَّ من قرن، يعني: مكث الإسلام حُرًّا في بلاد إندونيسيا قَرْنًا أو أقل، بينما مكثت النصرانية ثلاثمائة سنة وأكثر من ذلك، ومع ذلك لم يتقبل الناسُ هنالك النصرانيةَ؛ لأن المخربين -ويُلقبون خطأً بين الناس بالمُبَشِّرِينَ وهم مخربون، ويلقبونَهم بمستعمرين والاستعمار من العمران! وليس كذلك بل هو خراب للبلاد، فهؤلاء ليسوا مبشرين بل مُنَفِّرِينَ ومكفرين- عندما ذهبوا إلى تلك البلاد جاءوا باستعلاءٍ على السكان، ورفضوا أن يتكلموا لغتَهم، وأصروا على لغتهم الأصلية فلم يتقبلهم السكانُ، ولم يدخلوا في دينِهم، ولا يَقُلْ أحدٌ: إنه بسبب تغلغل الإسلام في نفوس الناس لم يتقبلوا النصرانيةَ، نقول: حتى في البلاد التي كانت وثنيةً ودخلها النصارى لم يتقبل أهلُها النصارى، ولم يدخلوا في دينهم كما دخل الناسُ في دين الله أفواجًا في حالة الإسلام، فلامتزاج العرب بالعَجَمِ حدثت عند كثيرٍ منهم لُكْنَةٌ فابتعدوا عن لهجتهم الأصلية العربية؛ أي: أن العربيَّ متعودٌ على أن يُخْرِجَ الخاءَ مفخمةً من مخرجها، وينطقَ الضادَ من مخرجها، وينطقَ الظاءَ من مخرجها، ويُفَرِّقُ بين السين والثاء، وبين الصاد والضاد والظاء وهكذا، فيستطيع أن يفرق بينَها بطريقته؛ لأنه وجد أَبَاهُ وأُمَّهُ وأقاربه وأهله يتكلمون هكذا، فلما اختلط العربُ الفاتحونَ بغيرهم من

الأمم وأصبحوا كلهم مسلمينَ هنا دَعَتِ الحاجةُ لأن تُقَعَّدَ قواعدُ لكيفيةِ نطقِ الأحرفِ العربيةِ على طريقةٍ صحيحةٍ؛ لأن العجمَ يَصْعُبُ عليهم نطقُ الثاء – مثلًا– أو الخاء، وعندما نقول: العجم نَعْنِي: كُلَّ من لم يتكلم اللغةَ العربيةَ، سواء كانوا عجمًا شرقيين أو عجمًا أوربيين غربيين، فيصعب عليهم أن ينطقوا بالخاء، بل ليس في لغتهم ذلك إلا قليلًا، ويصعب عليهم أن ينطقوا بالثاء مثلًا، ويصعب عليهم أن ينطقوا بأحرف من اللغة العربية وعلى رأسها الضاد، لذا دعت الحاجةُ إلى إنشاء عِلْمٍ يهتم بكيفية إخراج هذه الأحرف، وبطريقة إخراجِها أيضًا؛ لأن العرب لم تكن تخرج الخاء مرققة، إنما كانت تنطقها بالتفخيم، أي: أن العرب تلقت الخاء نُطْقًا -مَخْرَجًا وصفةً- بالوراثة عن آبائها وأجدادها هكذا، فلم تكن هناك حاجةٌ لأن يتعلمَ الطالبُ مخرجَ الخاءِ، ويتعلمَ أن الخاءَ من حروف التفخيمِ، والباءَ من حروفِ الترقيقِ؛ لأنه تلقاها هكذا، فلما فسدت ألسنُ الناس بعد القرن الثالث والرابع اضطر العلماءُ لإنشاءِ قواعدَ يبَينُ فيها كيفيةُ إخراج الأحرف: كيفية نطق الخاءِ والظاءِ والصاد والضادِ إلى آخِره، مفخمة من مخرجها الأصلي كما كان ينطقها قدامى العرب.

لم يتعرض المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ للصفات وهي باب كبير واسع يحتاج إلى شرح مستفيض ليس هذا مكانه، إنما ذكر المخارج فقط واكتفى بها عن ذكر الصفات، والمخارجُ لا شك هي الأهمُّ وهي المُقَدَّمَةُ في ذكر كيفية إخراج الحرف؛ لأنك إن لم تَضْبِطْ مخرجَ الحرف فلن تَضْبِطَ صفتَه، والصفةُ مبنيةٌ على طريقةِ إخراجِ الحرفِ؛ فَإِنْ خَرَجَ من مكانٍ سليمٍ بكيفيةٍ سليمةٍ صَحَّ لَكَ بعدَ ذلك تطبيقُ الصفاتِ، وإن لم يَخْرُجِ الحرفُ من مكانه بطريقة سليمة صَعُبَ عليك بعد ذلك تطبيق الصفات على الأحرف.

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَهَمُّ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لأن رسولَ الله ﷺ لم يَثْبُتْ عنه أنه حين كان يُقْرِئُ الصحابةَ يقول لهم: انتبِهوا هذه خاءٌ، هذه باءٌ، أو هذه تاءٌ أبدًا؛ لأن الصحابةَ رضي الله عنهم -كما ذكرت- عَرَبٌ خُلَّصٌ لم يكونوا في حاجة إلى هذا، بل اكتفى بأن ذكَرَ لهم رسولُ الله ﷺ ما نزل إليه من ربه على الكيفية النازلة، وهم بسليقتهم يعرفونَ كيف يقرؤونها وَيَتْلُونَهَا؛ لذلك سَبَقَ أن ذكرنا أن الكسائي رحمه الله كان يجلس على كرسيه في مسجده فيُسمع الناسَ قراءتَه التي اختارها، ويكتفي بهذا ويجيزهم حسب ما سمعوا، ولم يكن في حاجة رحمه الله هو ولا أصحابه السامعون منه إلى أن يُعيدوا عليه ما سمعوه؛ لأنهم كانوا عربًا خُلَّصًا، وهو أيضًا لم يكن له حاجةٌ إلى أن يسمع منهم ذلك، إنما كان الناس في عهد الكسائي رحمه الله ما زالوا على الفطرةِ الأُولَى في نطق الأحرف وإخراجها، وفي كيفية إخراجِ صفاتِ الأحرفِ، فكانوا على الجَادَّةِ ولم تكن بهم حاجةٌ لأحدٍ يُعَلِّمُهم هذا.

فَالصَّحِيحُ عِنْدَ الْقُرَّاءِ وَمُتَقَدِّمِي النُّحَاةِ كَالْخَلِيلِ أَنَّ الْمَخَارِجَ سَبْعَةَ عَشَرَ[١]، وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ: سِتَّةَ عَشَرَ[٢]؛ فَأَسْقَطُوا مَخْرَجَ الْحُرُوفِ الْجَوْفِيَّةِ الَّتِي هِيَ حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللِّينِ، وَجَعَلُوا مَخْرَجَ الأَلِفِ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ، وَالْوَاوِ مِنْ مَخْرَجِ الْمُتَحَرِّكَةِ، وَكَذَا الْيَاءُ، وَقَالَ قُطْرُبٌ وَالْجَرْمِيُّ وَالْفَرَّاءُ وَابْنُ دُرَيْدٍ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ[٣]، فَأَسْقَطُوا مَخْرَجَ النُّونِ وَاللَّامِ وَجَعَلُوهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ.

---

(١) ومكي بن أبي طالب، وأبي القاسم الهذلي، وأبي الحسن شريح وغيرهم. انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ١٩٨).

(٢) عد سيبويه مخارج الحروف ستة عشر. انظر: الكتاب، سيبويه (٤/ ٤٣٣).

(٣) وابن كيسان. انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة (ص٧٤٦).

أكثر جماهير القُرَّاءِ واللغويين يقولون: مخارج الحروف سبعة عشر مخرجًا، وبعض علماء اللغة يقولون: ستة عشر بإسقاط مخرج الجوف، وبعض العلماء يقولون: أربعة عشر، بإسقاط مخرج الجوف، وَجَعْلِ مخرجِ النونِ واللامِ والراءِ مَخْرَجًا واحدًا.

قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: وَكُلُّ ذَلِكَ تَقْرِيبٌ، وَإِلَّا فَلِكُلِّ حَرْفٍ مَخْرَجٌ عَلَى حِدَةٍ[١].

الحقيقة كلُّ حرف له مخرج على حِدَةٍ، وكيفية حدوث الحرف هو أن يخرج من الجوف هواءُ الزفيرِ فيقابل الحبالَ الصوتيةَ فتُحْدث صوتًا، ثم إن هذا الصوتَ يتكيَّف في الخروج بحسب انضغاط الحلق واللسان والشفتين وبحسب انفراجهما، فإن انضغط الحلق بطريقة معينة فهذه حَاءٌ، وإن انضغط بطريقة أخرى فهذه عينٌ، وإن انضغط بطريقة ثالثة فتلك قافٌ، ورابعة فكاف... إلى آخره[٢].

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَاخْتِيَارُ مَخْرَجِ الْحَرْفِ مُحَقَّقًا: أَنْ تَلْفِظَ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ وَتَأْتِيَ بِالْحَرْفِ بَعْدَهَا سَاكِنًا أَوْ مُشَدَّدًا -وَهُوَ أَبْيَنُ- مُلَاحِظًا فِيهِ صِفَاتِ ذَلِكَ

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٣٤٧).

(٢) قال صاحب قواعد التجويد على رواية حفص ص٦١: وذلك أنهم يسمون الهواء الخارج من الرئة إن خرج بطبعه دون أن يحتك بأوتار الصوت: نفسًا، فإن وجه الإنسان بإرادته هذا الهواء إلى أوتار الصوت الموجودة في الحنجرة فاحتك بها وحدث له تموج وتذبذب مسموع فإنهم يسمونه حينئذ: صوتًا، ثم هذا الهواء المصحوب بهذه التموجات الصوتية يتوجه إلى مقطع من مقاطع الفم أو الحلق، أي: إلى حيز محدد منها فإذا مر به وانحصر فيه تولد الحرف، ثم الكيفية التي يكون عليها مرور هذه التموجات الصوتية الممزوجة في النفس بذلك المقطع هي ما نسميه بصفة الحرف.

فبالمخرج إذن تعرف ماهية الحرف، ويتولد شكله ويتحدد. وبالصفات يحصل التمييز بين الحروف، وخاصة تلك التي تتحد مخارجها أو تتقارب كالطاء والتاء مثلًا فإنهما حرفان متحدان في المخرج، ولولا الإطباق والاستعلاء في الطاء دون التاء لما استطعت التمييز بينهما.

الْحَرْفِ[(١)].

يقول: أَنْ تَأْتِيَ قبلَ الحرفِ الذي تريد أن تعرفَ مَخْرَجَهُ بهمزةِ وَصْلٍ ثم تُسَكِّنَهُ أو تُشَدِّدَهُ، فإذا أردتَ أن تعرف مخرجَ القافِ تُسَكِّنُ القافَ ثم تأتيَ بهمزةِ وصلٍ قبلَها.

والفائدة من ذِكْرِ هذه المخارجِ التي سيأتي ذِكْرها كبيرةٌ في إصلاح نطق كثيرٍ من الناس، إذ لا يستطيع بعضهم أن ينطق الثاء كما يُفْتَرَضَ فيه أن ينطقه، ولا يستطيع أن ينطق الصاد مثلًا، ولا يستطيع أن ينطق الضاد أو الظاء. ولكي تُصَحِّحُ ذلك لذي المخرج المعيبِ لا بد أن تتعلم كيف تُخْرِجُ الأحرفَ ثم تجلس معه، وَتُرَكِّزُ معه على كيفية إخراج هذا الحرف.

الْمَخْرَجُ الأَوَّلُ: الْجَوْفُ لِلأَلِفِ وَالْوَاوِ وَالْيَاءِ السَّاكِنَتَيْنِ بَعْدَ حَرَكَةٍ تُجَانِسُهَا.

وقال: الألفُ والواوُ والياءُ الساكنتينِ ولم يجعلها ثلاثة أحرف سواكن؛ لأن الأَلِفَ لا تكونُ إلا ساكنةً وما قبلها لا يكون إلا مفتوحًا، فليس هناك داعٍ لأن يَنُصَّ عليها، ولأن الواوَ والياءَ تَسْكُنُ تارةً وتتحرك أخرى فنص عليهما.

قوله: بَعْدَ حركةٍ تُجَانِسُهَا أي: الواو والياء، فالضمةُ بنتُ الواوِ، والكسرةُ بنتُ الياءِ؛ أي: أن تَسْكُنَ الواوُ ويأتي ما قبلَها مضمومًا، وتسكنَ الياءُ ويأتي ما قبلها مكسورًا، وهذه الأحرف تُسَمَّى: حروفَ اللِّينِ، وحروفَ العلة، وحروفَ المد.

أما الواو والياء الساكنتان المفتوح ماقبلَهما فتخرجان من مكان آخرَ سنذكره.

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ١٩٩).

الثَّانِي: أَقْصَى الْحَلْقِ لِلْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ.

الثَّالِثُ: وَسْطُهُ لِلْعَيْنِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ. أي: المهملة من النَّقْطِ، فليس عليهما نقط، وقال: (**مهملتين**) لأن بعضَ المصنفين حتى عصر ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، المتوفي سنةَ ٨٥٢ هـ في منتصف القرن التاسع[1] أي: بعدَ وجودِ النقطِ بأكثرَ من سبعةِ قرونٍ لا ينقطون، ومَن اطَّلَعَ على مخطوطاته وكتبه رَحِمَهُ اللَّهُ يجده لم يكن ينقط في أكثرَ كُتُبِهِ أبدًا، إنما كان يكتب الأحرفَ كلها تقريبًا بدون نَقْطٍ.

ونحن نأتي اليوم فلا نعرف هل هذا حرف حاء أم خاء، غين أم عين؟ لذلك دعت الحَاجَةُ لأن يقولوا: حرفٌ مُهْمَلٌ من النقط، وحرف مُعْجَمٌ، فَمَنِ اطَّلَعَ على المخطوطات يعرف أن قراءتَها من الصعوبة بمكان، خاصة الذي لا ينقط؛ فيحتاج أن يقول مثلًا: المهملة، المعجمة، بل يُفَصِّلُ أكثرَ من ذلك في شكل النونِ والثاءِ والباءِ والتاء والياء، فهذه الأحرف شكلها واحد، فلو قالوا: مُهْمَلٌ وَمُعْجَمٌ فإنه لا يتضح، إنما يقولون مثلًا: بالموحدةِ فوقُ، أو بالموحدة تحتُ، وبالمثناة فوقُ، أو بالمثناة تحتُ، أو بالمثلثة فوقُ. ومرادهم بالموحدة فوقُ: النون، وبالموحدة تحتُ: الباء، وبالمثناة فوقُ: التاء، وبالمثناة تحتُ: الياء، وبالمثلثة فوقُ: الثاء. هكذا كانوا يضبطونَ ما يكتبونَه، فتَصَوَّر كم كانوا يَلْقَوْنَ من جراءِ هذا مِنْ تَعَبٍ ومَشَقَّةٍ ومن تطويل! لكنهم حرصًا على طَلَبَةِ العلم ألا يُصَحِّفُوا ولا يحرفوا يضبطون ويكتبون هكذا.

قد يتعجب اليوم القارئ ويقول: لماذا يقول: بالنون الموحدة فوق؟ ونقول: يذكر ذلك؛ لصعوبة قراءة خط بعض المصنفين للغاية، بل إن خطوط بعضهم

---

(١) انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغر بردي (٤/ ٣٠١).

تستغلق على القارئ، فلا يستطيع قراءتَها إلا أشخاصٌ معدودونَ على أصابع اليد الواحدة في العالم الإسلامي، أما الباقي فلا يَفْقَهُ منها إلا القليل، وخاصةً خط المغاربة فَإِنَّهُ يبلغ الغايةَ في الصعوبة؛ لأن لهم قواعدَ تختلف عن قواعد الخط المشرقي، فالقاف -مثلًا- يكتبونها بصورةِ الفاءِ ونقطةٍ في الأسفل، وطريقةُ رسم الحرف على السطر أو تحتَ السطرِ أو فوقَ السطر؛ فلذلك قال: للعين والحاء المهملتين.

والحلق ينقسم إلى ثلاثةِ مخارجَ لستة أحرف: أقصى الحلق، ووسط الحلق، وأدنى الحلق[1]، والبُعْدُ هنا بالنسبة إلى الهواء الخارج، فعندما يقول: أقصى الحلق الهمزة والهاء؛ أي: أقصى الحلق بالنسبة لتكوين الحلق الخِلْقِيِّ، أي: أقربه بالنسبة للهواء الخارج: الهمزة والهاء، ثم العين والحاء، ثم الغين والخاء، وهذه الأحرفُ الستُّ هي أحرفُ الإظهار.

الرَّابِعُ: أَدْنَاهُ -أَي: الْفَمُ- لِلْغَيْنِ وَالْخَاءِ. الْخَامِسُ: أَقْصَى اللِّسَانِ مِمَّا يَلِي الْحَلْقَ وَمَا فَوْقَهُ مِنَ الْحَنَكِ لِلْقَافِ. فالقاف يخرج من أقصى اللِّسَانِ مما يلي الحنكَ الأعلى. والكاف: مما يلي الحنكَ أسفلَ من القاف، فعندما تنطق الكافَ تلاحظ أنها في طبقة أسفل قليلًا من القاف.

السَّادِسُ: أَقْصَاهُ مِنْ أَسْفَلِ مَخْرَجِ الْقَافِ قَلِيلًا وَمَا يَلِيهِ مِنَ الْحَنَكِ لِلْكَافِ، السَّابِعُ: وَسَطُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَسَطِ الْحَنَكِ لِلْجِيمِ وَالشِّينِ وَالْيَاءِ. الياءُ المقصودةُ أولًا في مخرج الجوف هي الياءُ الْمَدِّيَّةُ، أي: الساكنةُ المكسور ما قَبْلَهَا. والياءُ المقصودةُ هنا في المَخْرَجِ السابعِ هي الياءُ اللّينةُ، أي: الساكنةُ المفتوحُ ما قَبْلَهَا؛

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ١٩٩).

مثل قوله تعالى: ﴿قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

فالياء هنا تخرج من وسط اللِّسَان، وكذلك الياء المتحركة.

أما الجيم فكثير من الناس ينطقها قريبة من الشين: أَجْش. والسخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في منظومته(١):

وَالْجِيمُ إِنْ ضَعُفَتْ أَتَتْ مَمْزُوجَةً   بِالشِّينِ مِثْلَ الْجِيمِ فِي الْمَرْجَانِ

إنما الجيمُ العربية بدون شين، ومَخْرَجُهَا من وسط اللِّسَان، طائفة من اللِّسَان تنطبق على الحنك الأعلى.

الثامن: لِلضَّادِ الْمُعْجَمَةِ مِنْ أَوَّلِ حَافَّةِ اللِّسَانِ وَمَا يَلِيهِ مِنَ الأَطْرَافِ مِنَ الْجَانِبِ الأَيْسَرِ، وَقِيلَ: الأَيْمَنِ. الضادُ هي أصعبُ الأَحْرُفِ العربيةِ نطقًا على غير العرب(٢)؛ لذلك سُمِّيَتْ: لغةَ الضاد من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، فالضاد تخرج من أول حافة اللِّسَان، فاللسان يعلو حتى يُلامِسَ جوانبَ الأضراسِ الداخليةِ.

التَّاسِعُ: لِلَّامِ مِنْ حَافَّةِ اللِّسَانِ مِنْ أَدْنَاهُ إِلَى مُنْتَهَى طَرَفِهِ، وَمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يَلِيهَا مِنَ الْحَنَكِ الأَعْلَى.

الْعَاشِرُ: لِلنُّونِ مِنْ طَرَفِهِ أَسْفَلَ اللَّامِ قَلِيلًا.

هذه كلُّها ليس في إخراجِها حَرَجٌ، ولله الحمد.

الْحَادِي عَشَرَ: لِلرَّاءِ مِنْ مَخْرَجِ النُّونِ، لَكِنَّهَا أَدْخَلُ فِي ظَهْرِ اللِّسَانِ.

---

(١) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي (ص٦٦٣).

(٢) الضاد: أصعب الحروف في النطق، ومن الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها، وهي قليلة في لغة بعض العجم ومفقودة في لغة الكثير منهم. انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي (٣/ ٤٩٠).

الثَّانِيَ عَشَرَ: لِلطَّاءِ وَالدَّالِ وَالتَّاءِ مِنْ طَرَفِهِ وَأُصُولِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا مُصَعَّدًا إِلَى جِهَةِ الْحَنَكِ.

الثنايا هي: الأسنان المتقدمة: ثِنْتَانِ فوق، وثِنْتَانِ تحت[1]، فأصولُ الثنايا؛ أي: التي تدخل داخلَ اللثة، وهذا مخرجُ الطاءِ والدالِ والتاء. تُلاحِظُ أن طرفَ اللِّسَانِ ينطبق على أصول الثنايا العليا التي خَفِيَتْ في اللثة.

الثَّالِثَ عَشَرَ: لِحُرُوفِ الصَّفِيرِ[2]: الصَّادِ وَالسِّينِ وَالزَّايِ[3] مِنْ بَيْنِ طَرَفِ اللِّسَانِ وَفُوَيْقَ الثَّنَايَا السُّفْلَى. سُمِّيَتْ حروف الصفيرِ؛ لأنها حالَ النطق بها يخرج معها صوتٌ شبيهٌ بصفير الطائر، وهذه حروفُ صفيرٍ ثلاثة لا رابعَ لها في اللغة، وهي تخرج من طرف اللِّسَان ومن فُوَيْقَ الثنايا السفلى.

الرَّابِعَ عَشَرَ: لِلظَّاءِ وَالذَّالِ وَالثَّاءِ مِنْ بَيْنِ طَرَفِهِ وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا.

الْخَامِسَ عَشَرَ: لِلْفَاءِ مِنْ بَاطِنِ الشَّفَةِ السُّفْلَى وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا. أي: الثنايا العليا تَنْطَبِقُ على جزء من باطن الشفة السفلى، فتخرج الفاء.

السَّادِسَ عَشَرَ: لِلْبَاءِ وَالْمِيمِ وَالْوَاوِ غَيْرِ الْمَدِّيَّةِ بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ.

أما الْمَدِّيَّةُ فمخرجها الجوفُ.

السَّابِعَ عَشَرَ: الْخَيْشُومُ لِلْغُنَّةِ فِي الإدغام وَالنُّونِ أَوِ الْمِيمِ السَّاكِنَةِ. سبق ذكر أن الغنة في الميم والنون تكون في كل الحالات؛ في الإدغام وفي الإخفاء وفي السكون.

وَلِبَعْضِ هَذِهِ الْحُرُوفِ فُرُوعٌ صَحَّتْ بِهَا الْقِرَاءَةُ كَالْهَمْزَةِ الْمُسَهَّلَةِ، وَأَلِفِ

---

(١) انظر: المخصص، لابن سيده (١/ ١٢٧).

(٢) زيادة صوت كالتفشي. انظر: جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني (١/ ٤٤٢).

(٣) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ٣٤١).

الإِمَالَةِ، وَالتَّفْخِيمِ، وَصَادِ الإِشْمَامِ، وَلامِ التَّفْخِيمِ.

وَصِفَاتُ الْحُرُوفِ مَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ وَكُتُبِ النَّحْوِ. انْتَهَى.

يقول: بعض هذه الأحرف العربية ليست من مَخْرَجٍ معين، بل هي متولدة من مخرجين مترددة بين حرفين[1]، مثل الهمزة المسهلة (أأعجمي)، فالهمزةُ الثانية ليست همزةً على سبيل التحقيق، وليست أَلِفًا، إنما هي شيءٌ بينَ ذلك.

أيضًا أَلِفُ الإمالةِ في (مُوسى) مثلًا، فليست بالأَلِفِ وليست بالياء إنما هي بينَ بينَ، والتفخيمُ أيضًا، وصادُ الإشمامِ: (وَمَنْ أَصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا)، فتكون هذه الصادُ كما ينطق العوامُّ بالظاء، فليست صادًا وليست ظاءً وليست زايًا إنما هي بين ذلك كله، ولام التفخيم عند ورش مثلًا: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [هود: ١١٤]، فهذه اللام المفخمة ليست لامًا معروفةً معهودةً عندنا وليست غير ذلك أيضًا، بل هي مترددة بين مخرجينِ من مخارجِ الأحرفِ، وهذه صَحَّتِ القراءةُ بها، فتلحق بما قبلها من المخارج.

وصفات الحروف مبسوطة في كتب القراءات وكتب النحو، فلم يأت بها ها هنا، إنما تكلم عن المخارج، أما الصفات فأَمْرُهَا أَكْبَرُ مِنْ هذا وأطول. والله تبارك وتعالى أعلم.



(١) انظر: غاية المريد في علم التجويد ص ١٢٥.

النوع التاسع والثلاثون: الغريب

وهو غريبُ القرآنِ العظيمِ، وهذا النوع مُهِمٌّ كما أشار الحافظُ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأننا نعيش في عصر قَلَّتْ فيه معرفةُ الناس بلغتهم، بل نستطيع أن نقول: إن معرفة الناس بلغتهم العربية قد اضْمَحَلَّتْ اضمحلالًا عجيبًا، فصار كثيرٌ من الناس لا يفقهون معانيَ اللغة العربية على وجهها الصحيح، وصار كثيرٌ من الناس لا يعرفون مرادَ الله تعالى من كتابه على الوجه الأتمِّ الصحيحِ، نعم هم يعرفون بعضَ المعاني؛ لأن الله تبارك وتعالى قد قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، وقال: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، والله تبارك وتعالى جعله قرآنًا عربيًّا واضحًا مُبينًا، ولكن ماذا نقول وقد انقطع كثير من الناس عن الاهتمام بلغتهم، وَقَلَّ عندَهم كثيرًا العلمُ بمفرداتٍ كثيرةٍ فيها؟! فإن كان في الصدر الأول في القرون الثلاثة المُفَضَّلَةِ قد عَرَفَ الناسُ أكثرَ القرآن وبعضُ ألفاظه بَقِيَتْ غريبةً عليهم، فاليوم -وللأسف الشديد- لم يعرف أكثرُ الناس أكثرَ القرآن، وقليلٌ من الناس من يعرف كثيرًا من القرآن ومرادِ الله تبارك وتعالى منه، فأصبح غريبُ القرآنِ من الأمر المُهِمِّ الذي يجب أن يُدرس دراسةً وافيةً.

أشار الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ هاهنا إلى بعضه إشارةً وجيزةً، وأطال فيه في: «الإتقان في علوم القرآن» الذي يُعَدُّ هذا الكتابُ -كتاب التحبير- أصلًا له، فإنه قد بنى الإتقانَ على هذا الكتاب كما قد سبق ذكر ذلك في المقدمة الدالةِ على ما في هذا الكتاب.

والغريبُ يمكن أن يُعْرَفَ من مُصَنَّفٍ مستقلٍّ يُسمى بغريب القرآن، وأتى

بأمثلة عليه من كُتُبِ غريب القرآن، ويمكن أن يُعرف من كتب التفاسير المهتمة بهذا الباب، فلا نرجع إلى التفسير بالمأثور لمعرفة غريب القرآن على الوجه التامِّ الأكمل، إنما نرجع إلى التفاسير التي تهتم باللغة؛ من أمثال تفسير الإمام أبي حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البحر المحيط»، وتفسير الزمخشري -رحمه الله وغفر له-: «الكشاف» على ما فيه من اعتزاليات ومن بدع، لكنه في مجال غريب القرآن وتفسير مفرداته قد أبدع رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أيضًا يُرجع فيه إلى تفسير أبي السعود المُسَمَّى: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» وهو رجل من علماء الدولة العثمانية، وقد توفي سنةَ ٩٥٢هـ (اثنتين وخمسين وتسعمائة)[١] وهذا الكتاب -إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- من أهم الكتب في باب معاني اللغة ومعرفة غريبها ومعرفة مفرداتها، وغيرها من الكتب.

يقول الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **هَذَا نَوْعٌ مُهِمٌّ، وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَصَانِيفُ، وَأَشْهَرُهَا لِلْقُدَمَاءِ: غَرِيبُ أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ الْمُثَنَّى، وَهُوَ فِيمَا أَظُنُّ أَوَّلُ مَنْ صنّفَ فِيهِ. وَأَشْهَرُهَا الآنَ، وأَكْثَرُهَا اسْتِعْمَالًا وَأَحْسَنُهَا تلخيصًا وَوِجَازَةً «غريبُ العُزَيْزِيِّ»؛ فَقَدْ أَقَامَ فِي جَمْعِهِ خمسَ عشرةَ سنةً يُحَرِّرُهُ هو وشيخُه أبو بكر ابنُ الأَنْبَارِيِّ، ولأبي حيانَ في ذلك كتابٌ لطيفٌ مخْتَصَرٌ.**

أفضلُها غريب العُزَيْزِيِّ، وقول المؤلف: إنه أقام في تأليفه خمسَ عشرةَ سنةً مُثْبَتٌ في مقدمة الكتاب فَلْيُرْجَعْ إليه، وهو مَطْبُوعٌ مُتَدَاوَلٌ.

ويَعْرِف العُلَمَاءُ غريب القرآن مِنْ رسولِ الله ﷺ إن كان قد فَسَّرَ هذا

(١) انظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، عصام الدين طاشكبري زاده (ص٤٤٠-٤٤١)

الغريبَ، ثم مِنَ الصَّحَابَةِ الكرامِ ﭫ، وخاصةً من علمائِهم وَمِنْ كِبَارِهِمْ، كأمثالِ الخلفاءِ الأربعَة، وابن عباس، وابن مسعود، وَأُبَيٍّ ﭫ، فهؤلاء يُرجع إليهم في معرفة القرآن على العموم، وفي معرفة غَرِيبِهِ على الخصوص.

ثم أيضًا يُؤخذ ذلك من الشِّعْرِ العَرَبِيِّ؛ لأن الشعرَ ديوانُ العرب، احتفظوا فيه بلغتهم ومفرداتِها، فلولا أن الله تبارك وتعالى قَيَّضَ للعرب مَلَكَةً سهلةً في تناوُل الشعر وَقَرْضِهِ لانْقَرَضَ كثيرٌ من لغتهم؛ فقد أَثْبَتُوا في شعرهم كثيرًا من المفردات التي لم تَعُدْ مستعملةً فيما بعدَ انقضاءِ زمن القصيد.

ثم أيضًا يُؤخذ من عمومِ كلامِ العربِ؛ فإن كلام العرب بَادِيةً وحاضِرَةً ظَلَّ مُحْتَجًّا به إلى أوائل القرن الرابع، فإذا تكلم العربيُّ الخالصُ كلامًا فإنه يُعَدُّ مُعْتَمَدًا إلى بداية القرن الثالث في الحاضرة وإلى آخر الرابع في البادية، أو غير ذاك مما قد يفوتني والله أعلم؛ فالعرب إذا نطقت بشيء فَيُعَدُّ ذلك حجةً بشرط أن يكون عربيًّا خالصًا غير مُوَلَّدٍ ولا أعجمي في أصله، أو في لسانه.

وقد أجاب ابنُ عباس ﭭ ابنَ الأزرقِ في مسائلَ كثيرةٍ من القرآن بشعر العرب؛ مثلَ أن يقول له: ما معنَى هذا؟ فيقول له: كذا، فيقول: هل تعرفه العرب؟ فيقول: نعم، فيأتي له ببيتٍ من الشعر يوضح المعنى المرادَ، وتُعرف هذه بمسائل ابن الأزرق، وهي موجودة في أكثرَ مِنْ كِتَابٍ.

ويُعرف الغريبُ أيضًا عن طريق البحث عنه في كتب المعاجم.

والفرقُ بينَ كتبِ المعاجم وكتب التفسير والكتب التي اهْتَمَّتْ بالغريب أن كتبَ المعاجمِ تَطرق المفرداتِ الغريبةَ من زاويةٍ لغويةٍ مَحْضَةٍ، ثم تُعَرِّجُ على الجانب القرآني فيها، وهذا في المعاجم القديمة، أما المعاجم الجديدة فقد أَغْفَلَ

كثيرٌ منها ذلك، وأما الكتب الخاصة بغريب القرآن، والكتب المؤلَّفة في مفردات القرآن فقد تناولت تلك المفرداتِ من باب القرآن العظيم:

أولًا: اهْتَمَّتْ بما جاء في القرآن العظيم من نَظَائِرَ وتفسيرات لهذه الكلمة؛ لأن أحسن ما يُفسر به القرآنُ هو القرآن، فهذه الكتب تختلف عن كتب المعاجم المعروفة؛ من أنها تُرَكِّز على المعنى القرآني للكلمة، وأفضلُها في ذلك -وننصح باقتنائه- هو كتاب: «معجم مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الكتاب له عِدَّةُ طبعات، أحسنُها -والله أعلم- الطبعة التي حققها أستاذٌ يُدْعَى: صفوان الداودي، مع أنه طُبِعَ أكثرَ من خمس عشرة مرة! فقد اهْتُمَّ بهذا الكتاب قديمًا وحديثًا.

وهناك كتاب مشهور يُماثله، وهو كتاب للسَّمِينِ الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسمه: «الدرُّ المصونُ في علومِ الكتابِ المكنونِ» وهذا كتابٌ في الإعراب فقط، أي: لا يُوَافِقُ اسمُه مُسَمَّاهُ، وقد حُقِّقَ تحقيقًا جيدًا، وللسمين الحلبيّ أيضًا كتاب في شرح الشاطبية، وهو كتابٌ ما زال مخطوطًا بعدُ، وينتظر -إن شاء الله- أن يخرج مطبوعًا قريبًا.

وَيَنْبَغِي الاعْتِنَاءُ بِهِ؛ فَقَدْ تَوَقَّفَ الصَّحَابَةُ فِي أَلْفَاظٍ مِنْهُ حَتَّى سَأَلُوا عَنْهَا وَوَقَفُوا عَلَيْهَا، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْفَضَائِلِ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، يَقُولُ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا[1].

---

(١) انظر: فضائل القرآن، القاسم بن سلام (ص٣٤٥).

أَيْ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا بـدونِ مِثَالٍ سَـابِقٍ مِـنْ حفـرِ بئـرٍ مُجَـاوِرٍ أَوْ مُـسَاعَدَةٍ... إِلَـخ، وَكَذَلِكَ اللهُ تبارك وتعالى -ولله المثلُ الأَعْلَى- ابْتَدَأَ خلقَ السماواتِ والأرضِ على غيرِ مثالٍ سابقٍ، فهو فَطَرَهَـا -سبحانه- وهـو بـديعٌ في فطرتـه تلـك سبحانه وتعالى.

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ العَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فَقَالَ: (أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لا أَعْلَمُ). وَقَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فَقَالَ: (هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا الأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ!)[١]، وَقَدْ عَرَفَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ كَمَا رَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ: (مَا تَقُولُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ تَعَالَى أَكْثَرَ ذِكْرَ السَّبْعِ فَذَكَرَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، والأَرَضِينَ سَبْعًا. فَقَالَ: كُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ عَرَفْتُهُ، غَيْرَ هَذَا مَا تَعْنِي بِقَوْلِكَ: وَمَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ سَبْعًا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [عَبَس: ٢٧- ٣١] فَالْحَدَائِقُ: كُلُّ مُلْتَفٍّ حَدِيقَةٌ، وَالأَبُّ: مَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ مِمَّا لا يَأْكُلُ النَّاسُ... الْحَدِيثَ[٢].

---

(١) فضائل القرآن، القاسم بن سلام (ص٣٧٥).

(٢) أخرجه أبـو نـصر المـروزي في مختـصر قيـام الليـل (ص٢٥٢)، والطحـاوي في شـرح مـشكل الآثـار (١٤/ ٣٧٠)، (٥٦٨٦).

هذا الحديث فيه خلطٌ وَسَقْطٌ، ثم هذه الأحاديث محمولةٌ على شيئين: إما أن الصحابةَ الْمَعْنِيِّينَ هاهنا -كأمثالِ أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا- لم يكونوا يعرفون فِعْلًا معنَى الأَبِّ كما هو مَرْوِيٌّ عن أبي بكر وعمر، أو أنهم يعرفونَه لكنهم لا يُحَدِّدُونَهُ بالضبط، فيعرفونَ أن الأَبَّ هو ما خرج من الأرض، ولكن لا يعرفونَ ما هو على الحقيقة، أو أنهم لا يعرفونه أصلًا، وهذا مُستبعَد عندي، واللهُ أعلمُ. فهم يعرفونه مطلقَ المعرفةِ، أما أن يُحَدِّدُوهُ ما هو بالضبط فلم يهتدوا إلى علمه. وأما ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد عَلِمَهُ كما في هذا الحديث، وكما في آثار أخرى أوردها ابنُ جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فلا يبعد أن يعلمَه ابنُ عباسٍ ويخفَى على آخرينَ كما هو معروف من حال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

هنا إشكال: في قوله في السطر الثالث من الصفحة نفسها: (**وَقَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ ابْنُ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ**) إن كان القائلُ أبا عُبيد في الفضائل فهنا سَقْطٌ؛ لأن يزيدَ بنَ حُمَيْدٍ هو الضُّبَعِيُّ هو الذي حَدَّثَ عن أنس وقد توفي سنةَ ١٢٨هـ (ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ)(١)، أما أبو عُبيد رَحِمَهُ اللَّهُ القاسم بن سَلَّام فقد توفي سنةَ ٢٢٤هـ (أربع وعشرين ومائتين) فلا يمكن أن يكون أبو عُبيد قد حَدَّثَ بهذا عن يزيدَ بن حُميد، فإن كان ينصرف إلى أبي عبيد فليس بصحيح، أما إن كان ينصرف هذا القول إلى أحد آخَرَ فلم أَتَبَيَّنْهُ، فقد راجعتُ ما في الإتقان وما في الفضائل لأبي عبيد فلم يُوجد فيها إلا هذا، فعلى الإخوةِ المُهْتَمِّينَ بالآثارِ والأحاديثِ أن يراجعوا ذلك.

---

(١) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٣٢/ ١٠٩).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَنْبَأَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]. فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْهَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَلَمْ يُجِبْ فِيهَا شَيْئًا[(١)]. وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (لا وَاللهِ لا أَدْرِي مَا حَنَانًا)[(٢)].

هذه الكلمة لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (لا وَاللهِ لا أَدْرِي مَا حَنَانًا) إما أنه يكون قد قالها في أوائل عمره رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وأقول ذلك؛ لأنها مَرْوِيَّةٌ بأثرٍ صحيحٍ من طريق عليِّ بن أبي طلحةَ، وطريقُ عليِّ بنِ أَبِي طلحةَ من الطرق الثابتة عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فهناك طُرُقٌ مكذوبةٌ عن ابن عباس برجال ضِعَافٍ أو كذابين، وهناك طرق صحيحة، ومن الطرق الصحيحة عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هي طريق عليِّ ابنِ أبي طلحةَ. وقد روى عليُّ بنُ أبي طلحةَ أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَسَّرَهَا، فإما أن يكون ابن عباس قد قالها في أوائل عمره، ثم رُوِيَتْ في هذا الأثرِ كذلك، وإما أنه لا يَعْرِفُ هذه اللفظةَ من كلام العرب المتداوَل في زمانه، فإن القرآنَ العظيمَ -كما سيأتِي إن شاء الله في النوع القادم- قد جاء العربَ بألفاظٍ يعرفونَها وهي متداوَلَة بينَهم، وألفاظٍ قليلة لا يعرفونها هي أفصحُ من كلامهم، مثلَ قوله تعالى: ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]. فهذه الألفاظ هي ألفاظ أفصحُ من المتداول في كلام العرب زمانَ نزولِ القرآن، عَرَفَهَا أجدادُهم، وعرفها آباؤُهم، لكنهم هُمْ لا يعرفونَها أو ليست متداوَلةً بينَهم، فجاءهم القرآنُ وَذَكَّرَهُمْ بها. وهذه الكلمة: ﴿وَحَنَانًا﴾ [مَرْيَم: ١٣] إما أن يكون ابنُ عباسٍ قد خَفِيَ عليه

(١) لم أجده في تفسير الطبري. ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٥/ ٤٧٧).

معناها أولًا، أو أنه لا يعرفُها متداولَةً بينَ العربِ بهذا اللفظ، أما ﴿وَحَنَانًا﴾ فابنُ كثيرٍ وغيرُه من العلماء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قد فَسَّرَوهَا بأنها تَحَنُّنٌ وَتَحَبُّبٌ وَتَعَطُّفٌ وَتَرَحُّمٌ.

هذا هو الغريب الذي جاء به في هذا النوع، جاء به مختصرًا، وقد تكلم فيه باتساع في الإتقان.



النوع الأربعون: المعرب

وَهُوَ نَوْعٌ اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي مَعْنًى وُضِعَ لَهُ فِي غَيْرِ لُغَتِهِمْ[(١)]، وَلَا خِلَافَ فِي وُقُوعِ الأَعْلامِ الأَعْجَمِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ، وَاخْتَلَفُوا: هَلْ وَقَعَ فِيهِ غَيْرُهَا؟ فَالأَكْثَرُ - وَمِنْهُمُ الشَّافِعِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ - أَنْكَرُوا ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]. وَأَجَابُوا عَمَّا يُوهِمُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ مِمَّا اتَّفَقَتْ فِيهِ لُغَةُ الْعَرَبِ وَلُغَةُ غَيْرِهِمْ كَالصَّابُونِيِّ. وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى الْوُقُوعِ، وَأَجَابُوا عَنِ الآيَةِ الأُولَى بِأَنَّ ذَلِكَ لا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ عَرَبِيًّا؛ لأَنَّ الْقَصِيدَةَ لَا يُخْرِجُهَا عَنْ كَوْنِهَا عَرَبِيَّةً كَلِمَةٌ فِيهَا فَارِسِيَّةٌ[(٢)].

الْمُعَرَّبُ بحثٌ طويلٌ اختلفت فيه أنظار العلماء رحمهم الله؛ هل هناك ألفاظٌ في القرآن ليست عربيةَ الأصلِ؟ هذا كلامٌ طويلٌ نحتاج إلى تحريره واختصاره، ونسأل اللهَ سبحانه وتعالى الإعانةَ.

أولًا يقال: بأنه ليس في القرآن كلمةٌ غيرُ عربية؛ لقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]. والكلمات التي يقال: إن أصلها يرجع إلى لغة غير العربية مثلَ: (مشكاة)، و(إستبرق) وغيرهما أجاب عنها الأئمةُ بأجوبة؛ منهم الشافعيُّ رحمه الله ورضي عنه، فقد تكَلَّمَ عن هذه المسألة في كتاب: (الرسالة) التي أرسلها إلى عبد الرحمن بن المَهْدِيّ، وتكَلَّمَ عنها بكلام رائق فَلْيُرْجَعْ إليه؛ لأن الشافعيَّ هو أفصحُ العربِ في زمانه، فقد قيل: إن هناك اثنين من العرب لم تُسمع لَهُمَا لَحْنَةٌ؛ هما الشافعيُّ وعبدُ الملكِ بنُ مروانَ رحمهما الله. والشافعيُّ كان

---

(١) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (١/ ٢١١).

(٢) انظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، السيوطي (ص٥٧-٦٠).

أفصحَ من عبد الملك[١]، بل قيل: إنه أفصحُ مَنْ ظَهَرَ من العرب بعدَ الصحابةِ ﭫ[٢]، وكان ﬗ لا تُسمع له لحنةٌ قَطُّ، بل كانت العربيةُ تُؤخذ من كلامِه؛ لأنه تَرَبَّى في البادية، وَعَلِمَ الكلامَ الفصيح، وأيضًا كان قُرَشِيًّا مُطَّلِبِيًّا، فَجَمَعَ ﬗ بين فصاحةِ الباديةِ وفصاحة قريشٍ.

فالشافعيُّ عندما يُقرأ في كتبه يُستفاد علمٌ كثيرٌ، ويَتَعَلَّمُ الرجلُ من قراءته لكتبِ الشافعيِّ الفَصَاحَةَ والجزالةَ والبلاغةَ. نَعَمْ، قد يَتْعَب أولًا؛ لعدم قُدْرَتِهِ على استيعاب كلام الإمام، ولكنه إن استمر في تذوق هذا العلم وتذوق هذا الكلام الجميل فإنه يستفيد كثيرًا؛ فاقرءوا الرسالةَ واقرءوا ما قال فيها في هذا البحث، فالشافعيُّ ومعه علماء من أمثال الباقلاني ﬗ وغيرهما قالوا بعدم وجود كلمات غير عربية في القرآن، ويُرجع أيضًا في هذه المسألة لمقدمة الأستاذ الْمُحَقِّقِ أحمدَ شاكرٍ ﬗ لكتابِ (الْمُعَرَّبِ) لأَبِي مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيِّ، فأبو منصورٍ الجواليقيُّ له كتابٌ: (المعرب) في القرآن وفي لغة العرب عمومًا، قَدَّمَ له الأستاذُ الدكتورُ: عبد الوهاب عزَّام مقدمةً رائعةً، وتكلم أيضًا الشيخُ أحمدُ شاكر وهو مُحَقِّقٌ ثَبْتٌ قويٌّ تكلم كلامًا قويًّا في هذه المسألة -مَسْأَلَةِ وقوع الْمُعَرَّبِ في القرآن وفي لغة العرب- فَلْيُرْجَعْ إلى هذا البحث في مقدمة كتاب: (المعرب) للجواليقي بتحقيق أحمد شاكر رحمهم الله جميعًا فإنه مُهِمٌّ.

يقول أحمدُ شاكرٍ ﬗ -وهو مستفاد من كلام الشافعي-: «لعل الألفاظَ التي ادُّعِيَ أنها ليست عربيةً لَعَلَّ لها أصلًا عربيًّا قديمًا ثم فُقِدَ هذا الأصلُ وبقي

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ٤٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ٤٩)، أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٤١٠).

اللفظُ، فلم يُعرف له اشتقاقٌ فَادُّعِيَتْ فيه العجمةُ»(١)، يعني: كلمة: (مشكاة) وهي: الكُوَّةُ غيرُ النافذةِ، أي: التي لا تَنْفُذُ إلى الخارج، هذه الكُوَّةُ وهي (المشكاة) لعل لها أصلًا عربيًّا فُقِدَ ثم بقيت هذه الكلمةُ (المشكاة) فلم يُعْلَمْ لها أصلٌ، ولم يُعْلَمْ لها اشتقاقٌ، فَادُّعِيَتِ العُجْمَةُ فيها؛ لأَنَّهُ يقال: إنَّ العربية هي أقدمُ من الفارسية والسُّرْيَانِيَّةِ، وأقدمُ من العِبْرَانِيَّةِ لغةِ اليهود عليهم لعائنُ الله، وأقدمُ من الكَلْدَانِيَّةِ، فالعربيةُ أقدمُ من هذه اللغات الأربع، ومن كثيرٍ غيرها، فكيف يُقال في كلمات كثيرات بأن أصلَها فارسيٌّ، أو أصلها سُرْيَانِيٌّ، أو أصلها عِبْرَانِيٌّ، أو أصلها حَبَشِيٌّ إلى آخرِ ما قيل في هذا الباب، هذا ملخص ما قيل.

وأيضًا يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا نعلم أنه يحيط باللغة غيرُ نَبِيٍّ»(٢)؛ لاتساعها جِدًّا، فلا يستطيع إنسانٌ أن يحكم على لفظةٍ أو ألفاظ من لغة العرب بأنها ليست من لغتهم أصلًا، وأنها مُعَرَّبَةٌ مأخوذة من لغات غيرِ العرب؛ لأنه لا يستطيع أن يحيط باللغة إلا نَبِيٌّ، هذا ملخص ما قاله أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، وملخص ما قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والذين قالوا بوقوع المُعَرَّبِ في القرآن قالوا: إن العربَ أخذت ألفاظًا من اللغات الأخرى؛ فأخذت (المشكاة) من الفارسية مثلًا(٣)، وكذلك (الإستبرق)، فأخذت من الحبشية ومن السريانية والفارسية، وأخذت من لغات كثيرة، دارت بها أشداقُ العرب، وَذُلِّلَتْ بها ألسنتُهم وَمَرِنَتْ عليها قبلَ نزولِ القرآنِ العظيمِ، فَنَزَلَ القرآنُ العظيمُ بهذه الألفاظِ بِمُقْتَضَى ما تَلَفَّظَ به العربُ

---

(١) المعرب، الجوالقي، تحقيق أحمد شاكر (ص١٤).

(٢) انظر: الرسالة، الشافعي (ص٣٤).

(٣) انظر: المستصفى، الغزالي (ص٨٤).

وَعَرَّبُوهَا، لا على ما تَلَفَّظَ بها أَهْلُوهَا؛ لأن العربَ عندما ينقلون كلمةً وَيُعَرِّبُونَهَا من لغات أخرى فإنهم يُحَوِّرُونَهَا على ما تستطيعه ألسنتُهم وتتذوقه أذواقُهم وَفِطَرُهُمْ، فمثلًا عندما نُقِلَ إلينا (التلفازُ) أو (التليفزيونُ)، فأصل هذه الكلمة في اللغة الإنجليزية هي: (تليفجن)، لكن العرب لم تلفظ هذه الكلمة كذلك، وإنما حَوَّرَتْهَا قليلًا لتناسبَ الذوقَ العربيَّ والنطقَ العربيَّ، ولتناسبَ اللسانَ العربيَّ، فقالت: (تليفزيون) مثلًا، فهذه الكلمة عُرِّبَتْ من كلمة في لغة أخرى وَحُرِّفَ فيها وَقُدِّمَ وَأُخِّرَ فيها حتى تُوَافِقَ لسانَ العرب، وكذلك كل ما قيل بأن أصلَه غيرُ عربيٍّ في كتاب الله تبارك وتعالى فإنه قد تَدَاوَلَتْهُ العربُ وَمَرِنَتْ به ألسنتُهم قبل نزول القرآن العظيم، فلما نزل القرآنُ العظيمُ بهذه الألفاظ كانت عربيةً في نُطْقِهَا، عربيةً في طريقة تَلَفُّظِهَا، عربيةً في تَحْوِيرِهَا من اللغات الأخرى.

لذلك لم يُنْكِرْ ذلك العربُ الذين نزل عليهم القرآنُ، ولم ينكر ذلك الكافرون، فيقولوا مثلًا: إنكَ أَتَيْتَنَا بكلام ليس من لغتنا، وأنتَ تقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، مع أنهم كانوا يَتَحَيَّنُونَ الفُرَصَ للطعنِ في القرآن! فلم ينكر ذلك أحدٌ، ولم يُعرف من أحدٍ من الناس إنكارُ ذلك؛ فَلْيُعْلَمْ هَذَا.

وقيل: بأن هذه الألفاظ التي في كتاب الله تبارك وتعالى مما قيل بأن أصلها غير عربي، قيل: إنه مما اتَّفَقَتْ عليه اللغاتُ(١)، فـ(التَّنُّورُ) -مثلًا- قيل بأن العرب يعرفون التنورَ، والفُرْس يعرفونَ التنورَ، فاتَّفَقَتِ اللغاتُ على النطق بهذه الأداة كذلك(٢)، فليس هناك أصلٌ غيرُ عربيٍّ، إنما اتفقت على هذه الألفاظ

(١) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (١/ ٢١٠).

(٢) انظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي (ص٢٠٨).

لغتانِ فأكثر، فليس هذا مما أصلُه غير عربي.

وقيل: كلُّ ما عدا الأعلام فهو عربيٌّ في كتاب الله تبارك وتعالى(١)، أما الأعلام فقال ناس: بأنها مُعَرَّبَةٌ، وقال آخرون بأنها بَقِيَتْ على عُجْمَتِهَا في كتاب الله. وأنا أرى -والله أعلم- أنها قد عُرِّبَتْ، مع أن الذين قالوا بأنها بَقِيَتْ على عُجْمَتِهَا عندَهم حجةٌ قويةٌ، وهي أن النحاةَ قد أَجْمَعُوا على أن يوسفَ -مثلًا- قد مُنِعَ من الصَّرْفِ في كتاب الله تعالى لسببين وهما: العَلَمِيَّةُ، والعُجْمَةُ(٢)، إِذَنْ هذه الألفاظ بقيت على عُجْمَتِهَا في كتاب الله تبارك وتعالى، لكن يقال لهم: إن هذه الألفاظ قد عَرَّبَتْهَا العربُ؛ لأن الأممَ الأخرى لا تنطق يوسفَ هكذا، ولا تنطق إسماعيلَ هكذا، ولا تنطق يَحْيَى هكذا، بدليل: ما نراه في لغات الأمم الأجنبية اليومَ، ومنها أيضًا اللغات الفارسيةُ والعِبْرَانيةُ، فكل اللغات اليومَ لا ينطقون بيوسف ولا بِيَحْيَى ولا بإبراهيمَ ولا بأمثالِها من أسماء الأنبياء التي قيل بأعجميتها لا ينطقون بها كذلك، والذي أَوْرَثَنَا هذا النطقَ هو الله تبارك وتعالى؛ لأن العربَ قد عَرَّبَتْ هذه الكلماتِ الأعجميةَ، ودارت بها ألسنتُها كذلك، فنزل القرآنُ بها كذلك. هذا الذي أرتاح إليه، واللهُ أعلمُ.

يقول عبد الله بن إبراهيم العلوي رَحِمَهُ اللهُ(٣):

مَا اسْتَعْمَلَتْ فِي مَا لَهُ جَا الْعُرْبُ   فِي غَيْرِ مَا لُغَتِهِمْ مُعَرَّبُ

وشرحُ هذا البيت يُفهم من الشرح السابق، مَا اسْتَعْمَلَتْ: أي: ما استعمله

---

(١) انظر: في التعريب والمعرب، ابن أبي الوحش(ص٢٧).

(٢) انظر: الخصائص، لابن جني (١/ ١٧٩).

(٣) انظر: متن مراقي السعود. البيت رقم (٢٢٤-٢٢٦).

العرب في لغتهم، وأصلُه من غير لغتهم هو الْمُعَرَّبُ، هذا تعريف المعَرَّب.

مَـا كَـانَ مِنْـهُ مِثْـلُ إِسْـمَاعِيلِ وَيُوسُـفٍ قَـدْ جَـاءَ فِـي التَّنْزِيـلِ
إِنْ كَـانَ مِنْـهُ وَاعْتِقَـادُ الأَكْثَـرِ وَالـشَّافِعِيِّ النَّفْـيُ لِلْمُنَكَّـرِ

ومعنى قوله: (إِنْ كَـانَ مِنْـهُ) أي: أن هـذا بحسب اختلاف الأئمة: هـل (يوسفُ) و(إسماعيلُ) ونحو ذلك من المُعَرَّب أو مِنَ الأعجمي؟

وَهُوَ نَوْعٌ اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي مَعْنًى وُضِعَ لَهُ فِي غَيْرِ لُغَتِهِمْ، وَلَا خِلَافَ فِي وُقُوعِ الأَعْلامِ الأَعْجَمِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ.

ذكرنا أن هناك خلافًا في وقوع الأعلام الأعجمية في القرآن، والسيوطي رَحِمَهُ اللهُ يقول: (لا خلاف)، قيل: إنه رجع عن رأيه ذلك في الإتقان، ولم أطلع عليه؛ فالخلافُ موجودٌ، فقال بعضهم: الأعلام الأعجمية موجودة، والدليل: المنعُ من الصرفِ لِلْعَلَمِيَّةِ والعُجمةِ، وآخرون قالوا بأن هذه الأعلامَ قد عُرِّبَتْ، وهذا الذي أميل إليه، والله أعلم- **وَاخْتَلَفُوا: هَلْ وَقَعَ فِيهِ غَيْرُهَا؟ فَالأَكْثَرُ** - هذا هو الأكثر؛ وهو الذي في الأبيات: (واعتقادُ الأكثرِ والشافعيِّ النفي للمُنكَّرِ)، والمنكر: هو ما عدا الأعلام التي قيل بأنها أعجمية، واعتقادُ الشافعيِّ واعتقادُ أكثرِ العلماءِ بالنفيِ للمنكرِ، أي: بنفيِ وقوعِ المُعَرَّبِ في القرآن ما عدا الأعلامَ التي قيل بأنها أعجمية أو مُعَرَّبَةٌ على الاختلاف- **وَمِنْهُمُ الشَّافِعِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ أَنْكَرُوا ذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤][1] وَأَجَابُوا عَمَّا يُوهِمُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ مِمَّا اتَّفَقَتْ فِيهِ لُغَةُ**

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢/ ١٢٥).

الْعَرَبِ وَلُغَةُ غَيْرِهِمْ كَالصَّابُونِ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى الْوُقُوعِ -أي: إلى وقوع الألفاظ المُعَرَّبَةِ في القرآن(١) - وَأَجَابُوا عَنِ الآيَةِ الأُولَى بِأَنَّ ذَلِكَ لا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ عَرَبِيًّا؛ لأَنَّ الْقَصِيدَةَ لا يُخْرِجُهَا عَنْ كَوْنِهَا عَرَبِيَّةً كَلِمَةٌ فِيهَا فَارِسِيَّةٌ(٢)، وَعَنِ الثَّانِيَةِ، -أَيْ: أَجَابُوا عَنِ الثَّانِيَةِ- بِأَنَّ الْمَعْنَى كَلامٌ أَعْجَمِيٌّ وَمُخَاطَبٌ عَرَبِيٌّ، - أَيْ: لو جَعَلَ اللهُ تبارك وتعالى القرآنَ أعجميًّا لاعْتُرِضَ على ذلك، بأن يقول الكفارُ: أكلامٌ أعجميٌّ، ومخاطَبٌ عربيٌّ: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] هذا هو المعنى- وَقَدْ وَرَدَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ تَفْسِيرُ أَلْفَاظٍ فِيهِ أَطْلَقُوا أَنَّهَا بِلِسَانِ غَيْرِ الْعَرَبِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿طه﴾ [طه: ١] هُوَ كَقَوْلِهِ: (يَا مُحَمَّدُ) بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ(٣).

وَعَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦]. قَالَ: بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، (إِذَا شَاءَ قَامَ) رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ، وَهُوَ فِي الْبُخَارِيِّ تَعْلِيقًا(٤).

قوله: وهو في البخاري (تَعْلِيقًا)، إذا جاء بصيغة الجَزْمِ(٥) بأن قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ: قال فلانٌ، فهذا يُحكم له بالصحة، وابن حجر رَحِمَهُ اللهُ وصل المعلقات في كتابه «تغليق التعليق» وهو كتاب من خمسة أجزاء مطبوعة، وهي رسالة دكتوراه لأحد الدكاترة من الأردن اسمه: سعيد القزقي، حَقَّقَ هذا الكتابَ وَخَرَّجَه

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (١/ ١٦).

(٢) انظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، السيوطي (ص٥٧-٦٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٤٢٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٤٧٥٧)، والحاكم في المستدرك (٣٨٦٦).

(٥) انظر: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، النووي (ص ٢٨).

مطبوعًا في خمسة أجزاء، وفيه وصل ابن حجر معلقات البخاري جميعها تقريبًا من طُرُقٍ أخرى.

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]. قَالَ: (نَهْرٌ صَغِيرٌ بِالسُّرْيَانِيَّةِ) عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ [الحديد: ٢٨] قَالَ: (ضِعْفَيْنِ بِالْحَبَشِيَّةِ) أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ(٢).

وَقَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ: الأَوَّاهُ: (الرَّحِيمُ) بِالْحَبَشِيَّةِ(٣).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عِيَاضٍ: الْمِشْكَاةُ: (الْكُوَّةُ) بِالْحَبَشِيَّةِ(٤).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقِسْطَاسُ: (الْعَدْلُ) بِالرُّومِيَّةِ، رَوَاهَا كُلَّهَا الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا(٥).

وَقَدْ جَمَعَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي ذَلِكَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ لَفْظَةً فِي أَبْيَاتٍ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ شَيْخُ الإِسْلامِ أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَجَرٍ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ ذَيَّلَهَا عَلَى أَبْيَاتِهِ، وَوَطَّأْتُهَا قَبْلُ بِبَيْتٍ مِنَ الْمُعَرَّبِ(٦):

السَّلْسَبِيلُ وَطَهَ كُوِّرَتْ بِيَعٌ   رُومٌ وَطُوبَى وَسِجِّيلٌ وَكَافُورُ

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٤/ ١٦٥)، ووصله الحاكم في المستدرك (٣٤١٣). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٩٦٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٢/ ٣٨).

(٤) أخرجه البخاري تعليقًا (٦/ ٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٩٦٧).

(٥) أخرجه البخاري تعليقًا (٩/ ١٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٩٧٣). ابن جرير في جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٧/ ٤٤٥).

(٦) انظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، السيوطي (ص١٧٠-١٧٨).

وَالزَّنْجَبِيلُ وَمِشْكَاةٌ سُرَادِقُ مَعْ إِسْتَبْرَقٍ صَلَوَاتٌ سُنْدُسٌ طُورُ
كَذَا قَرَاطِيسُ رَبَّانِيُّهُمْ وَغَسَّا قٌ ثُمَّ دِينَارٌ وَالْقِسْطَاسُ مَشْهُورُ
كَذَاكَ قَسْوَرَةٌ وَالْيَمُّ نَاشِئَةٌ وَيُؤْتَ كِفْلَيْنِ مَذْكُورٌ وَمَسْطُورُ
لَهُ مَقَالِيدُ فِرْدَوْس يُعَدُّ كَذَا فِيمَا حَكَى ابْنُ دُرَيْدٍ مِنْهُ تَنُّورُ
وَزِدْتُ حِرْمٌ وَمُهْلٌ وَالسِّجِلَّ كَذَا السَّرِيُّ وَالأَبُّ ثُمَّ الْجِبْتُ مَذْكُورُ
وَقِطَّنَا وَإِنَاهُ ثُمَّ مُتَّكَأً دَارَسْتَ يُصْهَرُ مِنْهُ فَهْوَ مَصْهُورُ
وَهَيْتَ وَالسَّكَرُ الأَوَّاهُ مَعْ حَصَبٍ وَأَوِّبِي مَعْهُ وَالطَّاغُوتُ مَسْطُورُ
صُرْهُنَّ إِصْرِي وَغِيضَ الْمَاءُ مَعْ وَزَرٍ ثُمَّ الرَّقِيمُ مَنَاصٌ وَالسَّنَا النُّورُ

ثم أضاف إليها رَحِمَهُ اللهُ أكثرَ من ستين لفظةً؛ فَبَلَغَتْ في الإتقان تسعًا وتسعين لفظةً، وبلغت في كتابه: «المهذب فيما وقع في القرآن من المُعَرَّب» وهو كتابٌ مطبوعٌ مرارًا سبعَ عشرةَ ومائةَ لفظةً.

وقد عرفنا في بداية النوع ما فيه من الكلام على وقوع المُعَرَّبِ في القرآن على الإيجاز والتلخيص، والله تعالى أعلم.



النوع الحادي والأربعون: المجاز

والمجاز فيه كلامٌ طويلٌ وخلافٌ بينَ العلماء من مانعٍ وَمُجِيزٍ، فمن مانع في اللغة وفي القرآن، ومن مجيز في اللغة وفي القرآن، ومن مجيز في اللغة مانع في القرآن، وهكذا[١]، بل ومن مانع في القرآن والحديث معًا، أمثال ابن حَزْمٍ، والظاهريةِ عمومًا[٢].

فهذه المسألة تحتاج إلى تحرير، وإلى تلخيص قبلَ البَدْءِ بها. والذي أعتقده -والله تعالى أعلم- أن المجازَ واقعٌ في اللغة لا شَكَّ، وإن أَنْكَرَهُ قومٌ من أمثال أبي إِسْحَاقَ الإِسْفِرَائِينِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، بل هو واقعٌ في اللغة باتفاق اللغويين، ولولا أن الأستاذ وأمثالَه من العلماء الكبار أَنْكَرُوا وقوعَه في اللغة لَقُلْنَا: إنه إجماعٌ، ولكن اتفاقَ الجمهورِ الأعظمِ من العلماء على وقوعه في اللغة.

وأما وقوعُه في القرآن فالمجاز واقعٌ في القرآن، لكنه ليس على إطلاقِ مَنْ أَطْلَقَ، إنما المجاز واقعٌ في القرآن فيما عدا شيئين:

الأول: مسائلُ الاعتقادِ، فصفات الله تبارك وتعالى ليس فيها مجازٌ، بل تُؤخذ كلُّها حقيقةً لغويةً موضوعةً في كتاب الله تبارك وتعالى، فليس في الكلام عن العقائد في القرآن مجازٌ أبدًا، فَلْيُعْلَمْ هذا.

الثاني: ليس في الكلام على شرائعِ الإسلامِ في القرآنِ مجازٌ، فإذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣] فإن المعنَى هنا قائمٌ على الحقيقة، وليس على المجاز، فالله تبارك وتعالى لا يُخَاطِبُ عبادَه في أمور التكاليف

---

(١) انظر: المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسين البصري المعتزلي (١/ ٢٣)، الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (٤/ ٢٨).

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (٤/ ٢٨).

وأمور العقائد الْمُلْزِمَةِ إلا بالحقائق لا المجاز، والله أعلم.

هذا اختصارٌ للمسألة، وفيها خلافٌ كثيرٌ طويلٌ، فَمِنْ مُنْكِرٍ بالكُلِّيَّةِ، وَمِنْ مُجِيزٍ بِالْكُلِّيَّةِ أيضًا، ومن متوسطٍ بينَهما، والله أعلم.

أما المجازُ لغةً: فهو مُشْتَقٌّ من جَازَ الشَّيْءَ يَجُوزُهُ: إذا تَعَدَّاهُ[١]، سَمَّوْا به اللفظ الذي نُقِلَ من معناه الأصليِّ واسْتُعْمِلَ؛ ليدلَّ على معنًى غيرِه مناسبٍ له.

أما اصطلاحًا: فهو اللفظُ المُسْتَعْمَلُ في غير ما وُضِعَ له في اصطلاحِ التَّخَاطُبِ لعلاقةٍ، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنَى الوَضْعِيِّ[٢].

والعلاقة: هي المُنَاسَبَةُ بين المعنَى الحقيقيِّ والمعنَى المجازيِّ، وقد تكون -أي: العلاقةُ- المُشَابَهَةَ بينَ الْمَعْنَيَيْنِ، وقد تكون غيرَها، فإذا كانت العلاقةُ المشابهةَ فالمجازُ استعارةٌ، وإلا فهو مجازٌ مُرْسَلٌ، والقرينةُ: هي المانعةُ من إرادةِ المعنَى الحقيقيِّ.

فعندما وضَع العربُ، أو وُضِعَ لهم؛ -على خلاف- لأن بعضهم يقول: إن كل ما في اللغات هو موضوعٌ من قِبَلِ الله تبارك تعالى[٣]، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، أَيْ: عَلَّمَهُ جميعَ أسماء الأشياء على جميع اللغات، فهنا لا يكون وَضْعٌ ألبَتَّةَ، أي: لم تُوضَعْ أسماءٌ لأشياء من قِبَلِ واضعينَ إنما وضعها اللهُ تبارك وتعالى وسماها ابتداءً، فلا حاجةَ لأحد أن يَضَعَ شيئًا، هذا رأيُ بعضِ العلماءِ. وبعضُهم يقولون: إن العربَ وغيرَهم من الأمم كُلٌّ قد وضع أسماءً في لغته خاصةً للأشياء التي يراها أمامَه، يعني: رأوا

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٢٨).

(٢) انظر: أسرار البلاغة، الجرجاني (ص٣٥١).

(٣) انظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس (ص١٣).

الحجرَ بدايةً فاصطلحوا على تسميتِه حَجَرًا، قالوا: ماذا نُسَمِّي هذا الشيءَ الذي أمامَنا؟ إما أن يقيسوه بنظائرَ أخرى، وإما أن يُرَاعُوا فيه المادةَ المأخوذةَ، أي: يقولون: هذا الشيء الذي أمامَنا صلبٌ قويٌّ لا يقبلَ الكسرَ بسهولةٍ فَلْنَدْعُهُ حَجَرًا، لا أدري لماذا دَعَوْهُ حَجَرًا إن كان موضوعًا، لا أدري لماذا سَمَّوْهُ بهذا الاسم (الحجر) إنما لا بد أنهم قد رَاعَوْا فيه شيئًا ما، هذا هو الاسمُ الموضوعُ للشيءِ، قد وَضَعَهُ واحدٌ أو أكثرُ من العلماء بلسانِ قومِه لذاكَ الشيءِ.

فذاك الحيوانُ المُفْتَرِسُ، وضعوا له هذا اللفظ: (أسد)، فإذا قلتُ: رأيتُ أسدًا، فالذي يَتبَادَرُ إلى ذهنك ذاك الحيوان المعروف المُفْتَرِسُ، الذي صُورَتُهُ في أذهاننا جميعًا، هذا هو المُتبَادِرُ إلى الذهنِ، وهذا ما يُسَمَّى بالحقيقة، فالحقيقةُ هي الاسمُ الموضوعُ بإزاءِ المُسَمَّى[1]، وما يقابِلُها: المجازُ؛ لذلك قالوا: يُعْرَفُ المجازُ من الحقيقة بالمتبادِرِ إلى الذهن، إذا قيل لك لفظٌ مُعَيَّنٌ – مثلًا– ولم تَعْرِفْ هل هو حقيقةٌ أم مجازٌ، فَانْظُرْ ما المتبادِرِ إلى ذهنك منه؟ فإن كان المتبادِرِ إلى ذهنك منه الشيءُ الذي وُضِعَ الاسمُ من أجله فهو حقيقةٌ، وإلا فهو مجازٌ، فمثلا حين تقول: رأيتُ أسدًا، فإن المتبادِرِ إلى ذهني هنا: الأسدُ المعروفُ، أما لو قلتَ: (رأيتُ أسدًا يقودُ الجيوشَ) أو (رأيت أسدًا يخطب)، فإن المتبادِرِ إلى الذهن هو ذاك الرَّجُلُ الشجاعُ الذي يقودُ الجيوشَ، والقرينة الصارفة للمعنَى من إرادة الحيوان إلى إرادة الرجل: (يقود الجيوشَ) و(يخطب)، وهي الشيءُ المُنْضَمُّ إلى الكلام؛ ليُفْهَمَ منه المجازُ، ولا يُفْهَمُ منه الحقيقةُ. والعَلاقة بينَ المعنَى الحقيقيِّ هنا والمعنَى المجازيِّ الشجاعةُ والجرأةُ والإقدامُ، فهذه هي العلاقة بين الأسدِ وبينَ الرَّجُلِ.

---

(١) انظر: أسرار البلاغة، الجرجاني (ص٣٥٠).

هناك أقسامٌ للمجازِ: المجازُ المُفْرَدُ[١]، والمجازُ المُرَكَّبُ[٢]، والمجاز المُرْسَلُ[٣]، والمجاز العقليُّ[٤] الذي يُستعمل في البيان. والمهم أن نفهم القاعدةَ الأَوَّلِيَّةَ، ثم أن نعلم أن الأصلَ في الكلامِ إرادةُ الحقيقةِ لا إرادة المجاز[٥]، وهذه قاعدةٌ ضروريةٌ وَلا بُدَّ أن تكون معلومةً، هذا الأصل في الوضع اللغوي.

ثم أيضًا وَقَعَ خلافٌ بينَ العلماءِ: هل المجازُ هو الغالب في اللغات أو الحقيقة؟ ابن جِنِّيٍّ رَحِمَهُ اللهُ يرى أن المجاز هو الغالب في اللغات[٦]، قال: لأن أكثرَ كلامِ الناس يُبنى على التشبيه وعلى الاستعارة وعلى الحذف وعلى غير ذلك من أنواع المجاز، فأكثرُ كلامِ الناس على المجاز، يقول أحدُنا: ضَاقَتْ بِيَ الدنيا، واجتمع عليَّ الناسُ، واجتمعت عليَّ الهمومُ مثلًا، وَتَفَرَّقَ عني الناسُ، وكلُّ هذه معانٍ مَجَازِيَّةٌ، ليست حقيقيةً، فإن الدنيا لم تَضِقْ بكَ، والناس لم يجتمعوا عليكَ، والهموم لم تتراكم عليكَ، لأن الهمومَ معنويةٌ وليست حِسِّيَّةً،

---

(١) هو الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له العلاقة بين المعنى الأول والثاني، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول. انظر: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني (١/ ١٠٣).

(٢) هو اللفظ المركب المستعمل قصدًا وبالذات في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. انظر: علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، المراغي (ص٢٨٦).

(٣) هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة غير المشابهة: مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي. انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي (١/ ٢٧٤).

(٤) هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع، كقولك: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض. انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٣٩٣).

(٥) انظر: المحصول، الرازي (١/ ٣٤١).

(٦) انظر: الخصائص، لابن جني (٢/ ٤٤٩).

وهكذا، فيقول: الأغلبُ في كلام العرب هو المجازُ. وَخَالَفَهُ في ذلك علماءُ، فقالوا: بل الأغلبُ هو الحقيقةُ(١). وهذه ليس فيها شيءٌ إن شاء الله؛ إذ لا يُبْنَى عليها كثيرُ عَمَلٍ.

ثم إنهم اتفقوا على أن المجاز أَبْلَغُ من الحقيقة(٢)؛ لأن المجاز فيه تصوراتٌ، فيه بلاغةٌ، وفيه معانٍ حِسِّيَّةٌ مُصَوَّرَةٌ للإنسانِ، فقولك: رأيتُ أسدًا يقودُ الجيوشَ، يختلف عن قولك: رأيتُ رجلًا يقود الجيوش، فهنا المعنَى مُصَوَّرٌ بطريقة جميلة، فيه إقدامٌ، وفيه جرأةٌ، فيه شجاعة متناهية، لأن هذا ما نعرفه عن الأسد، فيه تَنَوُّعٌ في استخدام الألفاظ، فيه من الأشياء التي تُعَدُّ من المحلِّ الأعلى في البلاغة، فلذلك يقال: إن المجازَ أَبْلَغُ من الحقيقة، وهذه من حُجَجِ مَنْ يقول بوجود المجاز في القرآن، قال: لو أن المجاز يُنْفَى عن القرآن لانْتَفَى عنه شطرُ الْحُسْنِ؛ لأن فيه كثيرًا من المجاز مما فيه حذفٌ وتكرارٌ وَقَصَصٌ... إلخ.

ثم لِيُعْلَمْ أيضًا أن اللفظَ الموضوعَ محمولٌ على المعنى الشرعيِّ في القرآن، فإن لم يُعْرَفْ له معنًى شرعيٌّ، فمحمولٌ على المعنَى العُرْفِيِّ، فإن لم يُعْرَفْ له معنًى عُرْفِيٌّ فيُحمل على المعنَى اللغويِّ(٣)، فقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الْبَقَرَة: ٤٣]. فالصلاةُ هنا لها معنًى شرعيٌّ، ولها معنًى لغوي، فتحمل على المعنَى الشرعيِّ؛ لأن الصلاةَ في اللغة هي مُطْلَقُ الدعاءِ، كما أن الصيام في اللغة: مطلق الإمساك كما قال تعالى حكاية عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

(١) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (١/ ٢٨١).

(٢) انظر: الكليات، الكفوي (ص١٠٦٧).

(٣) انظر: المحصول، الرازي (١/ ٤٠٩).

ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦] فصَامَتْ عن الكلام، أما في الشرع فهو: إمساكٌ عن الطعام والشراب والجِمَاعِ من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بِنِيَّةٍ، فهذا يختلف عن الصيام اللغوي، فإذا أُطْلِقَ الصيامُ في القرآن وفي الحديث وفي كلام العلماء، فإنه يُراد منه المعنَى الشرعيُّ لا المعنَى اللغوي، وهذا معروفٌ.

أيضًا العُرْفِيُّ، إذا أَوْصَى إنسانٌ فقال: أُوصي بدابة، أو بدابتي، أو بعشرين دابةً من دوابي التي في مزرعة كذا، أُوصي بها لفلان، فيُحْمَل على المعنى العُرْفِيِّ؛ لأننا قلنا أولًا: هو محمول على الشرعي، ثم محمول على العُرْفِيِّ، ثم محمول على اللُّغَوِيِّ، فَيُحْمَلُ على العُرْفِيِّ؛ لأن اللغويَّ يَعُمُّ كلَّ ما يدب على الأرض، فلو قال: أُوصي بدابتي لِفُلانٍ، فإنه يحتمل أنه يُوصِي بعبده؛ لأن الإنسانَ يدب على الأرض، فهو دَابَّةٌ في اللغة، أيضًا يُوصي بثعبان من الثعابين؛ لأن الثعبانَ يدب على الأرض، فيشمل الحيوان غير المأكول، والحيوان المأكول، ويشمل بهيمة الأنعام، وما ليس بداخل في بهيمة الأنعام، إن كان يمتلك -مثلًا- حديقةً للحيوان... إلخ، لكن نقول: هو محمول على العرفي، فالدابةُ في العُرْفِ هي ما يُحْمَل عليها المتاعُ، وهي ما يركبه الناسُ مثلًا، فهذا مُهِمٌّ.

فالمعنَى محمولٌ دائمًا في كتاب الله تبارك وتعالى على المعنى الشرعي ثم المعنى العُرْفِيِّ ثم المعنى اللغوي.

وَهُوَ فَنٌّ عَظِيمٌ مُتَّسِعٌ بَالَغَتْ فِيهِ الْعَرَبُ؛ لاسْتِعْمَالِهِمْ لَهُ كَثِيرًا، وَنَفَى الظَّاهِرِيَّةُ وُقُوعَهُ فِي الْقُرْآنِ، قَالُوا: لأَنَّهُ كَذِبٌ، فَإِنَّ قَوْلَكَ لِلْبَلِيدِ: (هَذَا حِمَارٌ) كَذِبٌ، وَالْقُرْآنُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، قُلْتُ: الَّذِي قَالَ هَذَا: حِمَارٌ، فَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ الْمَجَازَ

أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ كُتُبًا؛ مِنْهُمْ: الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَلَهُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ ذَكَرَ مِنْهَا الْبُلْقِينِيُّ نَزْرًا يَسِيرًا، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا أَوْرَدَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي أَوَّلِ غَرِيبِهِ، وَقَدْ سَرَدْنَا هُنَا مِنْ أَنْوَاعِهِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي كِتَابٍ.

هنا شُبْهَةٌ جاء بها الذين قالوا: إن قولَكم: (في القرآنِ مجازٌ) وهي: أنه يمكن أن يكونَ في القرآنِ كَذِبٌ، قالوا: لأن المجازَ يَصِحُّ نَفْيُهُ، فقولك: (في القرآن مجاز)، يعني: أن هناك شيئًا في القرآن يَصِحُّ نفيُ المعنَى المرادِ منه، فلذلك هو كَذِبٌ، وقد أجاب عن ذلك ابنُ الحاجبِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وأجاب عليه علماء كثيرون، بما حاصلُه: يكون كذبًا إذا كان المرادُ من المَنْفِيِّ والْمُثْبَتِ معًا المفهومَ الحقيقيَّ، أما إذا كان المرادُ من المنفيِّ ومن المُثْبَتِ المفهومَ المجازيَّ، فلا يَلْزَمُ من صدقِ المنفيِّ كَذِبُ المثبتِ، فقولك: (البليدُ ليس بحمارٍ)، يصدق مع قولك: (البليدُ حِمَارٌ)، إذا كان المرادُ من الحمارِ في الأولِ المفهومَ الحقيقيَّ، وفي الثاني: المجازيَّ.

بيان ذلك: إذا قلتَ: (البليدُ ليس بحمار)، وأردت المعنى الحقيقي، فيقال لك: نَعَمْ. البليدُ ليس بحمار، فهذا ليس كَذِبًا أبدًا؛ لأن البليد هو إنسان قد ضُيِّقَ عليه في فَهْمِهِ فلم يَسْتَطِعِ الفهمَ، فلا يقال عنه بأنه صار حيوانًا حقيقةً، فالبليدُ ليس بحمار، ولو قلتَ: (البليدُ حمارٌ) وأردتَ بذلك المعنَى المجازيَّ فلا كذبَ هاهنا أيضًا؛ لأنك شَبَّهْتَ عدمَ فَهْمِهِ مع تكرارِ الشرحِ له بعدم فَهْمِ الحمارِ مَهْمَا شُرِحَ له. هذا ما أجاب به ابنُ الحاجبِ رَحِمَهُ اللَّهُ بنفيِ هذه المسألةِ عن القرآن. فيكون كَذِبًا إذا كان المرادُ من المنفيِّ والمثبتِ معًا هو المفهوم الحقيقي. ونحن

لا نريد من المنفيِّ بقولنا: (البليدُ ليسَ بحمارٍ) ومن المثبت بقولنا: (البليد حمار) المعنَى الحقيقيَّ، ولا نريد أيضا المعنَى المجازيَّ في كليهما، إنما نريد شيئًا مُحَدَّدًا من كِلَا الاستعمالين، وعليه فيكون كَذِبًا إذا كان المرادُ من المنفيِّ والمثبتِ معًا مرادا واحدا هو الحقيقة سواءٌ جئتَ بنفي أو إثباتٍ، هذا يصحُّ أن يقالَ فيه: كَذِبٌ؛ لأنك عندما تقول: (البليدُ حمارٌ) هذا كذب؛ لأن البليدَ هذا إنسانٌ، أو كما يقول المناطقةُ: حيوانٌ نَاطِقٌ، فلا يُشَبَّهُ بحيوانٍ غيرِ ناطقٍ، فإن قلتَ عن الحيوان الناطق: إنه حيوانٌ غيرُ ناطقٍ، فقد كذبتَ في قولك.

فالمجازُ أمرٌ واسعٌ وعظيمٌ وَتَكَلَّمَ فيه العلماءُ وَأُلِّفَ فيه مؤلفاتٌ، من أراد الاستزادة فليرجع إلى: (المجاز) لأبي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ المُثَنَّى رَحِمَهُ اللهُ، وإلى: «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز» للشيخ عبد العزيز بن عبد السلام السلمي رَحِمَهُ اللهُ، وإلى كتاب ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» فقد أتى بخمسين من الأدلة التي تنفي المجازَ في القرآن؛ لأن ابنَ القَيِّمِ يرأى أن لا مجازَ في القرآن[1] تَبَعًا لشيخِهِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ ورحم تلميذَه. ثم إن الدكتور عبد العظيم المطعني حفظه الله قد أَخَذَ أدلةَ ابن القيم هذه وَرَدَّ عليها دليلًا دليلًا في كتابه: (المجاز)، من أراده فليرجع إليه فهو كتابٌ كبيرٌ في جُزْأَيْنِ.

فالحاصل أنه مبحثٌ عظيمٌ مُتَّسِعٌ اختلفت فيه أنظار الأئمة اختلافًا بَيِّنًا، ولعل ما ذكره بعضُ العلماء هو الوسط في هذه المسألة إن شاء الله، وهو أن المجاز يكون في القرآن، لكنه ليس في العقائد، وليس في التكاليف الشرعية، وما

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (١/ ٣٢٤).

عدا ذلك ففي القرآن مجازٌ كما سيأتي في الأقسام الآتية في المجاز.

الأَوَّلُ: الْحَذْفُ وَالاخْتِصَارُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، أَيْ: فَأَفْطَرَ، فَعِدَّةٌ.

﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يُوسُف: ٤٥-٤٦] أَيْ: فَأَرْسَلُوهُ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا يُوسُفُ.

وَكَثُرَ فِي الْقُرْآنِ حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَالْمَفْعُولِ وَالْجَوَابِ؛ نَحْوَ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] أَيْ: لَعَذَّبَكُمْ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] أَيْ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا.

﴿ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] أَيْ: لَتُبْعَثُنَّ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا يُطْلَقُ عَلَى هَذَا النَّوْعِ الإِضْمَارُ، وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُ قَسِيمًا لِلْمَجَازِ لَا قِسْمًا مِنْهُ.

أتى هنا بأمثلة على الحذف والاختصار، وإنما يُحذف ويُختصر في كتاب الله للبلاغة. ووجه البلاغة في الحذف والاختصار إما التشويقُ أو التوقعُ للشيء والتفكر فيه، أو طَلَبًا للإيجازِ، والإيجازُ نوعٌ من أنواع البلاغة، أو لغير ذلك، والحذفُ هنا إما أن يكون معروفًا؛ أي: معروف لماذا حُذف، فقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: فَأَفْطَرَ فعدةٌ من أيام أُخَرَ، فالمعروفُ أَنَّهُ لا يَقْضِي الإنسانُ ما فَاتَهُ إلا إذا أفْطَر، فَهنا حُذِفَ للعِلْم به. كذلك فيما بعده من آيات: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] أَيْ: (لَعَذَّبَكُمْ) رحمةً بالصحابة رضي الله عنهم وتكريمًا لهم، فحذف ولم يأتِ بالخبر (لعذبكم)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ

وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] حُذِفَ للتهويلِ وللتعظيمِ، أي: لرأيتَ أمرًا عظيمًا هائلًا تَنِدُّ عنه الأفهامُ، ولا يُستطاع التعبيرُ عنه، هذا هو سببُ الحذف.

قوله: **وبعضُهم يجعله قسيمًا للمجاز لا قِسْمًا منه**، أي: يقول: هذا ليس من المجاز، بل هو نوع من الأنواع يماثل المجازَ، وبعضُهم يجعله قِسْمًا من المجاز، وسوف يأتي بتعريفٍ يُحدد لنا ما هو المجازُ منه، وما هو عدمُ المجاز.

وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ، ويعرفه المحقق في الحاشية بأنه: وَلِيُّ الدينِ، وهو وَلِيّ الدين العراقي الحافظُ المشهورُ الكبيرُ، وابنه زَيْنُ الدِّينِ العراقيُّ، وليس المرادَ هنا؛ لأن الحافظ العراقي كان مشهورًا بالتحديث وبالأسانيد وبالرجال وبالكلام عليهم، ولم يكن معروفًا بالكلام عن الأصول، فهذه كلمة مُحَرَّفَةٌ. والصواب: قال القَرَافِيُّ، وليس العراقي، فالقَرَافِيُّ هو المشهور بالكلام على الأصول والفروق والتقسيمات وغير ذلك.

قال القَرَافِيُّ: وَهُوَ أَرْبَعَةٌ: (يعني: الحذف في اللغة العربية يأتي على أربعة أنواع؛ واحدٌ منها للمجاز، والباقي ليس من المجاز) **قِسْمٌ: يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صِحَّةُ اللَّفْظِ وَمَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ الإِسْنَادُ، نَحْوَ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾** [يوسف: ٨٢] **أَيْ: أَهْلَهَا؛ إِذْ لا يَصِحُّ إِسْنَادُ السُّؤَالِ إِلَيْهَا**[١]. فقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] لا يصحُّ أن نسألَ مبانيَ القرية، إنما: اسأل أهلَ القريةِ، فيتوقف على المحذوفِ صحةُ اللفظ ومعناه؛ من حيث الإسناد، لا بد أن نعرفَ المحذوفَ أو نُقَدِّرَهُ، فنقول: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي: واسأل أهلَ القرية؛ إذ لا يصح إسنادُ السؤال إليها. ويرى شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ غيرَ ذلك، فيقول: «فمِن ذلِك قولهم: إن القرية هِي

---

(١) انظر: نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي (٢/ ٩٧٠).

مجتمع النّاسِ؛ مأخوذٌ مِن قريت الماء فِي الحوضِ؛ وما قرأت الناقة فِي رحِمِها، فالضِّيافة مقرِئٌ ومقرٍ لِاجتِماعِ الأضيافِ عِندهم، وسمِّي القرآن والقِراءة لِذلِك لِكونِهِ مجموع كلامٍ فكذلِك حقِيقة الِاجتِماعِ إنما هو لِلنّاسِ دون الجدرانِ، فما أراد إلا مجمع الناسِ وهو فِي نفسِهِ حقِيقة القريةِ»[1]، ويقول أيضًا: يصحُّ أن تكون القريةُ اجتماعَ الناسِ، فلا مجازَ حينئذ[2].

فشيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرى المجازَ في القرآن، فيؤول القريةَ بمعنى: اجتماع الناس، والجمهورُ يقولون: القرية: اجتماع المباني[3]، فليس يصحُّ إسنادُ السؤالِ إليها، فإن قلنا: إن القريةَ اجتماعُ الناس فيصح إسنادُ السؤال إليهم، واسألِ القريةَ؛ أَيْ: أهلَها.

وَقِسْمٌ يَصِحُّ بِدُونِهِ لَكِنْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ شَرْعًا كَآيَةِ الْمَرِيضِ السَّابِقَةِ[4]. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: فَأَفْطَرَ، فلا يتوقف صحةُ المعنى على وجودِ: فَأَفْطَرَ، فالكلامُ مفهومٌ، لكن يتوقف عليه بالمَعْنَى الشرعي الإفطارُ والقضاءُ؛ لأنه بدونه لا يكون هناك قضاءٌ؛ لذلك يقول: وَقِسْمٌ يصحُّ بدونه، والضمير في (بدونِه) يعود على الْمُضْمَرِ المحذوفِ، لكن يتوقف عليه شرعًا؛ لإيجابِ الصيامِ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٠/ ٤٧٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٠/ ٤٦٣).

(٣) قال أبو بكر الأنباري: القرية معناها في كلام العرب: الموضع الذي يجتمع الناس فيه. انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٠٠).

(٤) انظر: نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي (٢/ ٩٧٠).

وَقِسْمٌ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ عَادَةً لا شَرْعًا[١]، **(وَقِسْمٌ يتوقف عليه)** أي: على تقديرِ المضمرِ ومعرفتِه **(عادةً لا شرعًا)**، **نَحْوَ: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾** [الشعراء: ٦٣] **أَيْ: فَضَرَبَهُ**، فالعادةُ لا بدَّ من وجود شيء لتحقيق شيء آخر ولو كان في ذلك غرابةٌ، فضَرْبُ موسى عليه السلام البحرَ بِعَصًا هو الوسيلةُ لانفلاقِ البحرِ بتقديرِ الله تبارك وتعالى، مع أنه كان من الممكن أن ينفلقَ البحر بدونِ عصًا، لكن العادةَ أن تكون هناك أسبابٌ لوجود أَثَرِ الشيءِ، وهذا الانفلاقُ سببُه المرئيُّ المباشرُ ضربُه بالعصا، وإن كان من الممكن أن ينفلقَ البحرُ بدونِ ضربِ العصا، فهَذَا معنًى يتوقف عليه عادةً لا شرعًا، لكن من الناحية الشرعية الكونية القَدَرِيَّة يمكن لله تبارك وتعالى أن يفلقَ البحرَ بدونِ إشارةِ عصًا ولا غيرِها، إنما يتوقف عليه عادةً، فالعادةُ أن يُؤثر في الشيء مُؤَثِّرٌ واضحٌ مباشرٌ.

وعيسى عليه السلام كان يمسح على الأكمه والأبرص فيبرآن، لذلك لُقِّبَ بالمسيح[٢]، وكان من الممكن أن يَبْرَأَ هذا الأكمهُ أو هذا الأبرصُ بدون مَسْحٍ لكن هذه هي العادة أن يكون هناك شيءٌ مُؤَثِّرٌ مباشرٌ مرئيٌّ، أما شرعًا فيمكن أن يبرأ الأكمهُ والأبرصُ وينفلقَ البحرُ بدون إشاراتٍ ولا ضَرْبٍ ولا غيرهما.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) اختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحًا، وهل هو اسم مشتق أو موضوع؟ فقيل: إنه موضوع واسمه بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب، وقال الأكثرون: إنه اسم مشتق، ثم ذكروا فيه وجوها، قال ابن عباس: سمي عيسى مسيحا؛ لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برأ منها

وقيل: لأنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه مسح من الأقذار وطهر من الذنوب، وقيل: إنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن. وقيل: لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل. وقيل: لأنه كان يسيح في الأرض ولا يقيم بمكان فكأنه يمسح الأرض أي: يقطعها مساحة، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص له. انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (١/ ٢٤٥).

وَقِسْمٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ غَيْرُ شَرْعِيٍّ وَلا هُوَ عَادَةً، نَحْوَ: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا قَبَضَ مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ الرَّسُولِ(١).

الرسولُ: هو جبريلُ عليه الصلاة والسلام، والسامريُّ -صاحب العجل- قِيلَ: رَبَّاهُ جبريلُ عليه الصلاة والسلام، وقيل: غير ذلك، لَحَظَ السامريُّ جبريلَ وهو ينزل بفرسه على الأرض، فرأى أثَرَ حافرِ فرسِ جبريلَ عليه الصلاة والسلام في الأرض، وجبريلُ الْمَلَكُ الْمُوكلُ من الله تبارك وتعالى بالوحي وبالحياة، فلا يمر على شيء إلا وَاهْتَزَّ حياةً ذلك الشيءُ، فأخذ قبضةً من ترابِ أثرِ حافرِ فرس جبريلَ في الأرض، فكان هذا الترابُ لا يُلْقَى على شيءٍ في الأرضِ إلا وكانَ فيه نوعُ حياةٍ؛ لذلك صنع ذلك التمثالَ من الْحُلِيِّ وَرَمَى فيه شيئًا من ذاك التراب فصار في التمثال نوعُ حياةٍ(٢). وليس هناك دليلٌ في السُّنَّةِ على هذا، ولكنه يُؤخذ من تفسير أهل الكتاب، والتفسيرُ يتوقف على فَهْمِ الآيةِ.

وقيل: إنه لم يكن فيه نوعُ حياةٍ ولا شيءٌ، إنما كان هناك طريقةٌ معينةٌ في صنع التمثال، يدخلُ الريحُ من أَنْفِهِ فيخرج من دُبُرِهِ فَيُحْدِثُ صوتًا(٣)، والأصحُّ أنه حَدَثَ للتمثال نوعُ حياة بإلقاء ذلك التراب فيه، الذي هو من أثرِ حافرِ فرسِ الرسولِ.

وعَرَفْنَا هذا الْمُقَدَّرِ المحذوف؛ الذي هو حافر فرس الرسول من دليلٍ

---

(١) انظر: نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي (٢/ ٩٧٠).

(٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (٣/ ٢٢٠).

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٣/ ٤١٩)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٣٥).

عاديٍّ، وليس من دليل شرعيٍّ ولا غير شرعيٍّ، وإنما من دليل خارجي يتوقفُ عليه فَهْمُ الآيةِ، والآيةُ لا تدلُّ بنفسها على هذا الذي حَدَثَ، ولكن يقول قوله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦]، دل عليه دليل خارجي، وهو إعجازُ القرآن. أو نقول: صِدْقُ رسول ﷺ فيما جاء به من القرآن. لكن يمكن أن يقال أيضا: دل عليه دليل ذاتي؛ بدليل أن عبد الله بن سلام عندما رأى وجه رسول الله ﷺ قال: علمتُ أن هذا الوجهَ ليس بوجهِ كَذَّابٍ[1] ﷺ، ويمكن أن يقال: دل عليه دليل خارجيٌّ، وهو أمانة الرسول ﷺ، وصدقه المعروف في قريش المتواتر عندهم، فهذا الصدقُ وهذه الأمانة المعروفةُ دليلٌ خارجيٌّ على صدق القرآن، وعلى أنه من عند الله تبارك وتعالى حقًّا وقطعًا، وليس هو من نفس القرآن، وهناك أدلة كثيرة على أن القرآن حَقٌّ من نفسه، لكن صدقُ رسول الله ﷺ وأمانته دليل خارجي لا ذاتي على أن القرآن صحيح، هذا معنى الدليل الخارجي.

ففَهِمْنَا هذا المحذوفَ هنا بدليل خارجي لا يُفهم من سياقٍ ما.

ثم قال: **وَلَيْسَ فِي هَذِهِ الأَقْسَامِ مَجَازٌ إِلَّا الأَوَّلَ**. وهو الذي يتوقف عليه صحةُ المعنى وصحةُ اللفظ مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] هذا هو القِسْمُ الأول، أي: لو لم نُقَدِّرْ محذوفًا لما صَحَّ المعنى ولما صح اللفظُ على قول جمهور العلماء، وهذا تحريرٌ لمسألة الحذف والاختصار، ما كان منها من مجاز وما لم يكن منها مجازًا؛ لأنه اختُلِفَ في مسألة الحذف والاختصار، فقال بعضُ

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٢٤٨٥). وقال: هذا حديث صحيح.

العلماءِ: هو مجازٌ كُلُّهُ، وقال بعضُ العلماءِ: ليس فيه مجازٌ أبدًا[١]. فالقَرَافِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُحَرِّر المسألة، فيقول: هو أربعةُ أقسامٍ، فذكر الأربعة، وذكر أن القسم الأول: مجاز، وما عداه فليس مجازًا.

الثَّانِي: الزِّيَادَةُ نَحْوَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]، فَالْكَافُ زَائِدَةٌ؛ إِذِ الْقَصْدُ نَفْيُ الْمِثْلِ لا نَفْيُ مِثْلِ الْمِثْلِ.

هذه مسألةٌ مهمةٌ، فليس في كتاب الله تبارك وتعالى حرفٌ زائدٌ لا ضرورةَ له، إنما هناك أحرفٌ زائدةٌ في كتاب الله تبارك وتعالى -إن صح التعبير بالزائدة- اجْتُلِبَتْ لتأدية معنًى ضروريٍّ لا يَتَأَدَّى المعنى بدونها، فليس هناك حرفٌ زائدٌ في كتاب الله تبارك وتعالى ليس له وظيفةٌ، فالله تبارك وتعالى هو الْمُطَّلِعُ على الأنفس الخبيرُ بما تُؤَدى المعاني به على أكملِ وجهٍ سبحانه وتعالى، وهو المتكلمُ بهذا القرآن العظيم فلا يمكن أن يكون هناك حرفٌ لا داعيَ له ولا ضرورة، وليس له فائدة. فالحروف التي يقال عنها: زائدةٌ إنما هي حروف مُجْتَلَبَةٌ لتأديةِ معنًى ضروريٍّ، لا يتأدَّى المعنى بدونها.

قوله: (**﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾** [الشُّورَى: ١١] **فَالْكَافُ زَائِدَةٌ**)[٢] -لا بد أن نقول: لتأديةِ معنًى ضروريٍّ لا يقوم بدونها... إلخ- (**إِذِ القصدُ نفيُ المثلِ لا نفي مِثْلِ الْمِثْلِ**)، فلو قلتَ: (ليس مِثْلهُ شيء)، تكون قد نفيت المِثْل عن الله تبارك وتعالى، أما قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، فيفيد نفيَ المثليةِ لأي شيءٍ

(١) انظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص ٤٠٨)، العدة في أصول الفقه، القاضي أبي يعلى (٢/ ٦٩٥).

(٢) انظر: سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني (١/ ٣٠٠).

في الوجود لِمَا يمكن أن يكون مِثلًا لله تبارك وتعالى، فليس هناك شيءٌ يُشبه أن يكون مِثْلًا لله تبارك وتعالى، فضلًا أن يكون مِثلًا لله على الحقيقة، تقول: هذا الرجلُ مِثْلُ ذلك الرجلِ، أي: قريب منه جدًّا في الصفات والخصائص، وعندما تقول: ليس هذا كهذا، فأنت تَنْفِي المثلية أو ما يقاربُ المِثْلِيَّةَ، وليس هناك شيء يمكن أن يكون مُقَارِبًا لِمِثْلِ اللهِ تبارك وتعالى، دع عنك أن يكون مماثلًا له سبحانه وتعالى.

وأنصح بالرجوع إلى كتاب «النبأ العظيم» للدكتور: محمد عبد الله دراز رَحِمَهُ اللهُ، من علماء الأزهر القُدَامَى، وكان عالمًا نحريرًا، مع أنه -ويا للعجب- دَرَسَ في فرنسا الدراساتِ العليا، وأخذ رسالة الدكتوراه من هنالك، لكنه كان أزهريًّا عالمًا كبيرًا، وجمع الثقافتين الإسلاميةَ العربيةَ، والثقافةَ الفرنسيةَ، له كتبٌ كثيرةٌ باللغة الفرنسية وَتُرْجِمَتْ، وكتابه «دستور الأخلاق في القرآن» كتاب مشهور مهم له، ومترجم من الفرنسية، أَلَّفَهُ بالفرنسية، وكان هذا كتابًا مُهِمًّا هَدَى الله تبارك وتعالى به أقوامًا في تلك البلاد، وله عدة كتب أخرى رَحِمَهُ اللهُ، وكتابه: «النبأ العظيم» من أحسنِ وأجملِ وأفضلِ الكُتُبِ التي أُلِّفَتْ في إثبات إعجاز القرآن وتقوية اليقين بأنه من الله تبارك وتعالى، أنصح بقراءة هذا الكتاب فإن فيه فائدة كبرى. وَقد تَكَلَّمَ عن هذه الأحرف الزائدة في كتاب الله تبارك وتعالى.

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ [القِيَامَة: ١]: أَيْ: أُقْسِمُ، فَـ (لَا) زَائِدَةٌ. قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القِيَامَة: ١] قيل: هناك محذوف مُقَدَّرٌ بينَ (لا) وبينَ القَسَمِ، (لا) أَيْ: ليس الأمر كما يظنون أنه ليس هناك بعثٌ ولا نشورٌ ولا حسابٌ، وأقسم بيوم

القيامة لَيَكُونَنَّ هناك بعثٌ ونشورٌ وحسابٌ وجزاءٌ. وقيل: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القِيَامَة: ١] لوضوح الأمر جِدًّا، فلا يحتاج إلى قسم. وَقِيلَ: إن (لا) جاءت لتأكيدِ القَسَمِ.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ﴾ [فَاطِر: ٣] أَيْ: هَلْ خَالِقٌ. فـ﴿مِنْ﴾ حرفُ جَرٍّ، ودخلت عليها هل الاستفهامية لتأكيدِ العمومِ[١]، أَيْ: ليس خالقٌ إلا اللهُ تبارك وتعالى. ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ [الأَحْقَاف: ٢٦] أَيْ: فِيمَا مَكَّنَّاكُمْ. و﴿إِنْ﴾ قيل: إنها نافية[٢]، أي: مَكَّنَّا أُولَئِكَ القوم الذين تَحَدَّثَ عنهم القرآنُ فيما لم نمَكِّنْكُم فيه من أمور الدنيا، ومن أمور تَسْخِير الحجارة؛ لكي يَبْنُوا بها القصورَ العاليةَ كقصور عاد وثمود التي لم يُخلق مثلُها في البلاد، ومدائن صالح، والحِجر، هذه لا نستطيعها نحن البشرَ الآن بدون آلات، فلقد مُكنوا في الشيء الذي لم نُمكن فيه نحن، فـ(إن) هذه غير زائدة، وإنما هي للنفي. وقيل: إنَّ (إِنْ) هذه شرطيةٌ ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ أي: فيما لو مكناكم فيه لطَغَيْتُمْ، وهم أيضًا طَغَوْا قبلكم لما مُكِّنُوا فيه في الأرض. ورجح أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ في «البحر المحيط» أنه نفي؛ أي: مكناهم فيما لم نمكنكم فيه.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٣-١٠٤] الْوَاوُ فِي (وَنَادَيْنَاهُ) زَائِدَةٌ؛ لأَنَّهُ جَوَابُ (لَمَّا). ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ عندما أراد إبراهيم أن يضجعَ إسماعيلَ عليهما الصلاة والسلام للذبح: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن

---

(١) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام (٣/ ٢١).

(٢) انظر: المغرب، المطرزي (ص٥٣٧)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (ص ٣٤).

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ يقول: الواو زائدة[(١)]؛ لأن (ناديناه) هي: جواب (لَمَّا) أي: (لَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ نَادَيْنَاهُ). لكن الكوفيين يرون غير هذا، فيرون أن الواو في قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ ليست زائدة، وإنما في الآية حذفٌ وتقديره: أجزلنا أجرهما وأعظمنا ثوابَهُمَا. فلا نحتاج هذه الزيادة على تقدير الكوفيين، وهو أحسنُ وأقربُ إن شاء الله.

الثَّالِثُ: التَّكْرَارُ، وَهُوَ كَثِيرٌ نَحْوَ: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ [النَّبَأ: ٤-٥][(٢)]؛ لأن اللفظةَ الأُخرى موضوعة لشيء لم تُوضع له أصلًا في لغة العرب، إنما يتكلم العربي باللفظةِ مرةً واحدةً؛ لكي يُفهم عنه المراد هذا الأصلُ، فأما إن كَرَّر فالتكريرُ في اللفظة الثانية هذه لم توضع أصلًا لبيانِ المعنَى وإنما للتأكيد أو لأَيِّ شَيْءٍ آخر، فالشيءُ الذي لم يُستعمل ويتلفظ به على الأصل الذي يوضع له يعد مجازًا.

الرَّابِعُ: إِطْلَاقُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفْرَدِ وَالْمُثَنَّى وَالْجَمْعِ عَلَى آخَرَ مِنْهَا، فَمِثَالُ إِطْلَاقِ الْمُفْرَدِ عَلَى الْمُثَنَّى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التَّوْبَة: ٦٢] **أَيْ: يُرْضُوهُمَا، فَأَفْرَدَ لِتَلَازُمِ الرِّضَاءَيْنِ**. قيل: الأصلُ: أحقُّ أن يرضوهما[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ أي: أحقُّ أن يرضوا اللهَ تبارك وتعالى،

---

(١) انظر: الجمل في النحو، خليل بن أحمد الفراهيدي (ص٣٠٦)، سر صناعة الإعراب، لابن جني (٢/ ٢٨٩).

(٢) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني (٢/ ٣٤٧)

(٣) انظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي (ص٢٢٦)

وجيء برسوله ﷺ لتلازمِ الرِّضَاءَيْنِ[١] أي: وأحقُّ أن يُرْضُوا رسولَه ﷺ؛ لأن رضا الله مُسْتَلْزِمٌ لرضا رسولِه ﷺ، فلذلك اكْتُفِيَ بأحدهما عن الآخَرِ[٢]. وقيل: التقدير: واللَّهُ أحقُّ أن يُرضوه ورسولُه أحقُّ أن يرضوه. فحُذِفَ أحدُ الخَبَرَيْنِ لدلالةِ الآخَرِ عليه[٣]، فليس هناك مجازٌ على هذا التقدير.

وَعَلَى الْجَمْعِ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [الْعَصْر: ٢] أَيْ: الأَنَاسِيَّ، بِدَلِيلِ الاسْتِثْنَاءِ مِنْهُ. أي: إن الناسَ لفي خُسْرٍ كلهم، والإنسان هنا ليس المرادُ به شخصًا واحدًا، وإنما المراد جنس الإنسان[٤]، بدليل الاستثناء منه بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧] إذ لا يجوز استثناء الجمع من المفرد؛ لذلك المقصود بالإنسان هنا: اسم جنس الأناسي.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [الْمَعَارِج: ١٩] بِدَلِيلِ: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [الْمَعَارِج: ٢٢]. أي: بدليل الاستثناء منه بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [الْمَعَارِج: ١٩-٢٢] فلما استثنى الجمعَ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٤] دَلَّ على أنه ليس المراد بالإنسان شخصًا واحدًا، وإنما المراد به جماعة[٥].

---

(١) انظر: حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (٣/ ١٨٢)

(٢) للدلالة على أن المقصود إرضاء الرسول وإن ذكر الله للإشعار بأن الرسول من الله بمنزلة عظيمة واختصاص قوي حتى سرى الإرضاء منه إليه. انظر: الكليات، الكفوي (ص٩٢٠).

(٣) انظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة، العلائي (ص٦٥).

(٤) انظر: درة الغواص في أوهام الخواص، أبو محمد الحريري البصري (ص١٧٢)، غريب الحديث، الخطابي (١/ ٦٤٢).

(٥) انظر: المخصص، لابن سيده (١/ ٤٣).

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التَّحْرِيم: ٤]، ولم يقل: (مظاهرون) مع أن الملائكة جمعٌ، وظهير مفرد، وإنما اختار الله تبارك وتعالى هذه اللفظةَ قيل: لجعل الملائكة صفًّا واحدًا مع رسول الله ﷺ كأنهم شيء واحد في النصرة والقوة والموالاة[١]؛ لأنه لعل أن يكون في قلوب المظاهرين أو في قوتهم اختلاف، فلَمَّا وُصفوا بِصِفَةٍ تَدُلّ على المفرد صاروا كأنهم شيء واحد في الدفاع والنصرة والذَّبِّ عن رسول الله ﷺ.

ويقول في الهامش: ﴿ظَهِيرٌ﴾ [التَّحْرِيم: ٤]. (فعيل) بمعنى مفعول يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع[٢]. هذه الحجة النحوية لكلمة (ظهير). وهنا (ظهير) بمعنى: (مظاهرون)، فإذا جاءت كذلك، فيستوي في هذه الصيغة المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، واختيرت هذه اللفظة في كتاب الله لِمَا سبق أن ذكرناه، والله أعلم.

وَمِثَالُ إِطْلَاقِ الْمُثَنَّى عَلَى الْمُفْرَدِ: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤] أَيْ: أَلْقِ[٣]. أي: أن الخطاب للمَلَكِ المُوَكَّل بتعذيب ذلك الشخص فيلقيه في النار والعياذ بالله، لماذا يقال ذلك ولا يقال: إن الخطاب لاثنين حقًّا ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤] فيكون الخطاب لملكين مُعَذِّبَيْنِ في النار؟[٤] لماذا نحكم أن الله تبارك وتعالى أراد واحدًا؟

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٥٢٥).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٢/ ٧٣١).

(٣) انظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي (ص٢٢٨).

(٤) قال الأزهري: أكثر الرواية أن الخطاب لمالك خازن جهنم وحده.وقيل: هو خطاب لمالك وملك معه. انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ٤٧٨).

في تقديري -والله أعلم- أنه أمر صعب أن نحكم أن الله تبارك وتعالى إذا قال: (ألقيا) أنه يريد واحدًا لا يريد اثنين، فهذه أتحرج من إطلاقها هكذا، إنما يقال: الأظهر أنه خطاب لاثنين كما قال العلماء: للسائقِ وللشهيدِ، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق: ٢١] فهذا الأقربُ والله أعلم، لأَجْلِ ألا يقالَ: اللفظةُ مثناة، والخطاب لواحد.

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [المُلْك: ٤]. أي: كرات ومرات[1]، حقيقةً أن الإنسان يرجع البصر كرةً، ثم يُرجعه أخرى، فلماذا لا يقال: إنه أراد بذلك كرتين فعلًا؟ نقول: لأنا لا نستطيع أن نجزم بأن السماء خالية من الفطور والشقوق إلا بإرجاعِ البصرِ عدةَ مراتٍ، لذلك فالمراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾؛ أي: كَرَّاتٍ ومراتٍ. ومما يؤيد هذا من لغة العرب قول القائل: لبيك: أي: أُجِيبُكَ إجابةً بعدَ أخرى، وليس المراد إجابتين، إنما المراد إجابات كثيرة، فنُجيب الله تبارك وتعالى كلما طَلَبَ منا شيئًا، وكلما نادانا بخطاب فإننا نجيبه سبحانه وتعالى، فَلَبَّيْكَ: أجيبك إجابةً بعد إجابة، فليس على إرادة المثنى، إنما على إرادة الإجابات الكثيرة، كذلك يقال هنا، فليس المرادُ كرتينِ، ولكن كرات ومرات.

وَمِثَالُ إِطْلَاقِ الْجَمْعِ عَلَى الْمُفْرَدِ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [الْمُؤْمِنُون: ٩٩]. أَيْ: أَرْجِعْنِي.

هو يُخاطب اللهَ تبارك وتعالى، كان الأقربُ أن يقول على القاعدة النحوية

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (١٠/ ٢٤٨)، الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري (٢/ ١٧٩).

المعروفة: (رب أرجعني). فلما قال: (ارجعون) أَطْلَقَ الجمع على المفرد[١]، وهذه أيضًا لها فوائد: إما لتعظيم الله تبارك وتعالى أن يُخاطب مخاطبةَ المفرد، أو الاستغاثة بالله تبارك وتعالى، والخطاب للملائكة، (قال: رب) يُنادي الله تبارك وتعالى، ثم قال: (ارجعونِ) أي: للملائكة، فالاستغاثةُ لله، وَطَلَبُ الإرجاعِ من الملائكة.

وَعَلَى الْمُثَنَّى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١]، فأطلقَ الجمعِ على المثنى ولم يقل: (طائِعَتَيْنِ)؛ أي: السماء والأرض[٢]. لكن أرى -والله أعلم- أن ذلك باعتبار عدد السماوات وعدد الأَرَضِين، فإذا اعتبرنا ذلك فلا مجاز هنا؛ لأن عدد السماوات والأرضين أكثرُ من اثنين.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ﴾ [ص: ٢٢]، ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص: ٢١] فهم مجموعةٌ تسوروا المحرابَ ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ﴾ [ص: ٢٢] فخصمانِ هنا من إطلاق المثنى وإرادةُ الجَمْعِ[٣]، لكن أيضًا يمكن أن يقال: (خصمان) أي: فَوْجَانِ مختصمانِ، أو جماعتانِ مختصمتانِ، إذن فلا مجازَ، لكن إذا أريد بـ(خصمان): شخصان مختصمانِ، فإن الله تبارك وتعالى قال قَبْلَ ذلك: ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص: ٢١] فأتى بالجمع، فها هنا يقع المجاز.

---

(١) انظر: الكليات، الكفوي (ص ١٣٩)، شرح التصريح على التوضيح، الوقاد(١/ ٣٢٤).

(٢) قال العكبري: وإنما ثنى (قالتا) وجمع (طائعين) لثلاثة أوجه: أحدها: أن السماوات والأرض جمع في المعنى فجاء بالحال على ذلك، والثاني: أن المراد ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ وغلب المذكر، والثالث: أن المراد أهل السماوات والأرض. انظر: اللباب في علل البناء والإعراب، العكبري (١/ ١١٣).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٣١).

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النِّسَاء: ١١] فَإِنَّهَا تُحْجَبُ بِالأَخَوَيْنِ. الأُمُّ فرضُها الثلث، لكن لو كان للميت إخوة، فليس لهم شيء مع الأم، لكنهم ينقصون فرضَها من الثلثِ إلى السدسِ، فالإخوة محجوبون مع وجود الأصل الوارث أو الفرع الوارث.

قوله: (**فإنها تُحجب بالأخوينِ**) واللهُ تبارك وتعالى يقول: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ واتفاقُ الصحابةِ رضي الله عنهم عدا ابن عباس رضي الله عنهما على أن المراد هنا اثنانِ فأكثر من الذكور أو من الإناث، من الإخوة الأشقاء، أو لأب، أو لأم، فإذا وجد أخوانِ فأكثر من الذكور أو من الإناث من الأشقاء، أو لأب، أو لأم فإنهما يَحجبان الأُمَّ ويُنقصان فرضَها من الثلث إلى السدس، ولا شيء لهما[١]، وابن عباس رضي الله عنهما كان يخالف في ذلك فيقول: الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ فلا بدَّ من وجود ثلاثة[٢]، ودخل على عثمان رضي الله عنه وقال له: هل من لغتك ولغة قومك: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ اثنانِ فصاعدًا، فقال عثمان: هذا أمرٌ وجدتُ من سبقني قد مضى عليه فلا أغيره[٣]، فإجماع الصحابة أو اتفاقهم -إذا استثنينا ابن عباس رضي الله عنهما - على أن الأُمَّ تُحجب مع وجود اثنين فصاعدًا، وكان ابنُ عباسٍ -أيضًا- يخالف في الأنثى، ويقول: إنها لا تحجب الأُمَّ من الثلثِ إلى السدسِ، بل ثلاثةٌ من الذكور هم الذين يحجبون الأُمَّ من الثلث إلى

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: معاني القرآن، النحاس (٢/ ٣١).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن (٧/ ٤٠)، والحاكم في المستدرك (٧٩٦٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الذهبي.

السدس[(١)][(٢)].

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التَّحْرِيم: ٤] أَيْ: قَلْبَاكُمَا[(٣)]، أي: فقد مَالَتْ قلوبُكما عن الحق، فاستغفرا الله تبارك وتعالى، فالخطابُ لاثنينِ باتفاقِ الْمُفَسِّرِينَ. ولكنه قال: (فقد صغت قلوبكما) ولم يقل: (قلباكما).

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ [الأَنْبِيَاء: ٧٨]، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبِيَاء: ٧٨]، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ مع أنه حُكْمُ اثنينِ: داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، قيل: إن قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ جَرَى مَجْرَى التعظيم؛ لأنهما من أنبياء الله تبارك وتعالى، وحريٌّ بالخطاب أن يعظمهما، أو على أن أَقَلَّ الجَمْعِ اثنان[(٤)] وهو مذهب من مذاهب العرب مشهور، هذا جمعٌ لما حَدَثَ من حكميهما[(٥)].

الْخَامِسُ: تَذْكِيرُ الْمُؤَنَّثِ تَفْخِيمًا لَهُ، نَحْو: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٧٥]، الموعظةُ تتضمن معنى التذكيرِ، أن يُذَكِّرَ الإنسانُ الآخَرَ، فلما

---

(١) انظر: إعراب القرآن، الباقولي (٣/ ٧٨٧).

(٢) قال الواحدي: قال العلماء: هذا غلط من ابن عباس لأن الاثنين يسميان بالجمع في كثير من الكلام. حكى سيبويه: أن العرب تقول: قد وضعا رحالهما، يريدون: رحلي راحلتيهما. وقال ابن الأنباري: التثنية عند العرب أول الجمع، ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية. انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (٢/ ٢١).

(٣) انظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي (ص٢٢٦)، إعراب القرآن، الباقولي (٣/ ٧٨٧).

(٤) انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص١٤٤)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٣/ ٢٩٨).

(٥) قال الزمخشري: وجمع الضمير؛ لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما. انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٢٨).

ضُمِّنَتْ معنَى التذكيرِ جاء الفعل مُذَكَّرًا، أو جاءت النسبة إليه مذكرة، فقال: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ والأصلُ مع التأنيث أن يقال: (فمن جاءته موعظة) فموعظة مؤنثة، ولكن لما ضُمنت الموعظةُ معنى التذكير؛ الذي هو أيضًا مُذَكَّر جاءت النسبة بالتذكير. وقِيلَ: لمَّا حَصَلَ الفَصْلُ بالضمير: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ وكان المؤنث مجازيًّا صَحّ حذفُ التاءِ، تقول: طَلَعَ اليومَ الشمسُ؛ لأنك فَصَلْتَ بين الفعل والفاعل بأجنبي، فيصح بعد ذلك أن تُذَكِّرَ وأن تؤنث، فتقول: طلعت اليوم الشمس، وطلع اليوم الشمس(١).

السَّادِسُ: التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ، وَمَثَّلَ لَهُ الْبُلْقِينِيُّ بِتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ وَالْخَبَرِ، وَتَأْخِيرِ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَمَثَّلَ لَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ بِأَمْثِلَةٍ دَقِيقَةٍ مِنْهَا: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا﴾ [الْكَهْف: ١-٢] أَرَادَ: أَنْزَلَ الْكِتَابَ قَيِّمًا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا.

هذا التقديمُ والتأخيرُ ليس عليه دليل، إنما هو فَهْمٌ لبعض كبار المفسرين، واختُلف هل هو من المجاز أو لا؟ فقال قوم: هو من المجاز؛ لأن تقديم المفعول إلى مكان ليس له وتأخير الفعل عن مكانه هذا من المجاز، وَرَدَّ بعضُ العلماء عليهم فقالوا: هذا ليس من المجاز؛ لأن المجازَ استعمالُ اللفظِ في غير ما وُضِعَ له، أما هنا فاستُعمل اللفظُ فيما وُضع له، فالمفعولُ استُعمل لما وُضع له، والفاعل استُعمل فيما وُضع له، فحصل تقديم وتأخير فقط. والصحيح -إن

(١) انظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، القصاب (٤/ ٢٢)، الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (٥/ ٤٥١).

شاء الله- أنه ليس من المجاز[١].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هُود: ٧١] أَيْ: بَشَّرْنَاهَا فَضَحِكَتْ. والضَّحك معروف، وبعض المفسرين قال: فضحكت: أي: فَحَاضَتْ[٢]، فبشرناها بإسحاق عَقِبَ الحيضِ، فهنا لا تقديمَ ولا تأخيرَ[٣]، ولا مجازَ على من يقول بالمجاز هنا، والعربُ تعرف أن من معاني الضحك: الحيض. لكن لو كان المراد به الضحك المعروف، فبشرناها فَضَحِكَتْ، فالإنسانُ يحصل له الضَّحِكُ والانبساطُ بعدَ التبشيرِ، فهنا تقديم وتأخير.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التَّوْبَة: ٨٥] أَرَادَ: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الآخِرَةِ[٤]. أنا ما أرى ذلك -والله أعلم-؛ لأنه متى استطعنا أن نحمل اللفظَ القرآنيَّ على حقيقتِه وعلى أن لا تقديمَ ولا تأخيرَ فيه فهذا هو الأَوْلَى. وعليه فقد يُعَذَّب الإنسانُ بِمَالِهِ في الدنيا، ويُعذب بأولاده في الدنيا؛ فيكونون أولادًا غير بَرَرَةٍ، فيهم عقوقٌ وعدمُ تربية،

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٢٣٣)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٣٩).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٢/ ٤٧٦). قال الزجاج: فأما من قال: ضحكت: حاضت فليس بشيء. انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٦٢).

(٣) وقال قتادة: «لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاءوا فيه، فضحكت امرأته وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب، وهم في غفلة، فضحكت من ذلك وعجبت، فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب»، فلا تقديم ولا تأخير أيضًا. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٢/ ٤٧٤).

(٤) قال السيوطي: هذا من تقاديم الكلام. انظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٨)

يكونـونَ مـن ذَوِي الجـرائم؛ -والعيـاذُ بـالله- فيُعَـذَّب بهـم الإنسـانُ في الـدنيا، ويعذبُ بماله أيضا فتُنقص منه البركةُ، وتتوالى عليه المصائبُ، فتنكسر نفسُه، ويَضْطَرِبُ في هذه الحياة وهذا تعذيبٌ بالمال، فلماذا يقال: فيه تقديم وتأخير: (يعذبهم بها في الآخرة) فقط؟! بل ممكن أن يحصل لهم العذاب في الدنيا، والله أعلم.

السَّابِعُ: إِسْنَادُ الشَّيْءِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ لِلْمُلابَسَةِ، نَحْوَ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّة: ٢١] أَيْ: مرْضيةٍ. هذا ما يُسمى بالمجاز العقليِّ؛ فهنا قرينة عقلية تُفْهَمُ بِالْعَقْلِ الإنساني أنه ليس المراد هذا اللفظ على إطلاقه، إنما المراد شيءٌ آخَرُ، أو المراد اللفظ نفسه لكن بفهم آخر.

فالمجاز العقلي: وهو أن يُسند الفعلُ أو شِبْهُهُ -وشبه الفعل هو: الاسمُ والحرفُ- إلى غير ما هو له أصالةً لملابسته له[١]، وسيأتي شرحُ هذا بالتفصيل.

نَحْـوَ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّة: ٢١] أَيْ: مَرْضِـيَّةٍ. العيـشةُ لا تُوصـف بالرضا وعدمه، لكن مَرْضِيَّة بالنسبة لِمُلابِسِ هذه العيشة[٢]، فهَذِهِ علاقةُ الملابسةِ في المجاز العقلي، والمراد بالملابسة هي أنني أُلَابِسُ الحياةَ، فحياتي راضيةٌ، ولا تُوصف الحياةُ بأنها راضية أو غير راضية؛ لأنها ليست عاقلًا يُوصف بالرِّضَا وعَدَمِهِ، إنما تُوصف الملابسةُ وطريقةُ الحياةِ بالرضا وعدمها.

﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [الْمُزَّمِّل: ١٧] نُسب فِعْلُ الشيبِ لليوم[٣]؛ لأن الشيب

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ٢٠٣)، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص٢٩٧)

(٢) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: إعراب القرآن، الباقولي (٢/ ٧١٤)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٢٥٧).

وقع في ذلك اليوم فنسب إليه، واليوم لا يحصل منه وُقُوعٌ لفعل أو لعدمه.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزَّلْزَلَة: ٢] وَلَمْ يَفْهَمِ الْبُلْقِينِيُّ هَذَا النَّوْعَ فَمَثَّلَ لَهُ بِمِثَالٍ غَيْرِ مُطَابِقٍ. أي: في كتابه.

الثَّامِنُ: الْقَلْبُ، (من أنواع المجاز القلب)، وَمِمَّنْ جَوَّزَهُ فِي الْقُرْآنِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَابْنُ قُتَيْبَةَ[١] خِلافًا لأَبِي حَيَّانَ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ ضَرُورَةٌ فَلا يَكُونُ فِيهِ. أبو حيان يقول في «البحر المحيط: إنه ضرورة فلا يُلجأ إليه دائمًا[٢]. فَإِنَّ الأَصَحَّ أَنَّهُ إِنِ اقْتَضَى مَعْنًى لَطِيفًا قُبِلَ، وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ مِنْهُ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٧]. فالأصنامُ لا تُوصف بالعداوة أو عدمها، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٧] قَلْب؛ أي: أنا عَدُوٌّ لهم ؛ أي: لهذه الآلهة المدعاة إلا رب العالمين فإني أَعْبُدُه، وأخضع إليه سبحانه وتعالى. أَيْ: فَإِنِّي عَدُوٌّ لَهُمْ.

ويرى الأَلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ أن هذا -أي: القلب هنا- ليس بشيء[٣]، لكنه يقول: إن الأصنامَ لَمَّا كانت تَجلب الضررَ والمصائب للإنسان في الدنيا والآخرة، أصبحت كأنها عَدُوَّةٌ له، لذلك ليس في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قلبٌ، لكن فيه معنى دقيق لا بد أن يُلاحَظ. هذا معنى كلامِ الألوسي رَحِمَهُ اللهُ. لكن الجمهور على أن فيها قلبًا، والمعنى: (أنا عدو لهم).

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القِيَامَة: ١٤] أَيْ: بَلْ عَلَى الإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص١١٨).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (١٠/ ٩٣).

تُبَصِّرُهُ بالحق وَتُبَصِّرُهُ بالخير(١).

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] أَيْ: خُلِقَ الْعَجَلُ كَائِنًا مِنَ الإِنْسَانِ، بِدَلِيلِ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، يقول: خُلِقَ العَجَلُ من الإنسان، والألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: هذا قلبٌ غير مقبول(٢)، وكلامُه وَجِيهٌ، يقول: كيف خُلِقَ العجل من الإنسان؟ والعَجَلَةُ: السرعة الزائدة، لذلك يقول: لا قلبَ هنا.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: كأن الإنسانَ من شدةِ عجلته، ومن شدة إسراعه في أمور الدنيا وما يريده منها، كأنه خُلق مِنْ عَجَل.

وَذَكَرَ مِنْهُ غَيْرُهُ؛ أي: ذَكَرَ غيرُ ابن قتيبة أمثلة من القلب، مثل: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] أَيْ: لَتَنُوءُ الْعُصْبَةُ بِهَا(٣). تنوء: تثقل، ناء بكذا؛ أي: ثقل عليه مع الميل، يعني: عندما يحمل الإنسان شيئًا فيثقل عليه جدًّا فيميل معه، فتنوء العصبة بها، أي: تنوء الرجالُ حالَ حملهم لمفاتح الخزائن، فهنا قلب تقديم وتأخير.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: ٢٨] أَيْ: فَعَمِيتُمْ أَنْتُمْ عَلَيْهَا ؛ أي: عُمِّيَ عليكم الحجةُ الواضحةُ من الله تبارك وتعالى. وقلنا هنا بالقلب؛ لأن الحجةَ في نفسها دائمًا واضحةٌ ظاهرةٌ، لا تحتاج إلى أن تُعَمَّى بنفسها وتظهر، إنما شيء آخر يعميها

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص١٢٢).

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٩/ ٤٧).

(٣) انظر: النكت في القرآن الكريم، المجاشعي (ص٣٨٠)، إعراب القرآن للأصبهاني، قوام السنة (ص٢٥٩).

ويظهرها؛ كهَوَى النفسِ، والطغيان، أو لأي شيء آخر[(١)].

وَمِنْهُ نَوْعٌ يُسَمَّى: قَلْبَ التَّشْبِيهِ نَحْوَ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النَّحل: ١٧]، والأصلُ أن يقال: (أفمن لا يخلق كمن يخلق)[(٢)]؛ لأن الأصل في التَّشْبِيهُ هُوَ تشبيهُ الأدنى بالأعلى، تقول: له وجهٌ كالْقَمَرِ، لا يمكن أن تكون إضاءةُ وجهِه كإضاءة القمر لا بد أن تكون أقلَّ من إضاءة القمر، لذلك التشبيه في قولك: القمرُ مثلُ وجهِه، أو إضاءةُ القمرِ مثلُ وجهِه، يسمى: التشبيهَ المعكوسَ أو المقلوبَ، ومثله هنا: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النَّحل: ١٧] إذ الأصلُ أن يقال: (أفمن لا يخلق -من الأصنام والمعبودات كلها- كمن يخلق) سبحانه وتعالى، لكنه حُذف للبلاغة ولزيادة المبالغة إما في الإنكار أو في غير ذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥]. الأصل: (إنما الربا مثل البيع)؛ لأن البيعَ هو المُجمع عليه بين الناس في ربحه وفي حِلِّ ماله، فالأصلُ أن يُشبه به، أي: يكون هو الأصل في التشبيه[(٣)]، لكن لَمَّا كان الربا قد تَغَلْغَلَ في قلوبهم جدًّا، وأصبح الربح الذي يأتي من الربا في حكم الذي يأتي من البيع أو أكثرَ؛ لأن الربح الذي يأتي من البيع مُتَوَهَّمٌ، قد يأتي وقد لا يأتي، أما الربا فَرِبْحُه مُتَأَكَّدٌ؛ لأنهم لا بد لهم أن يأخذوا الربح على ما يُرابون فيه، إما أن تُرْبِيَ، وإما أن تؤجلَ فتزداد عليك النسبةُ، فجعلوا الربا هو الأصلَ، قبل أن يكون البيعُ هو الأصل، لذلك

---

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (٤/ ٣٢٢).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٢٨)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٤٧).

(٣) انظر: نموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ص ٣٢)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٤٧).

حصل التشبيهُ به في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ والأصل: (إنما الربا مثل البيع).

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأَحْزَاب: ٣٢]. الأمر كسابقه، أي: (ليس أحد من النساء مِثْلَكُنَّ)؛ لأن التشبيه من الأدنى إلى الأعلى. وَالتَّشْبِيهُ الْمَقْلُوبُ أَبْلَغُ مِنْ غَيْرِه، وَلِهَذَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ مَنْ خَالَفَ فِي غَيْرِه.

التَّاسِعُ: اسْتِعْمَالُ لَفْظٍ مَوْضِعَ غَيْرِه، وَأَقْسَامُهُ مُنْتَشِرَةٌ، -كَثِيرَةٌ فَوْقَ عِشْرِينَ قِسْمًا-، فَمِنْهَا: تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الْحَجّ: ١٠][(١)]. فالإنسانُ نفسُه هو الذي يكتسب الأفعالَ، لكن لَمَّا كان الاكتسابُ يكون بالأيدي عادةً أُسْنِدَ فِعْلُ الاكتسابِ إلى الأيدي؛ فهو من تسمية الشيء باسم جُزْئِهِ، فالشيءُ كله الإنسان، وجزؤه اليدانِ؛ لأنها هي التي تأتي بالاكتساب عادةً.

أَوْ عَكْسُهُ نَحْوَ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [الْبَقَرَة: ١٩] أَيْ: أَنَامِلَهَا. فهنا إطلاقُ اسمِ الكلِّ على الجزءِ، فهم لا يستطيعون أن يجعلوا أصابِعَهم كلها في الآذان، إنما يجعلون أطرافَ الأصابع في الآذانِ، فهذا إطلاقُ اسم الكل وإرادة الجزء[(٢)].

أَوْ بِاسْمِ سَبَبِهِ: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غَافِر: ١٣]. أو يُسمى: إطلاق الْمُسَبَّبِ وإرادةُ السببِ، فهنا في الآية أُطلق الْمُسَبَّبُ -الذي هو الرِّزْق- وأراد السببَ وهو المَطَرُ، فالرزقُ جاءَ بِمَجِيءِ المَطَرِ، نَزَلَ المَطَرُ عَلَى الأرض فَنَبَتَ

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٩/ ١١٨).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٢٦٢)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٢٢).

الزَّرْعُ، وحصل رزق للناس، فهذا الرزق الذي حصل السبب المباشر فيه نزولُ المطرِ، فإطلاقُ الْمُسَبَّبِ – وهو الرزقُ الكائنُ بالمطرِ- وإرادةُ السببِ، فَأَطْلَقَ اللهُ تبارك وتعالى المسببَ وأراد السببَ، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾؛ أي: مطرًا يَتَسَبَّبُ عنه الرزقُ(١).

أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ٢] أي: باعتبار ما كان عليه، فعندما تُؤْتِي اليتيمَ مالَه ما تعطيه إلا بعدَ البلوغِ، وإذا بلغ اليتيمُ فلا يُقَال له: يتيمٌ، وإنَّمَا اليتيم قبلَ البلوغِ، فقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ باعتبارِ ما كان.

أَوْ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ (أي: باعتبارِ ما يكون) ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يُوسُف: ٣٦]، أي: أعصر عنبًا يؤول إلى خمر؛ فالخمرُ لا تُعصر، وإنما الذي يعصر هو العنب الذي يؤول إلى خمر.

أَوْ مَحِلّه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [الْعَلَق: ١٧]، أي: تسمية الشيء باسم محله، أو يقال له: إطلاقُ اسمِ المحلِّ وإرادةُ الْحَالِّ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ النادي هو مكان اجتماع الناس، والنادي لا يُدعى، وإنما أُطلق في اللفظ القرآني المحلّ وأريد به الحالُّ فيه، وهم الناس الحالُّون فيه.

أَوْ حَالِّهِ: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٧]، إطلاقُ اسمِ الحالِّ على المحلِّ، فقول الله تعالى: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ورحمةُ اللهِ: الجنةُ، وهذه الرحمةُ تحل في الجنة، فأَطْلَقَ الحالَّ على المحلِّ، وهذا الحالّ:

---

(١) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (٤/ ٧)، المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عونى (٣/ ٢٩٥).

الرحمةُ الإلهيةُ.

أَوْ آلَتِهِ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٤]؛ أي: واجعل لي ثناءً حَسَنًا في الآخِرِينَ، أي: في الأقوام الذين سيأتون بعدي. فسُمِّيَ هذا الثناءُ باسم آلته وهو اللسان الذي يُثْنِي[(١)].

وَمِنْهَا: ذِكْرُ الْمَاضِي مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِهِ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النَّحْل: ١]، أَمْرُ اللهِ ما أتى بعدُ، إنما يأتي يومَ القيامةِ، فالأمرُ الكونيُّ والانقلابُ الكونيُّ الحادثُ كلُّه يأتي يومَ القيامةِ، وإنما عبر عنه بالماضي فقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ لِتَحَقُّقِ وقوعِه، فكأنه قد وقع[(٢)].

وَعَكْسُهُ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾ [الرَّعْد: ٤٣]، أي: ذِكْرُ المستقبلِ وإرادةُ الماضي، أو الحال وإرادة الماضي: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾ فهم قد قالوا قبلَ ذلك مرارًا: لستَ مُرْسَلًا[(٣)].

وَالْخَبَرُ مَوْضِعَ الأَمْرِ: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٢٨]، هذا خبرٌ، فليس كلُّ مطلقة تتربص بنفسها، فهناك مطلقاتٌ كثيراتٌ لا يتربصن؛ إما عصيانًا أو لسبب آخَرَ. والخبرُ إنما هو خبرٌ عن شيء قد وقع، وهنا إطلاقُ الخبرِ وإرادةُ الأمرِ، أي: (فلتتربص المطلقات بأنفسهن...)[(٤)].

وَعَكْسُهُ: ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ [التَّوْبَة: ٨٢]؛ أي: وكثيرٌ منهم يبكون، أو سَيَبْكُونَ بما

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٢٨٢)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٢٦).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص١٨٠)، معاني القرآن، النحاس (٤/ ٥١).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٣١).

(٤) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني (٢/ ٢٠).

حصل منهم من المعاصي، وليس المرادُ الأمرَ، وإنما إطلاقُ الأمر هنا وإرادةُ الخبرِ(١).

وَالْخَبَرُ مَوْضِعَ الدُّعَاءِ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ١٠]. هذا دعاءٌ عليهم بالقتل، والخراصون هم الكاذبون، فـ(قُتِلَ): فِعْلٌ ماضٍ كأنه قد تَحَقَّقَ، ولكن الأمر ليس كذلك، وإنما يراد به هنا الدعاءُ على الخَرَّاصِينَ بالقتل(٢).

وَمَوْضِعَ النَّهْيِ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الْوَاقِعَة: ٧٩]. أي: وَضْعُ الخبرِ موضعَ النهي(٣)، مثل قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ هنا نهي من الله تبارك وتعالى أن يمس القرآنَ غيرُ مطهر من الحدث الأصغر أو الأكبر، على الخلاف.

وَالأَمْرُ لِغَيْرِ الطَّلَبِ كَالتَّهْدِيدِ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٠](٤). وهُنَا سيأتي بأنواع كثيرة على الأمر، وهي سبعةَ عشرَ نوعًا، منها: للطلب: افْعَلْ كذا، والتهديد كما هنا في قول الله تبارك وتعالى للكافرين: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾.

وَالإِنْذَارُ: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٠](٥).

وَالتَّسْخِيرُ: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الْبَقَرَة: ٦٥](٦).

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ١٩٥).
(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص١٧٠).
(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٣٢١)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٥٨).
(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ص١٥٠)، النكت في القرآن الكريم، المجاشعي (ص٤١٣).
(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٧٧).
(٦) المرجع السابق.

وَالْمَنُّ بِهِ: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الْمَائِدَة: ٨٨][(١)]، فهذا على وجه المن من الله تبارك وتعالى.

وَالتَّكْوِينُ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الْبَقَرَة: ١١٧].

وَالتَّسْوِيَةُ: ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ ﴾ [الطُّور: ١٦]، ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ هذا فعل أمر، لكن ليس المرادُ به نفسَ الأمرِ، إنما المراد به التسويةُ، أي: صبركم في النار وعدمه سواء[(٢)].

وَالتَّعَجُّبُ: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الإِسْرَاء: ٤٨][(٣)].

وَالْمَشُورَةُ: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٢][(٤)].

وَالتَّكْذِيبُ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٠][(٥)]، (هلم): اسم فعل أمر وليس فعلَ أمر؛ لأنه لم يستوفِ الشروطَ، وإذَا كانت اللفظةُ لا تستوفي شروطَ الفعل فيقال لها: اسم فعل[(٦)]. ومثال اسم فعل ماض: هيهات، قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُون: ٣٦] أي: بَعُد ما تُوعَدُون.

وَالنَّهْيُ لِغَيْرِ الكَفِّ: -أصلُ وَضْعِ النهيِ في اللغة العربية أن يُراد منه الكفُّ،

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٧٧).
(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٨٥).
(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٤/ ٣٣٠).
(٤) انظر: معاني القرآن، الفراء (٢/ ٣٩٠).
(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٢٥١).
(٦) قال في شرح الأشموني (١/ ٤٠):

وما يرى كالفعل معنى وانخزل ... عن شرطه اسم نحو صه وحيهل

لكن قد يأتي في القرآن لغيرِ طلبِ الكفِّ- **كَالتَّسْوِيَةِ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ**: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ [الطُّور: ١٦] فـ(لا تصبروا): نهي، لا يراد به الكف، وإنما يُرَاد به التسوية، أي: سواء عليكم صبرتم أم لم تصبروا.

وَالاسْتِفْهَامُ لِغَيْرِ طَلَبِ التَّصَوُّرِ وَالتَّصْدِيقِ: يعني: يأتي الاستفهام في القرآن لغير معانِي الاستفهامِ المعروفةِ؛ **كَالاسْتِبْطَاءِ**: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٤][(١)]. فمَنْ قالوا: متى نصر الله؟ لا يطلبون جوابًا مباشرًا على هذا، وإنما يستبطئون النصر.

وَالتَّعَجُّبُ: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النَّمْل: ٢٠]، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النَّبَأ: ١]، يعني: أيتساءلون عن وقوع ذلك اليوم العظيم وهو واضح واقع لا محالة؟! تعجب منه[(٢)].

وَالتَّوْبِيخُ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٦٥][(٣)].

وَالإِنْكَارُ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٤٠][(٤)].

وَالتَّقْرِيرُ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ [الأَنْبِيَاء: ٤٢][(٥)].

وَالْوَعِيدُ: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الْمُرْسَلات: ١٦].

وَالتَّكْذِيبُ: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ [الإِسْرَاء: ٤٠][(٦)].

---

(١) انظر: معاني القرآن، النحاس (١/ ١٦٤).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٣٤٣)

(٣) انظر: الانتصار للقرآن، الباقلاني (٢/ ٥٩٠).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٣٣٠).

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص١٧١).

(٦) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٦٨).

وَالتَّهَكُّمُ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هُود: ٨٧][(١)].

وَالتَّحْقِيرُ: (مَنْ فِرْعَوْنُ) عَلَى قِرَاءَةِ فَتْحِ الْمِيمِ.

هـذه قـراءة شـاذة منسوبة لابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)]: (مَـنْ فِرْعَـوْنُ) تـدل علـى التحقير، أو على تعظيم العذاب النازل عليه؛ لأنـه كـان يتـصور بـصورة العظمـاء، أتعلمون مَنْ فرعونُ؟ هذا الذي عُذِّبَ إنه كان يدعي الإلوهيةَ ويَدَّعِي كـذا وكـذا. فـ(مَنْ فِرْعَوْنُ) إمـا علـى إرادة تعظـيم حالـه التـي كـان يتـصور بهـا، ولـيس تعظـيمَ نفسه، أو على إرادة تحقيره؛ أي: مَـنْ فرعـونُ هـذا حتـى يقـوم في وجـه الله تبـارك وتعالى.

وَالاسْـتِبْعَادُ: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الـدُّخَان: ١٣][(٣)]، يعنـي: يـستبعد أن يتـذكروا حقيقة الذكرى القرآنية، وهو استبعاد لا يُطْلَبُ منه الاستفهام المعروف.

وَالأَمْرُ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [الْمَائِدَة: ٩١][(٤)].

وَالتَّمَنِّي: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأَعْرَاف: ٥٣][(٥)]، ومعنى الأمـر في قولـه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ يعنـي: انْتَهُـوا، فهـو اسـتفهامٌ لا يُـراد منـه الاسـتفهامُ المعـروفُ، إنمـا يـراد منـه الأمـرُ: انتهـوا، وَالتَّنْبِيـهُ عَلَـى الـضَّلالِ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٦][(٦)]، عندما ترى شَخْصًا ذاهبًا إلى مكان مَخُوفٍ، تقول: يـا أخـي! أيـنَ

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٣٤٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣/ ٤٥٣).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٣٤٤).

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ص٢٩٤).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن الزركشي (٢/ ٣٢١).

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٣٤٠)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢/ ٢٧٢).

تذهبُ؟ هذا مكانٌ فيه سِبَاعٌ وفيه كذا وكذا، كذلك لو رأيتَ شخصًا يسلك سبيل الضلال وأمامه الطريق الواضح فتقول له: يا أخي! أين تذهب؟! هذا الطريق الواضح. هذا هو التنبيه على الضلال بالاستفهام.

وَالتَّسْوِيَةُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٦](١).

وَالنَّفْيُ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: ٣] أي: ليس من خالق غير الله تبارك وتعالى(٢).

وَسَوْقُ الْمَعْلُومِ مَسَاقَ غَيْرِهِ، وَيُسَمَّى فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ تَجَاهُلَ الْعَارِفِ، أما القرآن فلا يصح أن يقال عنه: تجاهل العارف، لكن يقال: سوق المعلوم مساق غيره، **كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي التَّعْرِيضِ بِضَلالِ الْكُفَّارِ مِنْ سُورَةِ سَبَأٍ:** ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سَبَأ: ٢٤] هذا التنزل مع الكافرين، لا بد أن يكون أحدُ الفريقينِ مهديًّا والآخر ضالًّا، وهذا قبل تقريرِ مَنِ المهديُّ ومن الضال، وهو من حُسْنِ المجادلات القرآنية(٣).

وَالإِعْنَاتُ، نَحْوَ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحَاقَّة: ١-٢].

---

(١) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن أبس ثعلبة (ص١١٢)، النكت في القرآن الكريم، المجاشعي (ص٢٣١).

(٢) انظر: إعراب القرآن، الباقولي (٢/ ٤١٦).

(٣) قال زكريا الأنصاري: هذا من إجراء المعلوم مجرى المجهول، بطريق اللف والنشر المرتب، و«أو» في الموضوعين بمعنى الواو، والتقدير: وإنا لعلى هدى، وأنتم في ضلال مبين، وإنما جاء بذلك لإرادة الإنصاف في الجدال، وهو أوصل إلى الغرض، أو باقيتين على معناها، والمعنى: وإنا لمهتدون أو ضالون وأنتم كذلك، وإنما قاله للتعريض بضلالهم، كقول الرجل لخصمه إذا أراد تكذيبه: إن أحدنا لكاذب. انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١/ ٤٦٦).

وَالتَّشْوِيقُ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١][(١)].

وَالتَّحْقِيقُ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنْسَان: ١] أي: قد أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن فيه شيئًا مذكورًا[(٢)]، كان في العدم.

وَمِنْهَا: اسْتِعْمَالُ لَفْظِ الْعَاقِلِ لِغَيْرِهِ، نَحْو قَوْلِهِ: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١][(٣)].

وَمِنْهَا: إِنَابَةُ حُرُوفِ الْجَرِّ وَغَيْرِهَا عَنْ بَعْضِهَا فِي الْمَعْنَى، وَذَلِكَ كَثِيرٌ جِدًّا، يقول في الهامش: مثل: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ﴾ [طه: ٧١]، والتَّصْليبُ يكون على الجذوع لا في الجذوع نفسِها[(٤)]، لكن القاعدة: حروف الجر تَنُوبُ عن بعضِها البعضِ[(٥)].

وَلَا الْتِفَاتَ إِلَى مَنْ مَنَعَ دُخُولَ الْمَجَازِ فِي الأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ.

من أقسام المجاز وهو الأخير: الْعَاشِرُ: نِسْبَةُ الْفِعْلِ إِلَى شَيْئَيْنِ هُوَ لأَحَدِهِمَا فَقَطْ، ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَمَثَّلَ لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الْكَهْف: ٦١] وَالنَّاسِي يُوشَعُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (٣/ ٢٤٧)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (١٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيد (١/ ٢٨٧).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٣٠٥).

(٤) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن أبي ثعلبة (ص٢٢٦)، معاني القرآن، الفراء (١/ ٣٢٤).

(٥) انظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، القصاب (٤/ ٤٨٣).

ٱلْحُوتَ ﴾ [الْكَهْف: ٦٣][(١)]، والجمهور على أن نسبة النسيان لِلاثْنَيْنِ: موسى عليه الصلاة والسلام، ويوشع أيضًا، أما نسبةُ النسيانِ لموسى عليه الصلاة والسلام فلأنه لم يَتَفَقَّدِ المكتلَ فيرى هل فيه الحوت أو لا؛ لأن الله تبارك وتعالى قد أخبره أنك إن فقدت الحوت فسوف تجد الخضر، فلما لم يتفقد الحوت في المكتل ونَسِيَ ذلك التفقدَ نُسب النسيانُ إليه، وأما يوشع فنُسب النسيان إليه لأنه رأى الحوت وهو يخرج، وهو ميت جماد يخرج بقدرة الله تبارك وتعالى ويكون له سرب في البحر، أي: طريق في البحر، رآه بعينه ونسي أن يخبر موسى عليه الصلاة والسلام[(٢)]، فلا يقال: إن النسيان هنا هو ليوشع فقط، إنما نسبة النسيان للاثنين، والله أعلم، فلا مجاز على هذا.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأَنْعَام: ١٣٠] وَالرُّسُلُ مِنَ الإِنْسِ دُونَ مِنَ الْجِنِّ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [يُوسُف: ١٠٩].

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٢] وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ.

لا دليل على أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من الملح دون العذب، وهذا الدليل الذي ذهبوا إليه هو استقراء الواقع الذي كان أمامهم، لكن لعل شيئا من الأنهار العذبة يخرج منها اللؤلؤ والمرجان، فلماذا نقْصر اللفظ القرآني ونلوي

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص١٧٥).
(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي بن أبي طالب (٦/ ٤٤١٧).

عنقَه ونقول: لا يخرج إلا من واحد منهما فقط؟ هذا أيضًا فيه كلام طويل بين المفسرين، خاصةً المفسرينَ في هذا العصر الحديث، لكن أين يذهبون من قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢]؟ فنص على إخراج الحلية من كل من البحرين.

فَهَذَا مَا لَخَّصْتُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَجَازِ، وَلَوْ عَدَدْتَ أَقْسَامَ كُلِّ نَوْعٍ لَقَارَبَتِ الْمِائَةَ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْمَجَازِ مَا لَهُ اسْمٌ خَاصٌّ مُفْرَدٌ بِنَوْعٍ، وَسَيَأْتِي الْكَلامُ عَلَيْهِ فِي مَحَالِّهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

سيأتي الكلام في نوعٍ يُسمى بالاستعارة إن شاء الله تبارك وتعالى.



النوع الثاني والأربعون: المشترك

الاشْتِرَاكُ: أَنْ يَتَّحِدَ اللَّفْظُ وَيَتَعَدَّدَ الْمَعْنَى(١)، وَاخْتُلِفَ فِي وُقُوعِهِ، فَمَنَعَهُ ثَعْلَبٌ وَالأَزْهَرِيُّ وَالْبَلْخِيُّ(٢)، وَمَنَعَ قَوْمٌ وُقُوعَهُ فِي الْقُرْآنِ.

مثال ذلك: (العين) في لغة العرب تُصْرَفُ إلى العين الباصرة، وتُصْرَفُ إلى العين الجارية (الماء)، وتُصرف إلى النقد من ذهب وفضة، فعندما تقول: هذه عَيْنٌ، فهل تريد العينَ الباصرةَ أم العينَ الجاريةَ أم العينَ بمعنى النقد (وهو الذهب والفضة)؟ هذا هو المشترَك؛ لذلك أنكر قوم وقوعَه في اللغة، وهو واقعٌ بلا شَكٍّ، وأنكر قومٌ وقوعَه في القرآن، قالوا: لأنه لفظٌ لم يُعرف المعنى منه، والله تبارك وتعالى لا يخاطبنا إلا بشيء معروفِ المعنى. والحقُّ أنه واقعٌ في القرآن.

وفيه كتبٌ كثيرةٌ أُلِّفَتْ أُحِيلُ إلى بعضها، وسمي كثيرٌ منها باسم (الوجوه والنظائر)، كـ«الوجوه والنظائر» للإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وليحيى بن يَعْمُرَ، ولابن نجيم الحنفي أيضًا، فهنا عدةُ كتب بهذا الاسم: (الوجوه والنظائر) عشرات من الكتب في اللغة، وللبحث تفصيل واسع، من أراد تفصيله فليرجع إلى: «الإتقان في علوم القرآن»، وإلى: «المزهر في علوم اللغة وآدابها» للإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، فيهما تفصيل واسع في هذا الموضوع.

قوله: **واختُلف في وقوعه؛ فمنعه ثَعْلَبٌ والأزهريُّ والبلخي**، أما الأزهريُّ

---

(١) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (١/ ٢٩٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٩٢-٢٩٤).

فأَنَا في شكٍّ من أنه يمنعه، ولكن لعله الأَبْهَرِي[١]؛ لأنني قرأتُ قبل ذلك أن الذي منعه هو الأبهري، والأمر يحتاج إلى بحث ومراجعة، وفي كتب الأصول؛ واللغة كـ(المزهر) وغيره...إلخ. يحددون من الذي يمنع الاشتراكَ.

وَادَّعَى قَوْمٌ أَنَّهُ وَاجِبُ الْوُقُوعِ؛ لأَنَّ الْمَعَانِيَ أَكْثَرُ مِنَ الأَلْفَاظِ[٢]، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ وَاقِعٌ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ[٣]، لا عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ، فَمِنْهُ (الْقُرْءُ) مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْحَيْضِ وَالطُّهْرِ.. فـ(القرء) مشترَك، يصح إطلاقُه على الحيض وعلى الطهر[٤]، فَمَنْ رأى من أئمة الفقه أن (القرء) هو الحيض؛ كأبي حنيفة وأحمد رحمهما الله، رأى أن تَعْتَدَّ المرأةُ بحيضتها[٥]، وَمَنْ رأى أن (القرء) هو الطهر كالشافعي ومالك رحمهما الله فعندهما أن المرأةَ تَعْتَدُّ بطهرها[٦].

و﴿عَسْعَسَ﴾ [التَّكْوِير: ١٧] لِإِقْبَالِ اللَّيْلِ وَإِدْبَارِهِ[٧].

و(النِّدُّ) لِلْمِثْلِ وَالضِّدِّ[٨].

و(الدِّينُ) لِلطَّاعَةِ وَالْجَزَاءِ[٩]، والدينُ أكثرُ من كونه للطاعة والجزاء فقط،

---

(١) الأبهري هو من منع الاشتراك اللفظي. انظر: الإبهاج في شرح المنهاج، السبكي (١/ ٢٥٠).

(٢) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (١/ ٢٩٣).

(٣) انظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، الأصفهاني (١/ ١٧٢).

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٦/ ٤٧٠).

(٥) انظر: الأصل، لمحمد بن الحسن (٤/ ٣٩٣)، المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين، القاضي أبي يعلى (٢/ ٢١٢).

(٦) انظر: المدونة، مالك بن أنس (٢/ ٢٣٤)، الأم، الشافعي (٥/ ١٠٧).

(٧) انظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية، قطرب (ص٥١).

(٨) انظر: العين، الخليل بن أحمد (٨/ ١٠)، باب الدال.

(٩) انظر: غريب الحديث، أبو عبيدة (٣/ ١٣٦)، الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري (١/ ٢٧٨).

فالدِّين: الطاعة، والجزاء، والدِّين: المعروف، والإسلام، فالدين يُطلق على أكثرَ من معنيين.

وَ(الْمَوْلَى) لِلسَّيِّدِ: ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحَجّ: ٧٨]، وَالْقَرِيبُ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ [مَرْيَم: ٥]. الْمَوْلَى يُطْلَقُ على السيد، وعلى العبد، وعلى القريب(١).

وَ(وَرَاءَ) لِخَلْفٍ وَأَمَامٍ:

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الْكَهْف: ٧٩](٢).

وَ(الْبَلاءُ) لِلنِّعْمَةِ وَالنِّقْمَةِ(٣).

وَ(التَّوَّابُ) لِلتَّائِبِ، وَقَابِلُ التَّوْبَةِ(٤).

وَ(الْمُضَارِعُ) لِلْحَالِ وَالاسْتِقْبَالِ، عَلَى الأَصَحِّ مِنْ خَمْسَةِ أَقْوَالٍ بَيَّنَّاهَا فِي مُؤَلَّفَاتِنَا النَّحْوِيَّة. وَاللهُ أَعْلَمُ.

هذا الاشتراك، اختصره الإمامُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الكتاب، وهو في مباحثَ طويلة، لكن يكفي معرفة أن اللفظَ المشتركَ يصلح أن يُطلق على عدة مُسَمَّيَاتٍ؛ فنقول: (العينُ) مثلًا بمعنى: العين الباصرة، والعين الجارية، والنقد (الذهب والفضة). وذكرنا أن بعضَ الأئمة أنكروا وقوعَه في القرآن، ولا مجالَ لإنكاره؛ لأن مَنْ رجع إلى كتب اللغة وكتب الوجوه والنظائر يرى أمثلةً كثيرةً جدًّا. وقد ذكر

---

(١) انظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي (ص٢٦٣).

(٢) انظر: إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي القيسي (١/ ١١٧).

(٣) انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، أبو منصور الأزهري (ص٨٢).

(٤) انظر: المخصص، لابن سيده (٤/ ٦٢).

الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «معترك الأقران في إعجاز القرآن» لكلمة (هُدًى) بضم الهاء -مثلًا- في كتاب الله تعالى سبعةً وعشرين وجهًا[1]. فلا مجالَ لإنكاره.



(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ٢٥٠).

النوع الثالث والأربعون: الترادف

وَهُوَ اتِّحَادُ الْمَعْنَى وَتَعَدُّدُ اللَّفْظِ، وَاخْتُلِفَ أَيْضًا فِي وُقُوعِهِ، فَنَفَاهُ ثَعْلَبٌ وَابْنُ فَارِسٍ، وَالأَصَحُّ وُقُوعُهُ، فَمِنْهُ: الإِنْسَانُ وَالْبَشَرُ، وَالْحَرَجُ وَالضِّيقُ، وَالرِّجْسُ وَالْعَذَابُ، وَالْيَمُّ وَالْبَحْرُ.

نَفْسُ الْمَسْلَكِ الذي سُلِكَ في المشترك سُلِكَ في الترادف، فأنكره قومٌ في اللغة والقرآنِ معًا، مثلَ المشترك، وأثبتَه قومٌ في اللغة وفي القرآن معًا، وأنكره قومٌ في القرآن وأثبتوه في اللغة(١).

والصحيحُ -إن شاء الله- أنه ليس هناك ترادفٌ تَامٌّ في اللغة؛ بمعنى أن هذه الكلمة تُسَاوِي الكلمةَ الأخرى تمامًا من كل وجه، هذا الترادفُ لا يوجد؛ لأن العربَ ما عَدَّدَتِ الأسماءَ إلا لمعانٍ مختلفة في أذهانها.

اجتمع مجموعةٌ من النُّحَاةِ فِي مجلس سيف الدولة الحمداني -والدولةُ الحمدانيةُ مشهورةٌ كانت عاصمتُها حلب- فقال أحد النحاة: إني أعرف للسيف خمسين اسمًا، فابتسم أبو عليٍّ الفارسيُّ رَحِمَهُ اللهُ وكان من كبار النحاة وقال: أنا لا أعرف له إلا اسمًا واحدًا، فقال: فأين الْمُهَنَّدُ، وأين القَضِيبُ، وأين الحُسَامُ، وأين الصارمُ، وأين كذا، وأين كذا؟ فقال: هذه صفاتٌ للسيف، ألا يُفَرِّقُ الشيخُ بين الاسم والصفة؟ فأبو علي رَحِمَهُ اللهُ مِمَّنْ أنكر الترادف في اللغة،و قال: السيف له اسمٌ واحدٌ هو السيف، أما الْمُهَنَّدُ والحسامُ والقضيبُ.... إلخ(٢)، فهذه كلها صفاتٌ للسيف، وليست أسماء أخرى له حتى يقال بالترادف؛ لأن الترادفَ هو

---

(١) انظر: المحصول، الرازي (١/ ٢٥٦)، البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي (٢/ ٣٥٩)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (١/ ٣١٦-٣١٩).

(٢) انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي (١/ ٤٢٠).

وقوع أكثر من اسم لشيء واحد، فكثيرٌ من النحاة ينكرون الترادفَ، والله أعلم.

والأصحُّ أنه ليس هناك ترادفٌ تَامٌّ، خاصةً في كتاب الله تعالى، فالرجسُ في كتاب الله يختلف عن الرجز ويختلف عن العذاب، إما أن يختلف في كيفيته أو كميته، أو في الْمُنْزَلِ عليهم ... إلخ، المهم أنه يختلف في شيء ما، ولا بد من التفريق بين الرجس والرجز والعذاب؛ هذا هو الأصحُّ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى رسالة الدكتورة: عائشة بنت عبد الرحمن، المشهورة ببنت الشاطئ، إحدى الدكتورات المغربيات المثقفة بالثقافة المصرية، عاشت في مصر فترةً طويلةً من حياتها، وأخذت رسالتَها أيضًا من مصر، لها رسالةٌ بعنوانِ: «الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق» رسالةٌ مهمةٌ جدًّا، تكلمت فيها عن مسألة الترادف هذه بطريقة جميلة لطيفة ومقنعة؛ وبينت أنه لا ترادفَ في كتاب الله تبارك وتعالى[١]، وقد تَكَلَّمَتْ في ذلك وَشَفَتْ، جزاها الله خيرًا.

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ: وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ وَالإِسْلَامُ كُلٌّ مِنْهُمَا يَشْمَلُ الآخَرَ عِنْدَ الإِفْرَادِ؛ فَإِنْ جُمِعَ بَيْنَهُمَا تَخَصَّصَا بِالذِّكْرِ[٢]. لا يصحُّ أن يقال بأن الإسلام والإيمان مترادفانِ مُطْلَقًا إلا -كما يقول الإمام رَحِمَهُ اللهُ- في حالة الجمع بينَهما؛ فإن جُمِعَ بينَهما تَخَصَّصَا بِالذِّكْرِ، فكلٌّ منهما يشمل الآخرَ عند الإفراد، فإذا قلنا: الإسلامُ دينٌ عظيمٌ، دينٌ متينٌ، فنعني معه الإيمانَ، وإذا قلنا: الإيمانُ طريقُ العبدِ الصالحِ في هذه الدار، فنعني معه الإسلامَ، فإذا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا، وإن افترقا اتَّحَدَا، أي: إذا اجتمع اللفظان افْتَرَقَا في المعنى، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ إلى قوله:

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة بنت عبد الرحمن (ص٢١٣-٢١٥).

(٢) انظر: مواقع العلوم في مواقع النجوم، جلا الدين البلقيني(ص١٢٥)

﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، ونقول: إن الإسلام والإيمان من أَهَمِّ ما يجب على العبد أن يسلكه في هذه الدار، فنعني بالإيمان شيئًا غيرَ الإسلام، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اتَّحَدَا، فيُطلق على الإسلامِ الإيمانُ، ويطلق على الإيمانِ الإسلامُ، فليس هناك ترادفٌ مطلقٌ كما هو هاهنا.

وَمِثْلُهُمَا فِي ذَلِكَ الشِّرْكُ وَالْكُفْرُ، فالشركُ يختلف عن الكفر تمامًا، فقد يكفر الإنسانُ ولكنه لا يُشْرِكُ، لكن كلُّ مشركٍ كافرٌ، وليس كلُّ كافرٍ مُشْرِكًا، فقد يكفر الإنسانُ بلفظةٍ والعياذ بالله، بإنكار معلوم من الدين بالضرورة فيخرج من دين الله تبارك وتعالى(١)، وقد يخرج بِسَبِّ الدينِ أو بِسَبِّ النبيِّ ﷺ، فلم يأت شِرْكًا ولكنه يكفر، فهناك فرقٌ.

وَالْفَيْءُ وَالْغَنِيمَةُ، هناك فرقٌ واضحٌ بينهما، وليس بينهما ترادفٌ، فالفَيْءُ: هو ما يأتِي بدونِ قتالٍ، والغنيمةُ: تأتِي بقتال(٢).

وَالْفَقِيرُ وَالْمِسْكِينُ. وَقَدْ قِسْتُ عَلَى ذَلِكَ فِي النَّحْوِ: الظَّرْفَ وَالْمَجْرُورَ. هو يقول: هذه الألفاظُ مثل لَفْظَيِ الإيمانِ والإسلامِ إذا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا وإذا افْتَرَقَا اتَّحَدَا.

مَسْأَلَةٌ: الأَصَحُّ أَنَّهُ يَجُوزُ وُقُوعُ كُلٍّ مِنَ الرَّدِيفَيْنِ مَكَانَ الآخَرِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَعَبَّدًا بِلَفْظِهِ كَـ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فنحن نَتَعَبَّدُ بلفظ: لا إله إلا الله في الشهادة، في دخول الإسلام، وفي الأذان، فلا يصحُّ أن نقول: لا إلهَ إلا الرحمنُ في الأذان، وإن كان الله هو الرحمن، لَكِن لا يجزئ؛ لأن هذه الألفاظ نحن مُتَعَبَّدُونَ بها،

---

(١) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير (٨/ ٩٣).

(٢) انظر: الفروق اللغوية، العسكري (١/ ١٧٠).

أي: نَعْبد الله تبارك وتعالى بها لا بِغَيْرِهَا، والتَّشَهُّد أيضًا: فلا يجزئ أن نتشهد بلا إله إلا الرحمن، وإن كان الله هو الرحمن، ولكنه لا يجزئ، **وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَلَا يُجْزِئُ: أَحْمَدُ رَسُولُ اللهِ.**

وقد سَهَّلَ الشيخ المسألةَ هنا تمامًا، وإلا ففيها مباحِثُ طويلةٌ خاصةً في الأصول، ودخولُ المشترك في المجاز، أو عدم دخوله، وفيه كلامٌ طويلٌ، لكن يكفي للمبتدِئ في مسائل الأصول أن يعرف المشترك والمترادف، ووقوعَه في القرآن وعدم وقوعه فيه، والفرق بين الواقع في القرآن وغيره.



النوع الرابع والأربعون، والخامس والأربعون
المحكم، والمتشابه

كتابُ الله تبارك وتعالى كُلُّهُ مُحْكَمٌ، وكُلُّهُ مُتَشَابِهٌ، أما كونه كله محكما؛ فلأنه تنزيل من حكيم خبير سبحانه وتعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هُود: ١] أي: كلها، لم يَترك آيةً، إنما قال: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: أنها تنزيل من حكيم عليم، أَحْكَمَهَا وأنزلها بحكمته سبحانه وتعالى، فكتابُ الله كلُّه محكمٌ على هذا.

وأما كون كتاب الله كله متشابها، فقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزُّمَر: ٢٣] أي: تُثَنَّى فيه قِصَصُهُ وأخبارُه وأحكامُه، وتُعَادُ بِالذِّكْرِ.

فكتابُ الله كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ، بمعنى أنه يُشْبِهُ بعضُه بعضًا في الإحكام والإتقان والقوة والفصاحة والبلاغة والبيان وجودة السبك وقوته وقوة النَّظْمِ، كما يسميه علماء البلاغة؛ أي: أن القرآنَ منظومٌ على حالة قَوِيَّة جِدًّا، يتشابه فيما بينه، فلو أن رجلًا أَلَّفَ كتابًا في ثلاث وعشرين سنةً، فلن يكون ابتداءُ كتابِه وَتَوَسُّطُهُ وانتهاؤه على مستوًى واحدٍ من الإتقان والقوة؛ لأن الرجلَ قبل عشرين سنةً يختلف فَهْمُهُ وقوةُ تركيزِه عنه بعدها، أما كتاب الله تبارك وتعالى فمتشابهٌ كُلُّهُ في الفصاحة والقوة والبيان، وهذا لا خلافَ بينَ العلماءِ فيه.

ولم يذكر السيوطي هذا المعنى في هذا الموضع، وإن ما ذكر السيوطي أن كتاب الله فيه محكمٌ وفيه متشابهٌ، فالكلام هنا عن كتاب الله تبارك وتعالى باعتبارِ ما فيه من مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِه.

والمقصود بالمحكم هنا: ما عُرِفَ معناه من حدودٍ وفرائضَ وآياتٍ. والمتشابه: ما لم يُعْرَفْ معناه، مثلَ الحروفِ المقطعة أوائل السور -على قولٍ:

إنها غير معروفةِ المعنى-، ومثل بعض الآيات التي لم نُخْبَرْ بمعناها. ولما سُئِلَ ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن يومين في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المَعَارِج: ٤]، و﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجْدَة: ٥]، قال: «هما يومانِ ذكرهما اللهُ في كتابه، الله أعلم بهما»(١). فهذا من المتشابه الذي لا يعلمه إلا اللهُ، على قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هَذَانَ النَّوْعَانِ مِنْ زِيَادَتِي، وَقَدِ اعْتَذَرَ الْبِلْقِينِيُّ عَنْ إِهْمَالِهِمَا بِمَا لا يُقْبَلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عِمْرَان: ٧] الآيَةَ، وَاخْتُلِفَ فِي الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ؛ مَا هُوَ وَفِي تَفْسِيرِهِ، وَهَلِ الْمُتَشَابِهُ مِمَّا يَخْتَصُّ اللهُ بِعِلْمِهِ؟ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «الْمُحْكَمُ: نَاسِخُهُ وَحَلالُهُ وَحَرَامُهُ وَحُدُودُهُ وَفَرَائِضُهُ وَمَا نُؤْمِنُ بِهِ وَنَعْمَلُ بِهِ»(٢)، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ وَمُقَاتِلٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: «الْمُحْكَمُ: مَا يُعْمَلُ بِهِ»(٣)، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْمُحْكَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥١] الآيَاتِ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٣).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٦٠٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٩٤)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢).

الثَّلاثَ، من سورةِ الأنعام. يقصد ابن عباس هنا التمثيل فقط على الآيات المحكمة التي لم ينسخها شيء، وإلا فالقرآن العظيم فيه آيات كثيرة كهذه.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسْرَاء: ٢٣] **الآيَاتِ الثَّلاثَ**[١]، أيضًا كمثال فقط.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ -وهو من كبار التابعين اللغويين والنحاة[٢]-: «**الْفَرَائِضُ وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْحَلالُ وَالْحَرَامُ**» يعني: هو المحكمُ[٣].

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «(هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)، أَيْ: أَصْلُهُ؛ لأَنَّهُنَّ مَكْتُوبَاتٌ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ»[٤]، هذه الفرائضُ، مثل الوصايا العشر في آيات الأنعام مكتوبةٌ في جميع الكتب، فَهُنَّ أُمُّ الكتابِ؛ أي: موجودةٌ في جميع الكتب السماوية المنزلة، فكلُّ الكتبِ تُوصِي بها، فأصل الكتب السماوية: الوصاية بالخير، والوصاية بالآباء وبالأمهات، وعدم السرقة، وعدم الكذب، وعدم الغشِّ، وعدم الخداع.. هذا في كل الكتب السماوية، لا بد من الوصاية بها، إلا ما قيل: إن الزبور عِبَر داود، كانت حِكَمًا كلها، والله أعلم.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: «لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِينٍ إِلَّا يَرْضَى بِهِنَّ»[٥]، أي: ليس دينٌ نَزَلَ إلا يحويهنّ، فـ(دين) اسم ليس مرفوعٌ بالضمة المقدرة على آخره مَنَعَ من ظهورها اشتغالُ المحلِّ بحركة حرف الجر الزائد.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٧٤).

(٢) انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي (ص٣٧).

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي (١/ ٣٧٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ١٨٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ٧).

وَقِيلَ فِي الْمُتَشَابِهِ: إِنَّهُ الْمَنْسُوخُ وَالْمُقَدَّمُ وَالْمُؤَخَّرُ وَالأَمْثَالُ وَالأَقْسَامُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ[١]. وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: «هِيَ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ»[٢]، على قول: إنها من المتشابه الذي لا يُعرف معناه، لكن عددًا من العلماء قالوا: إن معناها معروفٌ، وَفَسَّرُوها تفسيرًا يُختلف فيه اختلافًا كثيرًا، فبعضُهم قال: هذه حروفٌ من حروف المعجم أتى الله تبارك وتعالى بالقرآن العظيم منها، فَأْتُوا -أيها الناسُ- بقرآن يماثلُ هذا القرآنَ، أو بكلام يماثل هذا الكلامَ بمثل هذه الأحرف.

قال الله تعالى: ﴿الم﴾، ﴿الر﴾، ﴿حم﴾، ﴿طس﴾، ﴿طسم﴾ تَكَلَّمَ اللهُ تبارك وتعالى بكلامه العظيم هذا بهذه الأحرف، فَأْتُوا أنتم بكلامٍ يُشَابِهُ هذا الكلامَ، وأنتم لا بد أن تَعْجَزُوا عن ذلك، فهذا تعليمٌ من الله تبارك وتعالى أننا لا يمكن أن نأتيَ بمثل هذا الكلام.

وذهب كثيرٌ من العلماء إلى أنه ليس هناك شيءٌ يُفَسِّرُ هذه الأحرفَ، ومعناها مما اختص الله تبارك وتعالى به، وجمعوا الأحرف المقطعة في أوائل السور مع إسقاط المكرر في قولهم: (نَصٌّ قَاطِعٌ حَكِيمٌ لَهُ سِرٌّ)، قاطع؛ لأنه قاطع الثبوت[٣].

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِ الْمُتَشَابِهِ بِحَسبِ اخْتِلافِهِمْ فِي: هَلْ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ أَوْ لا؟ فَعَلَى الأَوَّلِ: هُوَ مَا لَمْ يَتَّضِحْ مَعْنَاهُ، وَعَلَى الثَّانِي: مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٥/ ١٩٥)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٣)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (١/ ٤١٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١/ ٤٠١)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٧).

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٢٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٥٩)

بِعِلْمِهِ[١]، يعني: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عِمْرَان: ٧] هل نقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أونقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، فلو وقفنا على: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لكان هذا الوقف مقبولًا، وقد وقف عليه كثيرٌ من أئمة السلف والخَلَف من الصحابة والتابعين وَمَنْ بعدهم، بل أكثر علماء المسلمين على هذا الوقف[٢]، ولو وقفنا على: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي: والراسخون في العلم يعلمونَ تأويلَه أيضًا[٣]، فهذا أيضًا مرويٌّ عن ابن عباس[٤]، لكن الأصحَّ المرويَّ عن ابن عباس هو أن الوقف على: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

واختار الإمام النووي القول الآخَر وهو الوقوف على: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ قال: «يَبْعُدُ أن يخاطب الله عبادَه بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته»[٥]، أي: بما يجتمع كلُّهم على جهالته، يقول: لا بد أن بعضَ الأمة يفتح اللهُ عليهم بمعرفة ذلك أو بعضه. وقوَّى ذلك واختاره ابنُ الحاجب رَحِمَهُ اللَّهُ إمامُ الأصول المشهورُ، وقال: «يَبْعُدُ أن يخاطبَ اللهُ تبارك وتعالى الأمةَ بما لا يعرفونه كلهم،

---

(١) انظر: قانون التأويل، أبو بكر بن العربي (ص٣٧٠).

(٢) انظر: المكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو الداني (ص٣٧)، إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر الأنباري (٢/ ٥٦٥).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٤٤٥).

(٤) انظر: قانون التأويل، أبو بكر بن العربي (ص٣٧١).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢١٨).

بل لا بد أن يعرف ذلك بعضُهم، ولو كانوا قليلًا»، أما جماهيرُ الصحابةِ والسلفِ والخلفِ أيضًا فعندهم الوقف على: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فقالوا: في القرآن أشياء لا يعرف تأويلها أحدٌ من الناس، والله أعلم.

وَكَذَا اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي الْوَقْفِ: هَلْ هُوَ عَلَى قَوْلِ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أَوْ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٧]؟ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ فَقَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[(١)]. فأولئك الذين أطلق الله أنهم: ﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فحذَّر منهم رسولُ الله ﷺ بقوله: (فَاحْذَرُوهُمْ)؛ لذلك فضل العلماءُ الوقف على: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ لأنهم قالوا: إن من يريد أن يتبع المتشابهَ ويعرف معناه في قلبه زيغ، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ فقالوا: لا نَتَّبِعْ تأويلَ ذلك؛ ففي حديث البخاري أن الرسول ﷺ يقول: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[(٢)]، لذلك فضَّل كثيرٌ من العلماء الوقفَ على: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ خاصةً أن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقرأ قراءةً شاذةً: (ويقول الراسخون في العلم آمَنَّا به)[(٣)] فالواو هنا استئنافية، أي: ابتدائية غيرُ عاطفة.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٥٤٧)، مسلم (٢٦٦٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هي قراءة عبد الله بن عباس. انظر: النكت في القرآن الكريم، المجاشعي (ص ١٧٦).

النوع السادس والأربعون: المشكـل

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَيُشْبِهُهُ مِنْ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْحَدِيثِ: مُخْتَلَفُ الْحَدِيثِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَشَابِهِ: أَنَّ الْمُتَشَابِهَ مَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ وَالْمُرَادُ مِنْهُ، وَهَذَا يُفْهَمُ بِالْجَمْعِ، أي: بالجمع بينه وبينَ غيرِه من الآيات، أو بينه وبينَ غيرِه من الأحاديث نفهم معناه إن شاء الله، إِذِ الْمُرَادُ مِنْهُ الآيَاتُ الَّتِي ظَاهِرُهَا التَّعَارُضُ الْمُنَزَّهُ عَنْهُ كَلَامُ اللهِ، وَقَدْ صَنَّفَ ابْنُ قُتَيْبَةَ كتابًا جَيِّدًا فِي هَذَا النَّوْعِ، وهو الكتاب المعروف المشهور كتاب: «تأويلُ مُشْكِلِ القرآنِ»، وذكر في مقدمته سبب التأليف، يحبذ الرجوع إليه؛ فهو كتابٌ في غاية الأهمية لطالب العلم عامةً، وطالبِ العلمِ بالقرآن خاصةً.

مِثَالُ ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ[1]: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأَنْعَام: ٢٣]، وَقَوْله فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النِّسَاء: ٤٢]. فالسائلُ استشكل الآية وهو أنهم كتموا الشرك بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأَنْعَام: ٢٣] فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَهْلُ الإِسْلَامِ قَالُوا: تَعَالَوْا فَلْنَجْحَدْ، فَخَتَمَ اللهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ فَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا[2]، فهم لم يكتموا اللهَ حديثًا بأعضائهم لا بألسنتهم، فإنهم لَمَّا رأوا

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١٩٨).

المسلمين يومَ القيامة وجوهُهم نورٌ وعليها نورٌ، وحالتُهم حسنةٌ، قالوا: تعالوا فَلْنَكْتُمْ شِرْكَنَا، فختم اللهُ على أفواههم فتكلمت أعضاؤهم، فهم لم يكتموا الله حديثًا حقيقةً؛ لأن أعضاءهم تكلمت. فالكتمانُ لم يحصل حقيقةً، وإن كانوا قد أرادوه خوفًا وفزعًا من المحشرِ وأهواله؛ لأن الله ختم على أفواههم، وأنطق أعضاءهم: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢١]. هذا مراد ابن عباس رضي الله عنه.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْهُ فِي آيَاتٍ نَحْوَ ذَلِكَ، أَنَّ فِي الْقِيَامَةِ مَوَاقِفَ، فَفِي بَعْضِهَا يُنْكِرُونَ، وَفِي بَعْضِهَا يُقِرُّونَ، وَفِي بَعْضِهَا يُسْأَلُونَ، وَفِي بَعْضِهَا لَا يُسْأَلُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُون: ١٠١]، وَقَالَ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الْحِجْر: ٩٢-٩٣]، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحْمَن: ٣٩]، أيضًا استشكل السائلُ: كيف يَسأل وصريحُ القرآن ينص على أنه لا يَسأل ولا يُسأل، فَبَيَّنَ له ابنُ عباس رضي الله عنهما أيضًا أن القيامة مواقف، ففي بعضها يُسأل الإنسان، وفي بعضها لا يُسأل، وفي بعضها يَسأل، وفي بعضها لا يَسأل، ففي القيامة مواقفُ متعددةٌ[1]، فالله تعالى يخبر عن كل موقف بآية، فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فمن شدة الفزع والهول والخوف ما عاد

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره (١٤/ ١٤١).

هناك أسئلة، لكن قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا موقفٌ آخرُ أكثر هدوءًا؛ لذا وُجدت الأسئلةُ، فيوم القيامة مواقف، وكل آية تتحدث عن موقف منها.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢]، **وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾** [الْقَصَص: ٥٦]، الهدايةُ الأُولى هدايةُ إرشادٍ ودلالة، فالرسولُ ﷺ يَهدي هداية إرشاد ودلالة، فيُرشد الناسَ ويدلهم على الطريق، فهو يهدي بهذا المعنى ﷺ. وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فهي هداية قَذْفِ النورِ في قلب العبد، وهذه لا يملكها الرسولُ ﷺ ولا يملكها أيُّ مخلوق، بل اللهُ سبحانه وتعالى وحده هو الذي يقذف الهدايةَ في قلب مَنْ يشاء من عباده. فأنت تدل أيَّ إنسان إلى الطريق الصحيح ثم هو لا يهتدي، لكن الله إذا أراد أن يهدي شخصًا فلا بد له أن يهتديَ ذلك الرجلُ، بأن يقذف في قلبه الهدى، ويقذف في قلبه الإيمانَ والنورَ.

وَالْجَمِيعُ أَنَّ الْهُدَى مُشْتَرَكٌ، الجميع: أي: جميع العلماء على أن الهدى مشترك، **فَيُطْلَقُ عَلَى الدَّلالَةِ وَهُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ فِي الأَوَّلِ، وَعَلَى خَلْقِ الاهْتِدَاءِ وَهُوَ الْمَنْفِيُّ عَنْهُ فِي الثَّانِي**، المنسوب إليه: أي: إلى النبي ﷺ، فهو المنسوب إليه في الأول ﷺ، وهذا هو الدلالة، وعلى خَلْقِ الاهتداء وهو المنفيّ عنه ﷺ في الثاني، **وَمَنْ رَسَخَ قَدَمُهُ فِي مَعْرِفَةِ مَوَادِّ الْعَرَبِ وَاسْتِعْمَالاتِهَا وَفُنُونِ اللُّغَةِ، وَرُزِقَ فَهْمًا وَبَصِيرَةً لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الآيَاتِ الْمُشْكِلَةِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَوَقَّفَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، فَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾**

[السَّجْدَة: ٥]، **فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا: ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾** [الْمَعَارِج: ٤]، **فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّمَا سَأَلْتُكَ لِتُحَدِّثَنِي لا لِتَسْأَلَنِي، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا يَوْمَانِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، اللهُ أَعْلَمُ بِهِمَا.**

هذا الْمُشْكِلُ والتعارُض بينَهما، يكفي في وجود أيِّ مشكل الرجوعُ إلى كتاب ابن قتيبة، وهو مطبوعٌ بتحقيق الأستاذ: السَّيِّد أحمد صقر، تحقيقٌ مِنْ أحسنِ ما يمكن، وفِيهِ شرحٌ جيدٌ، وفهارسُ جيدةٌ، وهو مطبوع طبعة قديمة ومصوَّر من الطبعة القديمة تصويرًا سَيِّئًا جِدًّا، فينبغي الحرص على الطبعة نفسها، ليست قديمة جِدًّا أظنها صادرة سنةَ ١٩٩٥ أو ١٩٩٧م، وهي موجودة في المكتبات القديمة في مكة والمدينة.



النوع السابع والثامن والأربعون
المجمل، والمبين

الْمُجْمَلُ: مَا لَمْ تَتَّضِحْ دَلَالَتُهُ، وَمَنَعَ دَاوُدُ الظَّاهِرِيُّ وُقُوعَهُ فِي الْقُرْآنِ(١). وَفِي جَوَازِ إِبْقَائِهِ عَلَى إِجْمَالِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

مثال ذلك: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣] فهذا لفظٌ مُجْمَلٌ. وفي هذا رَدٌّ على القُرْآنِيِّين الذين يقولون: نكتفي بالقرآن، نقول لهم: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾، الصلاةُ في لغة العرب: الدعاء، فكيف نُقيم الصلاةَ؟ أنقوم أم نقعد؟ أم نتكئ أم نجثوا؟ أنتكلم فيها أم نصمت؟ وماذا نقول فيها؟ هل فيها ركوع وسجود؟ ما كانوا يعرفون الصلاةَ بالكيفية التي نعرفها الآن، وإنما كانوا يعرفون الصلاةَ بمعنى: الدعاء والثناء على الله تبارك وتعالى، فيقال لهم: الصلاة في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾؟ لفظٌ مُجْمَلٌ غيرُ مُبَيَّنٍ. وكذا: ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا﴾ فلماذا نُؤْتِي الزكاةَ والزكاة في لغة العرب أصلًا: النَّمَاء والزِّيَادَة، أو التطهر؟

كل ذاك قد بَيَّنَهُ ﷺ؛ لذلك أتى في القرآن ألفاظٌ مجملةٌ، ولكنها لم تَبْقَ مُجْمَلَةً، بل بَيَّنَهَا رسولُ اللهِ ﷺ أحسنَ التبيين.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عِمْرَان: ٩٧]، وَقَدْ بَيَّنَتِ السُّنَّةُ أَفْعَالَ الصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَمَقَادِيرَ نُصُبِ الزَّكَاةِ فِي أَنْوَاعِهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ﴾

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٥٩).

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٧] **تَرَدَّدَ لَفْظُ (الرَّاسِخُونَ) بَيْنَ الْعَطْفِ وَالابْتِدَاءِ، وَقَدْ حَمَلَهُ الْجُمْهُورُ عَلَى الابْتِدَاءِ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ. ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾** [الْبَقَرَة: ٢٣٧] **يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْوَلِيَّ، وَأَنْ يَكُونَ الزَّوْجَ، وَقَدْ حَمَلَهُ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ عَلَى الزَّوْجِ، وَمَالِكٌ عَلَى الْوَلِيِّ لِمَا قَامَ عِنْدَهُمَا**، يعني: المرأة المعقود عليها ولم يُدخل بها، إذا فارقها زوجها تُعطى نصفَ المهرِ، ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: الزوجُ، إما المرأة تعطي كلَّ المهر للزوج، أو الزوج يعطي كلَّ المهر للزوجة، على أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، أي: هو الذي يُطَلِّقُ وهو الذي يَتَزَوَّج، وقيل: إن الذي بيده عُقْدَةُ النكاح هو الْوَلِيُّ، فإن النكاح لا يتم إلا بولي، ففيه خلاف؛ لذلك فالذي يعفو هو الذي بيده عقدةُ النكاح. فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ لفظٌ مُجْمَلٌ يحتاج إلى إيضاح، هل هو الزوج أو الولي؟

﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الْمَائِدَة: ١] **لِلْجَهْلِ حِينَئِذٍ بِمَعْنَاهُ**. فقولُه تعالى: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١] لفظ مجملٌ، اتضح بقوله تعالى في الآية الثالثة: **﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾** [الْمَائِدَة: ٣] **إِلَى آخِرِهِ.**

وَاخْتُلِفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٧٥] **هَلْ هُوَ عَامٌّ خَصَّصَتْ مِنْهُ السُّنَّةُ الْبُيُوعَ الْفَاسِدَةَ، أَوْ مُجْمَلٌ بَيَّنَتِ السُّنَّةُ مَا أُجْمِلَ مِنْهُ؟**

يعني: لفظ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ هل العربُ تعرف أن البيوعَ كلَّها حلالٌ ما بها بأس، وجاءت السُّنَّةُ فَخَصَّصَتْ منها بعضَ البيوع الحرام، فيكون هذا لَفْظًا عَامًّا دخله تخصيص، وأن بعض البيوع حرام لا تجوز، مثل: المنابذة والمباشرة

والملامسة، وبيع العينة، إلخ؟

أو تكون البيوع كلها لا يُعرف الحلالُ منها من الحرام، فبيَّنَهُ رسولُ اللهِ ﷺ في السنة، فيكون لفظًا مُجْمَلًا دخله التبيينُ.

والفرقُ بين العامِّ الذي دخله التخصيصُ، والمجمل الذي دخله التبيينُ: أن العامَّ معروفٌ ويدخله التخصيصُ في بعض أفراده، افْعَلْ كذا إلا كذا وكذا. لكن المجملَ الذي دخله التبيينُ لا يُعْرَفُ قبلَ أن يُبَيَّنَ، بينما العامُّ قبل أن يُخَصَّصَ يُعرف؛ لأننا نقول: البيع جائزٌ كلُّه، والرسول ﷺ يقول: حرام كذا وكذا وكذا، فالعامُّ معروفٌ والمخصصُ معروفٌ، لكن لو قلنا: أحل الله البيع، ولم يعرف العرب أنواعَ البيع الحلال من الحرام، ولا بأصل الحِلِّ، وأن البيع أصلُه حلالٌ، فسيكون هذا مجمل بَيَّنَتْهُ السنةُ كلَّه.

أَوْ عَامُّ اللَّفْظِ مُجْمَلُ الْمَعْنَى عَلَى أَقْوَالٍ؛ لأن لفظ البيع اسم لغوي معناه معروف، فيكون اللفظُ عامًّا، لكنه مُجْمَل المعنى. فالمعنى الحقيقيّ لَمَّا كَثُرَ في السنة بيانُ البيوع الفاسدة كان كأن المعنى مجملٌ، واللفظ عامٌّ، هذا خلاف، وفيه تفريعات فقهية كثيرة فليرجع إليه في (الإتقان) من شاء.

وَادَّعَى الْحَنَفِيَّةُ أَنَّ مِنْهُ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [الْمَائِدَة: ٦]**؛ لِتَرَدُّدِهِ بَيْنَ الْكُلِّ وَالْبَعْضِ، فَبَيَّنَهُ حَدِيثُ مَسْحِ النَّاصِيَةِ، وَرُدَّ بِأَنَّهُ لِمُطْلَقِ الْمَسْحِ الصَّادِقِ بِأَقَلِّ مَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الاسْمُ وَيُفِيدُهُ.** يعني: الأحناف قالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ لفظٌ مُجْمَلٌ دخله التبيينُ[1]؛ لأننا لا نعرف هل الباء هنا للإلصاق

(١) انظر: التمهيد في أصول الفقه، الكلوذاني (٢/ ٢٣٢).

فيكون المعنى: خذوا الأيدي وامسحوا بها الرأسَ، أو للتبعيض فيكون المعنى امسحوا بعضَ رؤوسكم. فقالوا: بَيَّنَتْهُ السُّنَّةُ.

لكن يردُّ عليهم بأنه لِمُطْلَقِ المسحِ الصادقِ بأقلِّ ما ينطبق عليه ذلك؛ لذلك أجاز الشافعية مَسْح ربعِ الرأسِ في الوضوء؛ لأن هذا مطلقُ المسحِ الصادق، أي: بأقل ما ينطبق عليه أنه مسحٌ فهو يصدق به اللفظُ ويصحُّ به الوضوءُ، فهم لا يوافقون الأحناف على أنه مجمل بَيَّنَتْهُ السنة.



النوع التاسع والأربعون: الاستعارة

وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ المَجَازِ، وَلَكِنَّهَا مُخْتَصَّةٌ بِاسْمِ وَحْدَهُ، وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُ عَلَى المَجَازِ كُلِّهِ اسْتِعَارَةً، كَأَنَّكَ اسْتَعَرْتَ اللَّفْظَ مِنْ مُسْتَحِقِّهِ الَّذِي وُضِعَ لَهُ وَنَقَلْتَهُ إِلَى غَيْرِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَخُصُّهَا بِمَا لَمْ يُذْكَرِ المُسْتَعَارُ لَهُ، وَعَرَّفَهَا أَهْلُ الْبَيَانِ بِأَنَّهَا: مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ المُشَابَهَةُ، كَإِطْلَاقِ المِشْفَرِ -مَثَلًا- عَلَى شَفَةِ الإِنْسَانِ، إِنْ كَانَ لِلتَّشْبِيهِ بِمِشْفَرِ الإِبِلِ فِي الغِلَظِ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ، أَوْ لِإِطْلَاقِ المُقَيَّدِ عَلَى المُطْلَقِ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ التَّشْبِيهِ فَمَجَازٌ، وَيُسَمَّى: مُرْسَلًا.

(**الاستعارة**): هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وهي تحقق من المعاني ما لا يحققه المعنى الحقيقي. فقوله تعالى مثلا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أبلغ وأحسن فيما قصد له من قوله لو قال: (يوم يكشف عن شدة الأمر)، وإن كان المعنيان واحدًا[1].

وَهِيَ أَقْسَامٌ كَثِيرَةٌ، فَمِنْهَا تَحْقِيقِيَّةٌ، وَهِيَ مَا تَحَقَّقَ مَعْنَاهَا عَقْلًا أَوْ حِسًّا نَحْو:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أي: الدِّينَ الحَقَّ.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أَيْ: ضَالًّا فَهَدَيْنَاهُ.

النوع الأول: الاستعارة التحقيقية: وهي أنك إذا وجدت وصفًا مشتركًا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة هو في أحدهما أقوى منه في الآخر وأنت تريد إلحاق الأضعف بالأقوى على وجه التسوية بينهما أن تدعي ملزوم الأضعف من جنس ملزوم الأقوى بإطلاق اسمه عليه وسد طريق التشبيه بإفراده في الذكر

---

(١) انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص٢٦٨).

توصلًا بذلك إلى المطلوب. مثل: رأيت بحرًا يلقي دروس العلم[(١)].

وَمِنْهَا: تَهَكُّمِيَّةٌ وَتَلْمِيحِيَّةٌ: وَهُمَا مَا اسْتُعْمِلَ فِي ضِدِّهِ أَوْ نَقِيضِهِ، نَحْوُ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] اسْتُعِيرَ لَفْظُ البِشَارَةِ لِلْعَذَابِ، وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلسُّرُورِ تَهَكُّمًا بِهِمْ.

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: (أنذرهم)، فاستعيرت البشارة التي هي الخبر السّار، للإنذار الذي هو ضده بادخال الإنذار في جنس البشارة، على سبيل التهكم والاستهزاء.

النوع الثالث: الاستعارة التلميحية: وهي نفس تعريف الاستعارة التهكمية، ولكن الإلحاق يكون بطريق التلميح[(٢)].

وَمِنْهَا: مُجَرَّدَةٌ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمُلَائِمِ المُسْتَعَارِ لَهُ، نَحْوُ: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، لَمْ يَقُلْ: فَكَسَاهَا؛ لأَنَّ الإِدْرَاكَ بِالذَّوْقِ يَسْتَلْزِمُ الإِدْرَاكَ بِاللَّمْسِ بِلَا عَكْسٍ.

وَمِنْهَا: مُرَشَّحَةٌ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمُلائِمِ المُسْتَعَارِ مِنْهُ، نَحْوُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] اسْتَعَارَ الاشْتِرَاءَ لِلاسْتِبْدَالِ وَالاخْتِيَارِ ثُمَّ قَرَنَهُمَا بِمَا يُلَائِمُ الاشْتِرَاءَ مِنَ الرِّبْحِ وَالتِّجَارَةِ.

وَمِنْهَا: اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ، وَهِيَ أَنْ يُضْمرَ التَّشْبِيهُ فِي النَّفْسِ فَلَا يُصَرَّحُ بِشَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِهِ سِوَى المُشَبَّهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ بِأَنْ يَثْبُتَ لِلْمُشَبَّهِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِالمُشَبَّهِ بِهِ،

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (ص٣٧٤).

(٢) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (ص٣٧٥)، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، المراغي (ص٢٦٦).

فَنَفْسُ التَّشْبِيهِ هُوَ الْكِنَايَةُ، وَإِثْبَاتُ ذَلِكَ الأَمْرِ لِلْمُشَبَّهِ اسْتِعَارَةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ، نَحْوُ: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾، شَبَّهَ مَا يُدْرَكُ مِنْ أَثَرِ الضَّرَرِ وَالأَلَمِ بِمَا يُدْرَكُ مِنْ طَعْمِ المُرِّ البَشِعِ، فَأَوْقَعَ عَلَيْهِ الإِذَاقَةَ، فَتَكُونُ الإِذَاقَةُ بِمَنْزِلَةِ الأَظْفَارِ لِلْمَيْتَةِ فِي قَوْلِهِ: وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا(١).

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧].

شَبَّهَ مَيَلَانَهُ لِلسُّقُوطِ بِانْحِرَافِ الحَيِّ، فَأَثْبَتَ لَهُ الإِرَادَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ خَوَاصِّ الْعُقَلَاءِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، شَبَّهَ قُلُوبَهُمْ بِأَنْ لَا تَقْبَلَ الحَقَّ بِالشَّيْءِ المَوْثُوقِ المَخْتُومِ، ثُمَّ أَثْبَتَ لَهَا الخَتْمَ.

الاستعارة بالكناية: هي ألا يصرح بذكر المستعار، بل تذكر بعض لوازمه تنبيهًا به عليه، كقوله: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، تنبيهًا على أن الشجاع أسد، والعالم بحر(٢).

وَمِنْهَا: تَبَعِيَّةٌ، وَهِيَ أَنْ يَكُونَ المُسْتَعَارُ فِعْلًا أَوْ صِفَةً أَوْ حَرْفًا، كَمَا تَقَدَّمَ فِي آيَةِ ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ وَآيَةِ: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨]، اسْتُعِيرَتْ لَامُ كَيْ الَّتِي لِلْعِلَّةِ لِلْغَايَةِ.

تنقسم الاستعارة إلى أصلية، وتبعية، فالأصلية: أن يكون معنى التشبيه

---

(١) انظر: المفضليات، المفضل بن محمد الضبي (ص٤٢٢).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٣٨).

داخلًا في المستعار دخولًا أوليًّا، والمراد بالتبعية: أن لا يكون داخلًا دخولًا أوليًّا، وقد مثل المؤلف لكل منهما[١].

وَمِنْهَا: تَمْثِيلِيَّةٌ، وَهِيَ مَا اسْتُعْمِلَ فِيمَا شُبِّهَ بِمَعْنَاهُ الأَصْلِيّ تَشْبِيهَ مُبَالَغَةٍ، نَحْوُ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. شَبَّهَ اسْتِظْهَارَ الْعَبْدِ بِاللهِ وَوُثُوقَهُ بِهِ وَالْتِجَاءَهُ إِلَيْهِ بِاسْتِمْسَاكِ الْوَاقِعِ فِي مَهْوَاةٍ مهْلِكَةٍ بِحَبْلٍ وَثِيقٍ مُدَلًّى مِنْ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ انْقِطَاعِهِ[٢]، وَلَهَا أَنْوَاعٌ أُخَرُ مُبَيَّنَةٌ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ.

الاستعارة التمثيلية: هي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد[٣].



(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٣٧٤).

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٢١٤).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٥٥).

النوع الخمسون: التشبيه

وَهُوَ أَيْضًا نَوْعٌ مِنَ المَجَازِ، وَيُفَارِقُ الاسْتِعَارَةَ بِاقْتِرَانِهِ بِالأَدَاةِ، وَهِيَ: الْكَاف، وَمِثْل، وَكَأَنَّ، وَنَحْوُهَا.

التشبيه: الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب.

والتشبيه يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدًا؛ ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه(١).

وَإِنْ تَجَرَّدَ مِنْهَا لَفْظًا فَإِنْ قَدَّرْتَهَا فَهُوَ تَشْبِيهٌ، وَإِلَّا فَاسْتِعَارَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨]، **وَالتَّقْدِيرُ: أَعَمّ مِنْ كَوْنِهِ جُزْءَ كَلَامٍ كَهَذِهِ الآيَةِ، وَكَوْن الْكَلَامِ فِيهِ مَا يَقْتَضِي تَقْدِيره كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾** [البقرة: ١٨٧]، **فَالْخَيْطُ الأَسْوَدُ تَشْبِيهٌ؛ لأَنَّ بَيَانَ الخَيْطِ الأَبْيَضِ بِالْفَجْرِ قَرِينَةٌ عَلَى أَنَّ الأَسْوَدَ أَيْضًا مُبَيّن بِسَوَادِ آخِرِ اللَّيْلِ. وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾** [الجمعة: ٥].

فشبه حالهم في كونهم حملوا التوراة، ثم لم يحملوها بامتثال أوامرها ونواهيها، كمثل الحمار في حمله للأسفار، فمُثِّلوا في السخف بحال الحمار الحامل فوق ظهره، جُعِل مثلًا لما كُلِّفُوه من الأحكام الشرعية، و(أسفارًا) جعل مثلًا لنفاسة المحمول، وعدم انتفاع الحامل به، فصار حاصل الأمر أنهم

---

(١) انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص ٢٣٩ - ٢٤٣).

مشبهون بالحمار الحامل فوق ظهره كتبًا لا يدري حالها، ولا ينتفع بها(١).

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[يس: ٣٩]، فشبه الهلال بأصل عذق النخلة(٢).

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل، كشبه آدم الذي خلقته من تراب، ثم قلت له: كن فكان، من غير فحل، ولا ذكر، ولا أنثى(٣).

وَأَبْلَغُهُ المَقْلُوبُ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي نَوْعِ الْمَجَازِ.



(١) انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤيد بالله الطالبي (١/ ١٨١).

(٢) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (٢/ ١٠١).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٥/ ٤٥٩).

النوع الحادي والخمسون، والثاني والخمسون
الكناية، والتعريض

هَذَانِ النَّوْعَانِ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُمَا مُهِمَّانِ، وَقَدْ أَلَّفَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيّ فِيهِمَا كِتَابًا، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ بِمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي كُتُبِ الْبَيَانِ، وَالَّذِي تَحَرَّرَ مِنْهُ أَنَّ الْكِنَايَةَ لَفْظٌ اسْتُعْمِلَ فِي مَعْنَاهُ مُرَادًا مِنْهُ لَازِمَ المَعْنَى، فَهِيَ بِحَسَبِ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي المَعْنَى حَقِيقَةً، وَالتَّجَوُّزُ فِي إِرَادَةِ إِفَادَةِ مَا لَمْ يُوضَعْ لَهُ، وَقَدْ لَا يُرَادُ مِنْهَا المَعْنَى، بَلْ يُعَبَّرُ بِالمَلْزُومِ عَنِ اللَّازِمِ، وَهِيَ حِينَئِذٍ مَجَازٌ، فَقَوْلُكَ: زَيْدٌ طَوِيلُ النِّجَادِ؛ أي: طَوِيل حَمَائِلِ السَّيْفِ، مُرِيدًا بِهِ طُولَ الْقَامَةِ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ لِطُولِهِ حَقِيقَةً، وَمِنْهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١]، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ إِفَادَةَ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ مَعْلُومٌ بَلْ إِفَادَةُ لَازِمِهِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَرِدُونَهَا وَيَجِدُونَ حَرَّهَا إِنْ لَمْ يُجَاهِدُوا.

وَأَمَّا التَّعْرِيضُ، فَهُوَ لَفْظٌ اسْتُعْمِلَ فِي مَعْنَاهُ لِلتَّلْوِيحِ بِغَيْرِهِ، نَحْوُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] نَسَبَ الْفِعْلَ إِلَى كَبِيرِ الأَصْنَامِ المُتَّخَذَةِ آلِهَةً، كَأَنَّهُ غَضِبَ أَنْ تُعْبَدَ الصِّغَارُ مَعَهُ تَلْوِيحًا لِعَابِدِيهَا بِأَنَّهَا لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ آلِهَةً، لِمَا يَعْلَمُونَ إِذَا نَظَرُوا بِعُقُولِهِمْ مِنْ عَجْزِ كَبِيرِهَا عَنْ ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَالإِلَهُ لَا يَكُونُ عَاجِزًا، فَهُوَ حَقِيقَةٌ أَبَدًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، الخِطَابُ لَهُ ﷺ وَهُوَ تَعْرِيضٌ بِالْكُفَّارِ.

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٣] أَيْ: وَمَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ.

وَقَرِيبٌ مِمَّا تَقَدَّمَ فِي حَدِّهِمَا قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ: الْكِنَايَةُ: ذِكْرُ الشَّيْءِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ

المَوْضُوعِ لَهُ، وَالتَّعْرِيضُ: أَنْ يَذْكُرَ شَيْئًا يَدُلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَذْكُرْهُ[١]، وَقَوْلُ ابْنِ الأَثِيرِ: الْكِنَايَةُ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ بِوَصْفٍ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا، وَالتَّعْرِيضُ: اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنًى لَا مِنْ جِهَةِ الْوَضْعِ الحَقِيقِيِّ أَوِ الْمَجَازِيِّ، كَقَوْلِ مَنْ يتوَقَّعُ صِلَتَهُ: وَاللهِ إِنِّي مُحْتَاجٌ، فَإِنَّهُ تَعْرِيضٌ بِالطَّلَبِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُوضَعْ لَهُ حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا، وَإِنَّمَا فُهِمَ مِنْ عَرْضِ اللَّفْظِ؛ أَيْ: جَانِبه[٢].



(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٦٤).

النوع الثالث والخمسون
العام الباقي على عمومه

هَذَا النَّوْعُ مِثَالُهُ عَزِيزٌ؛ إِذْ مَا مِنْ عَام إِلَّا وَيُتَخَيَّلُ فِيهِ التَّخْصِيصُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] قَدْ يُخَصُّ مِنْهُ غَيْرُ المُكَلَّفِ.

و﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾[المائدة: ٣] خُصَّ مِنْهُ حَالَةُ الاضْطِرَارِ، وَمَيْتَةُ السَّمَكِ وَالْجَرَادِ.

وَ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ خصَّ مِنْهُ العَرَايَا.

وَمِمَّا يَصْلُحُ مِثَالًا لَهُ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].



النوع الرابع والخمسون، والخامس والخمسون
المخصوص، والذي أريد به الخصوص

العامُّ المخصوص، والعامُّ المرادُ به الخصوصُ، ذكرنا قبل هذا أن هذه من المباحث الأصولية التي تُنَاقَشُ في كتب أصول الفقه، وإنما أتى بها السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ اتِّبَاعًا لمن أتى بها في علوم القرآن، وإلا فهي مباحثُ أصوليةٌ مَحْضَةٌ، والعامُّ المرادُ به الخصوصُ يختلف عن العامِّ المخصوص. وقد سبق أن عَرَّفْتُ معنَى العامِّ، وقلت: هو اللفظ الصالحُ لاستغراقِ جميعِ أفرادِهِ -أو أفراد جنسه الواقع تحته- دفْعَةً واحدةً، فإذا قلنا: الشجر، فإن هذا لفظٌ عامٌّ صالح لاستغراق جميع أفراد الشجر بجميع أنواعها، وكذلك إذا قلنا: الماء والهواء والناس والملائكة والتراب... إلخ، فهذه كلُّها من ألفاظ العموم.

أما العامُّ المخصوصُ: فهو اللفظ الذي سِيقَ لإرادة استعمال كلِّ الأفراد الواقعة تحتَه لا الحُكْم. تقول: جاء القوم إلا عشرةً، فـ(القَوْم) لفظٌ عامٌّ صَالِحٌ لاسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ الأَفْرَادِ، فهو من ناحية الاستعمال يدخل فيه جميعُ القوم، لكنك إذا قلتَ: إلا عشرةً، أخرجتَ عشرةً من القوم، فـ(إلا عشرة) لا تدخل حُكْمًا، أي: لا يدخل العشرةُ في حكم المجيء، فلفظُ القومِ لفظةٌ عامَّةٌ، لكنها خُصَّتْ بأن خَرَجَ منها عشرةُ أفراد. فهذا عامٌّ خُصَّ بإخراج عشرةِ أفرادٍ منه، فهذا يقال له: عامٌّ مخصوصٌ.

كذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النِّسَاء: ٥٤] قيل: إن الناس: هو محمدٌ ﷺ، أي: الذين يحسدون رسولَ اللهِ ﷺ على ما آتاه اللهُ من النبوة، فَهُمُ اليهودُ، والناس لفظٌ عامٌّ، فهذا عامٌّ أُريد

به الخصوصُ، أي: أنه لم يُسَقْ أصلًا لإرَادَةِ العموم، وإنما سِيقَ لإرادة شخصٍ واحدٍ، وهو هنا رسولُ الله ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، أي: الذين قال لهم: نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ، أو رجل من خُزَاعَةَ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾؛ أي: إن قريشًا قد جمعوا لكم فَاخْشَوْهُمْ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٧٣]. قال أحدُ الناسِ للصحابةِ منصرفَهم من أُحُدٍ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: إن الكفار ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ فزادهم ذلك الكلامُ الْمُلْقَى في نفوس الصحابة ﴿إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

فلفظ (الناس) في الأولى لم يُسَقْ أصلًا لاستعمال العموم، أي: لم يأتِ به اللهُ تبارك وتعالى لإرادة العموم، وإنما هو لفظٌ عامٌّ أريد به الخصوصُ، وهو رسول الله ﷺ.

والتخصيصُ: (هو قَصْرُ العامِّ على بعضِ أفرادِه لدليل)(١)، والدليلُ: هو المخصِّصُ. فالذي يُخْرِج بعضَ الأفرادِ من العموم يُسَمَّى: مُخَصِّصًا، والمخصِّص إما أن يكون مخصصًا متصلًا، أو مخصصًا منفصلًا.

والمخصِّصات المتصلةُ خمسٌ: الاستثناء، والشرط، والصِّفَة، والغَايَة، وبدلُ البعضِ من الكلِّ.

مثال الاستثناء: جاء القومُ إلا عشرةً، فقولك: (جاء القوم) لفظٌ عامٌّ، لكن عندما قلت: إلا عشرةً، خصصتَ منه عشرةَ أفراد، وحكمتَ عليهم بأنهم لم يأتوا مع القوم، هذا هو الاستثناء، وهو مشهورٌ معروفٌ.

---

(١) انظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٣٠٦)، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المرداوي (٦/ ٢٥١٠)، التعريفات، الجرجاني (ص٥٣).

ومثال الصفة: تقول: أَكْرِمْ بَنِي تَمِيمٍ الْعُلَمَاءَ، فالعلماءُ صفةٌ لبني تميم، كأنكَ مأمورٌ بإكرام بني تميم مَنْ كان منهم عَالِمًا فقط، فهذا مخصِّصٌ، وهو صفةٌ.

ومثال الغاية: قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التَّوْبَة: ٢٩]، فأنتَ مأمورٌ بمقاتلة أهل الكتاب جميعًا حتى يُعْطُوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرونَ، فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ﴾ تفيدُ انتهاءَ الغايةِ، أي: أنهم إذا أَعْطَوُا الجزيةَ عن يد وهم صاغرون فإننا نَكُفُّ عن قتالهم.

وبدلُ البعضِ من الكلِّ: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ [آل عِمْرَانَ: ٩٧] فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ هذا لفظٌ عامٌّ -كل الناس- وقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ فـ(مَنْ) بدلُ بعضٍ مِنْ كلٍّ؛ أي: الذي يستطيع إليه سبيلًا من الناس، فالاستطاعةُ لا يستطيعها كلُّ الناس، بل يستطيعها بعضُ الناس. فهذا البدلُ خَصَّصَ العمومَ.

ومثال الشرط: قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [النُّور: ٣٣]، فـ(كَاتِبُوهُمْ) أمرٌ بمكاتبةِ جميعِ العبيدِ، والمكاتَبةُ(١): أن يأتي إليكَ العبدُ فيقول لكَ: إني أريد التحررَ فَكَاتِبْنِي، فَتُكَاتِبُهُ على عمل يُؤَدِّيهِ لكَ، أو على مالٍ يؤديه لكَ، أو على عمل ومال يؤديهما لكَ. فالله تبارك وتعالى أمرنا بمكاتبة جميع العبيد ذُكْرَانًا وإناثًا، صغارًا وكبارًا، ثم استثنى اللهُ تبارك وتعالى بشرطٍ فقال:

(١) انظر: مفاتيح العلوم ص ٣٩.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النُّور: ٣٣]، فهذا الشرطُ خَصَّصَ العمومَ، فالعبد الذي لا نعلم فيه خيرًا فإننا لا نكاتبه؛ لما فيه مِنَ الضَّرَرِ العظيم إذا كُوتِبَ وَحُرِّرَ فيؤدي إلى ضرر عظيم في المجتمع.

الْمُخَصِّصَات المنفصلة:

أُولَاهَا: العقلُ، ففي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعْد: ١٦] يعلم العقلُ أن الله تبارك وتعالى لا يدخل في هذا العموم؛ لأنه تعالى لم يَخْلُقْ نفسَه. معه أنه يصحُّ أن نقولَ عن الله تبارك وتعالى: إنه شيء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأَنْعَام: ١٩]، وعندما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ خرج منه خلقُ اللهِ تبارك وتعالى نفسَه؛ لأننا نعلم أن الله تعالى -عقلًا- لم يخلق نفسَه، كقوله تعالى أيضًا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [الْقَصَص: ٨٨]، فهذه الآية أيضًا تدل على أن الله يصحُّ أن يُطلق عليه لفظُ شيءٍ، فهذا مُخَصِّصٌ منفصلٌ وليس متصلًا؛ لأن المخصص المتصل يتصل مع لفظ العموم. لَكِنَّ المخصِّص المنفصل لا يتصل بالعموم، مثل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فـ(كل) من ألفاظ العموم كما قال النحاة والْبَيَانِيُّونَ، لكنه لم يتصل به شيء في الآية. فالمخصصُ الذي أخرجَ اللهَ تبارك وتعالى من هذا العموم هو أمرٌ عقليٌّ ليس مذكورًا في الآية.

ومِنَ المُخَصِّصَات المنفصلة ما سيأتي أيضًا في النوع السادس والخمسين والسابع والخمسين: ما خَصَّ فيه الكتابُ السُّنَّةَ، وما خَصَّتْ فيه السُّنَّةُ الكتابَ. ومن المخصصات المنفصلة: الإجماع والقياس.

هَـذَانِ النَّوْعَـانِ، مِـنَ النَّـاسِ مَـنْ لَـمْ يُفَـرِّقْ بَيْنَهُمَـا؛ حَيْـثُ ذُكِـرَ الْعَقْـلُ مِـنَ الْمُخَصِّصَاتِ، وَالأَصَحُّ التَّفْرِقَـةُ، وَلِلسُّبْكِيِّ فِيهِمَـا رِسَـالَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، وَلَهُـمْ بَيْنَهُمَـا فُـرُوقٌ. لـم يعـرِّف السيوطيُّ رَحِمَهُ اللهُ العـامَّ الـذي أريـد بـه الخـصوص، والعـامَّ المخصوصَ، لكنني ذكرتُه وسيأتي من خلال كلامه إن شاء الله.

وللناس بينهما فروقٌ: (بينَهما) الضمير يعود على العامِّ المخصوصِ، والعامِّ الذي أريد به الخصوصُ.

أَحَـدُهَا: أَنَّ الْعَـامَّ الَّـذِي أُرِيـدَ بِـهِ الْخُـصُوصُ قَرِينَتُـهُ عَقْلِيَّـةٌ -قرينتُـه أي: مُخَصِّصُهُ-: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرَّعد: ١٦]، (كل) من ألفاظ العموم. دَلَّ العقلُ (وهو المخصِّص هنا) على أن الله تعالى لم يدخل في هذا العموم.

الثَّانِي: أَنَّ قَرِينَتَهُ مَعَـهُ، نَحْـوَ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٧٣]، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَإِذَا كَانَ مَنْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَاسًا غَيْـرَ مَـنْ جُمِعَ لَهُمُ النَّاسُ، وَكَانَ الْمُخْبِرُونَ لَهُمْ نَاسًا غَيْرَ مَنْ جُمِعَ لَهُمْ وَغَيْرَ مَنْ مَعَهُ مِمَّنْ جُمِعَ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْجَامِعُونَ لَهُمْ نَاسًا فَالدَّلالَةُ بَيِّنَةٌ بِمَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّهُ إِنَّمَا جُمِعَ لَهُمْ بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، وَالْعِلْـمُ مُحِيطٌ أَنَّهُ لَـمْ يُجْمَـعِ النَّـاسُ كُلُّهُـمْ، وَلَـمْ يُخْبِرْهُمُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا هُمُ النَّـاسَ»(١)، الـشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ عباراتُـه متينـةٌ، وألفاظُه جزلة وقويـة، رصينة، والـذي يريـد أن يعـرفَ هـذا ويبرع في علـم البيـان وعلم اللغة فَلْيَرْجِعْ إلى كتب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، خاصةً كتابَ «الرسالة» فإن عبارتـه فيها على غاية ما يكون من المتانة والجزالة. يقـول: فـإذا كـان مَـنْ مع رسـول الله ﷺ ناسًا -وهـم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وهذه الناس الأُولَى، غيرَ من جُمِعَ لهـم النـاس،

---

(١) انظر: الرسالة، الشافعي (١/ ٥٨).

وهم قريش، وكان المخبرون لهم ناسًا غيرَ من جُمِعَ لهم وغير مَنْ معه ممن جُمِعَ عليه، ممن تَحَزَّبَ له الناس الكافرون. فالشافعيُّ -كما سيأتي في آخِر الكلام- يقول بأن المخبرَ لهم أربعةٌ. ويتعجب الْبُلْقِينِيُّ ويقول: فلم يبين الشافعي سند ما ذكره من أنهم أربعة نفر، ويحتمل أن يكون ذلك صح عنده بطريق(١)، والمعروف أن المخبِرَ لهم واحدٌ.

وإنما ساق الشافعيُّ هذا ليبينَ أن قولَه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ ليس عامًّا، وإنما أُريد به الخصوصُ ابتداءً، وهذا التخصيصُ مصطلح ما كان أيامَ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما الشافعي يتكلم على رؤوس المسائل الأصولية في كتاب الرسالة. والعامُّ المخصوص والعامُّ الذي أريد به الخصوصُ كله كان في القرن الخامس والسادس والسابع والثامن، يعني: بعدَ الشافعي بكثير.

والعلمُ مُحِيطٌ: أي: نعرف مما وَصَلَ وتناهى إلى عِلْمِنَا أنه لم يُجمع الناسُ كلهم أبدًا، إنما جُمِعَ بعضُ الكفار، ولم يخبرهم الناسُ كلهم أيضًا، إنما أخبرهم أربعةٌ على قول الشافعي، وواحدٌ على قول جمهور المفسرين.

ولم يكونوا هم الناس: أي: كُلَّهُمْ، بل هم بعض الناس.

(ولكنه لما كان اسمُ الناس يقع على ثلاثة نَفَرٍ) هذا على مذهب الشافعي، في الجمع أنه ثلاثة فأكثر، وبعضُ الناس يذهبون أن الجمعَ اثنانِ فأكثرَ مثل ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ وَافَقَه، (وعلى جميع الناس) يعني: اسم الناس يقع على جميع مَنْ هو موجود في هذه الأرض، ويقع على ثلاثة نفر، ويقع على الناس الذين هم

(١) انظر: مواقع العلوم في مواقع النجوم، البلقيني (ص١٣٤).

بينَ الثلاثة وعلى جميع الناس، كان الصَّحِيحُ في لسان العرب أن يقال: (الذين قال لهم الناس) وإنما قال ذلك أربعةُ نفر، وجمهور المفسرين على أن الذي قال ذلك شخص واحد: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ يعني: الْمُنْصَرِفِينَ من أُحُدٍ من الكافرين، قد جَمَعُوا لرسول الله ﷺ وأصحابِه؛ ليذهبوا إليهم في المدينة فيُجْهِزُوا عليهم.

وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ اسْمُ النَّاسِ يَقَعُ عَلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ وَعَلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَعَلَى مَنْ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ وَثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ كَانَ صَحِيحًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَنْ يُقَالَ: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ)، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ يَعْنِي: الْمُنْصَرِفِينَ مِنْ أُحُدٍ.

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ: وَلَمْ يُبَيِّنِ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه سَنَدَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَحَّ عِنْدَهُ بِطَرِيقٍ، انْتَهَى[١].



(١) انظر: مواقع العلوم في مواقع النجوم، البلقيني (ص١٣٤).

النوع السادس والخمسون، والسابع والخمسون
ما خص فيه الكتاب السنة، وما خصت فيه السنة الكتاب

هذا من المخصِّصات المنفصلةِ. وَقَدْ أَنْكَرَهُمَا قَوْمٌ وَقَالُوا: لا يُخَصُّ الْكِتَابُ إِلَّا بِكِتَابٍ، وَلَا السُّنَّةُ إِلَّا بِسُنَّةٍ، وَأَوْجَبَهُمَا آخَرُونَ وَقَالُوا: لَا يَخُصُّ الْكِتَابُ الْكِتَابَ، وَلَا السُّنَّةُ السُّنَّةَ، وَالأَصَحُّ جَوَازُ الْجَمِيعِ.

فَأَمَّا النَّوْعُ الأَوَّلُ فَقَلِيلٌ جِدًّا، وهو ما خَصَّ فيه الكتابُ السنةَ[1]، ومعناه أن السنة أتت بلفظٍ عامٍّ، فجاء الكتابُ فخصَّ فيه هذه السنةَ، بأن أخرج بعضَ أفرادها وأبقى البعضَ الآخرَ، وهذا الْمُخَصِّصُ -وهو كتاب الله تعالى- مُخصص منفصل للألفاظ التي هي عامة مخصوصة، وليست عامة أُريد بها الخصوصُ.

وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التَّوْبَة: ٢٩] خَصَّ عُمُومَ قَوْلِهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[2]، فظاهرُ الحديثِ: إن قالوها لا مقاتلةَ، لكن الله تعالى قال: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ فلا يكفي مجردُ مقاتلةِ الناسِ، بل لا بُدَّ إن لم يؤمنوا بالإذعان أن ننتقل بهم إلى إعطاء الجزية، فهذا مخصِّص لقوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»[3]، فإذا أَعْطَوُا الجزيةَ فليس هناك مقاتلةٌ، فإن لم يقولوا: لا إله إلا الله استمر القتالُ، إنما إذا أسلموا أو أعطوا

---

(١) انظر: الورقات، الجويني (ص١٧)، قواطع الأدلة في الأصول، السمعاني (١/ ١٨٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٩٢)، مسلم (٢٠).

(٣) سبق تخريجه.

الجزية فإنه يُكَفُّ عن مقاتلتهم.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٣٨] خَصَّ عُمُومَ نَهْيِهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ بِإِخْرَاجِ الْفَرَائِضِ، أي: هذا الدليل الرباني أخرج الفرائض من عمومِ نهيه ﷺ عن الصلاة في وقت الكراهة، فتصلى ولو في وقت الكراهة.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا﴾ [النَّحْل: ٨٠] الآيَةَ، خَصَّ عُمُومَ قَوْلِهِ ﷺ: «مَا أُبِينَ مِنْ حَيٍّ فَهُوَ مَيِّتٌ»(١).

كان العرب في الجاهلية إذا جاءوا يأتونَ إلى البهيمة فَيَنْخِذُونَهَا، أي: يضربونها بشيء حتى يَسِيلَ دَمُهَا من مكان معين، فيأخذون هذا الدمَ ويخلطونه بما كان عندهم من شعير أو دقيق ثم يأكلونه، ولا تموت البهيمة، فهذا حرامٌ في الإسلام لا يجوز. وكانوا يأخذون جزءًا من أسنمة الإبل يقصونه ويذيبونه ويأكلونه، وهذا حرامٌ؛ لحديثِ رسول الله ﷺ: «مَا أُبِينَ مِنْ حَيٍّ فَهُوَ مَيِّتٌ»(٢)، فالسنام والدم الذي أُبِينَ مِنْ حَيّ لا يَجُوز أكله والانتفاع به، لكنه مثالٌ لما كان يفعلُه أهلُ الجاهليةِ. فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النَّحْل: ٨٠] -وهذه الأصوافُ والأوبارُ تُؤْخَذُ من الحيِّ عادةً، بأن يُحْلَقَ الصوفُ من جسد البهيمة أو الشعر أو الوبر.. إلخ، ثم يُصنع منه المَعَاطِفُ، فهذا أُبِينَ من حَيٍّ؛ لكنه ليس بميت ويصلح الانتفاعُ به-

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢٨٥٨) بلفظ: «ما قطع من البهيمة وهي حية فهي ميتة». صححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٧).

(٢) سبق تخريجه.

خَصَّصَ عمومَ قوله ﷺ: «مَا أُبِينَ مِنْ حَيٍّ فَهُوَ مَيِّتٌ»(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التَّوبَة: ٦٠] خَصَّ عُمُومَ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»(٢)، فَإِنَّهُمَا يُعْطَيَانِ مَعَ الْغِنَى.

إذا أقام الحاكمُ شخصًا يدور على الناس في مزارعهم وفي بيوتهم وفي صحاريهم وفي باديتهم ليأخذ منهم الزكاةَ، فإنه يجوز أن يأخذ منها ولو كان غَنِيًّا. كذلك المؤلفة قلوبهم يجوز أن يُعْطَوْا من الزكاة ولو كانوا أغنياء؛ فإن رسول الله ﷺ كان يمشي مع صفوان بن وهب بعد غزوة حنين، فوجد شِعْبًا كبيرًا مليئًا بالغنم والبقر والإبل، فجلس صفوان ينظر إلى هذا الشعب يعجبه هذا المنظرُ، فقال: «أَأَعْجَبَكَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ؟» قال: نَعَمْ يا رسولَ اللهِ، قال: «هُوَ لَكَ بِمَا فِيهِ»(٣) يعني: هو لك بما فيه من أنعم، فقال صفوان: أشهد أنه لم تَطِبْ نفسُ أحدٍ بهذا إلا أن يكون نَبِيًّا. لا يمكن أن يعطي أحدٌ هذا العطاءَ إلا أن يكون نَبِيًّا، فألَّف قلبَه ﷺ بما أعطاه، فدَخَلَ فِي الإِسْلَامِ ودَخَلَ الإسلام في قلبه، وصفوان من أغنياء قريش؛ بدليل أن رسول الله ﷺ أخذ منه دروعًا في الخروج إلى حنين قبل أن يسلم. ومذهب بعض العلماء أنه ليس هناك مؤلفة قلوبهم بعد انتشار الإسلام، واستدلوا بما فعل عمر رضي الله عنه مع الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو دواد (١٦٣٤) والترمذي (٦٥٢) في سننهما. صححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٨١).

(٣) صفوان هذا ليس صفوان بن وهب، وإنما هو صفوان بن أمية، يكنى أبا وهب، وأبا عمير. جاء في صحيح مسلم (٢٣١٣): غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة» فقال صفوان: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي».

حصن، فإن أبا بكر رضي الله عنه كتب لهما إقطاعًا في بلادهما -بني تميم- حتى إذا جاء إلى عُمَرَ ليشهد على ذلك، تفل عمر رضي الله عنه ومسحه كله، فَغَضِبَا وجاءا إلى أبي بكر رضي الله عنه وقالا: يا أبا بكر، أنتَ الخليفةُ أم هو؟ فقال: (هو إن شاء)(١) تكريمًا لعمرَ رضي الله عنه، فاستدلوا بهذه الحادثة على أنه ليس هناك مؤلفة قلوبهم، والصحيحُ -إن شاء الله- أن للمؤلفة قلوبهم سهمًا باقيًا إلى يوم القيامة، وهذا يجده أهلُ الدعوة في أمريكا وغيرهم الذين يذهبون إلى هنالك، إذا أسلم الشخصُ أو إذا رغبوا في إسلامه فإنهم يعطونه مالًا كثيرًا حتى يُسلم ويدخل في الإسلام، فيهدونه هدايا كبيرةً مهمةً غاليةً ثمينةً حتى يحب الإسلامَ فَيُسْلِم، فهذا عمل مهم قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو باقٍ إلى نهاية الزمان.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الْحُجُرَات: ٩] خَصَّ عُمُومَ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»(٢)، هذا حديثٌ عامٌّ، إذا التقى المسلمان على أي حالٍ كان وبأي سبب كان فإنهما في النار، لكن قوله تبارك وتعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ خصَّ عمومَ هذا الحديث، وأن الذي يبغي لا بد أن يُقاتَل حتى يرجعَ إلى جادَّةِ الحقِّ ولو كان مسلمًا، لكن الشيطان لَبَّسَ عليه، كما قُوتل الجيش العراقي في حرب الخليج، مع أنه كان مسلمًا، لكن العلماء اتفقوا على جواز قتاله؛ لأنه فئة باغية لا بُدَّ له أن يرجع، ولن يرجع إلا بالقوة، فيجوز قتالُه حتى يرجع إلى جادَّة الحق

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(١٣١٨٩)، قال ابن كثير: هذا حديث منقطع الإسناد؛ لأن عبيدة لم يدرك، ولم يرو عنه أنه سمع عمر ولا رآه، والحجاج بن دينار واسطي، ولا يحفظ هذا الحديث عن عمر بأحسن من هذا الإسناد. مسند الفاروق (١/ ٢٥٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري(٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

مرةً أخرى.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي فَأَمْثِلَتُهُ كَثِيرَةٌ. فالرسولُ ﷺ يُخَصِّصُ عُمُومَ القُرْآنِ وهو كثيرٌ؛ **كَتَخْصِيصِ:** ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥] **بِغَيْرِ الْعَرَايَا،** والعرايا سبَقَ شَرْحُهَا.

وَتَخْصِيصِ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨] **بِالأَحْرَارِ،** فلو كانت المطلقة أَمَةً فلا تعتدُّ ثلاثةَ قروء وإنما تعتد نصفَ المدة؛ لأن الأمةَ عليها نصفُ الحدِّ، فكما أن عليها نصفَ الحدِّ فأيضًا تعتدُّ نصفَ المدة[(١)]، وهي في الأصل قرءٌ ونصف، لكن ليس هناك شيءٌ يُدْعَى قرءًا ونصفًا، إنما هو قُرْءَانِ اثنان، فالأَمَةُ تعتدُّ بقرءين، والقرء قيل: هو الحيضُ، وقيل: هو الطهر، أي: عندما تحيض الحيضةَ الثالثةَ فإنها تَبِينُ من زوجها، وعلى القول الآخر: إذا طَهُرَت من الحيضة الثالثة فإنها تَبِينُ من زوجها، على خلافٍ بين العلماء في معنى القرء هل هو الحيض أو هو الطهر؟ والقرءُ من الألفاظ المشتركة كما مَرَّ سابقًا.

وَكَذَا عِدَّةُ الْوَفَاةِ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٤] فَالأَمَةُ تعتدُّ شهرين وخمسَ ليالٍ[(٢)].

وَآيَاتُ الْمَوَارِيثِ بِغَيْرِ الْقَاتِلِ وَالْمُخَالِفِ فِي الدِّينِ وَالرَّقِيقِ، آياتُ المواريثِ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النِّسَاء: ١١]

---

(١) انظر: المقدمات الممهدات، لابن رشد (١/ ٥١٨).

(٢) انظر: المرجع السابق.

آياتٌ كثيرةٌ في سورة النساء، يخصُّها إذا قتل إنسانٌ أباه، أو قَتَلَ إنسانٌ وارثَه فإنه يُحْرَمُ من الميراث جزاءً لِقَتْلِهِ، هذا إن لم يُقْتَل قصاصًا وعُفِيَ عنه فإنه يُحْرَمُ من الميراث، والمخالفُ في الدين؛ لحديثِ رسول الله ﷺ: «لَا يَرِثُ الْكَافِرُ مُسْلِمًا، وَلا الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ»(١)، والرقيق؛ لأن الرقيقَ لا يرث الحُرَّ.

وَتَخْصِيصُ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّسَاء: ٨٦] بِغَيْرِ الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ وَالأَحْوَالِ الَّتِي لَا يَجِبُ فِيهَا الرَّدُّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الكافر لا يُحَيَّا بأحسنَ مِنْ تَحِيَّتِنَا، والفاسقُ كذلك زَجْرًا له عن فسقه، إن لم يُقصد تأليفه وترغيبه في الإسلام، يدعوه إلى دين الله تبارك وتعالى، فإن قُصِدَ ذلك فإننا نَرُدُّ على تحيته بأحسنَ منها، لكن الفاسقَ إذا يُئِسَ منه وَزُجِرَ فلم ينزجر فإنه يُهْجَرُ كما هو معروف، وإذا هُجِرَ فإنه لا يُجَاب على تحيته فضلًا عن أن يجاب بأحسنَ منها. وأيضًا من الأحوال التي لا يجب فيها الردُّ: إذا كان الإنسانُ في بيت الخلاءِ فإنه لا يَرُدُّ التَّحِيَّةَ.



(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، (٦٧٦٤)، مسلم (١٦١٤).

النوع الثامن والخمسون: المؤول

التأويلُ في اللغةِ: ما تَؤُولُ إليه حقيقةُ الشيء، وفي الاصطلاحِ قد يُرَادُ به التفسيرُ، مثل ما كان يَفْعَلُ ابنُ جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فيقول مثلًا: القولُ في تأويل قوله تعالى كذا، هو كذا وكذا، فهو لا يريد التأويل المذموم عند العلماء، إنما يريد مجرَّدَ التفسير.

والتأويلُ عند الأصوليين معناه: صرفُ اللفظِ عن ظاهره المتبادَر منه إلى محتملٍ مرجوحٍ بدليل اقْتَضَى ذلك الصَّرْفَ[1].

والتأويلُ: منه تأويلٌ قريبٌ، وتأويلٌ بعيدٌ، وتأويل حرام لا يجوز. فالتأويلُ القريبُ: هو ما كان دليلُه قويًّا؛ وسيأتي إن شاء الله. والتأويلُ البعيدُ عكسه. والتأويلُ الحرامُ: هو ما كان بغير دليل، كقول الشيعة مثلًا في معنى قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرَّحْمَن: ١٩] أي: زَوَّجَ عَلِيًّا بفاطمةَ[2]، فهذا التأويل حرامٌ لا يجوز؛ لأنه ليس عليه دليلٌ، هو ممكن عقلًا، لكن ليس عليه دليلٌ شرعيٌّ، فلا يجوز تأويلُ لفظٍ في القرآن أبدًا إلا بدليل شرعي واضح صحيح. أو قولهم بأن المراد بقوله تعالى: ﴿أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البَقَرَة: ٦٧] أي: عائشة، والعياذ بالله! هذا كله لا يجوز. وتأويلهم قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] -على قراءة التثنية-: أنهما أبو بكر وعمر، فإن هذا كله لا يجوز.

هُوَ مَا تُرِكَ ظَاهِرُهُ لِدَلِيلٍ، نَحْو: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المَائِدَة: ٦] أَيْ:

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (١/ ٤٢).

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (٩/ ١٨٢).

أَرَدْتُمُ الْقِيَامَ، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣١]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النَّحْل: ٩٨] أَيْ: أَرَدْتُمُ الطَّلَاقَ وَالْقِرَاءَةَ.

فمعنى قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: إذا أَرَدْتَ القراءةَ؛ لأن بعضُ أهلِ الظاهرِ قال: إن المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ أي: عَقِبَ قراءتك للقرآن وفراغِك منه استعذ بالله. والصحيح أن المراد: (إذا أردتَ القراءةَ). وكقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطَّلاق: ١] ليس المراد: إذا نطقتُم بكلمة الطلاق فَتُطَلَّقُ المرأةُ لعدتها، لكن إذا أردتُم طلاقَ المرأةِ فَطَلِّقُوهَا مُسْتَقْبِلَةً لعدتها، أي: طلقوها في طهر لم تجامعوها فيه.

كذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: إذا أردتُم القيامَ إلى الصلاة، وليس المعنى: إذا أُقِيمَتِ الصلاةُ، فكل إنسان يذهب فيتوضأ ثم يأتي فيصلي.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [النِّسَاء: ٩٣] دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُخَلَّدُ، فَأُوِّلَ الْخُلُودُ بِالْمُكْثِ الطَّوِيلِ أَوِ الأَبَدِيِّ لِمُسْتَحِلٍّ[(١)].

قتلُ المؤمنِ من الكبائر التي شُدِّدَ فيها، حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: (إنه ليست له توبة)، وجماهير العلماء من السلف والخلف على أن القاتل له توبة[(٢)]، لكنها جريمة عظيمة، ومشدَّدٌ فيها إلى الغاية، فَكَيْفَ نُؤَوِّلُ قولَه تعالى:

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، العسكري (ص٢٤٠).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٧/ ٣٤٢-٣٤٣).

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ نقول: إنما الخلودُ للذي يقتل الناس مُسْتَحِلاًّ لقتلهم بأي داعٍ من دواعي الاستحلال، كأن يقول: هؤلاء يجوز قتلُهم، ويُبَيّن له أن هؤلاء مُعصومون في دمائهم فلا يجوز قتلُهم، وَيُبَيَّنُ له الدليلُ الشرعيُّ، فَيُصِرُّ، فهذا كافر والعياذ بالله، فَيُخَلَّدُ في النار لكفره، لا بمجرد قتلهم.

أو يؤول بالمكث الطويل؛ لأن العربَ يقولون للإنسان إذا مكث في مكان لِمُدَّةٍ طويلَة: خَلُدَ في هذا المكان، أو خلد في مكانه ذلك.

وَالتَّأْوِيلُ إِنَّمَا يُقْبَلُ إِذَا قَامَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَكَانَ قَرِيبًا، أَمَّا الْبَعِيدُ فَلَا، كَتَأْوِيلِ الْحَنَفِيَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [الْمُجَادَلَة: ٤] سِتِّينَ مُدًّا عَلَى أَنْ يُقَدَّرَ مُضَافٌ، أَيْ: طَعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا هُوَ سِتُّونَ مُدًّا، حَتَّى جَوَّزُوا إِعْطَاءَهُ لِمِسْكِينٍ وَاحِدٍ فِي سِتِّينَ يَوْمًا.

هذه كفارةُ الظهارِ: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ وفي هذا خلافٌ بينَ العلماء؛ فجمهورُ العلماء يقول: إطعامُ ستين مسكينًا، فَتُعْطَى للستين[1]. والأحنافُ -رحمهم الله تعالى- قالوا: إنما يجوز إعطاؤُها لمسكين واحد دفْعَةً واحدةً سِتِّينَ مُدًّا[2]، والمُد: هو ما امتلأت به يَدَا الإنسانِ المعتدلِ الخِلقةِ[3]، مأخوذٌ من: مُدَّ إِلَيَّ طعامَك، أو مُدَّ إِلَيَّ رِفْدَكَ وَعَطَاءَكَ، فيمد الإنسان رفده وعطاءه للإنسان، فيقال: هذا مُدٌّ.

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٣/ ١٤١).

(٢) قال السرخسي: ولو أطعم الطعام كله مسكينًا واحدًا لم يجزه في دفعة واحدة؛ لأن الواجب تفريق الفعل بالنص، فإذا جمع لا يجزيه إلا عن واحد، كالحاج إذا رمى الحصيات السبع دفعة واحدة، ولو أعطاه في ستين يومًا أجزأه عندنا. انظر: المبسوط (٧/ ١٧). وما ذكره الشارح ليس مذهب الحنفية.

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (١/ ٣١٨).

يقول السيوطيُّ: **وَوَجْهُ بُعْدِهِ: اعْتِبَارُ مَا لَمْ يُذْكَرْ، وَهُوَ الْمُضَافُ**، أي: المُد لم يُذْكَرْ في الآية وإنما ذُكِرَ الْمِسْكِينُ، فاعتبر من اعتبر إبقاءَ المُدّ وإلغاءَ المسكين، أي: عَكَسَ المرادَ من الآية، **وَإِلْغَاءُ مَا ذُكِرَ، وَهُوَ الْعَدَدُ، مَعَ ظُهُورِ قَصْدِهِ لِفَضْلِ الْجَمَاعَةِ وَبَرَكَتِهِمْ وَتَضَافُرِ قُلُوبِهِمْ عَلَى الدُّعَاءِ لِلْمُحْسِنِ.**

فعندما تعطي ستين مسكينًا فالأقربُ أن هؤلاء المساكين يدعون اللهَ تبارك وتعالى لكَ، وسيكون منهم -إن شاء الله- عددٌ صالحٌ للدعاء وللقبول من الله تبارك وتعالى، أما إذا أعطيتَ الستينَ مُدًّا كلها لمسكين واحد، فإنها تَخْتلُّ الحكمة المرجوة من إعطائك لعدد كثير، وهي تضافرُ الدعاءِ، وتضافر الشكر والجزاء من الله تبارك وتعالى، وتضافر قلوبهم للدعاء للمحسن.



النوع التاسع والخمسون: المفهوم

وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ لا فِي مَحَلِّ النُّطْقِ[١]، وَخِلَافُهُ الْمَنْطُوقُ، وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ[٢]. أي: المنطوق: هو الذي قَصَدَهُ المُتَكَلِّمُ باللفظ أَصَالةً، فعندما يريد الإنسان شيئًا ويتكلم به وينطقه فإنَّ فَهْمَ ذلك الشيء يتوقف على مجرد النطق، فإذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإِسْرَاء: ٢٣] فالمراد من الكلام معروفٌ واضحٌ بمجرد أن يَسْمَعَهُ السامعُ يعرف أن هناك نهيًا عن أن يقول الإنسانُ لأبيه أو لأُمِّهِ: (أُفٍّ)، لكن تحريمَ ضربِهما مثلًا لا يُؤْخَذ من منطوق هذا الكلام، وإنما يُؤْخَذُ مِنْ مَفْهُومِهِ، فَقَوْلُ الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ منطوق، وتحريم ضرب الوالدين من هذه الآية مفهوم[٣]؛ لذلك فالمنطوق ما دَلَّ عليه اللفظُ في محل النطق[٤]، وهو المعنى الذي قصده المتكلمُ من لفظه أصالةً، أي: بالذات من اللفظ، فلا يتوقف فَهْمُ المعنى إلا على مجرد النطق باللفظ، فيفهم المعنى مباشرة.

وَخِلَافُهُ الْمَنْطُوقُ، وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْبُلْقِينِيُّ[٥]؛ لأَنَّهُ الأَصْلُ. لم يذكر البلقيني رَحِمَهُ اللهُ المنطوقَ؛ لأنه الأصلُ، فالأصل في كلامنا أننا ننطقه ونتكلم به ونريده أصالةً.

وَفِي النَّفْسِ مِنْهُ شَيْءٌ، أي: في النفس من إخفائه وعدم ذكره شيءٌ، فكان

---

(١) انظر: تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، لابن الدهان (١/ ٩٥).

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي (٣/ ٦٦).

(٣) انظر: المستصفى، أبو حامد الغزالي (ص ٢٣٩).

(٤) انظر: التقرير والتحبير، لابن أمير حاج (١/ ١١١).

(٥) يعني: في كتابه مواقع العلوم، أصل هذا الكتاب.

ينبغي للبلقيني أن يذكره.

فَإِنَّ لَهُ أَقْسَامًا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا، وَلْنَتَكَلَّمْ عَلَيْهِ مَضْمُومًا إِلَى هَذَا النَّوْعِ، لنتكلم على المنطوق مضمومًا إلى المفهوم، فَأَمَّا الْمَفْهُومُ فَهُوَ قِسْمَانِ[١]: مُوَافَقَةٌ: وَهُوَ مَا يُوَافِقُ حُكْمُهُ الْمَنْطُوقَ، وَيُسَمَّى: فَحْوَى الْخِطَابِ إِنْ كَانَ أَوْلَى، وَلَحْنَ الْخِطَابِ إِنْ كَانَ مُسَاوِيًا[٢]، فنحن نفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أن إيذاءَ الوالدين أشدُّ حُرْمَةً من قول المرء لهما: أف، من باب أَوْلَى، لكن قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا﴾ [النِّسَاء: ١٠]، فلو أن إنسانًا أخذ مال اليتيم فَأَتْلَفَهُ، تساوى الإتلافُ والأكلُ في العقاب والجزاء يومَ القيامة، ويتساويان في النتيجة الدنيوية، فالمرادُ بأكل مال اليتيم: أي: شراء شيء من مال اليتيم فيُؤكل ذلك الشيء، وإنما قال تعالى: ﴿يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ ولم يقل: (يستعملون أموال اليتامى)؛ لأن الأكل هو غالب مقصود الإنسان من جمع المال[٣]، فقوله تعالى: ﴿يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أي: يأكلون الذي يشترونه من أموال اليتامى.

فالأول يُسَمَّى: فحوَى الخطاب، والثاني -وهو مساواة الأكل والإحراق- يُسمى: لحنَ الخطاب، فإن كان حُكم المفهوم أَوْلَى من حكمِ المنطوقِ فَيُسَمَّى: فحوَى الخطابِ، وإن كان المفهومُ حكمُه مساويًا لحكم المنطوق فيُسَمَّى: لحنَ

(١) انظر: البرهان في أصول الفقه، الجويني (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري (٢/ ٢٥٣).

(٣) انظر: التقريب والإرشاد (الصغير)، أبو بكر الباقلاني (١/ ٣٤٣).

الخطاب[١].

مِثَالُ الأَوَّلِ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإِسْرَاء: ٢٣] فَإِنَّهُ يُفْهَمُ تَحْرِيمُ الضَّرْبِ مِنْ بَابِ أَوْلَى[٢].

وَمِثَالُ الثَّانِي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾... الآيَةَ [النِّسَاء: ١٠]، فَإِنَّهُ يُفْهَمُ تَحْرِيمُ الإِحْرَاقِ أَيْضًا لِمُسَاوَاتِهِ لِلأَكْلِ فِي الإِتْلافِ[٣].

وَمُخَالَفَةً (المخالفة القسم الثاني): **وَهُوَ الْمُخَالِفُ لَهُ إِذَا لَمْ يَخْرُجْ مَخْرَجَ الْغَالِبِ.**

ومفهوم المخالفة: أن يكون المسكوت عنه مخالفًا للمخصص بالذكر، كقوله ﷺ: «في سائمة الغنم الزكاة»[٤] فيفهم منه بأن المعلوفة لا زكاة فيها[٥].

أي: الذي يخالف حكمُه حكمَ المنطوق. في الأمثلة السابقة وَافَقَ حكمُ المفهوم حكمَ المنطوق، إما مُوَافَقَةً مساويةً، أو موافقةً من باب أَوْلَى. والآنَ يأتي إلى مفهوم المخالفة. **فَإِنْ خَرَجَ لَمْ يُسَمَّ مَفْهُومًا نَحْوَ: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النِّسَاء: ٢٣] إِذِ الْغَالِبُ كَوْنُ الرَّبِيبَةِ فِي حِجْرِ الزَّوْجِ، فَلَا يُفْهَمُ إِبَاحَةُ الَّتِي لَيْسَتْ فِي حِجْرِهِ.** لو أن رجلًا أراد أن يحذر قومًا فقال لهم: إن الرجال الأقوياء الذين يسرقون في بلدنا هذا أو في قريتنا هذه جزاؤهم القطع. فكلمةُ: (الأقوياء) هنا وصفٌ خرج مخرج الغالب؛ لأن الغالب على المجرم

(١) انظر: غاية الوصول في شرح لب الأصول، الأنصاري (ص ٣٢).
(٢) انظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى (١/ ١٥٣).
(٣) انظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى (١/ ١٥٣).
(٤) أخرجه أبو داود (١٥٦٧).
(٥) انظر: البرهان في أصول الفقه، الجويني (١/ ١٦٦).

السارق أنه يكون قويًّا جريئًا يستطيع السرقةَ، لكن لو سرق إنسان ضعيف عاجز ليس بقوي فإنه يُقطع أيضًا، كذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ فحرَّم الله تبارك وتعالى الربائبَ[1]: فعندما يتزوج رجلٌ امرأةً ويكون لها بنتٌ أو أكثرُ من رجل آخرَ فإن البناتِ من الرجل الآخَر محرماتٌ على الزوج. وقوله: ﴿فِي حُجُورِكُم﴾: وصفٌ خرجَ مخرجَ الغالبِ؛ لأن الغالب أن البنتَ تَتَرَبَّى مع أمها في حِجْرها، في بيتها وإن تزوجت رجلًا آخَر[2]، لكن هذه الربيبة لو تَرَبَّتْ في بيت جَدِّهَا أو في بيت عمها أو في بيت خالها. فيَبْقَى الحُكْمُ على ما هو عليه من التحريم.

فمرادُ المصنف هنا: أنه ليس هنا مفهوم مخالفةٍ، أي: أن المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ حرام، وربائبنا اللاتي لسن في حجورنا حرامٌ أيضًا. و لم نَقُلْ بمفهوم المخالفة هنا من أن الربيبة التي ليست في حجرنا حلال؛ لأن الإجماع أولًا قائم على أنها حرام[3]، ثم إن هذا الوصف خرج مخرجَ الغالبِ ليس له اعتبارٌ؛ لذلك يقول في الصفحة الماضية: **وَمُخَالَفَةٌ،**

---

(١) الربائب: جمع ربيبة، والربيبة هي بنت امرأة الرجل من غيره، ومعناها مربوبة؛ لأن الرجل هو يربها، ويجوز أن تسمى: ربيبة؛ لأنه تولى تربيتها، كانت في حجره أو لم تكن تربت في حجره؛ لأن الرجل إذا تزوج بأمها سمي ربيبها، والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه، فيقولون: هذا مقتول وهذا ذبيح، أي: قد وقع بهم ذلك. وهذا قاتل أي: قد قتل، وهذه أضحية آل فلان لما قد ضحوا به، وكذلك هذه قتوبة، وهذه حلوبة، أي: ما يقتب ويحلب. انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٣٥).

(٢) انظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري (١/ ٧٣).

(٣) قال داود: لا تحرم الربيبة على زوج أمها إلا أن تكون الربيبة في حجره، وخالفه في ذلك جميع الفقهاء. انظر: الإقناع في مسائل الإجماع، لابن القطان (٢/ ١٨).

وَهُوَ الْمُخَالِفُ لَهُ، أي: المخالف لحكم المنطوق، **إِذَا لَمْ يَخْرُجْ مَخْرَجَ الْغَالِبِ،** ومثل لخروجه مخرج الغالب بقوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ فهذا لا يَصْلُحُ أن يكون مفهومَ مخالفةٍ؛ **إِذِ الْغَالِبُ كَوْنُ الرَّبِيبَةِ فِي حِجْرِ الزَّوْجِ، فَلَا يُفْهَمُ إِبَاحَةُ الَّتِي لَيْسَتْ فِي حِجْرِهِ،** أي: لا يُفهم بأنه مفهوم مخالفة، وأَخْرَجْنَا هذه بالإجماع، ثم أيضًا إن هذا الوصف خرج مخرجَ الغالب في اللغة، **وَيَلْحَقُ بِهِ نَحْوُهُ مِمَّا لَا يَقْتَضِي التَّخْصِيصَ بِالذِّكْرِ لِمُوَافَقَةِ الْوَاقِعِ، نَحْو:** ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [الْمُؤْمِنون: ١١٧] **الآيَةَ،** فليس في هذه الآية مفهومُ مخالفةٍ؛ إذ الغالب الأعظم والأكثر أن الذين يَدْعُونَ مع الله إلهًا آخرَ ليس لهم برهان أصلًا[(١)]، وقليلٌ من الناس عندهم برهانٌ شيطانيٌّ ليس بصحيح وليس بواقعي إنما هو برهان شيطاني خُيِّلَ إليهم أنه برهان وليس كذلك، فقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ الآيةَ، ليس المعنى أنه إن كان له برهان فيصح أن يدعو مع الله إلهًا آخرَ، فهذا لا يَصِحُّ قطعًا أن يكون مفهومًا من مفاهيم المخالفة في هذه الآية.

الآية الأخرى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النُّور: ٣٣]، حتى لو لم يُرِدْنَ تحصنًا فلا يجوز البغاءُ لهن[(٢)].

ثُمَّ الْمَفْهُومُ إِمَّا مِنْ صِفَةٍ نَحْوَ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الْحُجُرَات: ٦].

مفهوم الصفة: هو أن يخص بعض الأوصاف التي تطرأ وتزول بالحكم. قال

---

(١) قال أهل العلم: لا حجة لأحد في دعوى الشرك، وإنما الحجة عليهم. انظر: تفسير القرآن، السمعاني (٣/ ٤٩٥)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٠٧).

(٢) انظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول، الإسنوي (ص ١٥٣).

تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[1]، فَوَجَبَ التَّبْيِينُ فِي الْفَاسِقِ. والمفهوم هنا: إن جاءنا رجلٌ عَدْلٌ نَثِقُ فيه وفي دينه وفي مروءته وفي عقله بنبأ فلا يجب علينا التَّبَيُّنُ، وهذا ما يُسَمَّى بخبر الآحاد[2]؛ إذ خبر الآحاد يدخل في العقيدة والحديث وفي الفقه، وفي الأخبار كلها تقريبًا. فَمَنْ جَاءَنَا بِخَبَرٍ الأغلبُ على حال ذلك الرجل العدالةُ والسترُ والصحةُ والعقلُ فإننا نقبل خبرَه بدون تَرَدُّد.

أَوْ عَدَدٍ نَحْو: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ [النُّور: ٤] أَيْ: لَا أَقَلَّ وَلَا أَكْثَرَ.

أَوْ شَرْطٍ نَحْو: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ [الطَّلاق: ٦] أَيْ: فَغَيْرُ أُولَاتِ الْحَمْلِ لَا يَجِبُ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهِنَّ.

مفهوم العدد: هو أن يعلق الحكم على عدد خاص، كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾، فجعل حد الزاني غير المحصن أن يجلد ثمانين جلدة لا يزيد عليها، ولا ينقص عنها[3].

مفهوم الشرط: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ فهذا دل على أمرين:

الأول: إن طلَّق رجلٌ امرأتَه فخرجت من العدة فلا يجب الإنفاقُ عليها[4].

الثاني: إن كُنَّ لَسْنَ بأولاتِ حمل فلا يجب الإنفاقُ عليهن، ومفهومُ المخالفةِ هذا مأخوذٌ من شرط، والشرطُ هنا: (إن كن أولاتِ حمل)[5].

---

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، لابن قدامة (٢/ ١٣٤).

(٢) انظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى (٣/ ٨٦٣).

(٣) انظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، شمس الدين الأصفهاني (٢/ ٤٤٥).

(٤) انظر: تيسير التحرير، أمير بادشاه (١/ ١٠١).

(٥) انظر: أصول الشاشي (ص ٢٥٠).

أَوْ غَايَةٍ. مفهوم الغاية: هو مد الحكم إلى غاية بصيغة «إلى» أو «حتى»[١].

نَحْـو: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البَقَـرَة: ٢٣٠] أَيْ: فَـإِذَا نَكَحَتْهُ تَحِلُّ لِلأَوَّلِ بِشَرْطِهِ. ولم يقل الله تبارك وتعالى: فإذا نَكَحَتْ زَوْجًا غيره تحلّ لَهُ، وإنما أخذناها من مفهوم المخالفة المبنيِّ على الغاية من قوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾، فإن نكحت زوجًا غيره فَطَلَّقَهَا ذلك الزوجُ بعد أن يذوق عُسَيْلَتَهَا وتذوق عُسَيْلَتَهُ[٢]، فيحلُّ لها أن ترجع إلى زوجها الأول، بشرطه: أي بعقد جديد، ومَهْرٍ جديد.

أَوْ أَدَاةِ حَصْرٍ. مفهوم الحصر، وله صيغ منها: تقديم النفي على إلا: نحو: (لا صلاة إلا بطهور)[٣]، أو الحصر بإنما نَحْوَ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [طه: ٩٨] أَيْ: فَغَيْرُهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ. أو حصر المبتدأ في الخبر سواء كان الخبر مقرونًا باللام نحو: العالم زيد، أو مضافًا، نحو: صديقي زيد[٤].

أَوْ فُصِلَ الْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ بِضَمِيرِ الْفَصْلِ، نَحْو: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشُّورَى: ٩] أَيْ: فَغَيْرُهُ لَيْسَ بِوَلِيٍّ[٥].

---

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، لابن قدامة (٢/ ١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

(٣) أخرجه مسلم بلفظ (٢٢٤): «لا تقبل صلاة بغير طهور».

(٤) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي (٥/ ١٨١-١٨٤).

(٥) انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي (١/ ٣٦٠)، غاية الوصول في شرح لب الأصول، الأنصاري (ص٣٢).

أَوْ تَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ، نَحْو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الْفَاتِحَة: ٥] أَيْ: لَا غَيْرَكَ[١].

المعمولُ[٢]: هو الذي عُمِلَ فيه، والتقدير: نعبدك يا رب. فهذه الكاف ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ في محل نصب مفعولٌ به، فلو أخذنا هذا الضميرَ وقدمناه، فإننا نأتي بضميرٍ منفصل عوضا عن الضمير المتصل، فنقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فالمفعول به معمولٌ للفعل، والخبرُ معمولٌ للمبتدأ.

ومن تقديم المعمول على عامله أيضًا قوله تعالى: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٥٨] **أَيْ: لا إِلَى غَيْرِهِ**[٣]، هذه كلها أمثلة على مفهوم المخالفة.

وهنا انتهى من المفهوم ودخل في المنطوق، ومن العادة عند علماء الأصول أنهم يبدءون بالمنطوق أولًا، ثم بالمفهوم؛ لأن المنطوقَ هو الأصلُ وهذا هو التقسيمُ الطبيعي، لكن المؤلف عكس هنا في كتابه هذا.

وَالْمَنْطُوقُ. ينقسم إلى صريح وغير صريح، والصريح: ما وضع له اللفظ، وغير الصريح بخلافه، وهو: ما يلزم عما وضع له اللفظ[٤]، ثم بدأ المؤلف بالكلام على غير الصريح فقال: **تَارَةً يَتَوَقَّفُ صِحَّةُ دَلالَتِهِ عَلَى إِضْمَارٍ فَيُسَمَّى: دَلالَةَ اقْتِضَاءٍ، نَحْوَ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يُوسُف: ٨٢] أَيْ: أَهْلَهَا**.

نقول: غير الصريح، لا يخلو؛ إما أن يقصده المتكلم، أو لا، فإن قصده وتوقف صدق المتكلم عليه، أو توقفت الصحة العقلية عليه، أو توقفت الصحة

---

(١) انظر: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المرداوي (٦/ ٢٩٦٤).

(٢) المقصود به هنا: المفعول به. انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢/ ٩٧).

(٣) انظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (١/ ٣٢٩).

(٤) انظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، شمس الدين الأصفهاني (٢/ ٤٣٣).

الشرعية عليه، فيسمى دلالة اللفظ عليه: دلالة اقتضاء، فدلالة الاقتضاء: هي ما كان المدلول فيه مضمرًا، إما لضرورة صدق المتكلم، وإما لصحة وقوع الملفوظ به(١).

مثال توقف الصحة العقلية عليه قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾؛ أي: واسأل أهلَ القرية. فاقتضى السياقُ أن نُثبت كلمةً أخرى قبل القرية، وهذا معنَى دلالة اقتضاء، واقتضى السياقُ ذلك؛ لأنَّهُ مِنْ غَيْرِ المعقول أن نسأل القريةَ، فيقتضي الأمرُ أن نُثْبِتَ كلمةً أخرى مع القرية حتى يستقيمَ المعنى، فنقول: واسأل أهلَ القرية(٢).

ومثال توقف الصحة الشرعية عليه: أعتق عبدك عني على ألف، إذ يستدعي إضمار انتقال الملك إليه، لتوقف العتق عنه شرعا عليه(٣).

وَتَارَةً لَا يَتَوَقَّفُ، أي: لا يتوقف صحةُ الكلام على إضمار، وذكرنا أن هذا يُسَمَّى: مجازًا، **وَيَدُلُّ عَلَى مَا لَمْ يُقْصَدْ بِهِ فَيُسَمَّى: دَلالَةَ إِشَارَةٍ**، فدلالة الإشارة هي التي مدلولها مقصود للمتكلم(٤)، **نَحْوَ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾** [البَقَرَة: ١٨٧] **فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ جَوَازُ الْجِمَاعِ فِي اللَّيْلِ، وَهُوَ صَادِقٌ بِآخِرِ جُزْءٍ مِنْهُ، فَيَدُلُّ بِالإِشَارَةِ عَلَى صِحَّةِ صَوْمِ مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا.**

دلالةُ الإشارةِ: هي إشارة اللفظ إلى معنًى ليس أصليًّا في الكلام، بل هو تَبَعٌ

(١) انظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي (٢/ ٧١١).
(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي (٣/ ٦٤).
(٣) انظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي (٢/ ٧١١).
(٤) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٣/ ٤٧٦).

لِلْمَعْنَى الأَصْلِيّ، ففي قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] معلوم أن الليلة تنتهي عندما يؤذن المؤذن، فإذا انتهى الإنسانُ من الرفث إلى نسائه عندَ الأذان، فإن ذلك يشير إلى صحة صوم مَنْ أصبح جُنُبًا؛ لأنه تعالى أباح الجماع إلى مدة الصباح ثم أمره بإتمام الصوم، ومن ضرورة إباحة الجماع إلى مدة الصباح وجود الجنابة بعد الصبح[1]، ولأن الليل انتهى وأذَّنَ المُؤَذِّن، وهو لم يجد وقتًا للاغتسال بعدُ، فهذه الآيةُ فيها إشارةٌ إلى صحةِ صومِ مَنْ أصبح جُنُبًا، وهذا المعنى ليس معنًى مقصودًا من الآية أصالةً، إنما المقصود بالأصالة في الآية هذه: جوازُ الرفثِ إلى أن يصبحَ الصباحُ، لكن هنا إشارةٌ إلى صحةِ صومِ مَنْ أصبح جُنُبًا، وهذه دلالةُ الإشارةِ، أي: إشارة اللفظ إلى معنًى ليس مقصودًا بالأصالة بل بالتَّبَع.

ولا يتوقف صحةُ المعنى في هذه الآية على أن نُضْمِرَ شيئًا فيها، أو أن نُبَيِّنَها بشيء آخر؛ لأن الله تعالى أراد إباحةَ الجماع إلى الفَجْر في رمضان، فليس فهمُ الآية يتوقف على الإتيان بلفظ؛ لذلك لا يُسَمَّى: دلالةَ اقتضاءٍ مثل الأول، فدلالةُ الاقتضاءِ: لا نفهم الآيةَ إلا بإضمارِ معنًى أو لفظٍ، أما هنا فلا يتوقف؛ لذلك يُسَمَّى: دلالةَ الإشارةِ؛ إذ المرادُ شيءٌ آخرُ هو تَبَعٌ بالإضافة إلى المراد الأصلي.

قُلْتُ: وَقَدِ اسْتَنْبَطْتُ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَحْكَامًا مِنْ عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المَائِدَة: ٣٣] الآيَةَ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا

---

(١) انظر: قواطع الأدلة في الأصول، السمعاني (١/ ٢٦٠).

﴿ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الْمَائِـدَة: ٣٤]. ﴿ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ لكـن بـشرط ألَّا يكونوا قد قَتلوا، وآذَوا الناسَ إيذاءً مباشرًا يُفْضِي إلى القتل، فإن الله تعالى يعفو عنهم ويغفر بشرط أن يتوبوا قبل أن يتمكن منهم الحاكمُ، فَإِنْ تَمَكَّنَ منهم الحاكمُ فلا توبةَ[1].

أَشَارَ بِجَوَابِ الشَّرْطِ بِأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِلَى أَنَّ التَّوْبَةَ إِنَّمَا تُسْقِطُ الْحَقَّ الْمُتَعَلِّقَ بِهِ تَعَالَى دُونَ الْمُتَعَلِّقِ بِالآدَمِيِّ.

يقول المؤلف: من دلالة الإشارة هذه استنبطتُ أشياء من كتاب الله تعالى منها أنه أشار تعالى بجواب الشرط بأنه غفور رحيم إلى أن التوبة إنما تُسْقِط الحق المتعلق به تعالى دون المتعلق بالآدمي. فالمنطوق هنا يُفهم منه إشارةً - وليس نَصًّا- أن الله تعالى يغفر الذنبَ إذا تاب العبدُ، أما ما كان منه متعلقًا بالآدميينَ فإنه يحتاج إلى توبة وَمُسَامَحَةٍ وَمُصَالَحَةٍ؛ **لأَنَّ التَّوبَةَ لا تُسْقِطُهُ**. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

وتَوَهَّمَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْمُؤْلِي[2]: قوله (توهم بعض الشافعية) هذا هو قول الشافعي في مذهبه القديم[3]، (الْمُؤْلِي) الذي يُؤْلِي من امرأته، أي: يحلف بالله تعالى أن لا يقربَها ولا يطلقها، فتجلس المرأةُ مُعَلَّقَةً، فتذهب إلى الحاكم إن شاءت، أو يذهب وَلِيُّهَا إلى الحاكم فَيُمْهِلُهُ أربعةَ أشهرٍ،

---

(١) انظر: الفصول في الأصول، الجصاص (١/ ٢٦٩)، قواطع الأدلة في الأصول، السمعاني (١/ ٢١٧).

(٢) الإيلاء شرعًا: اسمٌ لحلف الرجل على الامتناع من وطء امرأته. انظر: نهاية المطلب في دراية المذهب، الجويني (١٤/ ٣٨٣).

(٣) انظر: المهذب في فقه الإمام الشافعي، الشيرازي (٣/ ٥٩).

فإن وطئها وإلا تُطَلَّقُ، ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٦] **أَنَّهُ لا يَجِبُ عَلَيْهِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ،** لأن الله تعالى علق المغفرة بالفيئة، فدل على أنه استغنى عن الكفارة[١].

هو يقول: هذا الكلام ليس صحيحًا، فقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يُسقط حَقَّه تعالى هنا، فَلَا يُعَاقب ذلك الشخص بكونه حلف بالله تعالى ألا يقرب امرأتَه، أما ذلك الإيلاء فإنه يحتاج إلى كفارة، وليس كما يقول بعض الشافعية مِنْ سُقُوط الكفارة أيضًا من قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فالصحيح من مذهب الشافعية، وهو قول الشافعي في الجديد أن المؤلي تلزمه الكفارة لقوله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه»[٢]. ولأنه حلف بالله تعالى وحنث فلزمته الكفارة، كما لو حلف على ترك صلاة فصلاها[٣].

لأَنَّ اللهَ ذَكَرَ لَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَغَفَلَ قَائِلُ هَذَا عَنْ هَذِهِ النُّكْتَةِ؛ فَالْمَغْفِرَةُ فِيهِ لِمَا تَعَلَّقَ باللهِ مِنَ الْحَلِفِ بِهِ الَّذِي فِي الْحِنْثِ فِيهِ حَزَازَةٌ[٤]، دُونَ مَا تَعَلَّقَ بالآدَمِيِّ مِنَ الْكَفَّارَةِ، فَإِنَّ فِيهَا حَقًّا لآدَمِيٍّ، فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَحَلَّ فَإِنَّهُ نَفِيسٌ جِدًّا، وَاللهُ يَهْدِي لِلصَّوَابِ.



---

(١) انظر: التهذيب في فقه الإمام الشافعي، البغوي (٦/ ١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرًا منها (٣/ ١٢٧٢)، (١٦٥٠).

(٣) انظر: المهذب في فقة الإمام الشافعي، الشيرازي (٣/ ٥٩).

(٤) الحزازة: وجع في القلب من غيظ ونحوه. انظر: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٣/ ٨٧٣).

النوع الستون، والحادي والستون
المطلق، والمقيد

الْمُطْلَقُ: الدَّالُّ عَلَى الْمَاهِيَّةِ بِلَا قَيْدٍ. الماهيةُ: هي ما يرتسم في النفس من الشيء[(١)]، وهي لفظٌ منطقيٌّ استخدمه المناطقةُ، فعندما تريد أن تقول: ما هو هذا الشيء الذي أمامي -وأشرتَ إلى إنسان مثلًا-؟ فجوابُك وتعريفُك لهذا الشيء هو الماهية. وهناك شيء يُسَمَّى: الهويةَ، وهي الحقيقة الجزئية[(٢)]، فالهوية جواب عن سؤال: مَن هو، والماهية: جواب عن سؤال: ما هو[(٣)]. والماهيةُ تشمل: الجنسَ[(٤)] والنوعَ[(٥)] والصنفَ[(٦)]. الجنس: الشخص الذي أمامي يُدْعَى عندَ المناطقةِ: حيوان؛ لذلك يقولون: الإنسانُ حيوان ناطق، والحيوان هو الذي يمتاز بالحياة الكاملة، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوت: ٦٤] أي: التي فيها الحياةُ الكاملةُ[(٧)]، فالإنسانُ

(١) انظر: الرد على المنطقيين، لابن تيمية (ص٦٧).
(٢) انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي نكري (٣/ ٣٣٠).
(٣) انظر: معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد الغزالي (ص١٠١).
(٤) الجنس: هو اللفظ الجامع لنوعين من المخلوقات فصاعدًا، وليس يدل على شخص واحد بعينه، كزيد وعمرو، ولا على جماعة مختلفين بأشخاصهم فقط كقوله: الناس. انظر: التقريب لحد المنطق، لابن حزم (ص٢٠).
(٥) النوع: وهو المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ما هو؟ كالإنسان بالنسبة إلى الحيوان انظر: شرح السلم، للخضري (ص١٣)، معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد الغزالي (ص١٠٢).
(٦) الصنف: هو المحمول الخارج عن ذات الموضوع المختص ببعض أفراده. قال في جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢/ ١٨٢): الصنف: هو النوع المقيد بقيد عرضي كالإنسان الرومي.
(٧) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٨/ ٤٤٠)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص٦٣٥).

عندَ المناطقةِ حيوانٌ ناطقٌ؛ فكلمةُ حيوانٍ جنس، يدخل فيها الحيوانُ الآدميُّ، والحيوانُ المعروفُ[١]، ولَمَّا قلنا: ناطق؛ أي: بنفسه، صار إنسانًا، وهذا يُسَمَّى: النوعَ، والصنف كقولنا: عربي، فعندنا جنسٌ ونوعٌ وصنفٌ تحتَ الماهية، فإذا عرفنا الماهيةَ بالجنس صلح، وإذا عرفناها بالنوع صلح، وإذا عرفناها بالصنف صلح أيضًا ذلك التعريف، فالجنسُ والنوعُ والصنفُ كل ذلك يَصْلُحُ لأن يكونَ ماهيةً.

المطلق: الدالُّ على الماهية دونَ قيدٍ[٢]، فقولنا: (الإنسانُ) هذا مطلقٌ، لكن لو قلنا: (الإنسانُ الصالحُ مفيدٌ في مجتمعه)، فكلمةُ: (الصالح) قَيَّدَتِ المطلقَ، فهذا هو الْمُقَيَّدُ[٣].

قد يسأل سائل فيقول: ما الفرقُ بين العامِّ والمطلقِ، والخاصِّ والمقيد؟

نقول: العامُّ في الذوات، والمطلقُ في الصفات[٤]، تقول: جاء القومُ إلا عشرةً، فالقوم: عامٌّ، إلا عشرة: مُخَصِّص؛ لأنك لم تذكر صفةً، فإن ذكرتَ صفةً

(١) انظر: معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد الغزالي (ص ٣١٥).

(٢) وبعبارة أخرى هو: اللفظ الواقع على صفات لم يقيد ببعضها، مثل قوله تعالى في آية الظهار: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: الآية ٣]، فالرقبة واقعة على صفات متغايرة من كفر وإيمان، وذكورة وأنوثة، وصغر وكبر، وتمام ونقصان، ولم يقيدها بصفة تتميز بها مما يخالفها، فهذا الذي يسميه أهل الجدل: المطلق. انظر: الحدود في الأصول، الباجي (ص١٠٨)، غاية الوصول في شرح لب الأصول، الأنصاري (١/ ٨٥).

(٣) المقيد: هو ما دل على الحقيقة بقيد. انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني (٢/ ٦).

(٤) يفرق بين العام والمطلق، بأن العام عمومه شمولي؛ أي: كلي يحكم فيه على كل فرد، بخلاف عموم المطلق فإنه بدلي؛ أي: لا يتناول جميع الأفراد التي تصلح للدخول تحت اللفظ، بل تحصل براءة الذمة بواحد منها. انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني (١/ ٢٩١).

صارت مُقَيِّدَةً للمطلق، فَلْيُنْتَبَهْ للفرق بين العامِّ والمطلق، والخاصِّ والمقيد(١)؛ لأنه قد يَظن الإنسان أنهما سواء، وليس كذلك؛ إِذِ العامُّ والخاصُّ يختلف عن المطلق والمقيد، فلفظ (رقبة) في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢] مطلقٌ؛ لأنها وُصِفَتْ بأنها مؤمنة، فما دام أنها وُصِفَتْ فهو مطلق ومقيد، وليس بعامٍّ وخاصٍّ.

وَقَدِ اشْتُهِرَ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ يَحْمِلُ الْمُطْلَقَ عَلَى الْمُقَيَّدِ(٢)، أي: إذا وَرَدَتْ آيةٌ عامة في كتاب الله تعالى، أو وَرَدَ حديثٌ عام، وجاء شيءٌ يقيده، فهناك تفصيلٌ في حمل هذا المطلقَ على ذلك المقيد، مثال ذلك قوله في كفارة الظهار: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [الْمُجَادَلَة: ٣] وقال في كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، فهل يلزم في الآية التي فيها: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [الْمُجَادَلَة: ٣] أن تكون مؤمنة؛ حملا لها على الآية الأخرى التي فيها بأنها مؤمنة أو لا؟ هذا هو الموضوع الذي يرد في هذا النوع.

وَفِي ذَلِكَ تَفْصِيلٌ؛ لأَنَّهُمَا إِنِ اتَّحَدَ حُكْمُهُمَا وَمُوجِبُهُمَا وَكَانَا مُثْبَتَيْنِ وَتَأَخَّرَ الْمُقَيَّدُ عَنْ وَقْتِ الْعَمَلِ بِالْمُطْلَقِ فَالْمُقَيَّدُ نَاسِخٌ لِلْمُطْلَقِ، وَإِلَّا حُمِلَ عَلَيْهِ، وَكَذَا إِنْ كَانَا مَنْفِيَّيْنِ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَمْرًا وَالآخَرُ نَهْيًا قُيِّدَ الْمُطْلَقُ بِضِدِّ الصِّفَةِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ السَّبَبُ فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ الْحَمْلُ عَلَيْهِ قِيَاسًا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، وَفِي كَفَّارَةِ الظِّهَارِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾

---

(١) التخصيص يصرف فيما كان اللفظ متناولًا له باعتبار دليل الظاهر لولا دليل الخصوص، والتقييد تصرف فيما لم يكن اللفظ متناولًا له أصلًا لولا التقييد، والتخصيص تصرف فيما تناوله العام السابق. انظر: أصول السرخسي (٢/ ٨٤)، الكافي شرح البزودي، السغناقي (٢/ ٧٣٤).

(٢) انظر: اللمع في أصول الفقه، أبو إسحاق الشيرازي (ص ٤٣).

[الْمُجَادلَة: ٣][١].

يقول هنا: (**إن اتحد الحكمُ والموجِبُ** -الموجِبُ: هو السبب الذي أَدَّى بِكَ إلى فِعْلِ هذا الشيء- **وكانا مثبتين**[٢]، **وتأخر المقيد عن وقت العمل بالمطلق، فالمقيدُ نَاسِخٌ لِلْمُطْلَق، وإلا حُمِلَ عليه**)[٣].

مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [الْبَقَرَة: ١٤٤] كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرًا كما روى الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]، ويُصلى إلى بيت المقدس في الصحارَى وفي البادية وفي الليل، وعندما جهلوا القبلةَ كانوا يصلونَ إلى أية جهة مُطْلَقًا، فَقُيِّدَ ذلك كله بقوله تعالى: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ أي: شطر البيت الحرام، فهذا مثال على المُقَيَّدِ والمُطْلَقِ.

مثال آخر: أَمَرَنَا الله تبارك وتعالى إن لَمْ نَجِدْ مَاءً أن نَتَيَمَّمَ[٥] كَمَا سَيَأْتِي، فالوضوء مأخوذٌ من الآية الكريمة من سورة النساء، ومأخوذ من سنة رسول الله ﷺ، وأيضًا التيمم مأخوذ من السنة، ومأخوذ من الكتاب، وفي الوضوءِ معروفٌ أننا نغسل اليدَ إلى المرافق كما في قوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [الْمَائِدَة: ٦]، أما التيمم فليس إلى المرفق، ولم يُقَيَّد التيمم في كتاب الله

---

(١) انظر: الحاوي الكبير، الماوردي (٨/ ٥٠٤).

(٢) انظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٨٦).

(٣) انظر: الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، العراقي (ص٣٤٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان (١/ ١٧)، (٤٠). ومسلم (٥٢٥).

(٥) التيمم شرعًا: هو القصد إلى الصعيد للتطهير. انظر: المبسوط، السرخسي (١/ ١٠٦).

تعالى، فهل نحمل التيممَ بأن نجعله إلى المرفق كما هو في الكتاب أم نكتفي باليد فقط كما كانت سنةُ رسول الله ﷺ؟ هُنَا اتَّحَدَ السبب واختلف الحكم، فالحُكم أن نتيمم أو نتوضأ، والسببُ فَقْدُ الطهارةِ، ففَقْدُ الطهارةِ كان سببًا إما لِلتَّيَمُّمِ أَوْ لِلْوُضُوءِ، فهل نقيد اليدَ في التيمم بما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى أم نُطْلِقُهَا؟(١).

أيضًا قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [الْمَائِدَة: ٣] لكننا حين نأتي باللحم نجد في عُرُوقِهِ دَمًا، فهذا الدمُ حلال؛ لأن الله تعالى يقول في آية أخرى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأَنْعَام: ١٤٥]، فهنا نحمل الدمَ المطلقَ على الدَّمِ المقيدِ بأن يكون مسفوحًا. ولم يكن عامًّا وخاصًّا؛ لأن الدم وُصِفَ بأنه مسفوح، وبما أنه وصف فإنه مطلق ومقيد، فنقول: إن المراد بالدم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ الدم المسفوح المنصوص على تحريمه في آية الأنعام بقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ ؛ لأن الحكم في الآيتين واحد وهو

---

(١) قال ابن رشد: «اختلف الفقهاء في حد الأيدي التي أمر الله بمسحها في التيمم في قوله: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] على أربعة أقوال:

القول الأول: أن الحد الواجب في ذلك هو الحد الواجب بعينه في الوضوء، وهو إلى المرافق، وهو مشهور المذهب، وبه قال فقهاء الأمصار.

والقول الثاني: أن الفرض هو مسح الكف فقط، وبه قال أهل الظاهر وأهل الحديث.

والقول الثالث: الاستحباب إلى المرفقين، والفرض الكفان، وهو مروي عن مالك.

والقول الرابع: أن الفرض إلى المناكب، وهو شاذ، وروي عن الزهري ومحمد بن مسلمة.

والسبب في اختلافهم اشتراك اسم اليد في لسان العرب، وذلك أن اليد في كلام العرب يقال على ثلاثة معان: على الكف فقط وهو أظهرها استعمالا، ويقال: على الكف والذراع، ويقال: على الكف والساعد والعضد. والسبب الثاني: اختلاف الآثار في ذلك». انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد (١/ ٧٤-٧٥).

التحريم، والسبب الذي بني عليه الحكم فيهما واحد وهو كونه دمًا، فلو كان مطلق الدم محرمًا خلا القيد -وهو: (مسفوحًا)- من الفائدة(١).

وهنا يذكر حالة أخرى فيقول: إن تأخر المقيدُ عن وقت العمل (٢) بأن نزلت آية ثم نزلت بعدَ ثلاثِ سنوات آيةٌ أخرى، فهل نقول: إن هذه الآيةَ الأخرى التي نزلت بعد ثلاث سنوات والتي فيها تقييدٌ للحكم الأول مقيِّدة، أو نقول: ناسخة؟

علماء الأصول يقولون: هي ناسخة؛ لأن تأخُّرَ البيانِ عن وقت العمل لا يجوز عندَهم. وهذه أيضًا مسألة ثالثة: تَأَخُّرُ البيانِ عن وقت العمل لا يجوز(٣)، فلو أنزل الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ وظل المسلمون يعملونَ بهذه الآية أربعَ أو خمسَ سنوات، ثم أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ هذا حرام، فيُسَمَّى هذا: ناسخًا؛ لأنه لا يجوز تأخيرُ البيان عن وقت العمل، فلو كان الدم المسفوح حرامًا لأَوَّلِ وَهْلَةٍ فلا بد أن الله سبحانه وتعالى كان سَيُبَيِّنُهُ لنا، ولا يجوز في شرعنا أن يُؤَخَّرَ بيانُ الحكم حِلاً وحرمةً عن وقت العمل، ناهيك عن أن يظل أربعَ أو خمسَ أو ستَّ سنوات، فهذا يُسَمَّى: ناسخًا، ولا يسمى: مقيدًا؛ لأن المقيِّد له حكم المطلق، فهنا لا يسمى: مقيدًا ومطلقًا، وإنما يسمى: ناسخًا ومنسوخًا. لكن إن جُهِلَ تاريخُ الآيتين، فلا نَدْرِي أي السابق؟

---

(١) انظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف (ص١٩٣).

(٢) إن تأخر المقيد عن وقت العمل بالمطلق، فهو ناسخ وإلا حمل المطلق عليه، وقيل: المقيد ناسخ إن تأخر، وقيل: يحمل المقيد على المطلق. انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي (٢/ ٨١٣).

(٣) انظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي (٢/ ٥٨٨).

فنقول: مقيد ومطلق، أما إن عُلم التاريخ فنقول: ناسخ ومنسوخ.

وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَمْرًا وَالآخَرُ نَهْيًا قُيِّدَ الْمُطْلَقُ بِضِدِّ الصِّفَةِ، أي: إن كان المطلقُ أمرًا والمقيدُ نهيًا أو العكس -كما تقول للرجل: لا تُعْتِقْ رقبةً. أَعْتِقْ رقبةً مؤمنةً. فقولك: (لا تعتق رقبةً) هذا المطلقُ منفيٌّ، و(أَعْتِقْ رقبةً مؤمنةً) مقيد مثبتٌ- قُيِّدَ المطلقُ بضدِّ الصفة[1]، والصفة هنا: (مؤمنة) ضدها: كافرة، أي: لا تعتق رقبةً كافرةً.

كذلك لو قال لك: أعتق رقبة مؤمنة، لا تعتق رقبة، أي: لا تعتق رقبة كافرة، فيقيد المطلق بضدِّ الصفةِ التي في المقيد. وهذه مسألةٌ أصولية، لكن لا بد من شرحها.

وَإِنِ اخْتَلَفَ السَّبَبُ فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ الْحَمْلُ عَلَيْهِ قِيَاسًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، وَفِي كَفَّارَةِ الظِّهَارِ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [الْمُجَادَلَة: ٣]. هنا يتكلم عن اختلاف السبب واتحاد الحكم: رجلٌ ظَاهَرَ، ورجلٌ قَتَلَ. الحكمُ مُتَّحِدٌ، فإن اختلف السبب واتَّحَدَ الحُكْم، أو واتحد الموجِب، فمذهب الشافعي الحَمْلُ عليه، فقوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ في القتل، يُحمل عليه قوله تعالى في كفارة الظهار: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ فالشافعيُّ يقول: أي: فَتحرير رَقَبَةٌ مؤمنةٌ[2].

وَإِنِ اتَّحَدَ الْمُوجِبُ، أي: السبب، **وَاخْتَلَفَ الْحُكْمُ حُمِلَ عَلَيْهِ أَيْضًا؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي آيَةِ الْوُضُوءِ: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾** [الْمَائِدَة:

---

(١) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين السبكي وولده (٢/ ٢٠١).

(٢) انظر: الأم، الشافعي (٥/ ٢٩٨).

٦]، وَفِي آيَةِ التَّيَمُّمِ: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم﴾ [النِّسَاءِ: ٤٣].

إن اتَّحَدَ السببُ للطهارة: عندما نريد أن نتوضأ لنقرأ أو نمس المصحفَ أو أن نفعل شيئًا فهنا السببُ متحدٌ، لكن الحكمَ مختلفٌ؛ إذ هنا حكمُه الوضوءُ بالماء، لكن إذا فقدناه فإننا نَتَيَمَّم بالتراب، فاختلف علينا الحكمُ، فنحمل عليه أيضًا(١).

وَأَمَّا الْمُقَيَّدُ فِي مَوْضِعَيْنِ وَقَدْ أُطْلِقَ فِي مَوْضِعٍ وَلَيْسَ أَوْلَى بِأَحَدِهِمَا مِنَ الآخَرِ؛ فَلَا يُحْمَلُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قَضَاءِ أَيَّامِ رَمَضَانَ: ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤]، وَفِي كَفَّارَةِ الظِّهَارِ: ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ [الْمُجَادَلَة: ٤]، وَفِي صَوْمِ التَّمَتُّعِ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡ﴾ [الْبَقَرَة: ١٩٦] فَأَوْجَبَ التَّتَابُعَ فِي الثَّانِي، وَالتَّفْرِيقَ فِي الثَّالِثِ، وَلَيْسَ الأَوَّلُ أَوْلَى بِأَحَدِهِمَا مِنَ الآخَرِ، فَلَا يَجِبُ فِيهِ تَتَابُعٌ وَلَا تَفْرِيقٌ.

المعنى: إن ورد مطلق ومقيدان، أي: إن وردت آية مطلقة، ووردت آيتان مقيدتان، فهل نحمل هذا المطلقَ على الآيتين المقيدتين أو لا؟

يقول: وأما المقيد في موضعين وقد أُطلق في موضع -أي: وَرَدَ مطلقٌ ومقيدانِ- وليس أَوْلَى بأحدهما من الآخَرِ، فهل نحمله على الآية المقيدة الأُولَى أو الآية المقيدة الثانية؟

يقول: ليس أحدهما أَوْلَى من الآخر في الحمل، فلا يُحْمَلُ على شيء منهما، كقوله تعالى في قضاء أيام رمضان: ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ هذا مُطْلَقٌ، أي أيّام

(١) المسألة خلافية، واختار ابن الحاجب عدم الحمل. انظر: نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي (٥/ ٢١٦٤)، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، لتاج الدين السبكي، الزركشي (٢/ ٨١٧).

تـصومها تقْـضِي مـا فاتـك مـن رمـضان، وفي كفـارة الظهـار: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، فقُيِّدَ الشهران بأنهما متتابعان، هـذا أولُ تقييـد، فعنـدنا مطلـقٌ ومقيـد واحد، وفي صوم التمتع: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ قيدت هنا الأيـام التي تُصَام، فعندنا هنا مطلق ومقيدان، فأوجب التتابع في الثاني في كفـارة الظهـار، والتفريق في الثالـث في صـوم الحـج، ولـيس الأولُ –قـضاء أيـام رمـضان- بـأَوْلَى بأحـدهما مـن الآخَـر، فـلا يجـب فيـه تتـابعٌ ولا تفريـقٌ. فهنـا اختلـف الحكـمُ والسببُ، فليس أحدهما بِأَوْلَى من الآخَرِ، فنجعـل المطلـقَ مطلقًا كمـا هـو ولا نقيده(١).

وَقَدْ يَكُونُ الْكِتَابُ مُقَيِّدًا لِلسُّنَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَالسُّنَّةُ مُقَيِّدَةً لِلْكِتَابِ الْمُطْلَقِ كَالتَّخْصِيصِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ(٢).

مَرَّ في الخاصِّ والعامِّ أن الكتابَ يُخَصِّص السنةَ، والسنة تخصص الكتابَ على خلافٍ بينَ العلماء، فكذلك ها هنا.



(١) انظر: الواضح في أصول الفقه، لابن عقيل (٣/ ٤٤٥).

(٢) انظر: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، الماوردي (٦/ ٢٧١٦).

النوع الثاني والستون، والثالث والستون
الناسخ، والمنسوخ

النسخ في اللغة له عدة معان، منها: النقل، ومنه قولهم: نسخ الكتاب، أي: نقل ما فيه إلى غيره، فيطلقون اسم النسخ والنقل على ذلك[(١)]، ومنها: الإبطال، ومنه قولهم: نسخت الرياح الآثار[(٢)]، ومنها: إزالتك أمرًا كان يُعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره[(٣)].

والنسخ في الاصطلاح: إزالة حكم المنسوخ كله ببدل آخر، أو بغير بدل في وقت معين، فهو لبيان أزمنة العمل بالفرض الأول، وانتهاء مدة العمل به، وابتداء العمل بالثاني[(٤)].

هَذَانِ نَوْعَانِ مُهِمَّانِ، وَلِلنَّاسِ فِيهِمَا مُصَنَّفَاتٌ جَمَّةٌ، مذكور في الهامش أسماء المصنفات، بعضُها مطبوع وبعضها غير مطبوع: كـ«الناسخ والمنسوخ» لابن العربي[(٥)] مطبوع في رسالة في المَغْرب، وموجود في الأسواق، و«الناسخ والمنسوخ في القرآن» لمكي بن أبي طالب القيسي رَحِمَهُ اللهُ[(٦)] مطبوع وموجود، و«الناسخ والمنسوخ» لهبة الله بن سلامة موجود، و«الناسخ والمنسوخ» للبَغْدَادِيّ موجود، وعشرات بل مئات من مصنفات الناسخ والمنسوخ مفقودة ولا نعرف مكانَها، أو ما زالت مخطوطة.

---

(١) انظر: مجمل اللغة، لابن فارس (ص ٨٦٧)، طلبة الطلبة، نجم الدين النسفي (ص ١٧١).

(٢) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (١/ ٦٠).

(٣) انظر: العين، الخليل بن أحمد (٤/ ٢٠١).

(٤) انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، الكرمي (ص ٤٠).

(٥) سبق التعريف به.

(٦) سبق التعريف به.

وَذَلِكَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الأَوَّلُ: مَا نُسِخَ حُكْمُهُ دُونَ رَسْمِهِ[(١)]، فبَقِيَ في القرآن رسمُه، أي: بقيت آيةً من كتاب الله تبارك وتعالى لكن حكمها منسوخ، فالرسمُ موجودٌ في كتاب الله تعالى، آيةٌ نتلوها وهي قرآنٌ نتعبد اللهَ به، لكن حكمَها منسوخٌ بحكم آخر.

وهو موجود في ثلاث وستين سورة، مثل الصلاة إلى بيت المقدس، والصيام الأول، والصفح عن المشركين، والإعراض عن الجاهلين[(٢)].

وَهُوَ أَضْرُبٌ: أَحَدُهَا: مَا نَسَخَهُ كِتَابٌ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٠]، فَإِنَّهُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٣٤]، كانت المرأةُ أولًا تَعْتَدُّ إلى حولٍ، ثم بعد ذلكَ نُسِخَتْ فصارت المتوفى عنها زوجُها تعتدُّ أربعَةَ أشهرٍ وعشرًا[(٣)].

وَبَيْنَ العلماءِ اختلافٌ في مسألة نسخ القرآن والسنة، هل يُثبتونه تمامًا أم ينفونه تمامًا أم يتوسطون فيه، فهذه كلها مباحثُ لم يذكرها السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكرها في (الإتقان) على التفصيل، وفيها كلام طويل جِدًّا، وخلاصته:

اختلف العلماء في الذي ينسخ القرآن والسنة إلى خمسة أقوال:

القول الأول: ينسخ القرآنُ القرآنَ والسنةَ، وهذا قول الكوفيين.

والقول الثاني: ينسخ القرآنُ القرآنَ، ولا يجوز أن تنسخه السنة، وهذا قول

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، المقري (ص ٢٠).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، المقري (ص ٢٢).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، لابن سلام (ص ١٢٩).

الشافعي وجماعة معه.

والقول الثالث: تنسخ السنةُ القرآنَ والسنةَ.

والقول الرابع: تنسخُ السنةُ السنةَ، ولا ينسخها القرآن.

والقول الخامس: قاله محمد بن شجاع قال: الأقوال قد تقابلت فلا أحكم على أحدها بالآخر(١).

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأَنْفَال: ٦٥] **الآيَةَ، نُسِخَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾** [الأَنْفَال: ٦٦] **الآيَةَ**، كان في أولِ الأمر لا يجوز للمسلم أن يَفِرَّ من أمام عشرة فما دونَهم، ثم خَفَّفَ اللهُ تبارك وتعالى وَعَلِمَ أن في المسلمين ضَعْفًا؛ فأجاز للمسلم أن يقفَ أمام اثنين فما دون، أما أكثر من اثنين فله ألا يقف، فيستطيع الهربَ والنجاةَ، هذا هو المعنى(٢).

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ [النِّسَاء: ١٥]، **نُسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾** [النُّور: ٢](٣).

كانت المرأة إذا أَتَتْ بالفاحشةِ تُمْسَك في البيوت وَتُؤْذَى وَيُضَيَّق عليها، ولكن الله تبارك وتعالى جعل لهنَّ بعدَ ذلك سبيلًا. والسبيل هو الحكم الذي نَسَخَ ذلك الحكمَ الأولَ، وهو الجَلْدُ أو الرجمُ حسبَ حالةِ الزاني.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس (ص ٥٣)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٦٧).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، الزهري (ص ٢٦)، الناسخ والمنسوخ، المقري (ص ٩٤).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، قتادة بن دعامة (ص ٣٩)، الناسخ والمنسوخ، لابن سلام (١/ ١٣٢).

وَهُنَا فَوَائِدُ: الأُولَى: كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الصَّفْحِ عَنِ الْكُفَّارِ وَالتَّوَلِّي وَالإِعْرَاضِ وَالْكَفِّ عَنْهُمْ فَهُوَ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهِيَ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التَّوْبَة: ٥] الآيَةَ، نَسَخَتْ مِائَةً وَأَرْبَعًا وَعِشْرِينَ آيَةً، ثُمَّ نَسَخَ آخِرُهَا أَوَّلَهَا[١].

هذا كلامٌ فيه تجاوزٌ قليلٌ، وهو القول: بأن هذه الآية نَسَخَتْ كلَّ الآيات المتعلقة بالتعامل مع الكفار! آيةُ السيف آية مشهورةٌ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

أما هذه الآية: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الْمُمْتَحَنَة: ٨] فلم تنسخها آيةُ السيف[٢]، فحكمُ الكافرين المعاهَدين من أهل الذمة لا ينسخه آيةُ السيف، إنما نسخت آية السيف الآياتِ التي جاءت بالأمر بالصبر أمام المحاربين من الكافرين، فقد كان المسلمون في مكة مأمورين بالصبر أمام الكافرين، وعدم رَدِّ عقابهم وإيذائهم وعذابهم بالمثل، ولم يكن جائزًا لهم أبدًا أن يحاربوا المشركين، وكان هذا حمايةً لدعوة الله تبارك وتعالى؛ لأن المسلمين لو أرادوا أن يردوا على الكافرين في ذلك الزمان في أوائل الدعوة لأُبِيدُوا بحدِّ السيف كلهم، فكان هذا الحكمُ رحمةً من الله تعالى بالمؤمنين أن أمرهم بالصبر وغضِّ

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٧٨).

(٢) اختلف العلماء في بقاء حكم هذه الآية ونسخه على قولين: أحدهما: أن هذا كان في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال؛ ثم نسخ. الثاني: أنه باق. انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٤/ ٢٢٧).

الطرفِ عن الإيذاء، ثـم لَمَّا تمكـن الإسـلامُ في قلـوب النـاس، وتمكنـت الـدعوةُ الإسلامية، نُسخت تلك الأحكـامُ التي تـأمر بالـصبر وغـض الطـرف عـن إيـذاء الكافرين المحاربين كلها، فأمر الله تبارك وتعالى بمقابلة الكـافرين بالمثـل بقولـه تعـالى في سـورة الحـج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠] إلـى آخـرِ آيـات الحـج، فَآيـةُ الـسيف لـم تنـسخ كـلَّ الآيـات التـي ذكرهـا السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إنما نسخت كثيـرًا منهـا، وبقيـت الآيـاتُ التـي تأمرنـا بالإحـسان إلى الكافرين غير المحاربين والقسطِ لهم، كمـا فَعَـلَ الرسـولُ ﷺ: زار اليهـوديَّ ودخل عليه في مرضه[(١)]، وأمر يهوديًّا آخرَ بالإسلام أيامَ مرضه[(٢)]، وأبقى اليهودَ في المدينة على كفرهم وعلى دينهم[(٣)].

الثَّانِيَةُ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ نَاسِخٌ إِلَّا وَالْمَنْسُوخُ قَبْلَهُ فِي التَّرْتِيبِ إِلَّا آيَةَ الْعِدَّةِ السَّابِقَةَ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآيَةَ، نَسَخَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآيَةَ[(٤)].

---

(١) أخرجـه البخـاري (١٣٥٦)، وأخرجـه ابـن حبـان في صـحيحه كتـاب الـسير، بـاب الـذمي والجزيـة (١١/ ٢٤٢)، (٤٨٨٣): عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «عاد النبي ﷺ يهوديًا». صححه الأرنؤوط.

(٢)أخرجه البخاري (١٣٥٦): عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال لـه: أطع أبـا القاسـم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»، وعـن أنـس قـال عـاد النبي ﷺ غلامًا كان يخدمه يهوديًا، فقال له: قل لا إله إلا الله. قال: فجعل ينظـر إلـى أبيـه. قـال: فقـال لـه: قـل مـا يقول لك. قال: فقالها، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: صلوا على أخيكم. أخرجـه أحمـد في المسند (٢١/ ٢٧٨). (١٣٧٣٦). صححه الأرنؤوط.

(٣) انظر: الفصول في السيرة، لابن كثير (ص ١٤٢).

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ، المقري (ص ٥٥).

ذكر أن الترتيب في القرآن: أن يأتيَ المنسوخُ أولًا ثم يأتي الناسخُ، إلا في آياتٍ قليلاتٍ، منها آياتُ العدةِ السابقةُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ حيث جاءت بعد قوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فتقدم هنا الناسخُ على المنسوخ[1]، وأيضًا تَقَدَّمَ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ قيل: بأنه منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾. وَهِيَ فِي التَّرْتِيبِ قبل الآية الأولى. وقيل: هذا ليس مُجْمَعًا عليه[2].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٩٩] يَعْنِي: الْفَضْلَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ،

(خذ العفوَ): قيل: إن المراد بذلك الفضلُ من أموالهم، والعفوُ: الزيادةُ عن المال الْمُحْتَاجِ إليه، وكان هذا قبلَ الزكاة، فكان الرسولُ ﷺ -على هذا التفسير- مأمورًا بأن يأخذَ الزائدَ من أموال الناس، ثم بعدَ ذلك نزلت آيةُ الزكاة فَنَسَخَتْ هذا[3].

وقيل المراد بالعفو: هو العفو المعروف[4]، فَاخْتَلَفَ التفسير في هذه الآية.

فَإِنَّهُ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الزَّكَاةِ، قَالُوا: وَهِيَ مِنْ عَجِيبِ الْمَنْسُوخِ، فَإِنَّ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا وَهُوَ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ مَنْسُوخٌ، وَوَسَطَهَا وَهُوَ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، قتادة بن دعامة (ص ٣٦).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، المقري (ص ٥٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٦٤١).

(٤) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (٤/ ٣١٨).

مُحْكَمٌ. فقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ مكونة من ثلاثةِ مقاطعَ: المقطعُ الأولُ منسوخٌ، والمقطعُ الأخيرُ منسوخٌ، وبينهما مُحْكَمٌ ليس بمنسوخ، وهذه من أعاجيب الآيات الناسخة والمنسوخة، فـ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ منسوخةٌ بآيةِ الزكاةِ إذا قيل بأن المراد بالعفو الزائدُ من الأموال[١]، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ منسوخٌ بآيةِ السيفِ[٢]، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ لم يَنْسَخْهَا شيءٌ، فبقيت محكمةً[٣].

الثَّالِثَةُ -أي: الفائدة الثالثة-: **رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ وَأَبِي مَيْسَرَةَ أَنَّهُمَا قَالَا: لَيْسَ فِي الْمَائِدَةِ مَنْسُوخٌ[٤] وَهُوَ مُشْكِلٌ ؛ فَفِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٢] مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٩][٥].**

قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ كان للنبيِّ ﷺ أن يحكم بينَ أهل الكتاب أو أن يُعْرِضَ عن الحكم بينَهم كما يشاء ﷺ[٦]، فنُسِخَ هذا بقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فهذا يخالف ما في المستدرَك، فلعل هذا

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس (ص ٤٤٨)، تفسير الطبري (١٠/ ٦٤١).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٧٨).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، المقري (ص ٩١).

(٤) أخرجه القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (ص ١٣٧).

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «آيتان منسوختان من سورة المائدة: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٢] فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩]. أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤١)، (٣٢١٧). وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ١٧٥).

الحديث في المستدرك غيرُ ثابتٍ، ولو كان صحيح السند فيقال: مُنْكَرٌ مثلًا(١)، أو أن يقال هنا بأن هذا التفسير فيه شيء.

وَقَالَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا النَّوْعِ: السُّوَرُ الَّتِي لَا نَاسِخَ فِيهَا وَلَا مَنْسُوخَ: الْفَاتِحَةُ، وَيُوسُفُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَالْكَهْفُ، وَالشُّعَرَاءُ، ويس، وَالْحُجُرَاتُ، وَالرَّحْمَنُ، وَالْحَدِيدُ، وَالصَّفُّ، وَالْجُمُعَةُ، وَالتَّحْرِيمُ، وَالْمُلْكُ، وَالْحَاقَّةُ، وَنُوحٌ، وَالْجِنُّ، وَالْقِيَامَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَالنَّبَأُ، وَالنَّازِعَاتُ، وَالانْفِطَارُ، وَالْمُطَفِّفِينَ، وَالِانْشِقَاقُ، وَالْبُرُوجُ، وَالْفَجْرُ، وَخَمْسٌ بَعْدَهَا، وَالْعَلَقُ وَمَا بَعْدَهَا.

وَالسُّوَرُ الَّتِي فِيهَا النَّاسِخُ فَقَطْ: الْفَتْحُ، وَالْحَشْرُ، وَالْمُنَافِقُونَ، وَالتَّغَابُنُ، وَالطَّلَاقُ، وَالأَعْلَى.

وَالَّتِي فِيهَا النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ: الْبَقَرَةُ، وَثَلَاثٌ بَعْدَهَا، وَالأَنْفَالُ، وَبَرَاءَةٌ، وَمَرْيَمُ، وَالأَنْبِيَاءُ، وَالْحَجُّ، وَالنُّورُ، وَالْفُرْقَانُ، وَالأَحْزَابُ، وَسَبَأٌ، وَالْمُؤْمِنُ، وَالشُّورَى، وَالذَّارِيَاتُ، وَالطُّورُ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُجَادَلَةُ، وَالْمُزَّمِّلُ، وَالْمُدَّثِّرُ، وَالتَّكْوِيرُ، وَالْبَوَاقِي فِيهَا الْمَنْسُوخُ فَقَطْ(٢).

الرَّابِعَةُ -الفائدة الرابعة-: قَالَ السُّدِّيُّ: لَمْ يَمْكُثْ مَنْسُوخٌ مُدَّةً أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] الآيَةَ، بقية هذه الآية: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ وهذا هو الشاهد، وكان الأولى أن يأتي به السيوطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأول الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ففي الآية الأولى يقول الله سبحانه وتعالى حكايةً عن نبيه ﷺ وقاصًّا عنه: ﴿وَمَآ

(١) الحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. المستدرك، للحاكم (٢/ ٣٤١).

(٢) انظر: ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، لابن البازري (ص ٢٢)، بيان المعاني، العاني (٥/ ٧١).

أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ من الجزاءِ الأخرويِّ، ثم نُسِخَ ذلك بالآية التي في أول الفتح وهي قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، مَكَثَتْ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى نَسَخَهَا أَوَّلُ الْفَتْحِ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ[١].

الضَّرْبُ الثَّانِي: مَا نَسَخَهُ سُنَّةٌ، وَاخْتُلِفَ فِي جَوَازِ هَذَا وَالَّذِي بَعْدَهُ.

هل السنة تنسخ الكتابَ أو لا؟ اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين: الأول: لا يجوز أن تنسخ السنةُ القرآنَ، والثاني: يجوز أن تنسخ السنةُ القرآنَ، والراجحُ -إن شاء الله- أنه لا بأسَ أن تنسخ السنة القرآن؛ لأن السنة وَحْيٌ، كما أن القرآن وحي، لكن القرآن وحي من الله تبارك وتعالى بالمعنى واللفظِ معًا، والسنةُ وحيٌ بالمعنى من الله، واللفظُ من رسول الله ﷺ[٢]، كما أن الجميع مجمعون على أن القرآن إذا نزل بلفظ مجمل ففَسَّرَهُ رسول الله ﷺ وبَيَّنَهُ كان بمنزلة القرآن المتلو، فكذا سبيل النسخ[٣].

مِثَالُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٠] نَسَخَهُ قَوْلُهُ ﷺ: «لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[٤]، وَمَنْ أَنْكَرَهُ قَالَ: النَّاسِخُ آيَةُ الْمِيرَاثِ. ومن أنكر نسخَ السنة للكتاب يقول: لم ينسخ هذا حديثٌ، إنما نسخه الآيةُ التي بَيَّنَتِ المواريثَ، وبينت الوصية للأهل وللذرية وللأقارب العصبة... إلى آخر ما بينت تلك الآيات، والذي يُقِرُّ نسخَ

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، الزهري (ص ٣٣)، الناسخ والمنسوخ، المقري (ص ١٦٠).

(٢) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، السيوطي (ص ٣).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس (ص ٥٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث (٢/ ٩٠٦)، (٢٧١٤). حديث صحيح. خلاصة البدر المنير، لابن الملقن (٢/ ١٤٢).

السنة للكتاب يقول: نُسِخَ بقوله ﷺ: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»(١)، أي: لا يقول الموصي: لبنتي كذا، ولبنت ابني كذا؛ لأنه: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» لأنهم يرثون ولو لم ينصَّ على ذلك الموصي.

الضَّرْبُ الثَّالِثُ: مَا كَانَ نَاسِخًا لِسُنَّةٍ؛ كَآيَةِ الْقِبْلَةِ؛ فَإِنَّهَا نَاسِخَةٌ لاسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الثَّابِتِ بِالسُّنَّةِ.

اتفق العلماء على أن النبي ﷺ قبل أن يؤمر بالتوجه نحو الكعبة كان يصلي إلى بيت المقدس، وذلك قبل أن يهاجر وبعد الهجرة بسنة وأشهر، غير أنه كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، ثم نزلت آية النسخ، واختلفوا في المنسوخ هل كان ثابتًا بنص الكتاب أو بالسنة؟ فذهبت طائفة إلى أن المنسوخ كان ثابتًا بالسنة، ثم نُسِخَ بالكتاب، وهو مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن(٢)، فقد صلى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت(٣)، ولم يكن النبي ﷺ مأمورًا بالصلاة إلى بيت المقدس، ولكنه كان يتبع آثار الأنبياء قبله، فنُسِخَتِ السنة بالقرآن، وذهب قوم إلى أنه ثابت بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤](٤).

---

(١) انظر: فهم القرآن ومعانيه، المحاسبي (ص ٤٥٨)، الناسخ والمنسوخ، النحاس (ص ٨٨).
(٢) انظر: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، الحازمي (ص ٦٢).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ، الزهري (ص١٨).

الْقِسْمُ الثَّانِي: مَا نُسِخَ رَسْمُهُ دُونَ حُكْمِهِ[١]، وَهُوَ كَثِيرٌ أَيْضًا، فَقَدْ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: قَدْ أَخَذْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهُ مَا ظَهَرَ»[٢].

في هذه المسألة كلام كثير، وقد كثرت فيها الشبهاتُ، وكثر فيها كلام المستشرقين، وقد استشهدوا بأمثال هذه الآثار استشهادًا مُخِلاًّ؛ لأن هذه عادتُهم! وفهموا منها ما لا يُفهم، فقَصْدُهُمْ خبيثٌ معروفٌ، ولبَّسوا في كثير من كتبهم في هذه المسألة.

وإسماعيلُ بنُ إبراهيمَ هو ابن عُلَيَّةَ المحدثُ المشهورُ المعروف[٣]، وأيوب، هو أيوب السَّخْتِيَانِيُّ أيضًا الإمام الكبير الثقة رَحِمَهُ اللهُ[٤]، فالأثرُ صحيحٌ، لكن كلام ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا محمول على ما كان في حياة رسول الله ﷺ، حيث كانوا يقرؤون سُوَرًا ذَهَبَ بعضُها وبقي بعضُها الآخرُ، أو ذَهَبَتْ كلُّها كما سيأتي في الآثار، أما بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ فإن للقائل أن يقول: أخذتُ القرآنَ، وحفظتُ القرآنَ، وقرأتُ القرآنَ، بلا نكيرٍ. ولو قال إنسان اليومَ: قد أخذتُ من القرآن ما ظَهَرَ، لكان في هذا لَبْسٌ على العامة الذين لا يفهمون هذا الكلام، ومدخلٌ لبعض المبتدِعة مثل الشيعة وغيرهم الذين يقولون: إن القرآن قد ذهب منه شيءٌ كثيرٌ، وهو باقٍ عندنا؛ أي: عند الشيعة!![٥]، لكنهم كاذبون في هذا؛

---

(١) انظر: المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ (ص ١٣).

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٠).

(٣) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ١٠٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، لابن حجر (ص ١١٧).

(٥) انظر: شم العوارض في ذم الروافض، القاري (ص ٨٤)، مختصر التحفة الإثني عشرية، الدهلوي =

لأن القرآن هو ما اجتمعت عليه الأمةُ وهو بينَ أيدينا اليوم، وهـو القـرآنُ البـاقي، فلا يقول أحدُنا اليومَ: قد أخذتُ منه ما ظهر أو ما بقي!

وَقَالَ -أي: أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه فضائل القرآن-: **حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَتْ سُورَةُ الْأَحْزَابِ تُقْرَأُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ مِائَتَيْ آيَةٍ، فَلَمَّا كَتَبَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ لَمْ يَقْدِرْ مِنْهَا إِلَّا عَلَى مَا هُوَ الْآنَ»(١)، وَهُوَ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ آيَةً(٢)، قَالَهُ الْجَلَالَانِ(٣)**، وهذا الأثرُ محمولٌ أيضًا على أنها قد نُسِخَ منها في حياة رسول الله ﷺ، فلا يصحُّ أن ينتقل رسولُ الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقد بقي شيءٌ من القرآن سَيُرْفَعُ بعدَه أبدًا، فهذا الكلام غير صحيح وغير دقيق، وإنما تتكلم عائشة على ما كان في حياة رسول الله ﷺ، حتى لَمَّا جاء عثمان يريد أن يجمعَ المصاحفَ لم يَقْدِرْ، أي: لم يُوجَدْ من القرآن إلا ما هو معروف اليوم من سورة الأحزاب المشهورة وهي ثلاث وسبعون آيةً أو ثنتان وسبعون آية على اختلافِ أهلِ العَدِّ، وهذا محمول على ما رُفع في حياة رسول الله ﷺ.

وَقَالَ: -أي: أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن-: **حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فُضَالَةَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: كَمْ كَانَتْ تُعَدُّ سُورَةُ الْأَحْزَابِ؟ قُلْنَا: ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ آيَةً، أَوْ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً. فَقَالَ: إِنْ كَانَتْ لَتَعْدِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَإِنْ كُنَّا لَنَقْرَأُ فِيهَا آيَةَ الرَّجْمِ،**

=

(٥٠)، الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي (ص٨٥).

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٠).

(٢) انظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، اليشكري (ص ١٢٢).

(٣) انظر: تفسير الجلالين، للجلالين (ص ٥٤٨).

قُلْتُ: وَمَا آيَةُ الرَّجْمِ؟ قَالَ: «إِذَا زَنَى الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ مُخْتَصَرًا وَصَحَّحَهُ(٢).

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ أَنَّ خَالَتَهُ قَالَتْ: لَقَدْ أَقْرَأَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ آيَةَ الرَّجْمِ: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ بِمَا قَضَيَا مِنَ اللَّذَّةِ»(٣).

وَقَالَ -أي: أبو عبيد-: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي حُمَيْدٍ عَنْ حُمَيْدَةَ بِنْتِ أَبِي يُونُسَ قَالَتْ: قَرَأَ عَلَيَّ أَبِي وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً فِي مُصْحَفِ عَائِشَةَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، وَعَلَى الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي الصُّفُوفِ الْأُوَلِ»، قَالَتْ: قَبْلَ أَنْ يُغَيِّرَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ(٤).

حُمَيْدَةُ بنتُ أبي يونس، لعل أبا يونس هذا هو مولى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو ثِقة، أخرج عنه الشيخان وغيرُهما رَحِمَهُمَا اللَّهُ(٥)؛ فهو الأقرب.

ومعنى: (قبلَ أن يُغَيِّرَ عثمانُ المصاحفَ)، أي: قبلَ أن يقعَ الإجماعُ من الصحابة -المهاجرين والأنصار-، ومن كبار التابعين الموجودين في المدينة

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٥٤). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢١)، الحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. المستدرك، للحاكم (٤/ ٤٠٠) (٨٠٧٠).

(٤) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٤).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥/ ٢٢٧)، تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ٦٨٥).

آنذاك على ثبوت الآيات في المصحف كما هي موجودة بينَ يدينا الآنَ، فعثمانُ لا يستطيع هو ولا غيرُه أن يغيرَ المصحفَ، إنما ذاك إلى الله تبارك وتعالى يأمر به رسولَه في حياته ﷺ، أما بعد أن قُبِضَ رسول الله ﷺ فليس ذلك إلى عثمان، كلما فَعَلَهُ عثمانُ رضي الله عنه هو أَنْ أَثْبَتَ في المصحف ما هو موجودٌ بينَ أيدينا الآنَ لاعتباراتٍ كثيرةٍ، منها كثرةُ الخلافِ[1]، واستقر هو والصحابة الكبار رضي الله عنهم أجمعين على كتابة ما استقر عندَهم أنه قرآنٌ متواترٌ عن رسول الله ﷺ، أما غيرُ ذلك مما نُسِخَ في العَرْضَةِ الأخيرةِ، ومما سمعه بعضُ الصحابة من رسول الله ﷺ في زمن مضى، ثم نُسخ بعد ذلك إما في العرضة الأخيرة أو قبلَها، فهذا كله أزاله عثمان رضي الله عنه من المصاحف، مثلَ بعض قراءة ابن مسعود، وبعض قراءة أُبَيِّ بنِ كعبٍ، وهي القراءات الشاذة[2]، فمثل هذا أزاله عثمان رضي الله عنه من المصاحف، هذا على الإطلاق الذي أطلقته حميدةُ أن عثمان غير المصاحف، أما غير ذلك فلا يجوز أن يُظَنَّ أن عثمانَ رضي الله عنه يستطيع هو أو أكبر منه أن يمسَّ المصحفَ المعروفَ بينَ المسلمين.

وَقَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَتَيْنَاهُ فَعَلَّمَنَا مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ. قَالَ: فَجِئْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: (إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِيًا لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ الثَّانِي، وَلَوْ كَانَ لَهُ الثَّانِي لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا الثَّالِثُ، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ

---

(١) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني (ص ١٢٣).

(٢) انظر: الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني (ص ٦١).

إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ)»(١).

الروايةُ الموجودةُ في فضائل القرآن: «وَلَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ»(٢)، وأبو واقد الليثيُّ هو الحارث بن عوف، وقيل: الحارث بن مالك رضي الله عنه، أحد الصحابة الذين عُمِّرُوا وتأخر في الوفاة إلى سنةِ ثمان وستين، وعمره خمس وثمانون سنة رضي الله عنه(٣).

وَقَالَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الأَسَدِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: أَنْبَأَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، فَقَرَأَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البَيِّنَة: ١] وَمِنْ بَقِيَّتِهَا: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ فَأُعْطِيَهُ سَأَلَ ثَانِيًا، وَإِنْ سَأَلَ ثَانِيًا فَأُعْطِيَهُ سَأَلَ ثَالِثًا، وَإِنْ سَأَلَ ثَالِثًا فَأُعْطِيَهُ سَأَلَ رَابِعًا، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ، وَإِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ غَيْرُ الْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ، وَمَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ»(٤).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي

---

(١) أخرجه القاسم ين سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٢)، وأحمد في المسند (٢١٩٠٦).
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ١٤٠): رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٢)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٣٩) قال رسول الله ﷺ: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب، أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٧/ ٣٧٠).

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (٣٨٩٨)، والحاكم في المستدرك (٢٨٨٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

حَرْبِ بْنِ أَبِي الأَسْوَدِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةٌ نَحْو (بَرَاءَةَ) ثُمَّ رُفِعَتْ وَحُفِظَ مِنْهَا: «إِنَّ اللهَ سَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لا خَلاقَ لَهُمْ، وَلَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ مَالٍ لَتَمَنَّى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[١].

وَقَالَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَمْشَادَ الْعَدْلُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْيَشْكُرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ الْعُرَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ -هو الثوريُّ المشهور- عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «مَا تَقْرَءُونَ رُبْعَهَا -يَعْنِي: (بَرَاءَةَ)- وَإِنَّكُمْ تُسَمُّونَهَا سُورَةَ التَّوْبَةِ، وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»[٢]. هذا حديثٌ يقول الحاكمُ: صحيحٌ، وَوَافقَهُ الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٣].

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنْ سَعِيدٍ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ -هو الكندي وهو ثقة ثَبْتٌ رَحِمَهُ اللهُ-[٤] عَنْ عُدَيِّ بْنِ عُدَيٍّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «كُنَّا نَقْرَأُ: لا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ»، ثُمَّ قَالَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: (أَكَذَلِكَ؟) قَالَ: نَعَمْ[٥].

وَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ الْجُمَحِيِّ، وَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي

---

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (٣٢٧٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٢٨).

(٣) انظر: المستدرك، الحاكم (٢/ ٣٦١).

(٤) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ١٧٥).

(٥) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٤)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٣٠) في حديث طويل وفيه: إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

مُلَيْكَةَ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ -وهو وأبوه صحابيان[١]- قَالَ عُمَرُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ: أَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا: (أَنْ جَاهِدُوا كَمَا جَاهَدْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)، فَإِنَّا لا نَجِدُهَا؟ فَقَالَ: (أُسْقِطَتْ فِيمَا أُسْقِطَ مِنَ الْقُرْآنِ)[٢].

وَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو الْمَعَافِرِيِّ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ الْكَلاعِيِّ أَنَّ مَسْلَمَةَ بْنَ مخلدٍ الأَنْصَارِيَّ قَالَ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ: أَخْبِرُونِي بِآيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يُكْتَبَا فِي الْمُصْحَفِ، فَلَمْ يُخْبِرُوهُ، وَعِنْدَهُمْ أَبُو الْكَنُودِ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ مَسْلَمَةُ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَلَا أَبْشِرُوا أَنْتُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ آوَوْهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَجَادَلُوا عَنْهُمُ الْقَوْمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ أُولَئِكَ لا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[٣].

وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو سَهْلٍ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَاقِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَرْقَمَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ. يعني: سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثبْتٌ عابد فاضل[٤]. قَالَ: قَرَأَ رَجُلَانِ سُورَةً أَقْرَأَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَانَا يَقْرَآنِ بِهَا، فَقَامَا ذَاتَ لَيْلَةٍ يُصَلِّيَانِ فَلَمْ يَقْدِرَا مِنْهَا عَلَى حَرْفٍ فَأَصْبَحَا غَادِيَيْنِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهَا مِمَّا نُسِخَ وَأُنْسِيَ فَالْهُوا عَنْهَا»[٥]. سليمان بن أرقم متروكٌ؛ كما قال

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٦/ ٤١، ٩٣).

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٢٥).

(٣) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٠١).

(٤) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ٢٢٦).

(٥) أخرجه الطبراني في معجميه، الأوسط (٤٦٣٧)، والكبير (١٣١٤١).

الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجمع الزوائد»(١)، فالحديث ضعيفٌ جِدًّا(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ فِي قِصَّةِ بِئْرِ أَصْحَابِ مَعُونَةَ الَّذِينَ قُتِلُوا، وَقَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى قَاتِلِيهِمْ، قَالَ أَنَسٌ: وَنَزَلَ فِيهِمْ قُرْآنٌ قَرَأْنَاهُ حَتَّى رُفِعَ: «أَنْ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا»(٣).

وهذه الآثارُ المجتمعةُ التي أوردها السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، معرفتها خيرٌ من جهلها؛ لئلا يفجأ طالبَ العلم بها أحدٌ من الناس ويقول: ما هذه الآيات التي قيل بأنها رُفعت؟

والجواب سهلٌ جِدًّا؛ لأن الأمر إلى الله تبارك وتعالى، أنزل قرآنًا تلاه بعضُ المسلمين في بعضِ الأزمنةِ، ثم رفعه سبحانه وتعالى، وقد أَنْبَأَنَا بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البَقَرَة: ١٠٦]، والقراءة الأخرى: ﴿ما ننسخ من آية أو نَنْسَأْهَا﴾(٤)، فقوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ هذا مما نُسِيَ، فَإِنَّ الله تبارك وتعالى يُنْسِي بعضَ الآيات، ويرفعُ بعضَ الآيات، وهي باقيةٌ في الأذهان، مثل: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» قد كان ذلك باقيًا في أذهان الصحابة حتى عهد عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥)، فإما أن ينسخها الله تبارك وتعالى وتبقى في الأذهان؛ لأنهم كانوا يقرؤونها ويستطيعون قراءتَها لمن أراد أن يعلم، أو أن الله تبارك وتعالى يُنسي الصحابةَ

---

(١) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي (٦/ ٣١٥).

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٣٣).

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٨١٤)، ومسلم (٦٧٧).

(٤) انظر: معاني القرآن، الفراء (١/ ٦٥).

(٥) انظر: فهم القرآن ومعانيه، المحاسبي (ص ٣٩٨).

بعضَ الآيات، والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء.

لكن الذي يجب أن يُعْرَف أن ذلك كان في حياة رسول الله ﷺ، فلا تُقبل دعوى مثل هذه بعدَ وفاةِ رسول الله ﷺ. والأمرُ الآخَرُ أنه ليس بقرآن؛ لذلك أَثَرُ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما الذي قرأناه: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: قَدْ أَخَذْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ قُرْآنٌ كَثِيرٌ»[١] فالذي ذهب لا يُعَدُّ قرآنًا بالنسبة لنا؛ لذلك يَسُوغُ لنا أن نقول: قَرَأْنَا القرآنَ كلَّه، وما قاله ابن عمر فهو اجتهادٌ منه رضي الله عنه وأرضاه، لكن الذي رُفِعَ لا يُسَمَّى: قرآنًا، فلا يجوز لنا اليومَ أن نقرأ به في الصلاة، ولو اعتقدناه قرآنًا لكان كُفْرًا والعياذ بالله، ولكن نعتقد أن تلك آياتٌ أُنْزِلَتْ في زمن ما ثم رُفِعَتْ، إما أن تُنْسَى تمامًا، أو أن تُنْسَخَ تلاوةً وتبقى في الأذهان، وليس في هذا شيء؛ فإن الله تعالى يفعل ما يشاء، والذي بقي بعد أن قُبض رسول الله ﷺ هو القرآن.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: مَا نُسِخَ رَسْمُهُ وَحُكْمُهُ مَعًا[٢]، كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ: «كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ فَنُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ»[٣]. كان الأمر كما تقول عائشة: عشرُ رضعاتٍ يَجْرِي فيها التحريمُ، أما الذي بقي الآنَ فهو خمس رضعات على اختلافٍ بينَ الأئمةِ، منهم مَنْ يقول: المصةُ والمصتانِ[٤]، ومنهم من يقول: ثلاثُ رضعاتٍ[٥]، ومنهم من

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: فهم القرآن ومعانيه، المحاسبي (ص ٣٩٨)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٧٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٥٢)، وهو مما انفرد به مسلم، ولم يخرجه البخاري. انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المزي (١٢/ ٤٠٨).

(٤) مذهب الحنفية، ورواية عن أحمد. انظر: النتف في الفتاوى، السغدي (١/ ٣١٦)، المغني لابن قدامة (٨/ ١٧١).

(٥) مذهب أصحاب الظواهر. انظر: المحلى بالآثار، لابن حزم (١٠/ ١٩١).

يقول: خمس رضعات[١] كما في حديث عائشة[٢]. هذا ما نُسِخَ رسمُه وحكمُه معًا.

والقسمُ الأولُ: نُسِخَ حكمُه دونَ رسمِه مثلَ آياتِ العدةِ التي أوردها، أي: بقي رسمُها في المصحف. والقسمُ الأوسط: نُسِخَ رَسْمُهُ وبقي حكمه، وفيه الآثارُ الكثيرةُ؛ إذ حكمُه عامٌّ؛ كآيات الترغيب، وآيات الجهاد، وآيات الأحكام الشرعية، ورجمُ الزاني، فهذه أحكامٌ باقيةٌ ما نُسِخَتْ ولا رُفِعَتْ، وأظنُّ هذا الموضوعَ ضَخَّمَهُ المستشرقون والملحدون وأعداءُ الإسلام قديمًا وحديثًا، لكن ليس فيه شيء إن شاء الله، إِنْ فُهِمَ على هذا النحو.

أما آيات الشيعة التي يَدَّعُونَهَا، ويقولون: عندنا قرآنُ فاطمةَ[٣]، فهم كَذَبَةٌ؛ لأنه لو كان قرآنًا لكانوا أظهروه وطَبَعُوهُ، لكن ليس عندهم شيءٌ. وإجماع الأمة مستقِرٌّ على أن مَنِ ادَّعَى أن هناك قرآنًا غيرَ هذا فهو كافرٌ بالله العظيم، وكافرٌ بالرسالة المحمدية، على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام، فمَنِ ادَّعَى وجودَ حرفٍ خارجَ الدفتينِ المعروفتينِ اليومَ فقد كَفَرَ بالله العظيم، وَمَنِ ادَّعَى النقصَ فيه فقد كَفَرَ بإجماعِ الأمةِ أيضًا[٤]، فلا يُعْتَبَر كلام الشيعة أبدًا؛ فهم قومٌ ضَالُّونَ.

---

(١) مذهب الشافعية، والصحيح من مذهب الحنابلة. انظر: الأم للشافعي (٥/ ٢٩)، المغني، لابن قدامة (٨/ ١٧١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) يقولون: عليكم بهذا القرآن حتى يظهر قرآن فاطمة. انظر: لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، حسين الموسوي (ص ٨٠).

(٤) قال ابن حزم: كل ما في القرآن حق، وأن من زاد فيه حرفًا من غير القرءات المروية المحفوظة المنقولة نقل الكافة، أو نقص منه حرفًا، أو بدل منه حرفًا مكان حرف، وقد قامت عليه الحجة أنه من القرآن، فتمادى متعمدًا لكل ذلك عالمًا بأنه بخلاف ما فعل، فإنه كافر. انظر: مراتب الإجماع، لابن حزم (ص ١٧٤).

النوع الرابع والستون: ما عمل به واحدٌ ثم نسخ

هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ [الْمُجَادَلَة: ١٢]، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: قَالَ جَمَاعَةٌ: لَمْ يُعْمَلْ بِهَذِهِ الآيَةِ بَلْ نُسِخَ حُكْمُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ(١)، وَصَحَّ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: «مَا عَمِلَ بِهَذِهِ الآيَةِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَلا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي» رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَفِيهِ: «كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ»(٢) (بعته) مثلُ قولنا اليومَ: صرفتُه؛ لأن الدينار يكون من الذهب(٣)، ويختلف حسبَ وزنِ الذهبِ الذي فيه، إن كان ذهبًا خالصًا فهو اثنا عشر درهمًا كما هو معروف، وإن كان مخلوطًا فهو أقلُّ من ذلك، فكان الدينارُ في ذلك الزمان يساوي عشرة دراهم، فَكُنْتُ كُلَّمَا نَاجَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَايَ دِرْهَمًا، ثُمَّ نُسِخَتْ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ [الْمُجَادَلَة: ١٣] الآيَةَ.

أنزل اللهُ تبارك وتعالى هذه الآيةَ آمِرًا المؤمنين إذا أَرَادُوا أن يُكَلِّمُوا رسولَ الله ﷺ فإنَّ عليهم أن يتصدقوا بشيء، فهذه الآية نزلت ولم يَعْمَلْ بها أحدٌ إلا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٤)، كما ذكر ذلك الحاكمُ وقال: حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخينِ وَوَافقَهُ الإمامُ الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٥)، والحديثُ صحيحٌ إن شاء الله، ولم يَعْمَلْ بالآية أحدٌ من الصحابة؛ لأن مدتَها لم تَمْكُثْ كثيرًا في الأرض، إنما نُسِخَتْ ببقية

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥/ ٢٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢١٢٥)، والترمذي في السنن (٣٣٠٠)، والحاكم في المستدرك (٣٧٩٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي (١/ ٢٦٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٢).

(٥) انظر: المستدرك، الحاكم (٢/ ٥٢٤).

الآية: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الْمُجَادَلَة: ١٣]، فنُسخت هذه الآيةُ سريعًا فلم تَبْقَ حتى يَعْمَلَ بها عددٌ من المؤمنين، إنما عَمِلَ بها عَلِيٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١)، ولعله قد سمع نزولَ الآية فَبَادَرَ وأتى بالدراهم وقدَّمها بين يَدَيْ نَجْوَاهُ لرسول الله ﷺ، وقد سمع بها بعضُ الصحابةِ ولم يسمع بها الأكثرُ، وهو الأقربُ، واللهُ أعلمُ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَـذِهِ الآيَـةُ قَـالَ لِـيَ النَّبِـيُّ ﷺ: «مَـا تَـرَى؟ دِينَـارٌ؟» -يعني: يقدمون دينارًا بين يَدَيْ نَجْوَاهُمْ قبل أن يُكَلِّمُوا رسولَ اللهِ ﷺ؟- **قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: «فَنِصْفُ دِينَارٍ؟» قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: «فَكَمْ؟» قُلْتُ: شَعِيرَةٌ** -أي: وزن شعيرةٍ من الذهبِ- **قَـال: «إِنَّـكَ لَزَهِيـدٌ» فَنَزَلَـتْ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ [الْمُجَادَلَة: ١٣] الآيَةَ، قَالَ: فَبِي خَفَّفَ اللهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ(٢).**

قَالَ مُقَاتِلٌ: بَقِيَ هَذَا الْحُكْمُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ(٣)، وَقَالَ قَتَادَةُ: سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ(٤). قُلْتُ(٥): الظَّاهِرُ قَوْلُ قَتَادَةَ كَمَا لا يَخْفَى.

الأقربُ قولُ قتادةَ: أنها بقيت ساعة من نهار، أيْ: بَقِيَتْ مدةً قليلةً من الزمان ثم نُسِخَتْ، والله تعالى أعلمُ بحكمةِ هذا، فكان كل نجوى بشعيرة(٦)، والشعيرة:

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، المقري (ص١٧٤)، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، الكرمي (ص٢٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٣٣٠٠).

(٣) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (٩/ ٢٦٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٤).

(٥) أي: السيوطي.

(٦) أي: كلما ناداه يقدم في كل مرة شعيرة. انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٥/ ٤٧)، تيسير =

أي: وَزْنُهَا ذَهَبًا، كما وجهها كذلك الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامعِه[١]، وقد كانوا يزنون بالحبات: حبة قمح، وحبة شعيرة من فضة ومن ذهب[٢].



=

الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (٨٤٦).

(١) انظر: سنن الترمذي (٥/ ٤٠٦).

(٢) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي (٥/ ٥٤)، رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين (٢/ ٢٩٧).

النوع الخامس والستون
ما كان واجبًا على واحدٍ فقط

هَـذَا النَّـوْعُ مِـنْ زِيَـادَتِي، وَهُـوَ لَطِيـفٌ إِلَّا أَنَّ أَمْثِلَتَـهُ إِنَّمَـا تُوجَـدُ كَثِيـرَةً فِـي الْحَدِيثِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُ إِلَّا خَصَائِصُ النَّبِيِّ[(١)]، فَمِنْهَا: التَّهَجُّدُ[(٢)]، فَإِنَّهُ كَـانَ وَاجِبًـا عَلَيْـهِ وَحْـدَهُ ﷺ بِقَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ [الإِسْرَاء: ٧٩].

الذين قالوا بأن التهجدَ لـم يكـن واجبًا عليه ﷺ قـالوا: إن الله يقـول: ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ فكيف يكون واجبًا؟[(٣)]، والذين قالوا بأن التهجد واجبٌ عليه ﷺ إلـى أن الْتَحَقَ بـالرفيق الأعلى سبحانَه وتعـالى، قـالوا: إن (النافلـة) هنـا بمعنـى الـشيء الزائد عن الفريضة، أي: فريضة زائدة على الفريضة[(٤)]، فَرَدَّ عليهم الـذين قـالوا بأنه ليس واجبًا: كيف والله تعـالى افترض على الأمة خمسَ صـلوات فقـط[(٥)]، فكيف يكون هذا التهجدُ واجبًا على النبي ﷺ واجبَ زيادةٍ عن أمته؟

والجواب: ليس في ذلك شيء، فإن معنى كونها نافلة لـه على التخـصيص، أي: أنها فريـضة عليك زائـدة على الـصلوات الخمـس خصـصت بهـا مـن بـين أمتك[(٦)]، فلله تعـالى أن يوجـب على النبي ﷺ مـا شـاء، فيكـون خاصًّـا بـه ﷺ.

---

(١) خطاب خاص للنبي ﷺ لا يشركه في ذلك غيره. انظر: معالم السنن، الخطابي (٢/ ٧).

(٢) صلاة الليل. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٢/ ٥٥٥).

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٥/ ١١٥).

(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٥٥)، تفسير القرآن، السمعاني (٣/ ٢٦٩)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٥/ ١١٥).

(٥) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (١٣/ ٢٦٠).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢١/ ٣٨٧).

وعددٌ من أئمة الإسلام على أن التهجُّدَ كَانَ واجبًا على رسول الله ﷺ إلى أن توفي، وبعضهم قال: إنه كان واجبًا على النبي ﷺ والصحابة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المُزَّمِّل: ١-٢] ومكثوا سنةً يتهجدون رضي الله عنهم[(١)]، ومعهم رسولُ الله ﷺ حتى تَوَرَّمَتْ أقدامُهم[(٢)]، ثم خُفِّفَ عليهم بعدَ ذلك في أواخر سورة (المزمل)، ولعل من حكمة ذلك أن يُعِدَّهُمُ اللهُ تبارك وتعالى ويعينَهم على تلقي الشدائد من قريش ومن قبائل العرب؛ لأن التهجد مدرسةٌ عظيمةٌ كما هو معلوم، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسْرَاء: ٧٩] أي: أمرًا زائدًا عن الفريضة.

وَمِنْهَا: وُجُوبُ التَّضْحِيَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الْكَوْثَر: ٢].

الصحيحُ -إن شاء الله- أن التضحية في العيد سُنَّةٌ مؤكدةٌ عليه وعلى أُمَّتِهِ، كمَا ذَكَرَ ذلك (القرطبي)، وَفَصَّلَ فيه في سورة (الصافات) من كتابه، من الطبعة المصرية، الجزء الخامس عشر في صفحة ١٠٧ وما بعدها، فَصَّلَ فيها تفصيلًا كثيرًا رحمه الله هل تجب الأضحية على قول بعض الناس، أو أنها سُنَّةٌ مؤكدةٌ لا ينبغي تَرْكُهَا إلا على الحاجِّ في مِنًى، فإن له أن يضحيَ أو أن لا يضحي بحسب نُسُكِهِ وما أتى به كما هو قول الجمهور، فليرجع لها من أراد[(٣)].

وَمِنْهَا: وُجُوبُ طَلاقِ كَارِهَتِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأَحْزَاب: ٢٨][(٤)]. أي: لو

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٠).
(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٦/ ١٢٥).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/ ١٠٧-١٠٩).
(٤) انظر: أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد الأشقر (١/ ٢٧٢).

كرهت امرأةٌ من أزواجه المقام معه على الشدة التي كانت بحياته ﷺ وجب أن يُطَلِّقُهَا، كما قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ يَمُرُّ عَلَيْنَا الْهِلالُ ثُمَّ الْهِلالُ ثُمَّ الْهِلالُ وَلا يُوقَدُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ»(١)، فهذا أمر صعب لا تستطيعه كلُّ النساء، وقد اجتمع عليه أزواجُه وَسَأَلْنَهُ النفقةَ، فاعتزلهن رسولُ اللهِ ﷺ شهرًا: تسعةً وعشرين يومًا، فَأُنْزِلَتْ آيةُ التخييرِ(٢) كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قوله: (كارهته): أي: كارهة للمُقام معه ﷺ؛ لِشَظَفِ عيشِه وشدته؛ لأن الرسولَ ﷺ خَيَّرَهُ الله تعالى بينَ أن يكون مَلِكًا نَبِيًّا، وبينَ أن يكون عبدًا نَبِيًّا، فاختار ﷺ أن يكون عبدًا نبيًّا(٣)، وَنِعْمَ ما اختاره ﷺ!

دخل عليه عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرأى أثرَ الحصيرِ في جنبه فبكى، وقال: (يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ كَذَلِكَ وَكِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي مُلْكِهِمَا.....)(٤).

كأن المؤلف أَخَذَ من قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بأنه يجب على رسول الله ﷺ أن يُطَلِّقَ زوجتَه التي تَكْرَهُ المقامَ معه لشدةِ العيش؛ تَنْزِيهًا له ﷺ أن يقيم معه مَنْ لا يريد عيشَه، أما إن أقامت المرأةُ اليومَ مع زوجِها وهي لا تحب عيشَه، ولا تحب طريقةَ حياته، ولا تحبُّ شظفَه وشدتَه فليس عليه ولا عليها شيءٌ إن لم يطلقها، لكن ليس ذلك لرسول الله

(١) متفق عليه: البخاري (٢٥٦٧)، مسلم (٢٩٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٧٨).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦٧١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٣٢٧)، وشعب الإيمان (١٥٥). وضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة (١١/ ٦٩٠).

(٤) متفق عليه: البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

ﷺ؛ تَنْزِيهًا له ألاّ يقيمَ معه إلا مَنْ يحبه، ويحبُّ طريقتَه وحياتَه ﷺ.



النوع السادس والستون، والسابع والستون، والثامن والستون
الإيجاز، والإطناب، والمساواة

الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ: هِيَ مِنْ أَنْوَاعِ البلاغة، بل عَدَّهَا بعضُهم من أعظمِ أنواع البلاغة، بل عدها بعضهم بأنها هي البلاغة بعينها[١]، فعندما تريد أن تُعَبِّرَ عَمَّا في داخلك، فإما أن تُعَبِّرَ بألفاظٍ مساويةٍ للمعنى، فهذا يُدْعَى: مساواةً، أي: أن تتساوى الألفاظُ مع المعاني[٢]. أو أن تُعَبِّرَ بألفاظٍ زائدةٍ عن المعنى، فإن كان لفائدةٍ فيُسَمَّى: إطْنَابًا[٣]، تقول: أَطْنَبَ الخطيبُ اليومَ، إذا كَرَّرَ المعانيَ التي يجزئ عنها بعضُها، فَكَرَّرَهَا تكرارًا لكنه ليس لعدم فائدة، وليس لِعِيٍّ ولا لعدم قدرةٍ على التعبير، بل لفائدة، فهذا يُسَمَّى: إطنابًا. أما إن أطال الرجلُ وأتى بمعانٍ مكرَّرة بدون فائدة تُذْكَرُ، فإن هذا يسمى: تطويلًا أو حَشْوًا[٤].

وإن أتى بألفاظ أقلَّ من المعاني لفائدة فيسمَّى: إيجازًا[٥]، وبدون فائدة يسمَّى: إخلالًا، تقول: أَخَلَّ الرجلُ في كلامه، أي: لم يُبَيِّنْهُ، ولم يأتِ بالألفاظ المساوية للمعنى أو القريبة منه، وكان ذلك بدون فائدة[٦]، فإن كان لفائدة فيُسَمَّى: إيجازًا؛ لذلك كَثُرَ الإيجازُ جِدًّا في القرآن العظيم، وسيأتي أمثلةٌ كثيرةٌ؛

(١) انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص ١٧٣).
(٢) انظر: سر الفصاحة، الخفاجي (ص ٢١٧).
(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٧١).
(٤) الفرق بين التطويل والحشو: أن الحشو لفظ يتميز عن الكلام بأنه إذا حذف منه بقي المعنى على حاله، والتطويل هو أن يعبر عن المعاني بألفاظ كثيرة كل واحد منها يقوم مقام الآخر، فأي لفظ شئت من تلك الألفاظ حذفته، وكان المعنى على حاله، وليس هو لفظًا متميزًا مخصوصًا، كما كان الحشو لفظًا متميزًا مخصوصًا. انظر: سر الفصاحة، الخفاجي (ص ٢١٩).
(٥) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٧١).
(٦) الإخلال: نقص المعنى باختصار اللفظ. انظر: سر الفصاحة، الخفاجي (ص ٢١٨).

لأن الله تبارك وتعالى هو خالقُ البشرِ، وخالقُ اللغاتِ، ويعلم سبحانَه وتعالى كيفيةَ إيجاز الكلام على الدرجة الْمُعْجِزَةِ التي لا يستطيعها البشرُ أبدًا؛ لذلك نرى كثيرًا من آيات القرآن -خاصةً في سياق القصص القرآني- فيها إيجاز كثير.

وَهِيَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلاغَةِ، حَتَّى نَقَلَ صَاحِبُ «سِرّ الْفَصَاحَةِ» أَنَّ هَذِهِ الأَنْوَاعَ هِيَ الْبَلاغَةُ. كتاب: «سر الفصاحة» كتابٌ مطبوع[1] لابن سِنَانٍ الْخفَاجِيِّ الحلبيِّ[2]، وهو كتابٌ جيدٌ، فيه كلام جيد قَوِيٌّ عن البلاغة القُرْآنِيَّة، لكن للأسف صاحبُه شيعيٌّ معتزليٌّ، جَمَعَ السوءتين (التشيّع[3]، والاعتزال[4])[5]، وإن كان الكتاب جيدًا في بابه.

وَاخْتُلِفَ فِي حُدُودِهَا، وَالأَقْرَبُ مَا قَالَهُ صَاحِبُ «التَّلْخِيصِ» -كتاب «التلخيص في علومِ البلاغةِ» للقزويني رَحِمَهُ اللهُ، وهذا كتابٌ من أعجب الكتب، لا نستطيع أن نحصرَ الذين شرحوا هذا الكتابَ كثرة-: **إِنَّ الْمَقْبُولَ مِنْ طُرُقِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُرَادِ تَأْدِيَةُ أَصْلِهِ بِلَفْظٍ مُسَاوٍ لَهُ، أَوْ نَاقِصٍ عَنْهُ وَافٍ، أَوْ زَائِدٍ عَلَيْهِ لِفَائِدَةٍ[6]. وَالأَوَّلُ: الْمُسَاوَاةُ، وَالثَّانِي: الإِيجَازُ، وَالثَّالِثُ: الإِطْنَابُ.**

---

(١) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ). انظر تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٢/ ١٨٩).

(٣) الشيعة: هم الذين شايعوا عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا، وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٤٦).

(٤) المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء، اعتزل عن مجلس الحسن البصري. انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ٢٢٢).

(٥) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم (٢/ ٨٨٠)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٧/ ٢٧١).

(٦) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني (ص٢١٠-٢١١).

الناقص عنه بشرط أن يكون وافيًا هذا يُسَمَّى: إيجازًا، أو زائدًا عليه بشرط أن يكون لفائدة يُسَمَّى: إطنابًا.

فَخَرَجَ بِقَوْلِنَا: وَافٍ: الإِخْلالُ، فلو قلنا: ناقص عنه فقط، لكان هذا إخلالًا.

وَلِفَائِدَةٍ: التَّطْوِيلُ وَالْحَشْوُ. وَذَهَبَ ابْنُ الأَثِيرِ إِلَى أَنَّ الإِيجَازَ: التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُرَادِ بِلَفْظٍ غَيْرِ زَائِدٍ عَنْهُ[١]، وَالإِطْنَابَ: بِلَفْظٍ زَائِدٍ عَنْهُ[٢] فَتَدْخُلُ الْمُسَاوَاةُ فِي الإِيجَازِ وَلا وَاسِطَةَ. وَالأَقْرَبُ الأَوَّلُ.

يرى ابن الأثير أنه ليس هناك واسطةٌ بينَ الإيجازِ والإطنابِ. وابنُ الأثيرِ هو صاحب «المثل السائر»[٣]، وليس صاحب «النهاية في غريب الحديث والأثر»[٤] فهم ثلاثة إخوة، كُلٌّ منهم قد أَلَّفَ كتابًا مشهورًا: «الكامل في التاريخ»[٥]، و«النهاية في غريب الحديث والأثر»، و«المثل السائر».

فالأقربُ أن هناك واسطةً، وهناك كلامٌ مساوٍ لما في نفسك.

وَمَثَّلَ فِي «التَّلْخِيص» لِلْمُسَاوَاةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣][٦]، وَأُورِدَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ: أي: في التلخيص للقزويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَثَّلَ

---

(١) قال: هو حذف زيادات الألفاظ. انظر: المثل السائر (٢/ ٢٠٩).

(٢) قال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. انظر: المثل السائر (٢/ ٢٨٠).

(٣) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو الفتح الكاتب، ولد آخر شعبان سنة (٥٥٨هـ)، وتوفي: (٦٣٧هـ). انظر: تاريخ بغداد وذيوله، للخطيب (٢١/ ١٧٩).

(٤) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، توفى: ٦٠٦هـ. انظر: تاريخ بغداد وذيوله، للخطيب (١٥/ ٣٣١).

(٥) أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عزالدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٢/ ٣٥٤).

(٦) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني (ص٢١٣).

للمساواة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فقال: هذه ألفاظٌ مساويةٌ للمعاني، فالذين ناقشوه أَوْرَدُوا عليه شيئين: **أَحَدُهُمَا: أَنَّ فِيهِ إِطْنَابًا لأَنَّ السَّيِّئَ زِيَادَةٌ؛** لأن المكرَ لا يكون إلا سَيِّئًا، لكن هذا ليس تطويلًا، بل إطناب لفائدة؛ **لأَنَّ كُلَّ مَكْرٍ لا يَكُونُ إِلَّا سَيِّئًا، وَلأَنَّهُ بِاعْتِبَارِ مَا قَبْلَهُ تَذْيِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾** [فَاطِر: ٤٣]، والتذييلُ: هو أن يأتي عقبَ جملةٍ بجملة تُشَابِهُ الجملةَ الأولى لغرض التأكيد[(١)]، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾: تذييلٌ[(٢)].

ومثله أيضًا قولُ الله تعالى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإِسْرَاء: ٨١]، فجملة: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: تذييلٌ لقوله تعالى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، والغرضُ منها زيادةُ التأكيد[(٣)].

الثَّانِي: أَنَّ فِيهِ إِيجَازًا؛ لأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ إِذَا كَانَ مُفَرَّغًا فَفِيهِ إِيجَازُ الْقِصَرِ[(٤)]، وَإِلَّا فَفِيهِ إِيجَازُ قِصَرٍ بِالاسْتِثْنَاءِ، وَإِيجَازُ حَذْفٍ لِلْمُسْتَثْنَى مِنْهُ؛ فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ: (بِأَحَدٍ). أي: ولا يحيق المكرُ السيئُ بأحدٍ إلا بأهله، فَلَمَّا حُذِفَ: (بِأَحَدٍ) أصبح هناك إيجازٌ. وقيل: هو أسلوب مساواة دون إيجاز أو إطناب[(٥)].

وَمَثَّلَ فِي الإِيضَاحِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ

---

(١) قال الطالبي: التذييل: هو الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام. انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٦١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ٣٣٦).

(٣) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (١/ ٢٤٢).

(٤) انظر: النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن الرماني (ص ٧٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ٣٣٦).

عَنْهُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٨]. أي: مَثَّل للمساواة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾(١) فتُعقِّبَ أيضًا بأن فيه حذفَ الموصوف، فقوله تعالى: ﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ صفة، والموصوفُ محذوفٌ، أي: وإذا رأيتَ القومَ الذين يخوضون في آياتنا(٢)، فالنوعُ هنا إيجازٌ؛ لأنه حَذَفَ الموصوف، لكن له دلالةٌ.

وَأَمَّا الإِيجَازُ فَقِسْمَانِ: إِيجَازُ حَذْفٍ وَسَبَقَ أَمْثِلَتُهُ فِي مَجَازِ الْحَذْفِ، وَإِيجَازُ قِصَرٍ: وَهُوَ مَا لَا حَذْفَ فِيهِ، وَمِنْ أَبْلَغِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩] فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ وَلَفْظُهُ يَسِيرٌ؛ لأَنَّهُ قَائِمٌ مَقَامَ قَوْلِنَا: الإِنْسَانُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ يُقْتَصُّ مِنْهُ، كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا قَوِيًّا مَانِعًا لَهُ مِنَ الْقَتْلِ فَارْتَفَعَ بِالْقَتْلِ الَّذِي هُوَ قِصَاصٌ كَثِيرٌ مِنْ قَتْلِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَكَانَ ارْتِفَاعُ الْقَتْلِ حَيَاةً لَهُمْ. وَقَدْ كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَبْلَغُ عِبَارَةٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ) فَزَادَ عَلَيْهِ بِقِلَّةِ حُرُوفِ مَا يُنَاظِرُهُ مِنْهُ(٣). فالعربُ كانت تتغنى بهذا: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ)(٤) وكانت تظنه من أَبْرَعِ ما قِيلَ، ومن أبلغِ ما قيل! يعني: قتلُ الذي قَتَلَ أَنْفَى للقتلِ من المجتمع، لكن الله تبارك وتعالى أَتَاهُمْ بقولٍ لا قِبَلَ لهم به وهو: ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾، وسيأتي الآنَ المفاضلةُ بينَ هذا القولِ: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ)، وقولِ اللهِ تعالى: ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾.

فَزَادَ عَلَيْهِ بِقِلَّةِ حُرُوفِ مَا يُنَاظِرُهُ مِنْهُ، يقول في الهامش: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ)

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٨٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٨٨).

(٣) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني (ص٢١٤-٢١٥).

(٤) انظر: خاص الخاص، الثعالبي (ص ٣٧).

أربعةَ عشرَ حرفًا، بينما: (الْقِصَاص حَيَاةٌ) عشرة أحرف، وكلما قَلَّ المبنى عندَ العرب زاد ذلك في بلاغته وفي بيانه[١] وفي جماله، **وَالنَّصُّ عَلَى الْمَطْلُوبِ**؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾، والمطلوبُ مِنَ (الْقَتْل أَنْفَى لِلْقَتْلِ) ثبوت الحياة بالقتل[٢]. **وَمَا يُفِيدُهُ تَنْكِيرُ (حَيَاةٌ) مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَنْعِهِ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ**، حيث كانوا إذا قُتل سيدٌ قتلوا به جماعةً كُثُرًا، وإذا قُتِلَتْ أنثى من قبيلة كبيرة، قَتَلُوا بها ذَكَرًا من قبيلة محتقَرة، وإذا قُتل عبدٌ من قبيلة كبيرة قَتَلُوا به حُرًّا من قبيلة محتقرة وهكذا[٣]، والتنكيرُ إما أن يكون للتعظيم، وإما أن يكون للتحقير، وإما أن يكون لغير ذلك، وهنا: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾؛ أي: وَأَيُّ حياةٍ هي! فالتنكيرُ هنا للتعظيم[٤]. **وَاطِّرَادُهُ**، عندما تقول: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ) فلو أن هذه القبيلة قُتِلَ منها رجلٌ فقتلوا رجلين أو ثلاثةَ رجال، فهذا ليس قتلًا نَافِيًا للقتل، بل هو مُرَسِّخٌ للظلم، ومرسخ للثأر، وللعداوة والبغضاء، فليس كلُّ قتلٍ أنفى للقتل، لكن كلَّ قصاص حياةٌ[٥]؛ لذلك يقول: اطِّرَاده؛ أي: استمراره وعدم انقطاع الحكمة المرجوة منه، أما قولهم: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ) فقد يُقتل الإنسانُ ظلمًا، وقد يقتلونه تعديًا وتجاوزًا كما كانوا يصنعون، وهذا ليس بنافٍ للقتل، **وَخُلُوُّهِ مِنَ التَّكْرَارِ**؛ لأن قولهم: (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ) كلمتانِ

---

(١) انظر: سر الفصاحة، الخفاجي (ص ٢٠٩).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٨٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٢٢).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ١٢٢)، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٨٢).

(٥) انظر: تفسير ابن عرفة (٢/ ٥٢٥)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٢/ ١٠٦).

مكررتانِ، أما (الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) ليس فيها تكرارٌ[١]، **وَاسْتِغْنَاؤُه عَنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ، وَالْمُطَابَقَةُ.** ذَكَرَ ذلك في (الْقَتْلُ قِصَاصٌ) يقول: والتقدير: (القتلُ قصاصًا أَنْفَى للقتل ظلمًا مِنْ تركه)[٢]، هذا معنى قوله: والاستغناء عن تقدير محذوف.

والآيةُ -كما قال في الهامش- سَاقَ في الإتقان فيها عشرين وجهًا في المفاضلة، وأتى هنا بسبعة فقط.

وَأَمَّا الإِطْنَابُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِأُمُورٍ: أَحَدُهَا: الإِيضَاحُ بَعْدَ الإِبْهَامِ، نَحْوَ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، **فَإِنَّ: ﴿ٱشْرَحْ لِي﴾ يُفِيدُ طَلَبَ شَرْحِ شَيْءٍ مَا لَهُ، وَ﴿صَدْرِي﴾ يُفَسِّرُهُ**[٣]، الشرح: مشهورٌ بأنه لِلصَّدْرِ[٤]، فعندما ذَكَرَ اللهُ تبارك وتعالى (الصدرَ) فإنه إطنابٌ هنا وليس تطويلًا، **وَالْمَقَامُ يَقْتَضِي التَّأْكِيدَ لِلإِرْسَالِ الْمُؤْذِنِ بِتَلَقِّي الشَّدَائِدِ**[٥]؛ لأن المقامَ يقتضي التأكيدَ، فالفائدةُ هي التأكيدُ، ولذلك انتقل من أن يكون تطويلًا إلى أن صار إطنابًا مفيدًا، والإرسالُ الْمُؤْذِنُ بتلقي الشدائدِ، أي: أيُّ رسول إذا أُرسل فإنه يتلقى الشدائدَ من قومه ومن خارج مجتمعه، فهو إرسالٌ مُؤْذِنٌ بِتَلَقِّي الشدائدِ؛ لذلك يؤكد اللهُ تبارك وتعالى فيشرح له صدره.

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص (١/ ١٩٧)، تفسير ابن عرفة (١/ ٢١٤).

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٢/ ٩).

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٢٧٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٣٢/ ٢٠٦)، اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني (٢٠/ ٣٩٨).

(٥) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٩٧).

وَكَذَا: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشَّرْح: ١] فَإِنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِي التَّأْكِيدَ؛ لأَنَّهُ مَقَامُ امْتِنَانٍ وَتَفْخِيمٍ.

الثَّانِي -من أنواع الإطناب-: ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ تَنْبِيهًا عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْعَامِّ، نَحْوَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [الْبَقَرَة: ٩٨]، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٣٨]. فجبريلُ وميكالُ من الملائكة وَأُفْرِدُوا بالذكر تعظيمًا وإشعارًا؛ لأنهم من رؤساء الملائكة؛ لذلك قال: ذكر الخاصّ بعد العامّ تنبيهًا على فضل الخاصّ[1]، حتى كأنه ليس من جنس العامّ، وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ الصلاةُ الوسطى -سواء كانت صلاةَ العصرِ أو غيرَها[2] بحسب التفسير- هي من إخراج الخاصّ من العامّ؛ فالصلاةُ الوسطى المفضلةُ داخلة في الصلواتِ الخمسِ[3]، فخصصها بالذكر تنبيهًا على شرفها في جنسها ومقدارها في أخواتها[4].

﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٤]، والأمر

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ٣٢٠)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١/ ٣٩٨).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٢١٥).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص١٥٢)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٢١٤).

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٢٩٨)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (٣/ ٢٧).

بالمعروف[١] والنهي عن المنكر[٢] من الدعوة إلى الخير كما هو معروفٌ[٣]، لكنها أُخرجت من دعوة الخير، وَأُبْرِزَتْ وَأُفْرِدَتْ بالذِّكْر تعظيمًا وتفخيمًا لها[٤]؛ لِمَا لِلأَمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر من فضلٍ عظيمٍ في المجتمعات.

الثَّالِثُ: التَّكْرِيرُ، وَتَقَدَّمَ فِي الْمَجَازِ. التكرارُ كثيرٌ في كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَن: ١٣] ومثلُها كثيرٌ[٥]، وتكرار القصص، لكنها كلها لفائدة؛ فكان ذلك إطنابًا. فتكرار القصص للتأكيد ولترسيخِ المعاني، والإتيانِ بألفاظٍ مختلفةٍ لمقاماتٍ مختلفةٍ ولمعانٍ مختلفة، لا يستطيع أحدٌ أن يُورِدَ القصصَ القرآنيَّ كما أَوْرَدَهُ اللهُ تبارك وتعالى، فهو قصصٌ معجزٌ في ذاته.

الرَّابِعُ: الإِيغَالُ، وَهُوَ: خَتْمُ الْكَلَامِ بِمَا يُفِيدُ نُكْتَةً يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهَا[٦]، النكتُ: هي الأمورُ الدقيقةُ التي لا يتفطن لها إلا الفَطِنون[٧]. مثل «النكت على ابن الصلاح» للحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ، أي: على المقدمة المشهورة لابن الصلاح في علوم الحديث[٨]، **نَحْو: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا**

---

(١) المعروف: ما يستحسنه العقل ويرد به الشرع. انظر: تفسير الراغب، الأصفهاني (٢/ ٧٧٠).

(٢) المنكر: ما يستقبحه العقل ويحظره الشرع. انظر: تفسير الراغب، الأصفهاني (٢/ ٧٧٠-٧٧١).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٤٦٩).

(٤) انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الطالبي (٢/ ٩٨).

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص ١٤٩).

(٦) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢٠٢)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٤٩).

(٧) يقول الجرجاني: هي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان. انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ٢٤٦).

(٨) هذا الكتاب يطلق عليه: التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح، ونكت العراقي على ابن الصلاح. انظر: مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، لابن الصلاح والبلقيني، تحقيق بنت الشاطئ (ص ٦٠).

وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١][(١)]؛ لأَنَّ الْمَقْصُودَ حَثُّ السَّامِعِينَ عَلَى الاتِّبَاعِ، فَفِي وَصْفِهِمْ بِالثَّانِي زِيَادَةُ مُبَالَغَةٍ وَحَثٌّ عَلَى اتِّبَاعِ النَّاسِ لَهُمْ مِنْ ذِكْرِ كَوْنِهِمْ مُرْسَلِينَ[(٢)]، ففي قول الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١] فالمرسلون: هم الذين لا يسألون الناسَ أجرًا وهم مهتدون، فهنا زيادةٌ، وهذه الزيادة من بابِ الإطنابِ. يقول: هذا يُسَمَّى في البلاغة: الإيغالَ، بعد أن يُنتهى من الكلام يأتي بكلام آخر لنكتةٍ ولغرضٍ، فالإيغال كما قال المؤلف: (ختمُ الكلامِ بما يفيدُ نكتةً يَتِمُّ المعنى بدونها.. المقصودُ: حثُّ السامعينَ على الاتباع)[(٣)]، حيث قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، ولو قال: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ لكَفَى.

وَكَذَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ الآيَةَ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٦] إِيغَالٌ. فلو قال تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ لكان كافيًا، وإنما قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ إيغالٌ لفائدةٍ، ولا بد أن يكون للإيغال علاقةٌ بالمُوغَلِ منه، فقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ يُفْهَمُ مِنْ: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾.

الْخَامِسُ: التَّذْيِيلُ، وَهُوَ: أَنْ يَأْتِيَ عَقِبَ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَاهَا

---

(١) قال الباقلاني: الإيغال خاص بالشعر. انظر: إعجاز القرآن، الباقلاني (ص ٩٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٥٠٦)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٢٧٨).

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٢٧٨).

لِلتَّوْكِيدِ[١]، ثُمَّ مِنْهُ مَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْمَثَلِ[٢] لاسْتِقْلالِهِ بِنَفْسِهِ، نَحْو: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإِسْرَاءِ: ٨١]. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ تذييلٌ لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ إِذِ المعنى قريبٌ[٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ خَرَجَ مخرجَ الْمَثَلِ، فصار الناسُ يضربون به الأمثالَ[٤].

وَمَا لَمْ يَخْرُجْ مَخْرَجَهُ لِعَدَمِ اسْتِقْلالِهِ، نَحْو: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سَبَأ: ١٧][٥]، وَاجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأَنْبِياء: ٣٤-٣٥]، فَإِنَّ: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ مِنَ الثَّانِي، وَ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ مِنَ الأَوَّلِ[٦].

فقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ أصبح مثلًا مشهورًا بينَ الناسِ،

---

(١) قال الطالبي: التذييل: هو الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام. انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٦١).

(٢) المثل: ما تراضاه العامة والخاصة لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ، يستعمل في السراء والضراء. انظر: الكليات، الكفوي (ص ٨٥٢).

(٣) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (١/ ٢٤٢).

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الزركشي (٣/ ٢٠٧)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٣٣٥).

(٥) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢٠٦).

(٦) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢٠٨)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الطالبي (٣/ ٦١).

خَرَجَ مخرجَ المثلِ[(١)]، أما قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ فلم يَخْرُجْ مخرجَ المثلِ، ولم يُضْرَبْ مثلًا بين الناس.

وَمِنْهُ نَوْعٌ سَمَّاهُ بَعْضُهُمْ: حَشْوَ التَّمْهِيدِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً﴾ الآيَةَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النَّمْل: ٣٤] تَقْرِيرٌ لِكَلامِ (بِلْقِيسَ) لا مِنْ تَتِمَّةِ كَلامِهَا. هذا فرقٌ بينَه وبينَ التذييلِ؛ إِذِ المتكلمُ اثنانِ وليس بواحد.

السَّادِسُ: التَّكْمِيلُ، وَيُسَمَّى أَيْضًا: احْتِرَاسًا[(٢)]، وَهُوَ: أَنْ يُؤْتَى فِي كَلامٍ يُوهِمُ خِلافَ الْمَقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ[(٣)]، ومثاله قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ١] فلو قال الله تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنهم لكاذبون) لتوهم الإنسانُ أن الكذب يعودُ على الشهادة بأنه رسول الله. فالجملةُ الاعتراضيةُ التي في الوسط وهي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ تُسَمَّى: احتراسًا، أي: احتراسًا مِنْ أَنْ تَفْهَمَ -أيها السامعُ أو أيها القارئُ- أن التكذيبَ عائدٌ على نفسِ الشهادةِ[(٤)].

نَحْو: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الْمَائِدَة: ٥٤] فَلَوِ اقْتُصِرَ عَلَى (أَذِلَّةٍ)

---

(١) انظر: الإعجاز والإيجاز، الثعالبي (ص ١٩).

(٢) فرق البعض بين التكميل والاحتراس بأن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى، ويأتي بالاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تامًا كاملًا، ووزن الكلام صحيحًا. انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم العدواني (ص ٢٤٥).

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢٠٨).

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢٢٢)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٦٦).

لَتُوُهِّمَ أَنَّهُمْ أَذِلَّةٌ لِضَعْفِهِمْ، فَجَاءَ قَوْلُهُ: ﴿أَعِزَّةٍ﴾ لِنَفْيِ ذَلِكَ..

لو اقتصر سبحانه وتعالى على وصْفِهِمْ بِالذل على المؤمنين، لاحتمل أن يتوهم ضعيف الفَهْمِ أن ذلهم عن عجز وضَعْف، فنفى ذلك عنهم، وكَمَّلَ المدح بذكر عِزِّهِمْ على الكافرين؛ ليعلم أن ذلهم للمؤمنين عن تَوَاضُع لله سبحانه لا عن ضعف(١).

وَكَذَلِكَ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: ٢٩]؛ لأَنَّهُ لَوِ اقْتُصِرَ عَلَى الأَوَّلِ لأَوْهَمَ الْغِلَظَ وَالْفَظَاظَةَ(٢)، وَكَذَا: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ بَيْنَ: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ١] وَلَوْلاهُ لَكَانَ يُوهِمُ رَدَّ التَّكْذِيبِ إِلَى نَفْسِ الشَّهَادَةِ.

إذا: في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لو اقْتُصِرَ على ذلك لَتَبَيَّنَ أن المؤمنين فيهم غِلَظٌ وجفاءٌ وجفافٌ على الدوام، لكن عندما قال: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ وَضَّحَ الجانبَ الآخرَ في حياة المؤمن، فهو بين شدة على الكافرين، ورحمة للمؤمنين، وهكذا المؤمنُ يكون رحيمًا في قومه وبينَ بَنِي دينِه، ويكون شديدًا على القوم الكافرين، وكثيرٌ من الناس عَكَسَ هذه الآية، فكان شديدًا على بني دينه وبني قومه، ورحيمًا بالكافرين، وهذه مصيبةٌ! فالله وَجَّهَنَا أن نكون أشداءَ على الكافرين، رحماءَ بيننا معشرَ المؤمنين.

وقوله تعالى أيضًا: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، لو اقتصر على

---

(١) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم العدواني (ص ٤٤٣).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٥١).

قوله: ﴿أَذِلَّةٍ﴾ لقيل: إنهم أَذِلَّةٌ على الدوام، ولو اقتصر على قوله: ﴿أَعِزَّةٍ﴾ لقيل بأنهم أَعِزَّةٌ على الدوام، لكن الله تعالى أَتَى بالاحتراسِ هنا على وجهِ الإعجازِ.

السَّابِعُ: التَّتْمِيمُ، وَهُوَ: أَنْ يُؤْتَى فِي كَلامٍ لا يُوهِمُ خِلافَ الْمَقْصُودِ بِفَضْلَةٍ لِنُكْتَةٍ[(١)]،[(٢)] كَالْمُبَالَغَةِ، نَحْو: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨]، فقوله (على حبه) هو التتميم والمبالغة[(٣)]، **﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾** [البقرة: ١٧٧] **أَيْ: مَعَ حُبِّهِ، فَإِنَّ الإِطْعَامَ وَإِيتَاءَ الْمَالِ مَعَ حُبِّهِ أَبْلَغُ[(٤)].**

فلو قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ فقط لكان كَافيا، وكذا أيضا: ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾، فقوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أي: مع أنه يحبه، وَيُفَضِّلُهُ، لكنه مع ذلك يحب الله تعالى أكثرَ، ويحبُّ رسولَه ﷺ أكثرَ، ويحبُّ الدينَ أكثرَ؛ لذلك يُؤْتِي المالَ على ترسخِ حبِّه في نفسِه وفي قلبه، وهذا يُسَمَّى: التتميمَ.

الثَّامِنُ: الاعْتِرَاضُ، وَهُوَ: أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مَعْنًى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ لِنُكْتَةٍ[(٥)] كَالتَّنْزِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، الاعتراض: جملة معترِضة، وَتُوضَعُ بينَ معترضتين، مثل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١]

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢١٢).

(٢) يقول أبو هلال العسكري: التتميم: هو أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة؛ ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظًا يكون فيه توكيده إلا تذكره. انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص ٣٨٩).

(٣) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق (٢/ ٥١).

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢١٣).

(٥) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢١٤)، تلوين الخطاب، لابن كمال باشا (ص ٣٢٤).

هذه جملةٌ معترضةٌ، لكنها لنكتة؛ وهي الاحتراس[(١)]. والاعتراضُ كقوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) بينَها (سُبْحَانَهُ) اعتراضٌ للتنزيه[(٢)].

(فَسُبْحَانَهُ) هنا تَضَمَّنَتْ تنزيهًا لله تعالى عن البناتِ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لُقْمَانَ: ١٤] قَوْلُهُ: (حَمَلَتْهُ) إِلَى آخِرِهِ اعْتِرَاضٌ لِتَأْكِيدِ الْوَصِيَّةِ[(٣)]، يعني: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ أما قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ فهو تحبيبٌ للمرء وتذكيرٌ له بأمره الأول، حالةِ الضعف، وحالة الاحتياج الشديد للوالدين، وكيف هم الآن محتاجانِ إليك وإلى بِرِّكَ وعَطْفِكَ وَحُنُوِّكَ وإشفاقكَ، كل هذا تذكيرٌ للتبليغ وتأكيدِ الوصية في نفسك وقلبك وعقلك، وفيه تذكير الولد بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفصاله، فَذِكْرُ الحمل والفصال يُفِيد زيادة التوصية بالأم لتحمُّلِهَا من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد[(٤)].

وَقَوْلُــهُ: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٢٢-٢٢٣] فَنِسَاؤُكُمْ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِـهِ: ﴿فَأْتُوهُنَّ ﴾ لأَنَّهُ بَيَانٌ لَهُ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ[(٥)]، وَأَمْثِلَتُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ.

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٢٢١)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٦٦).

(٢) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (٣/ ٤٢).

(٣) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، زين الدين الحنفي (ص ٤٠٤).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٥٨).

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٥٤).

فقوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ متصل بقوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ اعترض بينهما بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ تنبيها للناس وتذكيرا لهم بالابتعادِ عن مثل هذه القاذورات، والتطهر والابتعاد عن مثل هذه النجاسات[1]، ومثل هذه الذنوب العظيمة.

وَقَدْ يَكُونُ الإِطْنَابُ بِغَيْرِ أَحَدِ هَذِهِ الأُمُورِ يعني: بغير هذه الأمور الثمانية التي أتى بها. نَحْو: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غَافِر: ٧]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إِطْنَابٌ لأَنَّ إِيمَانَهُمْ لَيْسَ مِمَّا يُنْكَرُ، وَحَسَّنَ ذِكْرَهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الإِيمَانِ تَرْغِيبًا فِيهِ[2]، فإيمان الملائكةِ لا ينكره أحدٌ، وإنما قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؛ ليُرَغِّبَنَا تعالى في حالهم، إذا كان الملائكة الأطهارُ يؤمنونَ بالله تبارك وتعالى فنحن أَوْلَى بالإيمان.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البَقَرَة: ١٦٤] الآيَةَ، فِيهَا أَبْلَغُ الإِطْنَابِ لِكَوْنِهَا وَرَدَتْ مَعَ الْمُنْكِرِينَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِ تَعَالَى الطَّالِبِينَ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلًا[3]. انْتَهَى.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ جاءت هذه السطور بين البداية والنهاية ردًّا على المنكرين وحدانيةَ الله تبارك وتعالى،

---

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٢٨١).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢١٦).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٥/ ٢٨٤)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢١٦).

وتبيينًا للمؤمنين ما في الإيمان بالله تبارك وتعالى من الآيات الباهرات الدالة على أنه المعبود وحده سبحانه، كقوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾.



النوع التاسع والستون: الأشباه[(١)]

هَـذَا النَّـوْعُ مِـنْ زِيَـادَتِي، وَالْمُـرَادُ بِـهِ: الآيَـاتُ الْمُتَـشَابِهَةُ وَحِكْمَـةُ تَكْرَارِهَـا، وَنُكْتَتُهُ: مَا فِي إِحْدَى الْمُتَشَابِهَتَيْنِ مِمَّا لَيْسَ فِي الأُخْرَى مِنْ تَقْدِيمٍ أَوْ تَـأْخِيرٍ أَوْ زِيَادَةٍ، وَقَدْ صَنَّفَ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةٌ تَصَانِيفَ، مِنْهَـا: «الْبُرْهَـان فِـي مُتَشَابِهِ الْقُـرْآنِ» لِمَحْمُودِ بْنِ حَمْزَةَ الْكَرْمَانِيِّ[(٢)].

كثيرًا ما يَعْسُرُ المتشابه على حفاظ القرآن فيقفونَ عندَه، مثل: حكيمٌ عليمٌ، وعليمٌ حكيمٌ، غفورٌ حليمٌ، غفورٌ رحيمٌ، وتقديمٌ وتأخيرٌ في بعض المواضع، وهو في القرآن كثيرٌ لِحِكَمٍ كثيرة، وأحسنُ كتابٍ في هذا يُوصَى به الناسُ هو كتابُ: «مِلاكُ التأويلِ» لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي الثقفي رَحِمَهُ اللهُ[(٣)]، عاش في الأندلس وكان من علمائها الكبار، وله «البرهان في مناسبة سور القرآن» وهو مطبوع[(٤)]، وكتاب «مِلاك التأويل» مطبوعٌ أيضًا في أكثر من رسالة دكتوراه، وهو في جزأين[(٥)]، وهو مهم جِدًّا لِلْحُفَّاظِ الذين يريدون أن يضبطوا مواضعَ التشابهِ في الآياتِ.

---

(١) المقصود به هنا المتشابه اللفظي، وهو عبارة عن: الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك، مما يوجب اختلافًا بين الآيتين، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان. انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة الكرماني (ص ٦٣).

(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ١٥٤١).

(٣) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، توفي ٧٠٨ هـ. انظر: الأعلام، للزركلي (١/ ٨٦).

(٤) طبعته دار الفضيلة في مجلد واحد.

(٥) وطبعته دار الكتب العلمية في مجلدين أيضًا.

وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيم) فِي الْفَاتِحَةِ، كَرَّرَهُ بَعْدَ ذِكْرِهِ فِي الْبَسْمَلَةِ تَأْكِيدًا لِرَحْمَتِهِ تَعَالَى، وَلأَنَّهُ ذَكَرَهُ أَوَّلًا مَعَ غَيْرِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ فَأَعَادَهُ مَعَهُمْ وَهُمُ الْعَالَمُونَ[١]، وَأَشَارَ بِالرَّحْمَنِ إِلَى أَنَّهُ رَحْمَانٌ لِجَمِيعِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَبِالرَّحِيمِ إِلَى أَنَّهُ خَاصٌّ بِالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الدِّينِ[٢]. قيل: لأن الرحمنَ أبلغُ من الرحيم[٣]؛ لأن فيها زيادةَ مَبْنَى، وكل ما فيه زيادةُ مبنًى ففيه زيادةُ معنًى[٤]، وقيل: لأن الرحمن يرحم الناسَ جميعًا في الدنيا: مؤمنَهم وكافرَهم، فيرحمهم رحمةً عامةً سبحانَه وتعالى، ويُنَجِّيهِمْ في الشدائد، وفي المضائق في الدنيا. أما في الآخرة فهو رَحِيمٌ بعبادِه المؤمنينَ خَاصَّةً[٥]، فهذا تفسيرٌ لقوله: (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**)، وبعضُهم قَدَّمَ الرحمنَ، وبعضُهم قدَّم الرحيمَ، وهذا لا يضرُّ إن شاء الله تعالى.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْبَقَرَةِ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ [الْبَقَرَة: ٣٨] مُكَرَّرًا فِي مَوْضِعَيْنِ؛ لأَنَّ الْمُرَادَ بِالأَوَّلِ: الْهُبُوطُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالثَّانِي: مِنَ السَّمَاءِ[٦]. على أحد التفاسير.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [الْبَقَرَة: ٤٩] بِغَيْرِ وَاوٍ[٧]، وَكَذَا فِي الأَعْرَافِ:

(١) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تاج القراء الكرماني (ص ٦٥).
(٢) انظر: كشف المعاني فى المتشابه من المثاني، أبو عبد الله الحموي (ص ٨٥).
(٣) انظر: الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (١/ ١٩).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٦).
(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (١/ ٥١).
(٦) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تاج القراء الكرماني (ص ٧١).
(٧) انظر: كشف المعاني فى المتشابه من المثاني، أبو عبد الله الحموي (ص ٩٥).

﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤١] وَفِي إِبْرَاهِيمَ بِالْوَاوِ؛ لأَنَّ الأَوَّلَيْنِ مِنْ كَلامِ اللهِ فَلا يُرَادُ تَعْدَادُ الْمِحَنِ عَلَيْهِمْ، وَالثَّالِثُ مِنْ كَلامِ مُوسَى لَهُمْ فَعَدَّدَهَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ مَأْمُورًا بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥][1].

هذه مِنْ أعظمِ المواضعِ البلاغيةِ وأشدِّها دقةً، وَتُنْبِئُ عن فحص المفسرين وذكائهم وفطنتهم، يقول: جاءت (يُذَبِّحُونَ) بغير واو، وفي إبراهيم بالواو؛ لأنها في إبراهيم وردت بعد قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ فكان موسى عليه السلام مأمورا بتعداد نِعَم اللهِ تبارك وتعالى عليهم: ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، لذلك جاءت الواو العاطفةُ لِذِكْرِ النِّعَمِ[2]، لكن الله تبارك وتعالى عندما خَاطَبَهُمْ فإنه لم يُعَدِّدْ عليهم نِعَمَهُ في ذلك الموضع رَحْمَةً بهم سبحانه وتعالى. ومواضعُ الاشتباهِ هذه فيها كلامٌ طويلٌ للمفسرين وللبلاغيين في غايةِ الدقةِ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِيهَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [الْبَقَرَة: ٦٢]، وَقَالَ فِي الْحَجِّ: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الْحَج: ١٧]، وَفِي الْمَائِدَة: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الْمَائِدَة: ٦٩]؛ لأَنَّ النَّصَارَى تُقَدَّمُ عَلَى الصَّابِئِينَ فِي الرُّتْبَةِ؛ لأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَقَدَّمَهُمْ فِي الْبَقَرَةِ، لأنَّ الخطابَ في البقرة لأهل الكتاب فقدَّمهم في الذكر، وَالصَّابِئِينَ تُقَدَّمُ فِي الزَّمَانِ، ففئة الصابئين تُقدَّم في الزمان؛ لأنهم كانوا قَبْلَ النصارى على القول بأن عَبَدَةَ النجوم متقدِّمون في الزمن عن

(١) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تاج القراء الكرماني (ص ٧٢).

(٢) انظر: كشف المعاني فى المتشابه من المثاني، أبو عبد الله الحموي (ص ٩٦).

النصارى[١].

لأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَهُمْ فَقَدَّمَهُمْ فِي الْحَجِّ، وَرَاعَى فِي الْمَائِدَةِ الْمَعْنَيَيْنِ فَقَدَّمَهُمْ فِي اللَّفْظِ وَأَخَّرَهُمْ فِي التَّقْدِيرِ؛ لأَنَّ التَّقْدِيرَ: (وَالصَّابِئُونَ كَذَلِكَ).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ عطف. وقوله: ﴿وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ هذه كلُّها كلمات تُعطف بعضُها على بعض، ولها تقدير خاصٌّ؛ لذلك يقول: أتى بالمعنيين معًا في المائدة، والكلام في ذلك يحتاج إلى تفصيل، ولكن ليس هذا مَحَلَّهُ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِيهَا: ﴿ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [الْبَقَرَة: ١٢٦]، وَفِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٥]؛ لأَنَّ الأَوَّلَ إِشَارَةٌ إِلَى غَيْرِ بَلَدٍ وَهُوَ الْوَادِي قَبْلَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَالثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَيْهِ بَعْدَ بِنَائِهَا[٢].

فقوله: ﴿ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ في البقرة كان ولم تكن الكعبةُ قد بُنيت بعدُ؛ لذلك أتى به مُنَكَّرًا: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾، فلما بُنيت ودعا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾؛ لأنه موجودٌ قد بُنِي وفُرغ من بنائه؛ أي: الكعبة.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [الْبَقَرَة: ١٦٠] وَلَيْسَ فِيهِ: (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) وَهُوَ فِي غَيْرِهَا؛ لأَنَّ هُنَا (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ) فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ، فلو أعاد لحصل لبس[٣]. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

---

(١) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي (١/ ٢٥١-٢٥٣).

(٢) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تاج القراء الكرماني (ص٧٨).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (١/ ١٤٩).

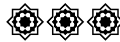
ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٩].

وَمِنْهَا فِي بَعْضِ الْمُسَبِّحَاتِ: سَبَّحَ - وَفِي بَعْضِهَا: يُسَبِّحُ - وَهِيَ كَلِمَةٌ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهَا فَأَتَى بِهَا عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهَا، فَذَكَرَ الْمَصْدَرَ فِي أَوَّلِ الإِسْرَاءِ وَالْمَاضِيَ وَالْمُضَارِعَ فِي الْمُسَبِّحَاتِ، وَالأَمْرَ فِي الأَعْلَى. هي كلمةٌ استأثرَ اللهُ بها، لا تُصْرَفُ إلا له سبحانه وتعالى، فلا يقال: (سبحان) إلا لله تبارك وتعالى، فتأتي هكذا مبنية مضافة دائمًا، فاستأثر الله بها وَصْفًا له وتنزيهًا وتمجيدًا وتعظيمًا له سبحانه؛ لذلك أتى بها على جميع وجوهها؛ مصدرًا وأمرًا ومضارعًا وماضيًا(١).

وَمِنْهَا: تَكْرَارُ (شَرٍّ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْفَلَقِ؛ لأَنَّ كُلَّ شَرٍّ مِنَ الأَرْبَعَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ غَيْرُ شَرِّ الآخَرِ(٢). وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق: ٢-٣]... إلخ.

والمؤلف أتى هنا بقطرة صغيرة من بحر المشتبهات، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب: (مِلاكُ التَّأْوِيلِ)، وهو في جزأين، وكتاب: «دُرَّةُ التنزيلِ وَغُرَّةُ التأويلِ» للخطيب الإسكافي في المشتبهات أيضًا(٣)، وَالسخاوي رَحِمَهُ اللهُ له كتابٌ في المشتبهات، وهو علي بن عبد الصمد أبو الحسن، السخاوي، تلميذ الشاطبي(٤). وكل ذلك قد طُبِعَ.



(١) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تاج القراء الكرماني (ص٢٣٢)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، الأنصاري (١/ ٦٣٣).

(٣) طبعته جامعة أم القرى.

(٤) انظر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر (٤/ ١٤٦١).

النوع السبعون، والحادي والسبعون
الفصل، والوصل

الفصل والوصل: هو العلم بمواضع العطف والاستئناف، والاهتداء إلى كيفيّة إيقاع حروف العطف في مواقعها، وهو من أعظم أركان البلاغة[١]، حتى قال بعض العلماء[٢] لما سئل: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل.

الْفَصْلُ تَرْكُ عَطْفِ الجُمَلِ، والْوَصْلُ عَطْفُهَا[٣].

الفصل يقع في خمسة مواطن: كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، والتوسط بين الكمالين، وشبه كمال الاتصال، وشبه كمال الانقطاع[٤].

فَالأَوَّلُ يَكُونُ لِفِقْدَانِ التَّغَايُرِ، وَيُسَمَّى: كَمَالَ الاتِّصَالِ.

كمال الاتصال: أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقًا بمعنى الأخرى[٥].

كَكَوْنِ الثَّانِيَةِ تَأْكِيدًا للأُولَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]؛ فَإِنَّهُ لَمَّا بُولِغَ فِي وَصْفِهِ بِبُلُوغِهِ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى فِي الْكَمَالِ بِجَعْلِ الْمُبْتَدَأ ذَلِكَ، وتَعْرِيف الخَبَرِ بِاللَّامِ جَازَ أَنْ يَتَوَهَّمَ السَّامِعُ قَبْلَ التَّأَمُّلِ أَنَّهُ مِمَّا يُرْمَى بِهِ جُزَافًا تَبِعَ نَفْيًا لِذَلِكَ[٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، لم يعطف جملة (هدى للمتقين)

---

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ٧٠).

(٢) أبو علي الفارسي. انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص ٤٣٨).

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٩٧).

(٤) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (ص ٢٥٢)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي (١/ ١٨٣).

(٥) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ٧١).

(٦) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٢٦٨)، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٠٩).

على ما قبلها لكمال الاتصال بينهما، فقوله «ذلك الكتاب فيه» مسوق لوصف التنزيل بكمال كونه هاديًا، وقوله: «هدى للمتقين» تقديره كما لا يخفى هو هدى، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ فِي الهِدَايَةِ بالِغٌ دَرَجَةً لا يُدْرَكُ كُنْهُهَا، حَتَّى كَأَنَّهُ هِدَايَةٌ مَحْضَةٌ، فَهُوَ مَعْنَى ذَلِكَ الْكِتَابِ؛ إِذْ مَعْنَاهُ الْكِتَابُ الْكَامِل، وَالمُرَادُ: كَمَالُهُ فِي الهِدَايَةِ[١].

أَوْ بَدَلًا مِنْهَا لِعَدَمِ تَوْفِيَتِهَا بِالمُرَادِ، أي: أن من موجبات الفصل كون الجملة الثانية بدلًا من الأولى؛ لأن الجملة الأولى لم يتم بها المعنى المراد، نَحْوُ: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٤]، فَإِنَّ المُرَادَ التَّنْبِيهُ عَلَى نِعَمِ اللهِ، على المخاطبين، وَالثَّانِي أَوْفى[٢]؛ لِدلَالَتِهِ عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ، مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ عَلَى عِلْمِ المُخَاطَبِينَ المُعَانِدِينَ.

أَوْ أن تكون الجملة الثانية بَيَانًا للأولى، نَحْوُ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ﴾ الآية [طه: ١٢٠].

فجاء بقوله: (قالَ يا آدَمُ) تنبيهًا على إيضاح الوسوسة وكشف غطائها وشرح تفاصيلها، ولو أتى بالواو لم يعط هذا المعنى لما فيها من إيهام التغاير المؤذن بعدم الكشف والإعراض عن التقرير[٣].

وَيَكُونُ الفصل واجبًا؛ لِفَقْدِ الجَامِعِ المُشْتَرَكِ بَيْنَ الجُمَلِ، نَحْوُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١١١).

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١١٣)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الطالبي (٣/ ١٧٠).

كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦] فُصِلَ؛ لِكَوْنِ مَا قَبْلَه حَدِيثًا عَنِ الْقُرْآنِ وَصِفَاتِهِ، وَهَذَا حَدِيثٌ عَنِ الْكُفَّارِ وَصِفَاتِهِمْ، وَلاخْتِلَافِ الجُمْلَتَيْنِ خَبَرًا وَإِنْشَاءً، وَجَوَّزَ النُّحَاةُ الْعَطْفَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥] فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَيُسَمَّى هَذَا الْقِسْمُ وَالَّذِي قَبْلَهُ عِنْدَ أَهْلِ المَعَانِي: كَمَالَ الانْقِطَاعِ.

ومعنى كونه كمال الانقطاع: أن يكون بين الجملتين تباين تام، كأن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، لفظًا ومعنى[١].

وَمِنَ المُقْتَضِي لِلْفَصْلِ: أَنْ لا يُقْصَدَ إِعْطَاءُ الثَّانِيَةِ حُكْمَ الأُولَى، نَحْو: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥] لَمْ يَعْطِفِ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عَلَى ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَوْلِهِمْ.

فلو عطف ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عَلَى ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لكان ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ من مقول المنافقين، وليس منه، بل هو قول الله تعالى[٢].

وَلَا عَلَى ﴿قَالُوٓا﴾؛ لِئَلَّا يُشَارِكَهُ فِي الاخْتِصَاصِ بِالظَّرْفِ.

ولم يعطف ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على ﴿قَالُوٓا﴾؛ لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ فيكون الاستهزاء بهم خاصًّا بخلوهم إلى شياطينهم، والأمر ليس كذلك، فإن استهزاء الله تعالى بهم - وهو أن خذلهم فخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجًا إياهم من حيث لا

(١) انظر: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عونى (٢/ ١٢٣).
(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٠١).

يشعرون- متصل لا ينقطع بكل حال سواء خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم[١].

وَكَذَا -أي: ومما يوجب الفصل- كَوْنُهَا -أي: الجملة الثانية- جَوَابًا لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الأُولَى، وَيُسَمَّى: اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا، نَحْو: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]، كأنّه قيل: من يسبّح؟ فجاء الجواب، يسبح رجال[٢].

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، فصلت الجملة الثانية ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ عن الأولى؛ لأنها واقعة في جواب سؤال مقدر، وكأنه قيل: هل النفس أمارة بالسوء؟ فقيل: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٣].

﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ [هود: ٦٩]، أَيْ: فَمَاذَا قَالَ؟ فجاء الجواب: قال: سلام.

كقول الشاعر:

زعم العواذل أنَّني في غَمْرَةٍ صَدَقُوا، ولكِنْ غَمْرَتِي لا تنجلي[٤]

فلم يعطف (قال سلام) للاستئناف[٥].

وَأَمَّا الْوَصْلُ للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع، فَيَكُون لِلْجَامِعِ،

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر: معاني القرآن، الفراء (٣/ ٢٢)، الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (٦/ ١٢٦).

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٢١).

(٤) انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (٢٣٥).

(٥) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٢٦٣).

نَحْوُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢].

من مقتضيات الوصل بين الجملتين: اتفاق الجملتين خبرًا ومعنى، نحو قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[1]، وجاء العطف هنا؛ لأن الأول من الكلامَين فيهما كالثّاني، في أنه خبر من الله تعالى وليس بحكاية[2].

ومن الوصل للتوسط بين الكمالين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤].

عطف جملة ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ على ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ وهما خبريتان؛ لتباينهما في الغرض.

ومن الوصل للتوسط بين الكمالين قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١]، فعطف الثانية ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ على ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ بجامع التضاد بينهما[3].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ [البقرة: ٨٣]، أَيْ: لَا تَعْبُدُوا وَأَحْسِنُوا.

قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾، أمر عطف على ما تضمنه ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وما بعده من معنى الأمر والنهي[4].



---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٢٧).

(٢) انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ص ١٥٤).

(٣) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش (١٠/ ٤١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ١٧٢).

النوع الثاني والسبعون: القصر

هُوَ تَخْصِيصُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ آخَر، أَوْ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى[١]، فَهُوَ قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، وَصِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَلَهُ أَدَوَاتٌ، مِنْهَا: النَّفْيُ وَالاسْتِثْنَاءُ، نَحْوُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ أَيْ: لَا يَتَعَدَّى إِلَى التَّبَرِّي مِنَ المَوْتِ[٢]، فرسول الله ﷺ مقصور على الرسالة لا يتجاوزها على البعد عن الموت مثل غيره من الرسل الذين ماتوا[٣].

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، أَيْ: لَا يَتَعَدَّى إِلَى الأُلُوهِيَّةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ: قَصْر أَفْرَادٍ، وَيُخَاطَبُ بِهِ مَنْ يَعْتَقِد الشَّركَةَ لِقَطْعِهَا[٤]، فالنصارى يعتقدون أن المسيح عليه الصلاة والسلام رسول وإله، فجاء القصر هنا ليقطع هذه المشاركة، ويعلم الناس أن المسيح ما هو إلا رسول فقط.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ [الزخرف: ٥٩] خُوطِبَ بِهِ مَنْ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ إِلَهٌ، فَيُسَمَّى: قَصْرَ قَلْبٍ، فالمتكلم يقلب فيه حكم السامع[٥]، فهم يعتقدون أنه إله، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِم حكمَهُمْ بعكسه، فبَيَّنَ لهم أنه عبد وليس بِإِلَهٍ.

وَمِنْهَا؛ أي: ومن أدوات القصر (إِنَّمَا) نَحْوُ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣]، أَيْ: مَا حَرَّمَ إِلَّا ذَلِكَ، دُونَ مَا ادَّعَوْهُ مِنَ الْبَحِيرَةِ، وَالسَّائِبَةِ وَنَحْوِهَا.

فهم يعتقدون أنه حرم الميتة وغيرها، كالسائبة والبحيرة، فبين أنه ما حرم

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٢).
(٢) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٢٨٩).
(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٣٥).
(٤) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٢٨٨).
(٥) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ١٥).

عليه إلا الميتة والدم(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، أي: أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه، لا أنه يُحْدِث من قبل نفسه قولًا وينشئه فيدعو الناس إليه(٢).

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، إن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام، وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي، وأداء ما كلفتك من طاعتي(٣).

﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. أي: أنا لا أشكو إلى غيره، فإني أعلم غيرته سبحانه وتعالى على أحبابه وأنتم لا تعلمون ذلك(٤).

وَمِنْهَا؛ أي: ومِنْ أَدَوَاتِ القصر: (غَيْرُ) نَحْوُ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]. أي: لا خالق غيره سبحانه وتعالى(٥).

وَمِنْهَا، أي: أدوات القصر: التَّقْدِيمُ، نَحْوُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ [الزمر: ٦٦]. قيل: التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص، وليس كذلك، فإنه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص، وإنما قدم لمكان

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٢٩١)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي (٢/ ١٠٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٤٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/ ٢٨٨).

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٧/ ٧٦).

(٥) انظر: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، الكرماني (ص٣٤٠).

نظم الكلام؛ لأنه لو قال: نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[(١)].

وَمِنْهَا؛ أي: ومن أدوات القصر **(أَنَّمَا) بِالْفَتْحِ عِنْدَ الزَّمَخْشَرِيِّ، وَالْبَيْضَاوِيّ وَالتَّنُوخِيّ، وَمَثَّلَهُ بِقَوْلِهِ:** ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨][(٢)]، فالأول قصر فيه الوحي على الوحدانية، والثاني قصر فيه الله تعالى على الوحدانية؛ والمعنى ما يوحى إليّ إلا اختصاص الله تعالى بالوحدانية[(٣)].

وَمِنْهَا قَلْبُ حُرُوفِ بَعْضِ الْكَلِمَةِ عِنْدَ الزَّمَخْشَرِيِّ أَيْضًا[(٤)]**، وَمَثَّلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]. **قَالَ: الْقَلْبُ لِلاخْتِصَاصِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى لَفْظِ الطَّاغُوتِ؛ لأَنَّ وَزْنَهُ فَعَلُوت، مِنْ الطُّغْيَانِ، قَلْبٌ بِتَقْدِيمِ اللَّامِ عَلَى الْعَيْنِ، فَوَزْنُهُ فَلَعُوت مُبَالَغَةً**[(٥)].

وَمِنْهَا أَدَوَاتٌ أُخَر مُخْتَلَفٌ فِيهَا، كإلا، وحصر المبتدأ في الخبر، نحو: العالم زيد[(٦)]، **وَحَرَّرْنَاهَا فِي كُتُبِنَا الْبَيَانِيَّة.**

وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ إِنَّما فِي مَوَاقِعِ التَّعْرِيضِ، أقوى ما تكون «إنّما» إذا كان لا يراد بالكلام الذي بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، **نَحْوُ:**

---

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (٢/ ١٧٤).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٧٠).

(٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٩/ ١٠٠).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٤/ ١٢٠).

(٥) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٦/ ٤٣)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (٢/ ٢٩).

(٦) انظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول، الإسنوي (ص ١٤٥).

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَبِ﴾ [الرعد: ١٩]، فليس الغرض أن يعلم السامع أن الذين يتذكرون هم أولوا الألباب.

فَإِنَّهُ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مَنْ فُرْط جَهْلِهِم كَالْبَهائِمِ(١).

أي: الهدف منه التعريض بالكافرين، فهُمْ من فرط العناد ومِنْ غَلَبَةِ الهوى عليهم في حكم مَنْ لَيْسَ بذي عقل، وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكّروا، كنتم كمَنْ طَمِعَ في ذلك مِنْ غَيْرِ أولي الألباب(٢).

فَائِدَةٌ:

أَطْلَقَ النَّاسُ أَنَّ الحَصْرَ هُوَ الاخْتِصَاصُ، وَاخْتَارَ السُّبْكِيُّ التَّفْرِقَةَ بَيْنَهُمَا، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ تَصْنِيفًا لَطِيفًا، قَالَ فِيهِ: الحَصْرُ نَفْيُ غَيْرِ المَذْكُورِ وَإِثْبَاتُ الْمَذْكُورِ(٣). وَالاخْتِصَاصُ: قَصْدُ الْخَاصِّ مِنْ جِهَةِ خُصُوصِهِ فَيُقَدَّمُ لِلاهْتِمَامِ بِهِ مِنْ غيرِ تَعَرُّضٍ لِنَفْيِ غَيْرِهِ(٤)، قَالَ: وَإِنَّمَا جَاءَ النَّفْيُ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الْفَاتِحَة: ٥] لِلْعِلْمِ بِأَنَّ قَائِلِيهِ -وهم المؤمنون- لا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ(٥)؛ وَلِذَا لَمْ يَطَّرِدْ ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الآيَاتِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٨٣] [لَوْ جُعِلَ فِي مَعْنَى مَا يَبْغُونَ إِلَّا غَيْرَ دِينِ اللهِ] وَهَمْزَةُ الإِنْكَارِ دَاخِلَةٌ عَلَيْهِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْمُنْكَرُ الْحَصْرَ لا مُجَرَّدَ بَغْيِهِمْ غَيْرَ دِينِ اللهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادَ، وَكَذَلِكَ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً

---

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ٨٦).

(٢) انظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ص ٢٣٠).

(٣) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج، السبكي (١/ ٣٥٦).

(٤) انظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (١/ ٣٣٨)، الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، السيناوي (١/ ٦٠).

(٥) انظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (١/ ٣٣٩).

دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٨٦] **الْمُنْكَرُ إِرَادَتُهُـمْ آلِهَـةً دُونَ اللهِ مِـنْ غَيْـرِ حَـصْرٍ**[1]. **انْتَهَى.**

هنـاك مـا يُـسَمَّى: الاختـصاص، وذكـر الـسبكي رَحِمَهُ اللَّهُ أن بعـض العلمـاء لا يفرقون بين الحَصْرِ والاختصاصِ، فلو قلـت: حـصل اليـوم ضـربٌ -تتكلم عـن مضاربةٍ حَصَلَتْ- فإنك قد ذكرتَ مطلقَ الضرب، ولـم تـذكر مَـنِ الـذي ضُـرِبَ، ومن الذي ضَرب، أما لـو قلـتَ: ضُـرب زيـدٌ، فإنك خصـصتَ ذلـك العـامَّ وهـو مطلقُ الضربِ بخصوصيةٍ أكثرَ؛ لأنك قد عيَّنْتَ المضروبَ وهو زيد، فلو قلـتَ: ضربتُ زيدًا، فقد وصلتَ إلى التخصيص الذي لا مزيدَ عليه؛ لأنـك قـد ذكـرتَ مطلقَ الضربِ، وذكرتَ الضاربَ، وذكرتَ المضروبَ، ولو قلتَ: زيـدًا ضـربتُه، فإن قصدتَ نفيَ وقوع الضرب عن غيـر زيـد كـان حـصرًا، وإن لـم تَقْـصُدْهُ صـار اختصاصًا، وقَدَّمْنا زيدًا في قول: زيدًا ضربتُه؛ للاختـصاص، فأقَـدِّم زيـدًا لمعنـى، إما أن يكون رجـلًا عظيمًـا، وَبَيَّنْـتُ أني قـد ضـربتُه، أو يكـون رجـلًا عـدوانيًّا وقـد يفرح الناسُ بتقديمه بقولي: زيدًا ضربتُه، أو لغير ذلـك مـن الأغـراض، فإنـك قـد قدمتَ زيدًا للاختصاص وليس للحصر، فإن المضروبَ قد يكونون جماعـةً مـن الناس، وإنما ذكرتَ زيدًا لمزيد من الاختصاص والاهتمـام بـشأنه، فقلـتَ: زيـدًا ضـربتُه. كـذلك قـول الله تبـارك وتعـالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾، قَـدَّمَ المعمولَ (المفعول بـه) علـى العامـل (الفعـل والفاعـل) قـد يكـون للاختـصاص وإظهار الأهمية، ومزيدِ الاختصاصِ بالحدثِ العظيم؛ أنهم يبغـون غيـرَ ديـنِ الله، يقول السبكي: لـو كـان قَـصْرًا لـصار المعنَـى: مـا يبغـونَ مـن هـذه الـدنيا شـيئًا إلا

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٧٦).

ابتغاء غير دين الله[١]، فلا يبغون طعامًا ولا شرابًا، ولا يبغون ذهابًا إلى السوق، يقول: وهذا غيرُ مرادٍ. يعني: قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ لو جُعِلَ في معنى: ما يبغون إلا غير دين الله، أي: في معنى القصر، وأزيل عنه الاختصاصُ بقولنا: ما يبغون إلا غيرَ دينِ اللهِ، وهمزةُ الإنكارِ داخلةٌ عليه، لَزِمَ أن يكون المنكرُ الحصرَ لا مجردَ بغيهم غير دين الله، وهذا ليس مرادًا من الآيات.

فقولي -مثلا-: ما أريد إلا الذهابَ إلى السوق إن أردت بذلك القصر صار كأني ما أريد شيئًا أبدًا في هذه الحياة إلا الذهابَ إلى السوق.

فقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ إنما قَدَّمَ هذا الأمرَ العظيمَ، وأنكر على فاعله لإرادة الاختصاص وإظهار الاهتمام به لا القصر، فإنه لو كان قصرًا لصاروا لا يرجونَ شيئًا في هذه الدنيا إلا إرادة غير دين الله، وهذا ليس مرادًا.

وكذلك قوله: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ المنكر إرادتهم آلهةً دونَ اللهِ، من غير حصرٍ للإرادة؛ إذ لو كانت الإرادةُ فقط في أنهم يتخذون أصنامًا من دون الله تبارك وتعالى لَمَا أكلوا ولا شربوا، لكنه لا يُرَادُ الحصرُ.

وهناك مثالٌ أوضحُ وهو قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٤] فنحن نوقن بالآخرة ونوقن بغيرها، لكن لما كانت الآخرةُ من أعظمِ مُرَادَاتِنَا، ومن أعظم أمور الإيمان عندنا قُدِّمَت؛ لأن الإيمان بالآخرة يقتضي الإيمان بالله تعالى، والجنة والنار، والصراط والميزان والحشر، وملاقاة الأنبياء وملاقاة الله، ورؤية الله تبارك وتعالى... إلى آخر عقائد المسلمين المعروفة.

---

(١) انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٣٨٥).

فقُـدمت: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ لِمَـا فِيهَـا مـن إرادةِ مزيـدِ الاهتمـامِ ومزيـدِ الاختـصاصِ بالـذِّكْرِ(١)، وإلا فـنحن نـوقن بـالآخرة، ونـوقن بأشـياء كثيـرة غيـر الآخـرة، فنـوقن بـأن النبـي ﷺ كـان موجـودًا وأُرسـل إلينـا، وَبَلَّـغَ الرسـالةَ ﷺ، ونوقن بالأنبياء قبلَه، نوقن بأشياء كثيرة جِدًّا إضافةً إلى الآخرة، وأُفردت الآخرةُ هنا للاختصاص وليس للحصر، هذا مرادُ السبكيِّ.

إذًا: لا بد أن نُفَرِّقَ بين الحصرِ وبينَ الاختصاصِ، ولذلك يقول: وهذا الـذي قاله هو التحقيقُ، يعني: هو العلم الصحيح.



(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣٥٩).

النوع الثالث والسبعون: الاحتباك

الاحتباك: هو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي يُنْعَق به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة «الذي ينعق» عليه، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة «الذين كفروا» عليه[١].

وهَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، يعني: على كتاب البلقيني، **وَهُوَ نَوْعٌ لَطِيفٌ، وَلَمْ نَرَ أَحَدًا ذَكَرَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَعَانِي[٢] وَالْبَيَانِ[٣] وَالْبَدِيعِ[٤].**

الْمُحَقِّقُ يَرُدُّ عليه في الهامش، فيقول: دعوى المؤلف هنا بأن أحدًا لم يذكره مُبَالَغٌ فيها، فقد ذكره صاحبُ البرهانِ. لكن سبق أن قلنا: إن السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ عندما ألَّف هذا الكتابَ لم يطلع على كتاب البرهان؛ لذلك قوله: (لم نر أحدًا ذكره من أهل المعاني والبيان والبديع) قولٌ صحيح.

وَكُنْتُ تَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣] وَالْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي الزَّمْهَرِيرِ، فَقِيلَ: هُوَ الْقَمَرُ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ، وَقِيلَ: هُوَ الْبَرْدُ، فَقُلْتُ:

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٠٤).

(٢) علم المعانى: هو العلم بأحوال الألفاظ العربية المطابقة لمقتضى الحال من الأمور الإنشائية والأمور الطلبية وغيرهما. انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي (١/ ١٠).

(٣) علم البيان: حاصله إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، كالاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها. انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي (١/ ١٠).

(٤) ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (١/ ٥٠).

لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِ الْبَرْدُ، وَأَفَادَ بِالشَّمْسِ: أَنَّهُ لا قَمَرَ فِيهَا، وَبِالزَّمْهَرِيرِ: أَنَّهُ لا حَرَّ فِيهَا، فَحَذَفَ مِنْ كُلِّ شِقٍّ مُقَابِلَ الآخَرِ.

هذا هو الاحتباكُ باختصار: أن تذكر جملتين، في الجملة الأولى ما يدل على الثانية، وفي الجملة الثانية ما يدل على الأولى، وكل هذا لإرادة الإيجاز، وهذا من بديع القرآن العظيم.

فقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ذكر المفسرون أن الزمهرير هو القمرُ بلغة طيئ[1]؛ لمقابلة الشمس، وقد ذُكِرَت في الآية فقوبلت بالقمر، وقيل بأن الزمهرير: هو البَرْد الشديد[2]، قال المؤلف: والبرد هو الأقرب عندي؛ لأنه قد ذكر الشمس، فإذا ذكر الشمس تَبَادَرَ إلى الذهن القمرُ، وإذا ذكر البرد تبادر إلى الذهن الحرُّ، فذاك هو الاحتباك، فذُكرت الشمسُ وحُذف القمرُ إيجازًا، وَذُكِرَ البردُ وحُذف الحرُّ إيجازًا، وستأتي أمثلةٌ كثيرةٌ.

وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْبَدِيعِ لَطِيفٌ، لَكِنِّي لا أَدْرِي مَا اسْمُهُ وَلَا أَعْرِفُ فِي أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ مَا يُنَاسِبُهُ، حَتَّى أَفَادَنِي بَعْضُ الأَئِمَّةِ الْفُضَلَاءِ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ شُيُوخِهِ قَرَّرَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٣]، قَالَ: فَأَفَادَ بِقَوْلِهِ: (كَافِرَةٌ) أَنَّ الْفِئَةَ الأُولَى مُؤْمِنَةٌ. لم يقل: فئة مؤمنة تقاتل، وإنما قال: فئة تقاتل، لَكِن لمَّا ذَكَرَ كَافِرَة في الفئة الأخرى تبادر إلى الذِّهْنِ بأن الفئة الأولى مؤمنة، أي: فئة مؤمنة تقاتل في

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (١٠/ ٩٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٥١).

سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت(١)، وَبِقَوْلِهِ: ﴿تُقَتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أَنَّ الأُخْرَى تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ. فلم يذكر مؤمنةً ولم يذكر في سبيلِ الطاغوتِ؛ وهَذَا مِنْ بديع الإعجاز في القرآن العظيم. قَالَ: وَهَذَا النَّوْعُ يُسَمَّى بِالاحْتِبَاكِ، قَالَ الإِمَامُ الْفَاضِلُ الْمَذْكُورُ(٢): وَتَطَلَّبْتُ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ كُتُبٍ فَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ، وَأَظُنُّهُ فِي شَرْحِ الْحَاوِي لابْنِ الأَثِيرِ(٣)، ثُمَّ صَنَّفَ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا النَّوْعِ تَأْلِيفًا لَطِيفًا سَمَّاهُ: «الإِدْرَاكُ لِفَنِّ الاحْتِبَاكِ»(٤).

ثُمَّ وَقَفْتُ فِي التِّبْيَانِ لِلطِّيبِيِّ، أظنه محمدًا الطيبيَّ، له كتاب: «التبيان في المعاني والبيان» مطبوع ومحقَّق وموجود في المكتبات(٥)، عَلَى مَا يُشْبِهُ هَذَا النَّوْعَ، وَسَمَّاهُ: الطَّرْد وَالْعَكْس، وَقَالَ: هُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِكَلَامَيْنِ يُقَرِّرُ الأَوَّلُ بِمَنْطُوقِهِ مَفْهُومَ الثَّانِي وَبِالْعَكْسِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ الآيَةَ، فَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ [النُّور: ٥٨] كَلَامٌ مُقَرِّرٌ لِلأَمْرِ بِالاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الأَوْقَاتِ خَاصَّةً، فَمَنْطُوقُ الأَمْرِ بِالاسْتِئْذَانِ مُقَرِّرٌ لِمَفْهُومِ رَفْعِ الْجُنَاحِ، وَبِالْعَكْسِ(٦). يقول: كأن هُنَاكَ جُناحًا في دخول هذه الأصناف

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لابن حيان (٣/ ٤٥).

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، صاحب نظم الدرر. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي (١/ ١٠١).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) قال البقاعي في الدرر: وهو فن عزيز نفيس، وقد جمعت فيه كتابًا حسنًا ذكرت فيه تعريفه ومأخذه من اللغة وما حضرني من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء وسميته: «الإدراك لفن الاحتباك». وهو من الكتب المفقودة. انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (١/ ٢٢٥).

(٥) حققه الدكتور: عبد الستار حسين مبروك زموط في رسالة دكتوراة جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية.

(٦) انظر: التبيان في علوم المعاني، الطيبي (ص٢١٢).

المَذْكُورَة على الناس في تلك الأوقات، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ مُقَرِّرٌ للاستئذان قبلُ، أي: أن هناك جُنَاحًا في غير تلك الأوقات، ففي غير تلك الأوقات لا بُدَّ من الاستئذان، ففُهِمَ من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ أنه كلامٌ مُقَرِّرٌ للأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصةً. فمنطوقُ الأمرِ بالاستئذان: ﴿لِيَسْتَئْذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مقرِّر لمفهوم رفع الجُناح في الآية التي بعدها، وهذا يُسَمَّى أيضًا: احتباكًا، لكن الأمثلة الأخرى أَوْضَحُ.

قَالَ: وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦]؛ لأن منطوق قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أنهم يفعلون ما يُؤْمَرُونَ، ومنطوقُ قولِه تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُمْ لا يعصون الله ما أمرَهم[1].

ثُمَّ وَجَدْتُ هَذَا النَّوْعَ بِعَيْنِهِ مَذْكُورًا فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ جَابِرٍ لِرَفِيقِهِ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الأَنْدَلُسِيِّ وَهُمَا الْمَشْهُورَانِ بِالأَعْمَى وَالْبَصِيرِ.

هذان رفيقانِ عجيبانِ؛ انْطَلَقَا من الأندلس في رحلة طويلة إلى بلاد الشرق، وكان أحدهما أعمى -وهو: ابن جابر رَحِمَهُ اللهُ-، وصاحبُه بصيرًا، وكان الأعمى يُمْلِي على البصير نثرًا ونظمًا وأشياء تحتاج إلى شرح، والبصيرُ يشرح، وَمَكَثَا مدةً طويلةً معًا، حتى عَنَّ لابن جابر وهو في بلاد الشام في حلب أن يتزوج، فافْتَرَقَا بعد خمسين سنة، فتزوج ثم مات صاحبُه قريبًا بعد الزواج ولحقه ابن

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٢٧٩).

جابر تقريبًا بعد سنة(١).

هذه البديعية سماها: «الحُلَّة السِّيَرا في مدح خير الوَرَى ﷺ»(٢) وَالسِّيَرَا والسِّيَرَاء والسِّيراءُ بالمد والقصر وإسكان الياء وفتحها واحدٌ: نوعٌ من السير، والسيرا؛ أي: المخططة كالسيور، معروفة ومشهورة، سَيْرُ النعل، وسير الآلة: الحبل. والسيراء: أي: الحلة المخططة إما بالذَّهَبِ أَوْ بِالحَرِير(٣). والْبَدِيعِيَّةُ هي نوع مِنَ النَّظْمِ الدينيِّ خاصٌّ بمدح رسول الله ﷺ لا يُذْكَر فيه غيرُه ولا يُمدح فيه سواه ﷺ، سُمِّيَتْ بديعيةً؛ لأَنَّ الناظم يلتزم أن يأتيَ في كل بيت منها بنوع من أنواع البديع(٤): (الجناس(٥)، المقابلة(٦)، اللف والنشر(٧)، الطِّبَاق(٨)) كما مَرَّ معنا وكما سيأتي.

والبَدِيعُ نوعٌ من أنواع البلاغة، وأَقْسَامُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وقد أتى السيوطيُّ

---

(١) انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر (١/ ١٥٩)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (٨/ ٤٤٩).

(٢) انظر: المعجم المفهرس، لابن حجر (ص ٤١٥).

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (١٢/ ١٢٠).

(٤) انظر: البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي، نورة بن سعد الله (ص٢٠).

(٥) أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى. انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٨٨).

(٦) أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. انظر: التبيان في المعاني والبيان، الطيبي (ص١٩٧).

(٧) هو أن تلف بين شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلامًا مشتملًا على متعلق بواحد وبآخر، من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرد كلاً منهما على ما هو له، كقوله عز وعلا: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]. انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٤٢٥).

(٨) الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقة أو تقديرًا. التبيان في البيان، الطيبي (ص١٩٤).

ببعضها في هذا الكتاب.

فالناظم عندما سَمِعَ بُرْدَةَ البوصيريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في مدح رسول الله ﷺ[١] أُعجب بها جِدًّا وصنف البديعيةَ على منوالها، وهي قصيدةٌ مِيمِيَّةٌ[٢]، أعجبتِ الشعراءَ من بعد ابن جابر رَحِمَهُ اللَّهُ، فعكفوا عليها شرحًا وتسهيلًا وتفهيمًا؛ لأن فيها أنواعًا من البديع يحتاج إلى تفهيم وشرح وتسهيل على الناس، وفيها أيضًا بعضُ الكلمات الصعبة تحتاج إلى شرح، فَشَرَحَهَا رفيقُه. وقد اهتم بها العلماءُ من بعدِ ابنِ جابرٍ في القرن الثامن والتاسع والعاشر؛ لأن ابن جابر كان يعيش في القرنين السابع والثامن، وتُوُفِّيَ في أوائل الثامن رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]، فاهتم بها العلماءُ حتى إن علماء الدولة العثمانية[٤] بعد ذلك صاروا يُؤَلِّفُونَ في هذه البديعيات التي هي خاصة في مدح رسول الله ﷺ وفيها ألفاظٌ من البديعِ، مثل قصيدة «غرامي صحيح»[٥] التي في مصطلح الحديث، فكان يُعَبِّرُ عن حُبِّهِ بأن حبَّه صحيحٌ.

---

(١) مدح بها الرسول ﷺ إلى أجزاء عشرة، كل جزء من القصيدة يمثل وحدة قائمة بذاتها، والقصيدة تتوافر لها وحدة الموضوع ووحدة المضمون. انظر: ثلاثية البردة بردة الرسول ﷺ، حسن حسين (ص ٥٠).

(٢) قافيتها تنتهي بحرف الميم. أولها:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم

انظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي (٢/ ٤٢٣).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (٢/ ١١٠)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر (٥/ ٧١).

(٤) ظهرت الدولة العثمانية ببلاد الأناضول سنة (٦٩٩هـ). انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد (بك) (ص ٨٥).

(٥) مؤلفها أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد اللخمي الإشبيلي الشافعي نزيل دمشق المتوفى: سنة تسع وتسعين وستمائة (٦٩٩هـ) وهي منظومة في ألقاب الحديث تعرف بالقصيدة الغرامية؛ لقوله في أولها: غرامي صحيح. انظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، الكتاني (ص ٢١٨).

وأيضًا يذكر أن هناك نوعًا من أنواع الأحاديث يُدْعَى بالحديث الصحيح، وهكذا أتى بكل القصيدة على شكل غزل ونسيب، وإنما هي أيضًا تَصْلُحُ لبيانِ أنواع الحديثِ ومصطلح الحديث.

قَالَ مَا نَصُّهُ: مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ: الِاحْتِبَاكُ -وَهُوَ نَوْعٌ عَزِيزٌ- وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الثَّانِي، وَمِنَ الثَّانِي مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الأَوَّلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ [البَقَرَة: ١٧١] الآيَةَ، التَّقْدِيرُ: مَثَلُ الأَنْبِيَاءِ وَالْكُفَّارِ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ وَالَّذِي يُنْعَقُ بِهِ؛ فَحَذَفَ مِنَ الأَوَّلِ: الأَنْبِيَاءَ لِدَلالَةِ الَّذِي يَنْعِقُ عَلَيْهِ، وَمِنَ الثَّانِي: الَّذِي يُنْعَقُ بِهِ لِدَلَالَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِ.

النعقُ: هو الصياحُ والدعاءُ[1]: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ والدالُّ على الأنبياء النعق -أي: الدعاء والصياح بالناس-؛ لأن الأنبياء من عادتهم أن يدعوا الناسَ إلى الخير، ويصيحوا عليهم في المنابر وفي الأسواق، وينادوا عليهم بالرجوع إلى الله تعالى وعدم الإشراك به، فلفظةُ الأنبياءِ لَيْسَتْ موجودةً والدالُّ عليها النعقُ، فالتقديرُ: مَثَلُ الأنبياءِ والكفارِ كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ والذي يُنْعَقُ به[2]، فهذا من عجيب إيجاز القرآن.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكَهْف: ٢]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟﴾ [الكَهْف: ٤] الآيَةَ، حَذَفَ مِنَ الأَوَّلِ مَفْعُولَ: (لِيُنْذِرَ) الأَوَّلِ وَهُوَ: (الَّذِينَ قَالُوا)، وَمِنَ الثَّانِي: مَفْعُولَهُ الثَّانِيَ وَهُوَ (بَأْسًا شَدِيدًا).

---

(١) انظر: العين، للخليل (١/ ١٧١).

(٢) انظر: الكتاب، لسيبويه (١/ ٢١٢)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (٤/ ٤٨٣).

﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾، ومَنْ يستحق البأسَ الشديدَ هم الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا، والتقدير: لينذر الذين قالوا اتخذ اللهُ ولدًا بأسًا شديدًا مِنْ لَدُنْه، فحذف المفعول به(١). والاحتباك مجموع من: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ من الآية الثانية، ومن (بأسًا شديدًا) من الآية الأُولَى، وهذا أيضًا من عجيب البديع القرآني.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ [النَّمل: ١٢] التَّقْدِيرُ: تَدْخُلُ غَيْرَ بَيْضَاءَ، وَأَخْرِجْهَا تَخْرُجْ... إِلَى آخِرِهِ. فَحَذَفَ مِنَ الأَوَّلِ: تَدْخُلُ... إِلَى آخِرِهِ، وَمِنَ الثَّانِي: وَأَخْرِجْهَا... انْتَهَى مُلَخَّصًا.

وأدخل يدك غيرَ بيضاء تَخْرُجْ بيضاءَ، وأتينا بذلك من مفهوم قوله تعالى: ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ التقديرُ: أَدْخِلْ يدَك غيرَ بيضاءَ في جيبك، وَأَخْرِجْهَا تَخْرُجْ بيضاءَ(٢).



(١) انظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (٥/ ٤١٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٢٠٤).

النوع الرابع والسبعون: القول بالموجب

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ مِنْ فُنُونِ الْبَدِيعِ، وَأَلَّفَ الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ، نسبةً إلى صفد، بلدةٍ في فلسطين مشهورة معروفة[(١)]، والصلاحُ الصفديُّ؛ أي: صلاحَ الدينِ[(٢)]، إنما اقتصر المتأخرون على ذِكْرِ الجزءِ الأولِ من الصفة فقالوا: الصلاح، والمقصود: صلاح الدين، ويقولون: الشمس، ويقصدون شمسَ الدينِ، والعلاء: يقصدون علاءَ الدينِ، كقولهم: (قال العلاء البخاري)، وهو علاء الدين، واختصروه بالعلاء لمعرفةِ الناسِ بأن لقبَه علاء الدين.

وَأَلَّفَ الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ فِيهِ تَأْلِيفًا وَهُوَ: أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ كِنَايَةً عَنْ شَيْءٍ أُثْبِتَ لَهُ حُكْمٌ فَيُثْبِتُهَا لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِثُبُوتِهِ وَانْتِفَائِهِ، نَحْو: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المُنَافِقُون: ٨] فَالأَعَزُّ وَقَعَتْ فِي كَلَامِ الْمُنَافِقِينَ كِنَايَةً عَنْ فَرِيقِهِمْ، وَالأَذَلُّ كِنَايَةً عَنِ الْمُؤْمِنِينَ[(٣)].

قوله: (**أن تقع صفةٌ في كلام الغير**)، فالصفةُ في الآية هنا هي: العزةُ، (**كنايةً عن شيء أُثْبِتَ له حكمٌ**)، أي: كناية عن فريق المنافقين أُثبت له الحكمُ بأنه هو الأعزُّ، (**فَيُثْبِتُهَا لغيره**)؛ أي: يُثْبِتُهَا المعترضُ لغيره، والله تبارك وتعالى أَثْبَتَهَا لغيرهم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (**من غير تَعَرُّضٍ لثبوته**

---

(١) انظر: لب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي (ص ١٦٢).

(٢) خليل بن أيبك بن عبد الله الأديب صلاح الدين الصفدي، أبو الصفاء، ولد سنة (٦٩٧هـ) تقريبًا ـ وهو صاحب كتاب «الوافي بالوفيات»، مات سنة (٧٦٤هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر (٢/ ٢٠٧).

(٣) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ١٧٠).

وانتفائه)؛ أي: انتفاء الحكم الذي قالوه، وهو: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فالحكمُ مترتبٌ على هذه الصفة أنهم سيُخرجون المؤمنين، فَاللهُ تبارك وتعالى أَثْبَتَ العزةَ لفريق المؤمنين، ولم يتعرض لِلْحُكْمِ بِنَفْيٍ أو ثبوتٍ، أي: لم يحكم سبحانه وتعالى أنهم سَيُخْرَجُونَ أو سيبقون؛ لأنه لو قال بإخراجهم لما بقي منافقٌ في المدينة، وَلَوَجَبَ أن يُخرجوا منها.

فَالأَعَزُّ وَقَعَتْ فِي كَلَامِ الْمُنَافِقِينَ كِنَايَةً عَنْ فَرِيقِهِمْ، وَالأَذَلُّ كِنَايَةً عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَثْبَتُوا لِفَرِيقِهِمُ الْمُكَنَّى عَنْهُ بِالأَعَزِّ الإِخْرَاجَ، أي: أنهم قادرون على إخراج المؤمنين، **فَأَثْبَتَ اللهُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ صِفَةَ الْعِزَّةِ لِغَيْرِ فَرِيقِهِمْ: وَهُوَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِثُبُوتِ ذَلِكَ الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ الإِخْرَاجُ لِلْمَوْصُوفِينَ بِالْعِزَّةِ وَهُوَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَلا لِنَفْيِهِ عَنْهُمْ**، فلم يقل: سيخرجونهم، ولم يقل: لن يخرجوهم، لم يتعرض لذلك سبحانه وتعالى، **كَذَا عَرَّفُوهُ فِي الْبَدِيعِ**، يعني: في علوم البلاغة عُرِّفَ القولُ بالموجب هكذا.

وَعَرَّفُوهُ فِي الأُصُولِ بِتَسْلِيمِ الدَّلِيلِ مَعَ بَقَاءِ النِّزَاعِ(١)**، وَبَيَانُهُ هُنَا أَنْ يُقَالَ: صَحِيحٌ أَنَّ الأَعَزَّ يُخْرِجُ الأَذَلَّ**، هذا هو تسليمُ الدليل، نحن نُسَلِّمُ أن الأعزَّ يُخرج الأذلَّ لا شَكَّ، وهذه معروفةٌ بديهيةٌ في الأمور، لكنَّ محلَّ النزاع المختلَف فيه، مَنْ هُمُ الأَعَزُّ، ومن هم الأذل. **لَكِنِ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الأَعَزُّ الْمُخْرِجُونَ، وَأَنْتُمُ الأَذَلُّ الْمُخْرَجُونَ، فَالدَّلِيلُ -وَهُوَ كَوْنُ الأَعَزِّ يُخْرِجُ الأَذَلَّ- مُسَلَّمٌ، وَلَكِنَّ النِّزَاعَ بَيْنَ اللهِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي الْمُتَّصَفِ بِهِ، وَهَذَا أَدَقُّ مِنَ الأَوَّلِ.**

تعريف الأصوليين هنا كالعادة أدق.

---

(١) انظر: المحصول، للرازي (٥/ ٢٦٩)، الفروق، القرافي (٤/ ٨٨).

النوع الخامس والسبعون: المطابقة.

الطباق والمقابلة، الطباقُ: هو الجمعُ بينَ متضادين في اللفظ والمعنى، والمقابلةُ مِثْلُهَا، لكنها بين صفتين فأكثر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥-٩]، فهذه صفاتٌ متضادةٌ، لَكِنْ لَمَّا اجْتَمَعَتْ أكثرُ من صفة متضادة سميت: مقابلة[١]، فلو كانت صفةً واحدةً فقط تُقَابِلُ صفةً أخرى مثلُ: أيقاظٍ ورقودٍ من قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الْكَهْف: ١٨]، فهذا يُسَمَّى: طِبَاقًا[٢]. والفرقُ بينَ الطباقِ والمقابلةِ: تعددُ الصفةِ؛ بأن تكونَ بينَ اثنتينِ فأكثرَ.

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي - وَهِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْجُمْلَةِ[٣]- لو قال: بين متضادين لكان أفضلَ[٤]؛ مثل ما قال المحققُ -حفظه الله- في الهامش، **وَيَكُونُ بِلَفْظَيْنِ مِنْ نَوْعٍ: اسْمَيْنِ نَحْوَ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾** [الْكَهْف: ١٨]، فاليقظةُ والرقادُ أسماءٌ، **أَوْ فِعْلَيْنِ نَحْوَ: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** [الْبَقَرَة: ٢٥٨][٥]، **أَوْ حَرْفَيْنِ نَحْوَ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾** [الْبَقَرَة: ٢٨٦]، **(لها) و(عليها)**[٦]، **أَوْ نَوْعَيْنِ نَحْوَ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾** [الأَنْعَام: ١٢٢]. نوعين من المذكورين

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ١٠١).

(٢) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي (١/ ٤٢٣).

(٣) انظر: البديع في البديع، لابن الرشيد (ص ٢٧).

(٤) انظر: نهاية الأدب في فنون الأدب، النويري (٧/ ٩٨).

(٥) انظر: المنهاج في البلاغة، حامد عوني (١/ ١٦٣).

(٦) انظر: علوم البلاغة، المراغي (ص ٣٢٠).

آنفًا من الاسم والفعل والحرف، بأن تكون اسمًا وفعلًا مثل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ فميتًا: اسم، وقوله: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ فِعْلٌ، فالطباقُ بينَ اسمٍ وَفِعْلٍ[١].

وَيَكُونُ مُثْبَتًا كَمَا ذُكِرَ، أي: ليس فيه نفيٌ؛ كالأمثلة المذكورة، وَمَنْفِيًّا، أي: ويكون مَنْفِيًّا، نَحْو: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٤] (فلا تَخْشَوْا) (وَاخْشَوْنِ) طباقٌ، معانٍ متضادةٌ[٢]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرُّوم: ٦-٧]. (لا يعلمون) (يعلمون ظاهرًا)[٣]، وهنا أيضًا نكتة وهي: أن علمَ الناس كَلَا عِلْمٍ؛ لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثم أثبتَ لهم عِلْمًا، فصار كأن علمَهم في هذه الدنيا كَلَا عِلْمٍ حقيقةً في مقابل ما سينفتح لهم من أشياءَ بعدَ الموتِ في الدار الآخرة.

وَيُلْحَقُ بِهِ نَحْوُ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْفَتْح: ٢٩] فَإِنَّ الرَّحْمَةَ مُسَبَّبَةٌ عَنِ اللِّينِ. يعني: الذي فيه لينٌ يَرْحَمُ، واللينُ مقابلٌ أو مضادٌّ للشِّدَّةِ، وجاء الطباق هنا بين رحماء وأشداء لأن الرحمة مُسَبَّبَةٌ عن اللين، واللينُ يقابل الشدةَ[٤].

وَمِنْهَا نَوْعٌ يُخَصُّ بِاسْمِ الْمُقَابَلَةِ، وَهُوَ: أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ نَحْو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التَّوْبَة:

(١) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٤٩).
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣٢٥).
(٣) التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٥٠).
(٤) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (٣/ ١٥٢).

٨٢](١).

فقابل بين (فليضحكوا قليلًا)، وبين (ليبكوا كثيرًا).

وَنَحْو: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٧]. يأمرهم وينهاهم، بالمعروف وبالمنكر، هنا مقابلةٌ بينَ الأمرِ والنهيِ، والمعروفِ والمنكرِ(٢).

ثم القِسْم الآخَر من الآية: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ يحل ويحرم، والطيبات والخبائث(٣).

وَنَحْوَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [اللَّيْل: ٥-١٠] هنا مقابلةٌ بينَ أربعة مَعَانٍ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِـ (اسْتَغْنَى): أَنَّهُ زَهِدَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ، كَأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ، أَوِ اسْتَغْنَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ نَعِيمِ الآخِرَةِ فَلَمْ يَتَّقِ(٤).



---

(١) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٥٠-٣٥١).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣٢٧).

(٣) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٣١٦).

(٤) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٥٣).

النوع السادس والسبعون: المناسبة

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ: ذِكْرُ الشَّيْءِ وَمَا يُنَاسِبُهُ، وَيُسَمَّى أَيْضًا: مُرَاعَاةَ النَّظِيرِ، وهو عبارة عن الجمع بين المتشابهات[1]، نَحْوَ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٥]. الشمسُ يُنَاسِبُهَا القمرُ، بحسبان: أي: الشمس تجري بحساب، والقمر يجري بحساب، فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان[2].

وَمِنْهُ نَوْعٌ يُسَمَّى: تَشَابُهَ الأَطْرَافِ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلامُ بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي الْمَعْنَى نَحْوَ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأَنْعَام: ١٠٣][3]. هذا الموضوع يناسب الحُفَّاظَ جِدًّا؛ لأنه قد تشتبه عليهم أواخرُ الآياتِ، وهو موضوعٌ جميلٌ، فَإِنَّ الَّذِي لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ يُنَاسِبُهُ اللَّطِيفُ، وَالَّذِي يُدْرِكُ يُنَاسِبُهُ الْخَبِيرُ. فهو سبحانه وتعالى يُدْرِك الأبصارَ فهو الخبيرُ، ولا تدركه الأبصارُ فهو إذًا اللطيف.

وَمِنْهُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [الْمَائِدَة: ١١٨] الآيَةَ.

قَالَ الطِّيبِيُّ: هُوَ مِنْ خَفِيِّ هَذَا الْقِسْمِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يُوهِمُ أَنَّ الْفَاصِلَةَ: ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، يعني: أن انتهاءَ الآية وهي الفاصلة: (الغفور الرحيم)، لَكِنَّ التَّقْدِيرَ: إِنْ تَغْفِرْ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ فَالْمُنَاسِبُ لَهُ: الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ حُكْمَهُ، وَيَعْلَمُ الْحِكْمَةَ فِيمَا يَفْعَلُهُ وَإِنْ خَفِيَتْ[4].

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي (١/ ٤٢٤).

(٢) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٥٤).

(٤) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصبع (ص٥٢٩).

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

هذه آيةٌ ظَلَّ النبيُّ ﷺ يرددها ويبكي إلى الفجر في صلاة التهجد ﷺ(١) فهي آيةٌ عظيمةٌ، وخُتمت بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، والمتبادَر إلى الذهن أن تُختم بالمغفرة والرحمة؛ لأن الذي يغفر هذا لا بد أن يكون عزيزًا لا يُرَدُّ حُكْمُهُ، ولا بد أن يكون حكيمًا أيضًا؛ لأنه يعرف لماذا غَفَرَ على جُرْمٍ عظيم، ولابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كلامٌ طويل في هذه الآية من أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه في المدارج(٢).

وَيُحْكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ: (فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فَأَنْكَرَهُ، وَلَمْ يَكُنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ هَذَا كَلامَ اللهِ فَلَا يَقُولُ كَذَا... الْحَكِيمُ لا يَذْكُرُ الْغُفْرَانَ عِنْدَ الزَّلَلِ؛ لأَنَّهُ إِغْرَاءٌ عَلَيْهِ(٣).

هذا الأعرابيُّ لا يعرف القرآنَ، ولا يعرف أن هذه الآية تنتهي هكذا أو بطريقة أخرى، وإنما أنكر أن يكون ذلك قُرْآنًا، وقد سمعه لأول مرة! انْظُرْ إلى فِرَاسَةِ الأعرابِ وفطنتهم ومعرفتهم ببلاغة الكلام وسياقه! لأنه لو قال: (فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لكان هذا إغراءً على الخطايا والزَّلَلِ، والحكيمُ لا يفعلُه، فعرف أنه أخطأ في الآية وهو لم يسمعها قَبْلَ ذلك، فالأعراب معرفتُهم بالبلاغة وسياقِ الكلام عجيبةٌ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢١٣٨٨). حسن إسناده النووي. انظر: خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، النووي (١/ ٥٩٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (١/ ٥٩).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص النعماني (٣/ ٤٨٠).

وَمِنْهُ نَوْعٌ يُسَمَّى: الْمُشَاكَلَةُ، وَهُوَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظِ غَيْرِهِ لِوُقُوعِهِ فِي صُحْبَتِهِ، وَهَذَا نَوْعٌ مُهِمٌّ يَنْبَغِي إِتْقَانُهُ؛ لأَنَّهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، نَحْو: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [الْمَائِدَة: ١١٦] فَإِطْلَاقُ النَّفْسِ عَلَى اللهِ لِمُشَاكَلَةِ مَا قَبْلَهُ(١).

هذا قوله رَحِمَهُ اللهُ، لكن المعتمَد عند أهل السُّنَّةِ والجماعةِ أن النفس صفة تُطلق على الله تبارك وتعالى، ومَنْ أراد التوسعَ في ذلك فَلْيَرْجِعْ إلى بداية كتاب: «التوحيد» لإمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ، فقد أَوْرَدَ في بداية كتاب التوحيد آياتٍ كثيراتٍ، وَأَوْرَدَ آثارًا وأحاديثَ تُثْبِتُ صفةَ النفسِ لله تبارك وتعالى[٢]، فأهل السنة والجماعة يُثْبِتُونَهَا من غير تأويل[٣] ولا تعطيل[٤] ولا تشبيه[٥] ولا تكييف[٦]، إنما يُمِرُّونَهَا كما جاءت، كما سُئِلَ يحيى بن مَعِينٍ عن هذا الموضوع وكما سُئِلَ كثيرٌ من السلف، فكلهم يقولون: أَمِرُّوهَا كما جاءت[٧]، أي: لا تَتَكَلَّفُوا الكلامَ فيها؛ فإنها لا تُشَبَّهُ ولا تُكَيَّفُ، ولا تُعَطَّلُ أيضًا ولا تُتْرَكُ كما فعل المبتدعةُ، إنما تُمَرُّ كما جاءت كما أخبر السلف عليهم رحمة

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٤٢٤).

(٢) انظر: التوحيد، لابن خزيمة (١/ ١٣).

(٣) صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله. انظر: التعريفات، الجرجاني (ص٥٠).

(٤) إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كليًا أو جزئيًا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود. انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (١/ ٩١).

(٥) أن يشبه الله بخلقه، فيقول: يد كيدي، وبصر كبصري. انظر: جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، النووي (ص٦٢).

(٦) جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل. انظر: العرش، الذهبي (١/ ١١٦).

(٧) انظر: قواعد العقائد، الغزالي (ص ١٣٦).

الله، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البَقَرَة: ١٤-١٥] ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٥٤] ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشُّورَى: ٤٠]، أما ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فهي مثلُ ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وهذه تدخل في المشاكلة[1] ولا بأس، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ فإذا رَدَدْتُ العُدْوَانَ فإني لا أكونُ معتديًا، ولكن في البلاغة يُسَمَّى: المُشَاكَلَة، أي: أُقَابِلُ العملَ بشكله أو بمثله، فإذا اعتدى عليَّ فرددتُ الاعتداءَ، يقال: اعتديتُ عليه أيضًا، ومنه ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ والردعُ لا يُسَمَّى: سيئةً، لكن هذا من باب المشاكلة.

أما بالنسبة لصفات الله تبارك وتعالى فابنُ جريرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذَكَرَ ذلك الخداعَ، والمكرَ، والسخريةَ، والاستهزاءَ، فقال: ما ورد في القرآن بالنسبة للمكر والخديعة والاستهزاء والسخرية إلى الله تبارك وتعالى على وجه اللعب والعبث فهو منتفٍ بالإجماع[2].

أجمع العلماءُ على أن ذلك منتفٍ عن الله تبارك وتعالى على وجه العبث واللعب، تبارك الله أن يكون كذلك! وَجَلَّتْ أفعالُه الحكيمةُ أن تكون كذلك! قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أمَّا على وجهِ الانتقامِ والمقابلةِ بالعدلِ والمجازاةِ فلا يمتنع ذلك)، أي: فلا يمتنع إطلاقُه على الله تبارك وتعالى من باب المشاكلة، فالمشاكلةُ هنا صورة لا حقيقة، وَتَابَعَهُ على ذلك ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند تفسير قوله

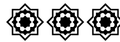
(١) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣١٦).

تعالى في أوائل سورة البقرة: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، فقد أثبتَ هذا على الوجه التامِّ(١)، وأورد الآراءَ التي ذكرها ابنُ جريرٍ في كتابه، وذكر أن ابن جرير نصر هذا القول.

وَقَدْ يُذْكَرُ بِلَفْظِ غَيْرِهِ لِتَقْدِيرِ وُقُوعِهِ فِي صُحْبَتِهِ، نَحْوَ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [الْبَقَرَة: ١٣٨] فَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لآمَنَّا بِاللهِ؛ أَيْ: تَطْهِيرُ اللهِ؛ لأَنَّ الإِيمَانَ يُطَهِّرُ النَّفْسَ، وَالأَصْلُ: أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلادَهُمْ فِي مَاءٍ أَصْفَرَ يُسَمُّونَهُ: الْمَعْمُودِيَّةَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ، فَعَبَّرَ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ بِـ(صِبْغَةِ اللهِ) لِلْمُشَاكَلَةِ بِهَذِهِ الْقَرِينَةِ(٢).

عندما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] إلخ. ثم قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ فالمناسبةُ بينَ قوله تعالى: (صِبغة الله) وبين الآيات قَبْلَهَا هي أن النصارى عندما يُولد لهم ولدٌ يَدَّعُونَ ادِّعَاءً كاذبًا أنهم إذا غَمَسُوهُ في ماءٍ يُبَارِكُهُ القُسُسُ والرهبان فإن الولدَ يخرج مبارَكًا، وأن الولد إذا نشأ نصرانيًّا لا بد له أن يُغمس في بدايته في ماءٍ أصفرَ يسمونه: ماءَ المعمودية، هكذا ادَّعَوْا، فالمسلمون يَرُدُّونَ عليهم بأننا نحن صُبِغْنَا أيضًا، لَكِنَّا صُبِغْنَا بالإيمان الذي هو صبغة الله تبارك وتعالى، ولا حاجةَ لنا فيما يفعله النصارى.



(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٩٤).

(٢) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي (١/ ٤٢٤)، علوم البلاغة، المراغي (ص ٣٢٥).

النوع السابع والسبعون: المجانسة

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ الْجِنَاسُ، وَهُوَ: تَشَابُهُ اللَّفْظَيْنِ -مع الاختلاف في المعنى[١]، وقد نَبَّهَ إلى ذلك المحققُ في الهامش-، وَأَقْسَامُهُ كَثِيرَةٌ، وَأَلَّفَ فِيهِ الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ تَأْلِيفًا. صلاح الدين الصفدي أحدُ المؤرخين المسلمين وأدبائهم الكبار، ومن علماء العربية الكبار أيضًا، كان في القرن الثامن رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]، وألف كُتُبًا كثيرةً، أهمها: «الوافي بالوفَيات» خرج منه إلى الآن اثنان وعشرون جزءًا كبيرًا، وما زالت لَجْنَةٌ من المستشرقين تُحَقِّقُهُ في مدينة فرانس ليسبادن في النمسا، ويخرج تِبَاعًا، وهو موجود ومطبوع بالدول العربية ويوزع، لكنه لم يكتمل حتى الآن، وبعضُ أجزائِه مفقودٌ وما زال يُطبع وَيُنْشَرُ، وللصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ كُتُبٌ كثيرةٌ في الأدب واللغة، منها: «نَكْتُ الْهِمْيَانِ فِي نُكَتِ الْعُمْيَانِ»[٣] وهو كتابٌ مُهِمٌّ، والهميان: تكة السراويل، أو الحزام[٤]، فَنَكْتُ الهميانِ: إخراج ما فيه، من نكت العميان، أتى فيه بالعميان الأشراف، والعميان العلماء، والعميان الذين كان لهم أثر في التاريخ الإسلامي، وهو كتاب مهم مشوق، وله كتب كثيرة على هذا المنوال فيها فائدة وفيها تشويق.

وَنَذْكُرُ مِنْهُ مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ:

الْأَوَّلُ: التَّامُّ (الجناس التامُّ)، وَهُوَ أَنْ يَتَّفِقَ اللَّفْظَانِ فِي: أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَأَعْدَادِهَا، وَهَيْئَاتِهَا، وَتَرْتِيبِهَا[٥].

---

(١) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٨٨).

(٢) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر (٢/ ٢٠٧).

(٣) انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، الباباني (٤/ ٦٧٨).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٢٧٦).

(٥) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (١/ ٧٤).

ثُمَّ إِنْ كَانَا مِنْ نَوْعٍ كَاسْمَيْنِ فَهُوَ مُمَاثِلٌ، نَحْوَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الرُّوم: ٥٥]. فـ(ساعة، وساعة) اتَّفَقَا في نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها، لكنَّ المعنى مختلفٌ تمامًا(١).

أَوْ مِنْ نَوْعَيْنِ سُمِّيَ مُسْتَوفًى، نَحْو: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ [يُونُس: ٢١] **فَإِذَا الأُولَى شَرْطِيَّةٌ وَهِيَ اسْمٌ، وَالثَّانِيَةُ فُجَائِيَّةٌ وَهِيَ حَرْفٌ(٢)**. أو من نوعين، أي: اسم وفعل، أو اسم وحرف، أو حرف وفعل، مثل: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ فـإِذَا الأُولَى: شرطية، وَإِذَا الثانية: فُجَائِيَّةٌ، والمعروف أَنَّ إِذَا الشرطية اسمٌ، وإذا الفجائية حرفٌ، تقول: فَتَحْتُ البَابَ فَإِذَا مُحَمَّدٌ، أي: فمحمدٌ فَاجَأَنِي، فإذا هذه فجائية ليست شرطية، وتقول: إذا ذاكرتَ نجحتَ، فإذا هنا شرطيةٌ، وهذا جناسٌ بين نوعين، سُمِّيَ: جناسًا مستوفًى.

الثَّانِي: النَّاقِصُ، وَهُوَ أَنْ يَخْتَلِفَا فِي الْعَدَدِ، نَحْو: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القِيَامَة: ٢٩-٣٠]. (سَاقٌ، وَمَسَاقٌ)(٣)، إما أن يختلفا في العدد في الأول، فيكون في لفظ معين محذوفًا ومثبتًا في الآخر، أو في الوسط، أو في الأخير، وهناك أمثلة كثيرة في كتب البلاغة من شعر العرب وكلامهم، لكنه اقتصر هنا على ما في القرآن العظيم، وإلا فأمثلته أكثر من أن تُحْصَى من كلام العرب شعرًا ونثرًا.

---

(١) انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ص ٤٢٢).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢/ ١٧٥).

(٣) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (١/ ٢٦٩).

الثَّالِثُ: اللَّفْظِيُّ، وَهُوَ أَنْ يَتَّفِقَا لَفْظًا وَيَخْتَلِفَا خَطًّا، نَحْو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣][1]. (ناضرةٌ، وناظرةٌ)، يقول: اختلفت طريقةُ الكتابةِ في كلتا الكلمتين، الأولى بالضادِ، والثانية بالظاء، واتفقتا لفظًا، وإنما كان بينهما اتفاقٌ في اللفظ مع أن الأولى ضادٌ والأخرى ظاءٌ لأن العرب تتسامح في الضاد والظاء، حتى إن الأئمة الذين يُفْسِدُونَ صلاةَ مَنْ يلحن في الفاتحة بعضُهم يتسامح في حرف الضاد، في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الْفَاتِحَة: ٧] إذا نَطَقَ به لسانُه قريبًا من الظاء، أو نطق به ظاءً[2]، ولشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ في التفرقة بين الضاد والظاء، من أرده فليرجع إليه في الفتاوى[3]، وكثير من الأئمة قد أفرد

---

(١) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (١/ ٩٠).

(٢) قال ابن الجزري: فمنهم من يجعله (الضاد) ظاء مطلقًا؛ لأنه يشارك الظاء في صفاتها كلها، ويزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق. وهذا لا يجوز في كلام الله تعالى؛ لمخالفة المعنى الذي أراد الله تعالى؛ إذ لو قلنا: (الضالين) بالظاء كان معناه الدائمين، وهذا خلاف مراد الله تعالى، وهو مبطل للصلاة؛ لأن (الضلال) هو ضد (الهدى)، وبالظاء هو الدوام، كقوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: ٥٨]. انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ص١٣٠).

(٣) قال ابن تيمية: أما من لا يقيم قراءة الفاتحة فلا يصلي خلفه إلا من هو مثله، فلا يصلي خلف الألثغ الذي يبدل حرفًا بحرف إلا حرف الضاد إذا أخرجه من طرف الفم كما هو عادة كثير من الناس فهذا فيه وجهان: منهم من قال: لا يصلى خلفه ولا تصح صلاته في نفسه؛ لأنه أبدل حرفًا بحرف؛ لأن مخرج الضاد الشدق ومخرج الظاء طرف الأسنان. فإذا قال: (ولا الظالين) كان معناه ظل يفعل كذا. والوجه الثاني: تصح. وهذا أقرب؛ لأن الحرفين في السمع شيء واحد وحس أحدهما من جنس حس الآخر؛ لتشابه المخرجين. والقارئ إنما يقصد الضلال المخالف للهدى وهو الذي يفهمه المستمع، فأما المعنى المأخوذ من ظل فلا يخطر ببال أحد، وهذا بخلاف الحرفين المختلفين صوتًا ومخرجًا وسمعًا، كإبدال الراء بالغين؛ فإن هذا لا يحصل به مقصود القراءة. انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٣/ ٣٥٠-٣٥١).

مسألةَ الضاد والظاء وَنُطْقَ العربِ لهما في كتابات مفردَة مستقلة[١]، لذلك قال هنا: أن يتفقا لفظًا، مع أنَّ (نَاضِرَة) تختلف عن (نَاظِرَة)، والعربي الفصيح ينطق الضادَ من مخرج، وينطق الظاء من آخر، لكن العرب -خاصةً المتأخرين منهم- يتسامحون في مسألة نطق الضاد والظاء.

الرَّابِعُ: الْمُضَارِعُ، وَهُوَ أَنْ يَخْتَلِفَا فِي الْحُرُوفِ بِمُتَقَارِبَيْنِ، نَحْو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأَنْعَام: ٢٦][٢].

المقصود بالتقارب هنا: التقارب في الْمَخْرَجِ والصفةِ، فمخارج الحلق ثلاثة مخارج لستة أحرف، وهي: الهمزة والهاء من أقصى الحلق، والعين والحاء من وسط الحلق، والغين والخاء من أدنى الحلق مما يلي الفم[٣]، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ فهم ينهون عن كتاب الله تبارك وتعالى أحدًا أن يقرأه، أو أن يقترب من تعليمه، أو أن يقترب من رحمة الله تبارك وتعالى بقراءته، وينأون عنه في نفس الوقت، أي: يبتعدون عن كتاب الله، فالمعنى مختلفٌ، لكن الحروف متقاربةٌ في اللفظ. والتجانس: أن يتفق الحرفان في المخرج ويختلفا في صفة أو أكثر[٤]، فالهمزة والهاء حرفانِ متجانسانِ. والمتقاربان: إذَا تَقَارَبَا مخرجًا وصفةً[٥]، والحرفان المتباعدان: إذا تباعدا مخرجًا وصفةً[٦].

---

(١) مثل: كتاب «معرفة الفرق بين الضاد والظاء»، لابن الصابوني الصدفي.
(٢) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق (١/ ٣٢٦).
(٣) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ٤٥).
(٤) انظر: بغية المستفيد في علم التجويد، لابن بلبان (ص٤٠).
(٥) انظر: الدر النثير والعذب النمير، لأبي عمرو الداني (٢/ ١٢).
(٦) انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المرصفي (١/ ٢٢٣).

الْخَامِسُ: اللَّاحِقُ، وَهُوَ: أَنْ يَخْتَلِفَا بِغَيْرِ مُتَقَارِبَيْنِ، نَحو: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الْهُمَزَة: ١][(١)]. قوله: أن يختلفا بغير متقاربين، أي: أن يكونا متباعدين، كالهاء واللام: فالهاء من الحلق، واللام من طرف اللسان، وبينَهما ما بينهما في المخرج، فهما حرفانِ متباعدانِ.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غَافِر: ٧٥][(٢)]، (تفرحون، تمرحون) جناس، واختلفا في الفاء والميم، وهو جناس لاحق؛ لأن الفاء والميم مخرجهما من الشَّفَتَيْن[(٣)]، فهذان الحرفان متقاربان، وبالاصطلاح التَّجْوِيدِي: حرفان متجانسان، فالتَّجَانُسُ نَوْع من أنواع التقارب، لكنه تقارب أَخَفُّ.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [الْعَادِيَات: ٧-٨][(٤)] (شهيد، وشديد) اخْتَلَفَا في الدالِ والهاءِ، وهما حرفان متباعدان أو عَلَى الأقل غيرُ متقاربينِ. **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾** [النِّسَاء: ٨٣][(٥)] (أمرٌ، وأمن) من أنواع الجناس.

السَّادِسُ: الْمُصَحَّفُ، وَهُوَ: أَنْ تَتَّفِقَ الْكَلِمَتَانِ خَطًّا وَيَخْتَلِفَ نَقْطُ الْحُرُوفِ، نَحْو: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الْكَهْف: ١٠٤] فـ(يحسبُون، ويحسنون) ليس

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١٢).
(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٣٠٤).
(٣) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ٤٥).
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١٢).
(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٥٠).

بينَهما خلافٌ إلا في النقط(١).

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٩-٨٠]

(يسقين، ويشفين) ليس بينَهما خلافٌ إلا في طريقة النَّقْطِ(٢)، أما الخط في الفاء والقاف فهذه من القواعد المتأخِّرَة التي لم يكن يعرفها الأقدمون؛ فدائرة الفاء تختلف عن دائرة القاف عند المتأخرين،ولكن عند الأولين (يسقين ويشفين) واحدة.

السَّابِعُ: الْمُحَرَّفُ، وَهُوَ: أَنْ يَخْتَلِفَا شَكْلًا، نَحو: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصَّافَّات: ٧٢-٧٣](٣). المقصودُ بأن يختلفا شكلًا، أي: في التشكيل -الضمة والفتحة والكسرة- المنذِرين والمُنذَرين، فُتِحَتِ الذَّالُ وكسرت فصار هنا جناسٌ، وهو: الْمُحَرَّف.

﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾ [الْفُرْقَان: ٢١].

وَمِنْهُ نَوْعٌ يُسَمَّى: الْمَقْلُوبَ الْمُسْتَوِيَ، نَحْو: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣]، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأَنْبِيَاء: ٣٣]. فقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ تقرأها من اليسار إلى اليمين، وتقرأها أيضًا من اليمين إلى اليسار، وهذا يسمونه: ما لا يستحيل بالانعكاس؛ لأنك لو عكستَ طريقةَ كتابة الكلمة فلا يستحيل اللفظ معكَ، أي: لا يتحول بالانعكاس (ر ب ك ف ك ب ر) (ك ل ف ي ف ل ك) من اليمين أو

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١١).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٥٠)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١١).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١١).

من اليسار، النطق واحد(١).

ومن الجمل التي هي خارج القرآن: (دام علا العماد) (رجح نبأ ابن حجر) (سِرْ فلا كَبَا بك الفرسُ)(٢).

وَيَلْحَقُ بِالْجِنَاسِ شَيْئَانِ: الأَوَّلُ: أَنْ يَجْمَعَ اللَّفْظَيْنِ الاشْتِقَاقُ، نَحْو: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الرُّوم: ٤٣](٣) فهنا: (أَقِمْ، والقَيِّم)، وقام، ويقوم، وقيامًا، ودين القَيِّمَة، كل هذه مشتقة من قَوَمَ(٤)، هذا هو الجذر اللغوي الذي ترجع إليه كلُّ هذه الكلماتِ، وتكون ثلاثيةً في الأكثر، ورباعيةً في الأقل. فالمادة: (قَوَمَ) تشترك فيها: قام، يقوم، قيامًا، وقيمًا، وأقم، والقيمة، وفلان قَيِّم، وابن قيم الجوزية، كل هذه المعاني للقيام على الشيء، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النِّسَاء: ٣٤]، والقيامة والقوامة من مادة قَوَمَ. فاشترك اللفظان في المادة نفسها، ويسمى: المقتضب(٥)، **وَسَمَّاهُ الْمُتَأَخِّرُونَ: الْجِنَاس الْمُطْلَق(٦).**

الثَّانِي: أَنْ تَجْمَعَهُمَا الْمُشَابَهَةُ، وَهِيَ مَا يُشْبِهُ الاشْتِقَاقَ، نَحْوَ: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٦٨]. وهو الجناس المطلق(٧). فلفظ (قَالَ) معروف، وقَالٍ: مُبْغِض، وقالينَ: مبغضينَ(٨)، أي: الذين يُبْغِضُونَ هذا العملَ،

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٢٩٣).

(٢) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٢٧٦)، نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ١٧١).

(٣) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص ٨٣)، نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ٩٥).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٤٩٩) وما بعدها.

(٥) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (٧/ ٩٥).

(٦) هذا يسمى: المقتضب، والمطلق الذي بعده. انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١٢).

(٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١٢).

(٨) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٥/ ٤١٥)، الكليات، الكفوي (ص ٧٣٩).

و(قَالَ) وَ(قَالِينَ) قريبةٌ متشابهةٌ من بعضها، وليس هناك اشتقاق بينَهما.

وَإِذَا وَلِيَ أَحَدُ الْمُتَجَانِسَيْنِ الآخَرَ فَهُوَ الْمُزْدَوَجُ، نَحْوَ: ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ [النَّمل: ٢٢] (سبأ) (نبأ)، اختلف الحرفُ الأولُ في كلتا الكلمتين، ووليت الأخرى الأُولى مباشرةً، فهذا يُسَمَّى: جناسًا مزدوجًا[١]، **أَوْ وَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي أَوَّلِ الآيَةِ، وَالآخَرُ آخِرَهَا فَهُوَ: رَدُّ الْعَجُزِ**. العَجُزُ هو المؤخرة، وَعَجُزُ الإنسانِ: مؤخرتُه؛ إِلْيَتُهُ[٢]، ومادته عَجَزَ، والعاجز يتأخر عادةً في المشي وفي اللحاق وفي الطعام وفي الكلام وفي كل شيء. وفي القرآن: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الأَنعَام: ١٣٤]، والإعجاز القرآني، كلها مادةٌ واحدةٌ؛ لأن العَجز له أصلان: إما الضَّعْف، أو التأخر عن الشيء، ويشترك الضعف مع التأخر في الاشتقاق الأصلي، **فَهُوَ: رَدُّ الْعَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ كَالآيَةِ الَّتِي قَبْلَهُ**، يعني: ردُّ آخِرِ الآيةِ على أَوَّلِهَا ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٦٨]، كما قال المحقق في الهامش، (قَالَ، وَقَالِينَ)، فَرَدَّ العجز -آخرَ الآية- على الصدر في التشابه في اللفظ، فهنا جناسٌ يجمعه التشابهُ في لفظ الكلمة.

وَنَحْو: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نُوح: ١٠][٣].

﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأَحزَاب: ٣٧][٤].

---

(١) انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٤٣٠).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٧٠).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٩٤)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي (١/ ٣٣٣).

(٤) انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي (٢/ ٢٠٥).

وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَا يُسَمَّى بِالْعَكْسِ، وَهُوَ: أَنْ يُقَدَّمَ فِي الْكَلامِ جُزْءٌ ثُمَّ يُؤَخَّرُ؛ نَحْوَ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يُونُس: ٣١][(١)]. فالحي قُدِّمَتْ على الميت أولًا، ثم قُدم الميتُ على الحيِّ آخِرًا.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الْمُمْتَحَنَة: ١٠] فالحِلُّ أُخرت عن الضمير، ثم قُدِّمَتْ على الضمير في الآخر[(٢)].

وإذا فَتَحْتَ كتابَ البلاغةِ وأردتَ أن تدرسَ هذه المصطلحاتِ، قد تجدها مصطلحاتٍ كثيرةً وعظيمةً وصعبةً، لكنها كما رأيتَ، إن فُهِمَتْ فهي سهلةٌ جِدًّا، فالبلاغةُ التي يستصعبها كثيرٌ من الناس، نسبةٌ كبيرةٌ من مباحثها واصطلاحاتها سهلةٌ -إن شاء الله- إن فُهِمَتْ، وإن طُبِّقَتْ على كتاب الله تبارك وتعالى والأحاديث النبوية وعلى كلام العرب فسَهْلٌ فَهْمُهَا، فلا يَهُولَنَّكَ شأنُ هذه المصطلحات والألفاظ والتسميات؛ فَإِنَّ أمرَها هَيِّنٌ سهلٌ.



---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ٣١٧).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٦٧).

النوع الثامن والسبعون، والتاسع والسبعون
التورية، والاستخدام

هَـذَانِ النَّوْعَـانِ مِـنْ زِيَـادَتِي، وَأَفْرَدَهُمَـا النَّـاسُ بِالتَّـصْنِيفِ، وَهُمَـا مُهِمَّـانِ، خُصُوصًا التَّوْرِيَةُ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: لَا نَرَى بَابًا فِي الْبَيَانِ أَدَقَّ وَلَا أَلْطَفَ مِنَ التَّوْرِيَةِ، وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْوَنَ عَلَى تَعَاطِي الْمُشْتَبَهَاتِ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِه[١]، وَهِيَ: أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ: قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ، وَيُرَادُ الْبَعِيدُ[٢]، بالقرينة التي تأتِي في الكلام؛ إما تكون عقليةً أو تكون لفظيةً مصاحِبة للمنطوق، فالقرينةُ هذه تُبَيِّنُ لنا المرادَ، ثُمَّ تَارَةً تَكُونُ مُجَرَّدَةً، وَهِيَ الَّتِي لَا تُجَامِعُ شَيْئًا، وتارةً تكون مُرَشَّحَةً[٣] والمجردة والمرشحة تَكَلَّمْنَا عليها في الاستعارة، وقلنا: المرشحةُ هي التي تأتِي بما يلائم المستعارَ منه، فهي مُقَوِّيَةٌ لِلْمَعْنَى، والمجردة ليس فيها ترشيحٌ، وهي أقلُّ من المرشَّحَة.

ثُمَّ تَارَةً تَكُونُ مُجَرَّدَةً وَهِيَ الَّتِي لا تُجَامِعُ شَيْئًا مِمَّا يُلائِمُ الْقَرِيبَ، نَحْوَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فَإِنَّ الاسْتِوَاءَ لَهُ مَعْنَيَانِ: الاسْتِقْرَارُ، وَهُوَ الْمَعْنَى الْقَرِيبُ الْمُوَرَّى بِهِ؛ لأَنَّهُ غَيْرُ مَقْصُودٍ لِتَنْزِيهِ الْحَقِّ عَنْهُ، وَالاسْتِيلاءُ وَهُوَ الْبَعِيدُ الْمَقْصُودُ الْمُوَرَّى عَنْهُ بِالْقَرِيبِ[٤].

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٤/ ١٤٣).

(٢) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (٢/ ٤٥).

(٣) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (٢/ ٤٥).

(٤) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (٢/ ٢٤٣)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين اليوسي (٢/ ٢٢٨).

لا أدري لماذا ينغمس المصنفون في هذه المسائل؟ لماذا يقولون: إن الاستواء يُنَزَّهُ الحقُّ عنه، ثم يقولون: إن معناه استيلاء؟! فهذا تأويلٌ، والتأويلُ - كما نعلم- كان السلفُ يمْتَنِعُونَ عَنْهُ فِي جُلِّ مرْوِيَّاتهم، ويفضلون الإثباتَ، بل الإثباتُ كان مذهبَ السلفِ الأعظمِ رحمهم الله تعالى، وكان يكثر عنهم رحمهم الله تعالى قول: «أَمِرُّوهَا كما جَاءَتْ»(١)؛ أي: كما جاءت مطلقةً في كتاب الله وفي سُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فعقولنا محجوزةٌ بهذا الغيب العظيم، لا نستطيع أن نفكر في الله تبارك وتعالى وفي ذاته، يومَ القيامة يُكشف هذا الحاجزُ، فنرى اللهَ تبارك وتعالى، ونرى الْمُعَدَّ لنا والنعيم العظيم والملك المقيم، أما في الدنيا فلا نستطيع.

فمسألة التأويل هذه مسألة طويلة، وكان السلف يجتنبونها، لا جهلًا وإنما يجتنبونها قَصْدًا، ويقولون: أَمِرُّوهَا كما جاءت؛ لأنهم يعلمون أن للعقول حَدًّا، ولا تستطيع العقولُ مهما صَنَعَتْ أن تفهمَ هذه المعانيَ على حقيقتها. فالاستواءُ تعرفه العربُ، ونحو: «ضحك ربنا من رجلين قتل أحدهما صاحبه»(٢): تعرف العربُ معنى الضحك، ونحو: «**عَجِبَ رَبُّكُمَا مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(٣): تعرف معنى العجب، وهذا يرد على المفوضة، فالمعاني لا نُفَوِّضُهَا إلى الله، فنحن نعرف المعانِي في ظاهر لغتنا، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُف: ٢] فالمعانِي معروفةٌ عندَ العربِ، والعربُ قومٌ

(١) انظر: قواعد العقائد، أبو حامد الغزالي (ص ١٣٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٥١)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٥٧١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٥٤).

فصحاءُ يعرفون معانيَ كلامهم، فكانوا مشهورين بالفصاحة والبلاغة خاصةً في عهد رسول الله ﷺ؛ إذ اكتملت البلاغةُ في عهده ﷺ اكتمالًا، ونضجت نُضْجًا لم يكن من قبلُ، وكان هذا من رحمة الله تعالى أن أُنزل القرآنُ في ذلك الزمان حتى يقتنع العربُ الموجودون بأنه ليس لهم سبيلٌ للإتيان بمثل القرآن أبدًا؛ لأن البلاغةَ قد بَلَغَتْ بالعرب في زمن نزول الوحي إلى المبلغ الذي لم تَصِلْهُ من قبلُ ولا من بعدُ، وهذا من تدبير الله تعالى الحكيم، حتى يقتنع الناسُ أنه لا مجالَ لهم بأن يأتوا بمثل القرآن، ويعجزوا عنه عجزًا واضحًا بَيِّنًا، سُجل عليهم في كتاب الله في آيات كثيرات، فقد تحدَّاهُم اللهُ تبارك وتعالى بأن يأتوا بمثل القرآن فلم يأتوا.

الحاصل: أن العربَ تعرف معنى هذا الكلام، وإنما قال السلف: (أَمِرُّوهَا كما جاءت)؛ لأنهم لا يعرفون الكيفيات، فإنما التسليم في الكيفية لا في المعنى، أما الذين يُسَلِّمُونَ في الكيفية وفي المعنى فيقال لهم: (مفوضة)، وهم على خلاف مذهب السلف، إنما السلف كانوا يعرفون المعانيَ الظاهرةَ من لغتهم. هذا هو مذهب التسليم باختصار، وهو أسلمُ وأحكمُ بالمؤمن أن يتبعَه.

فالمهمُّ: أن ما أتى به السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هو مذهب الْمُؤَوِّلَةِ، الذين يُؤَوِّلُونَ الاستواءَ بالاستيلاء؛ لأنهم يفرون -حسب زعمهم ودعواهم- من الجهة؛ لأنهم يقولون: الاستواء بالمعنى المعلوم ينتج عنه كونُ الله تعالى في جهة، وهو فوقَنا في جهة واحدة، فهم يهربون من هذا التسليم في زعمهم، والكلامُ في المسألة طويلٌ؛ لذلك قولهم: (أَمِرُّوهَا كما جاءت) كلمةٌ حكيمةٌ كان السلفُ يقولونها بكثرة، وَأُثِرَتْ عن الإمام أحمد وعلي بن المديني ويحيى ابن معين رحمهم الله،

وغيرهم كثير من السلف.

الشرح البلاغي هنا: يقول: (الاستواءُ له معنيانِ: الاستقرارُ وهو المعنَى القريبُ الْمُوَرَّى به؛ لأنه غيرُ مقصودٍ؛ لتنزيهِ الحقِّ عنه)، وهم إنما جَنَحُوا للتأويل من أجل هذا؛ لأنهم يظنون أنهم ينزهون اللهَ تعالى إذا أَوَّلُوا الاستواءَ بالاستيلاء، والاستيلاءُ هو البعيد المقصود الْمُوَرَّى عنه بالقريب، فهم يقولون بأن الله أراد معنًى بعيدًا وَرَّى عنه بمعنًى قريبٍ.

وَتَارَةً تَكُونُ مُرَشَّحَةً نَحْوَ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذَّارِيَات: ٤٧] **الآيَةَ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ الْجَارِحَةَ وَهُوَ الْمُوَرَّى بِهِ، وَقَدْ ذُكِرَ مِمَّا يُلائِمُهُ الْبِنَاءُ، وَيَحْتَمِلُ الْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ وَهُوَ الْبَعِيدُ الْمَقْصُودُ**[(١)]. يقول بأن التورية هنا مرشَّحَة؛ لأنه ذُكِرَ ما يُلَائِمُهَا وهو (بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) فالأيدي الآن تُستعمل في البناء، كما هي العادةُ، فهنا التورية مرشحةٌ مُقَوَّاةٌ بِذِكْرِ ما يلائمها وهو (البناء) مثل ما ذَكَرْنَا في الاستعارة سابقًا، المهمُّ هو التشبيه.

وهنا ملحوظة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ لا نملك برهانًا من الله تعالى على أنه أراد بالأيد هنا القوة[(٢)]. ما البرهان الذي عندنا من الله تعالى

---

(١) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (٢/ ٢٤٥).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص ٦٢١)، تفسير الطبري (٢٠/ ٤١). قال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان (٧/ ٤٤٢): «قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ ليست من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم؛ لأن قوله: (بأيد) ليس جمع يد، وإنما الأيد: القوة، فوزن قوله هنا: ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ فعل، ووزن الأيدي: أفعل؛ فالهمزة في قوله: (بأيد) في مكان الفاء، والياء في مكان العين، والدال في مكان اللام. ولو كان قوله تعالى: ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾ جمع يد، لكان وزنه أفعلا، فتكون الهمزة زائدة، والياء في مكان الفاء، والدال في مكان العين، والياء المحذوفة -لكونه منقوصًا- هي اللام. والأيد والآد في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيد: قوي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾؛ أي: قويناه. فمن ظن أنه =

على أن المراد بالاستواء هنا الاستيلاء؟ ما البرهان الذي عندنا من الله تعالى على أَنَّ قوله: «عَجِبَ رَبُّنَا»(١) أو «رَضِيَ رَبُّنَا»(٢) أو «ضَحِكَ رَبُّنَا»(٣) أن المرادَ به إرادة إيقاعِ الثوابِ(٤)، و(غَضِبَ رَبُّنَا)(٥) إرادة إيقاعِ العقابِ؟(٦).

منتهى حجتهم هو قولهم: إن الإنسان إذا غضب يَحْمَرُّ وجهُه، وتختلف أحوالُه، فلا يعود كما كان من قبلُ، والله تعالى منزَّه عن ذلك، نقول: نعم، الله تعالى منزَّه عن ذلك تمامًا، معاذَ الله أن يكون كذلك سبحانه وتعالى! لكن ما البرهان الذي عندكم أن الله تعالى إذا غضب يتحول؟ لذلك كان السلف يُسَلِّمُونَ للنصوص؛ لأنهم ما يعلمون كيف يغضب اللهُ، ولا كيف يضحك اللهُ، ولا كيف يرضى الله سبحانه وتعالى، هذا أمر مهم، فكانوا يسلمون في هذا.

وَأَمَّا الاسْتِخْدَامُ فَلَهُمْ فِيهِ تَعْرِيفَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُذْكَرَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ فَأَكْثَرَ مُرَادًا بِهِ أَحَدُ مَعَانِيهِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِضَمِيرِهِ مُرَادًا بِهِ الْمَعْنَى الآخَرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النِّسَاء: ٤٣] الآيَةَ.

= جمع يد في هذه الآية فقد غلط غلطًا فاحشًا، والمعنى: والسماء بنيناها بقوة». وقريب منه كلام الشيخ ابن عثيمين في شرح الواسطية.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠١٠).

(٢) قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (١٨/ ١٣٥)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (١٩/ ٢٢٨).

(٥) قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٦].

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٨٥).

فَالصَّلاةُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ: فِعْلَ الصَّلاةِ، وَمَوْضِعَ الصَّلاةِ، فَأَرَادَ الأَوَّلَ بِلَفْظِهَا بِقَرِينَةِ: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾، وَالثَّانِي بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[١].

﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، فالصلاة يقول: إما فعل الصلاة، أو موضع الصلاة، فأراد الأول -أي: فعل الصلاة- بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ أي: في الصلاة، ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: لا تأتوا الصلاةَ على الهيئة المعروفة، وأراد من الثاني أي: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ المساجدَ، فلا يجوز عبورُ المساجد للجُنُبِ والحائضِ إلا أن يكون المسجدُ في الطريق فيعبر هذا المسجدَ من أجل الوصول إلى جانب الطريق الآخَرِ[٢]، فهذا يُسَمَّى: استخدامًا، يُذْكَرُ لفظٌ واحدٌ له معنيان، وكِلا المعنيينِ مُرَادٌ في الآية أو في الحديث أو في الشعر أو في النثر، لها قرائنُ تدل على كلا المعنيين. وكُتُبِ البلاغة فيها أمثلةٌ كثيرةٌ جِدًّا من الشعر والنثر وكلام العرب على هذه القواعد.

الثَّانِي: أَنْ يُؤْتَى بِلَفْظٍ مُشْتَرَكٍ، ثُمَّ بِلَفْظَيْنِ يُفْهَمُ مِنْ أَحَدِهِمَا أَحَدُ الْمَعْنَيَيْنِ، هذا تعريف آخرُ يدل على الاستخدام، وَمِنَ الآخَرِ الآخَرُ[٣] كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرَّعْد: ٣٨] الآيَةَ، فكتابٌ لفظٌ مُشْتَرَكٌ، بين الكتابِ المعروف، والكتابِ الذي هو الزمان، يعني: أَجَلٌ مضروب. والكتابُ مصدرُ، من كَتَبَ كتابًا وكتابة. فَلَفْظُ (كِتَابٌ) يَحْتَمِلُ الأَمَدَ الْمَحْتُومَ، وَالْكِتَابَ

---

(١) انظر: البديع في نقد الشعر، الشيزري (ص٨٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/ ٢٠٢).

(٣) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (١/ ١١٩).

الْمَكْتُوبَ، وَلَفْظُ (أَجَلٍ) يَخْدُمُ الْمَعْنَى الأَوَّلَ، وَ(يَمْحُو) يَخْدُمُ الْمَعْنَى الثَّانِيَ[١]. انْتَهَى.

يقـول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرَّعْـد: ٣٨-٣٩] فلفظُ كتابٍ يحتمل الأمدَ المحتومَ، ويحتمل الكتابَ المعلومَ، ولفظُ: (أَجَلٍ) يخدم المعنَى الأولَ (وهو الزمان المضروب)، و(يمحو) يخدم المعنَى الثانيَ؛ لأن المحوَ والإثباتَ يكون في كتاب حِسِّيٍّ، هذا معنًى يخدم المعنَى الأولَ ويخدم المعنَى الثانيَ؛ لذلك جاء لفظُ الاستخدام، أي: الألفاظُ تخدم المعنَى الأولَ وتخدم المعنَى الثانيَ، فيقال: هذا استخدامٌ.



(١) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (ص ٢٧٦).

النوع الثمانون: اللف والنشر

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ: أَنْ يُذْكَرَ مُتَعَدِّدٌ عَلَى التَّفْصِيلِ أَوِ الإِجْمَالِ، كأن تقول: جاء طويلٌ وقصيرٌ وَرِبْعَةٌ[١] من الرجال، مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَأَحْمَدُ، فإن كان محمدٌ هو الطويل، وعليٌّ هو القصير، وأحمدُ هو المتوسط بينَهما، فهذا لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرَتَّبٌ، لففتَ بقولك: جاء طويلٌ وقصيرٌ وربعةٌ، ثم نشرتَ بقولك: صالحٌ وعليٌّ وأحمدُ، فقولك: صالحٌ وعليٌّ وأحمدُ لو وَقَعَتِ اللفظةُ على اللفظةِ السابقة بالترتيب، فهذا لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرَتَّبٌ، وإلا كان لَفًّا ونشرًا مشوشًا، فلو قلتَ: جاء طويلٌ وقصيرٌ وضعيفٌ أو رِبْعَةٌ أو أي صفة أخرى، ثم قلتَ: عليٌّ وأحمدُ وصالحٌ، ولم يكن عليٌّ هو الطويل، بل كان قصيرًا، فهذا لفٌّ ونشرٌ مُشَوَّشٌ.

وَهُوَ: أَنْ يُذْكَرَ مُتَعَدِّدٌ عَلَى التَّفْصِيلِ أَوِ الإِجْمَالِ، ثُمَّ مَا لِكُلٍّ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ؛ ثِقَةً بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ[٢]. ثُمَّ هُوَ ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: الْمُرَتَّبُ، نَحْوَ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الْقَصَص: ٧٣]. هنا لَفٌّ: (جعل لكم الليل والنهار) ثم قال: (لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) فالليلُ لتسكنوا، والنهارُ لتبتغوا، فهذا لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرَتَّبٌ[٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ [هُود: ٢٤] فالأعمى يقابله البصيرُ، والأصمُّ يقابلُه السميعُ، فهذا لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرَتَّبٌ[٤].

---

(١) المقصد من الرجال الذي ليس بطويل ولا قصير. انظر: غريب الحديث، الخطابي (١/ ٢١٧).

(٢) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٦١).

(٣) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، القزويني (ص٣٦١)، خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (١/ ١٤٩).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٢/ ٣٨٧).

الثَّانِي: الْمَعْكُوسُ (لَفٌّ وَنَشْرٌ مَعْكُوسٌ) نَحْوَ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٦] فبدأ بالعكس (أَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ)، والجادَّةُ أن يقال: (أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ) ولكن الله تعالى أراد شيئًا فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾، فهذا لَفٌّ وَنَشْرٌ مَعْكُوسٌ.

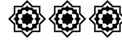
الثَّالِثُ: الْمُشَوَّشُ، وَلا أَسْتَحْضِرُ الآنَ فِي الْقُرْآنِ مِثَالَهُ. انْتَهَى.

ومثاله: قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

أي: يا قوم من يصونني منه تعالى ويدفع سخطه عني، إِنْ طَرَدْتُهُمْ وأبعدتهم عني، وهم بتلك المثابة والزلفى منه تعالى، الجواب: لا أحد، ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت وصدرت بيا قوم، وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللهِ شروع- على ما قال غير واحد- في دفع الشبه التي أوردوها تفصيلًا، وذلك من قبيل النشر المشوش ثقة بعلم السامع، وتخلل ما تخلل بين شبههم وجوابها[1].

ومن أمثلة اللف والنشر المشوش في القرآن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٦-٨].

هذه الجمل الثلاث مرتبة على ما بعدها على اللف والنشر المشوش[2].



(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٦/ ٢٤١).

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (١٥/ ٣٨٤).

النوع الحادي والثمانون: الالتفات

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ: الانْتِقَالُ مِنَ التَّكَلُّمِ أَوِ الْخِطَابِ أَوِ الْغَيْبَةِ إِلَى آخَر؛ تَطْرِيَةً لِلْكَلامِ وَتَفَنُّنًا فِي الأُسْلُوبِ[(١)]، مِثَالُهُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ: (مئات الأمثلة في كتاب الله على هذا الموضوع): ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، وَمُقْتَضَى السِّيَاقِ: (وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ)[(٢)]. فالله تعالى يَقُصُّ كلامَ هذا الرجلِ الصالحِ فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ (وإليه أرجع) هذا تقديرُ الكلام، وإنما قال: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ لحكمةٍ يعلمها اللهُ تعالى، ومِنَ الحكمِ: تَطْرِيَة للكلام[(٣)]، وتَفَنُّنٌ في الأسلوب، ومراعاةُ الفاصلةِ القرآنيةِ[(٤)]... حِكَمٌ كثيرةٌ، لكن الحكمة على التعيين لا يعلمها إلا الله.

وَإِلَى الْغَيْبَةِ -يعني: من التكلم إلى الغيبة، مثاله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكَوْثَر: ١-٢]، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ لفظُ تفخيمٍ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ والمتبادر (فَصَلِّ لَنَا)، فيكون الكلام: (إنا أعطيناكَ، فَصَلِّ لَنَا)، إنما قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ وهذا انتقال من التكلم إلى الغَيْبَةِ[(٥)].

---

(١) انظر: البديع في البديع، لابن الرشيد (ص ٣٢).

(٢) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (٢/ ١٤٠)، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٢/ ٨٧).

(٣) تجديد الكلام، من طريت الثوب: إذا عملت به ما يجعله جديدًا. انظر: الكليات، الكفوي (ص ٣١١).

(٤) الفاصلة هي آخر الآية. انظر: الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (٤/ ١١٥).

(٥) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٢/ ٨٨).

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدُّخَان: ٥-٦].

كالآية السابقة، فالتقدير: (رحمةً منا)، لكنه قال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ سبحانه وتعالى[١].

وهذا شيء عجيب في القرآن، مئاتُ الأمثلة على هذا المنوال في القرآن العظيم؛ ليبينَ لنا أن الله تعالى هو مُنْشِئُ هذا الكلام، وهو مُنْزِلُ هذا الكلامِ، لا يمكن أن يكون هذا الكلامُ من عند رسول الله ﷺ.

والذي درس الإعجازَ القرآنيَّ، ودرسَ البلاغةَ القرآنيةَ سَيَرَى كيفيةَ عظمةِ كتابِ اللهِ، وأنه لا يمكن عقلًا ومنطقًا -فضلًا عن (إيمانًا ويقينًا)؛ لأننا آمَنَّا وَأَيْقَنَّا ولله الحمدُ- أن يكون من تأليف رسول الله ﷺ كما ادَّعَى المشركون، وكما ادَّعَى الكافرون قديمًا وحديثًا، فرَدَّ عليهم كتابُ الله في القديم، ويرد عليهم في الحديث، لكني أقول: لا يمكن أبدًا؛ لأن العربَ كانت تسمع رسول الله ﷺ وتتأثر من بلاغته وفصاحته كما في الآثار؛ فأبو بكر رضي الله عنه سأل رسولَ اللهِ ﷺ، تَعَجُّبًا من فصاحته ﷺ فقال: نشأتَ معنا يا رسولَ الله فَمِنْ أين تأتِي بهذه الفصاحةِ؟! فقال: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»[٢].

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (٣/ ٢٨٧).

(٢) قال الزركشي: معناه صحيح أيضًا، لكنه لم يأت من طريق يصح، وقد ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية في ذيل حديث وفد بني نهد، وضعفه فقال: هو حديث لا يصح، في إسناده ضعفاء ومجاهيل، وأسنده سبطه العلامة شمس الدين يوسف من حديث علي بن أبي طالب بطوله في كتاب مرآة الزمان، وأخرجه بطرق كلها تدور على السدي عن أبي عمارة الحيواني عن علي بن أبي طالب، وفيه: فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله إنك تكلم الوفود بكلام، أو بلسان لا نفهم أكثره، فقال: إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد بن بكر، فقال له عمر: يا رسول الله كلها من العرب، فما بالك أفصحنا؟ فقال: أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها. انظر: التذكرة في الأحاديث المشتهرة (ص ١٦٠).

=

لكنهم كانوا إذا سمعوا القرآن يكون لهم شأنٌ آخَرُ تمامًا، والإنسانُ في هذه الدار يستطيع أن يتكلم بأسلوبين مختلفين متقاربينِ، لكن أن يتكلم بأسلوبين مختلفين تمامًا، فهذا لا يمكن أن يكون في مقدرة البشر، فضلًا عن كتاب الله تعالى الذي وَصَلَ إلى الذُّرْوَةِ العليا من البلاغة والفصاحة التي يعجز عنها البشرُ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإِسْرَاء: ٨٨].

وَمِثَالُهُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى التَّكَلُّمِ لَمْ أَجِدْهُ فِي الْقُرْآنِ.

وَإِلَى الْغَيْبَةِ -يعني: ومثالُه من الخطاب إلى الغيبة-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يُونُس: ٢٢] التقديرُ: (وجرين بكم)(١)، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [الأَنْبِيَاء: ٩٢-٩٣]. هذا من الخطاب إلى الغيبة(٢).

وَمِثَالُهُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾ [فَاطِر: ٩] الآيَةَ، التقديرُ: (فَسَاقَهُ)(٣).

﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فُصِّلَتْ: ١٢]

= وقال ابن حجر: حديث: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) أخرجه العسكري. ضعيف، وقد سئل عنه بعض الأئمة فأنكر وجوده. انظر: الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، لابن حجر (ص ٩٧).

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (٢/ ١٤٣)، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٢/ ٨٨).

(٢) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (٢/ ١٤٣).

(٣) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع (ص ١٢٤)، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٢/ ٨٨).

﴿وَأَوۡحَىٰ﴾ غَيْبَةٌ، ﴿وَزَيَّنَّا﴾ خطاب(١).

وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: ٤-٥].

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ غَيْبَةٌ، فهو مالك يوم الدين سبحانه وتعالى، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ تَحَوَّلَ الكلامُ من الغيبةِ إلى الخطاب(٢).

وَقَدْ يَكُونُ فِي الآيَةِ الْتِفَاتَانِ وَأَكْثَرُ، نَحْوَ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفَتْح: ٨-٩] فَفِيهِ الْتِفَاتَانِ:

أَحَدُهُمَا: بَيْنَ أَرْسَلْنَا وَالْجَلالَةِ (أي: لفظ الجلالة)، (إِنَّا أرسلناكَ... لتؤمنوا بالله) إلتفات مِنْ خطاب إلى غَيْبَةٍ(٣).

وَالثَّانِي: بَيْنَ الْكَافِ فِي: أَرْسَلْنَاكَ وَرَسُولِهِ. أي: والهاء في رسوله.

وَذَكَرَ التَّنوخِيُّ وَابْنُ الأَثِيرِ أَنَّ مِنْهُ: بِنَاءَ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ بَعْدَ خِطَابِ فَاعِلِهِ أَوْ تَكَلُّمِهِ، نَحْو: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بَعْدَ: ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ [الفَاتِحَة: ٧] فَإِنَّ الْمَعْنَى: غَيْرِ الَّذِينَ غُضِبَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ نَوْعٌ غَرِيبٌ(٤)، وَيَقْرُبُ مِنَ الالْتِفَاتِ.

يقول المحقق في الهامش رقم (١) صفحة (٣٠١): تَوَقَّفَ فيه بهاءُ الدينِ السبكيُّ، في اعتباره هل هو من الالتفات أو لا. وبَهَاءُ الدينِ السبكي(٥)، هو ابن

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (٢/ ١٣٩).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٢/ ٨٩).

(٣) انظر: معاني القرآن، الفراء (٣/ ٣٢٤).

(٤) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (٢/ ١٣٧)، اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل (١/ ٢٢١).

(٥) بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي بن يحيى بن تمام السبكي، اشتغل بالعلوم فمهر فيها، وأفتى ودرس، وله عشرون سنة (٧١٣هـ)، توفي سنة (٧٧٣هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (٨/ ٣٨٨).

الشيخ تقي الدين عليٍّ رحمهما الله.

يقول: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ تقديره: غير الذين غضبتَ عليهم، لكنه قال: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيكون هذا التفاتًا.

الانْتِقَالُ مِنْ خِطَابِ الْوَاحِدِ أَوِ الاثْنَيْنِ أَوِ الْجَمْعِ إِلَى خِطَابِ الآخَرِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ انْتِقَالٌ مِنْ أَحَدِ الأَسَالِيبِ الثَّلاثَةِ الَّتِي هِيَ: التَّكَلُّمُ وَالْخِطَابُ وَالْغَيْبَةُ إِلَى آخِرِهِ.

الانتقالُ من خطاب الواحد إلى اثنين، أو من الاثنين إلى الواحد، أو من الواحد إلى الجمع، أو العكس ليس التفاتًا؛ لأن الالتفاتَ شَرْطُهُ: أن يكون الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة... إلخ، ولا يوجد هنا انتقالٌ، فليس فيه التفاتٌ.

مِثَالُهُ: مِنْ خِطَابِ الْوَاحِدِ إِلَى الاثْنَيْنِ: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يُونُس: ٧٨][(١)]، أَجِئْتَنَا لتلفتنا -يا موسى- عَمَّا وَجَدْنَا عليه آباءنا، وتكون لَكُمَا -يا موسى وهارون- الكبرياءُ، فهذا انتقال من الواحد إلى الاثنين. **وَإِلَى الْجَمْعِ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطَّلاق: ١] هذا انتقال من المفرد إلى الجمع[(٢)].

وَمِثَالُهُ مِنَ الاثْنَيْنِ إِلَى الْوَاحِدِ: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩][(٣)]. ولا نعلمُ على اليقين والقطع الحكمة من هذه التصرفات في كتاب الله، لكن يقال: إن من

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١١٣).

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ١٧٧).

(٣) انظر: معاني القرآن، الفراء (٢/ ١٨٠).

الحكمة في قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ رعايةً لموسى عليه السلام، فهو المُقَدَّمُ والأعظمُ من هارون عليهما الصلاةُ والسلامُ(١)، وقيل: رعايةَ الفاصلة القرآنية؛ لأن الآيات كلَّها تستقيم بقوله: يا موسى، فلو قال مثلًا: يا موسى وهارون، أو قال أي شيء آخرَ لما استقامت الفاصلة(٢)، وقيل: غير ذلك(٣)، وفي المسألةأقوالٌ (٤)، لكن على التحقيق لا نعلم لماذا تكلم الله تبارك وتعالى على هذه الطريقة؟ العلمُ يكشف لنا كلَّ يومٍ أشياءَ في هذه المسألة في كتاب الله، لماذا هذا اللفظ وضع هنا؟ لماذا هذا اللفظ وُضِعَ هنالك؟ لكن بشرط ألا يُتكلف فيه، كما ادَّعى النبوة المدعو رشاد خليفة ثم قُتِلَ وأراح اللهُ الناسَ منه(٥)، وموضوع

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٢/ ٥٩).

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (٦/ ٢٤٦)، فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٤٣٥).

(٣) قيل: إن المعنى: فمن ربك وربه يا موسى، فغلب الخطاب؛ لأن المخاطب كان موسى دون هارون، أو أن كليهما مخاطب، ترك ذكر هارون اكتفاء بموسى. انظر: التفسير البسيط، الواحدي (١٤/ ٤١٣).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٢/ ٥٩).

(٥) رشاد خليفة مصري، ولد في مدينة كفر الزيات بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية، هاجر إلى الولايات المتحدة للدراسة في (١٩٥٩ م) وتخصص في مجال الكيمياء الحيوية، وحصل على الجنسية الأمريكية فيما بعد؛ ليصبح مواطنًا أمريكيًا، عمل خبيرًا لدى اليونسكو. استخرج رشاد علاقة مزعومة بين الرقم ١٩ والقرآن الكريم بشكل عام، وكلماته وحروفه بشكل خاص، وقام بتأليف العديد من الكتب فيما يتعلق بالرقم ١٩ والقرآن الكريم، ثم جعله في كتاب بعنوان: (معجزة القرآن الكريم)، وكانت الطبعة الأولى عام ١٩٨٣ م. أسس جمعية "المسلمون المتحدون الدولية" والتي تدعو إلى الإسلام بالله وحده لا شريك له، وتنبذ العمل بالسنة وحديث رسول الله ﷺ، ادعى أنه الرسول المصدق المذكور في آل عمران: ٨١: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، وطرح مفهومًا بديلًا للمفهوم الإسلامي القائل: إن محمدًا هو آخر المرسلين، فقال: إن النبي هو نوع خاص من الرسل يبلغ كتابًا يحوي نبوءات، أما الرسول فقط فيبين للناس النبوءات التي يحويها كتابهم الموجود بالفعل، وعلى ذلك فمحمد هو خاتم =

رقم ١٩ الذي حصلت به ضجة كبيرة[(١)]. فيشترط ألا يتكلف في تَأَوُّلِ الألفاظ القرآنية على هذه الشاكلة التي أتى بها رشاد خليفة وأمثالُه.

وهيئة الإعجاز العلمي تأتي بأشياء لطيفة وجميلة في الإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي، والإعجاز الاقتصادي... إلخ، ليس فيها تَكَلُّفٌ في أكثرها، فهذه تُقْبَلُ ويكون فيها رحمةٌ بالناس، وزيادةُ يقينٍ للناس، ويكون فيها مخاطبةٌ أيضًا للكفار الغربيين، لكن التكلفَ في إثبات الإعجاز غيرُ مُرَادٍ.

وَإِلَى الْجَمْعِ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يُونُس: ٨٧] الآيَةَ[(٢)]، (تَبَوَّءَا... واجعلوا بيوتكم قبلة).

وَمِثَالُهُ مِنَ الْجَمْعِ إِلَى الْوَاحِدِ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونُس: ٨٧][(٣)]، وَإِلَى الاثْنَيْنِ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الرَّحْمَن: ٣٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ففيه انتقال من الجمع إلى الاثنين[(٤)].

وَقَدْ سَبَقَ فِي الْمَجَازِ نَوْعٌ يُشْبِهُ هَذَا وَلَيْسَ هُوَ هُوَ؛ لأَنَّ هُنَاكَ اسْتُعْمِلَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ فِي غَيْرِهِ، وَهُنَا اسْتُعْمِلَ كُلٌّ فِي مَوْضُوعِهِ، لَكِنَّهُ انْتَقَلَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ

=

الأنبياء؛ لأن القرآن هو آخر كتاب من الله. وفي ٣١ يناير (١٩٩٠ م)، مات رشاد خليفة مطعونًا في مسجد توسان من ولاية أريزونا، والاعتقاد الشائع أن الفاعل هو جماعة «الفقراء» الباكستانية. وقيل: غيرهم. انظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، أحمد ابن علي الزاملي عسيري (ص ٣٥٠).

(١) يقدسون العدد ١٩، ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهرًا، وعدد الأيام ١٩ يومًا. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤١٢).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٢٤١).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١١٣).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٣٣٥).

فَهُوَ حَقِيقَةٌ. أي: عندما تُكَلِّمُ واحدًا بلفظ الاثنين فهذا مَجَاز؛ لأنه لم يُوضع لفظُ الاثنين لمخاطَبة الواحد، أما هنا فليس مجازًا؛ لأن الجملةَ سِيقَتْ لمخاطبة الواحد، ثم انْتُقِلَ لمخاطبة الاثنين أو العكس، وهذا حقيقة ليس مجازًا، لكن أن تخاطب الاثنين ابتداءً بالواحد، أو أن تخاطب الواحد بالاثنين، فهذا مجاز؛ لأن لفظَ مخاطبتِك لاثنين لم يُوضَعْ لمخاطبتك للواحد، ولفظ مخاطبتك للواحد في الأصل اللغوي لم يُوضع لمخاطبتِك للاثنين، **وَكَذَا الالْتِفَاتُ، فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ أَنْوَاعٌ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْجِنْسِ وَالْمَعْنَى، مُسْتَوِيَةٌ فِي الأَقْسَامِ**.



النوع الثاني والثمانون: الفواصل والغايات

بعضُ العلماء يسميها فواصلَ، وبعضهم يسميها: سجعًا، وبعضُهم اعترض على تسميتها سجعًا، فبعضُ العلماء يقولون: نَعَمْ، إن فيه سجعًا، لكن تَأَدُّبًا نسمي السجعَ: فاصلةً؛ لأن السجع إنما يكون في الشعر، والقرآنَ ليس بشعر. وبعضُ العلماء يقول: ليس هناك فَرْقٌ بين السجع والفاصلة إلا استعمال الأدب.

المشكلة أن السجع في الشعر -عادةً- المعنَى يَتْبَعُهُ، يعني: أن الشاعرَ يتكلف في إيراد المعنى حتى يستقيمَ له سجعُه، خاصةً الشعراء غير المطبوعين الذين لم يتذلل الشعر في ألسنتهم، أو لم يُؤتَوْا ملكةً أو مهارةً في الشعر، فَشِعْرُهُمْ يأتي مُتَكَلَّفًا مصنوعًا غيرَ مطبوع، فهؤلاء يتكلفون في إيراد المعاني والألفاظ لما يريدونه من سجع، لكن كتاب الله يُنَزَّهُ عن هذا، فتَجِدُ في كتاب الله سجعًا، لكنك لا تجد أبدًا أن المعاني تتبعه، بل هو يتبع المعنَى. وعلماءُ البلاغة درسوا كتابَ الله كلمةً كلمةً، بل حرفًا حرفًا، ولفظةً لفظةً، وَجُمْلَةً جملةً، فدَرَسُوا كلمات القرآن مفردةً، ودرسوا كلماته مُجْتَمِعَةً، لم يصل واحدٌ منهم إلى أن هناك تَنَافُرًا في كلمات القرآن، أو أن هناك عدم بلاغة في جملة، أو هناك شيء من قلة الفصاحة في جملة، إنما القرآن يدور بين الفصيح والأفصح، وبين البليغ والأبلغ، فهذا كتاب الله.

وقد درس ذلك أئمةٌ كِبَارٌ، وفطاحلُ عظامٌ من أئمتنا في اللغة والبيان والمعاني، مع ذلك ما زادتهم دراستُهم للقرآن إلا تمجيدًا للقرآن ورفعةً لشأنه وبيانًا له، وأنه لا يُشْبِهُهُ شيءٌ من طبقة كلام البشر؛ لذلك لا يمكن في القرآن أن

يَتْبَعَ المعنَى السجعَ، بل السجعُ يتبع المعنَى(١).

وأرى -واللهُ أعلم- أن هناك سجعًا في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطُّور: ١-٦] فهذا سجعٌ لا شك، لكنه يُنَزَّهُ أن يكون مثلَ سجعِ الشِّعْرِ، وَيُنَزَّهُ أيضًا أن تتبعَه المعانِي مثلَ سجعِ الشعرِ، وإنما السجع في القرآن يأتي مُتَمِّمًا للمعنَى وتابعًا له، وليس العكس. أيضًا السجع في القرآن ليس مقصودًا لِذَاتِهِ، بينما الشعر يُقْصَدُ لذاته حتى تستقيمَ القافيةُ(٢). كذلك السجع تُستخدم فيه كثيرًا ألفاظٌ جوفاءُ ملتويةٌ غيرُ فصيحةٍ وبليغةٍ، وغيرُ مستقيمةٍ من أجل أن يستقيم الوزن، بينما في كتاب الله ليس الأمر كذلك.

يقول القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ(٣): «لو نُزِعَتَ لفظةٌ من كتاب الله، وَأُدِيرَ لسان العربِ على أن يُؤْتَى بلفظة تُوضع مكانَها لَمَا استطعنا»(٤)، هذه لفظةٌ اختارها الله، وليس نحن من اختارها، فما تَكَلَّمَ بِهِ اللهُ لا يُمْكِن لبشر أن يُصَحِّحَ لفظة أو أن يضع لفظةً مكانَ لفظةٍ؛ لأن الله هو الذي تكلم بذلك.

الْفَوَاصِلُ وَالْغَايَاتُ: هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَالْفَوَاصِلُ: أَوَاخِرُ الآيِ، وَهِيَ: جَمْعُ فَاصِلَةٍ، وَتُسَمَّى فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ: السَّجْعَ، وَلا يُطْلَقُ ذَلِكَ عَلَى الْقُرْآنِ تَأَدُّبًا.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٥٦).

(٢) انظر: سر الفصاحة، الخفاجي (ص ١٧٢).

(٣) هو: الإمام، العلامة، الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ابن عمرو بن موسى بن عياضٍ اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي. المتوفى سنة [٥٤٤هـ]. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٠/ ٢١٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٧٦).

وَالْفَاصِلَةُ إِنِ اخْتَلَفَتْ مَعَ قَرِينَتِهَا فِي الْوَزْنِ لا فِي التَّقْفِيَةِ فَهُوَ الْمُطَرَّفُ، نَحْوَ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نُوح: ١٣-١٤][1]، القرينة: (وَقَارًا، وَأَطْوَارًا).

والقافية في الشعر اختلف العلماءُ فيها -أعني: علماء اللغةِ والبلاغةِ-، فعند الخليل[2]: القافيةُ آخِرُ حرفٍ من الكلمة، بينما القافية عند قُطْرُب[3] آخِرُ كلمةٍ في البيت، وقد فَصَّلَ بعضُهم فقال: القافيةُ هي آخِرُ حرفٍ في البيت مع الساكن الذي قبله. والمُهِمُّ هنا القافية هي الراء والراء؛ ﴿أَطْوَارًا﴾ ﴿وَقَارًا﴾ فالقافيةُ هنا متساويةٌ، هذا إن كان يصلح أن يقال: إن هناك قافيةً في كتاب الله، كما قلنا: تَأَدُّبًا نقول: فاصلة، والفاصلة هي اللفظ المؤدب الذي يُطلق على ما في كتاب الله تبارك وتعالى.

وَإِنِ اتَّفَقَتَا فَمُتَوَازِنٌ، نَحْو: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الْغَاشِيَة: ١٣-١٤]. (وقارًا) و(أطوارًا) تختلف في الوزن، لكن (مرفوعة) و(موضوعة) تتفقان في الوزن والتقفية، فقافية الاثنتين العين، واتفقا أيضًا في الوزن، مرفوعة وموضوعة. **وَأَحْسَنُهُ: مَا تَسَاوَتْ قَرَائِنُهُ، نَحْو:** ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الْوَاقِعَة: ٢٨-٢٩][4] فـ(سدر مخضود) كلمتانِ، و(طلح منضود)

---

(١) انظر: إعجاز القرآن، للباقلاني (٢٧٠-٢٧١).

(٢) هو ابن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض، سبق التعريف به.

(٣) قطرب، تلميذ سيبويه: هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي، صاحب التصانيف. توفي سنة [٢٠٦هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ١٤٥).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٧٧).

كلمتان، و(ظل ممدود) كلمتانِ، هذه القرائنُ متساويةٌ. **ثُمَّ مَا طَالَتْ قَرِينَتُهُ الثَّانِيَةُ نَحْو:** ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النَّجْم: ١-٢] ثلاث كلمات في الأولى، وأربع في الثانية. **أَوِ الثَّالِثَةِ نَحْو:** ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الْحَاقَّة: ٣٠-٣٢] نلاحظ أن الجملةَ الثالثةَ طويلةٌ، بينما الأولى والثانية متساويةٌ تقريبًا.

وَإِنْ تَسَاوَتِ الْفَاصِلَتَانِ فِي الْوَزْنِ دُونَ التَّقْفِيَةِ فَمُوَازَنَة، نَحْوَ: ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الْغَاشِيَة: ١٥-١٦] الفاء والثاء ليستا متساويتين، فالتقفيةُ غيرُ متساويةٍ، والوزنُ مُتَسَاوٍ، (مصفوفة، ومبثوثة).

فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يُقَابِلُهُ مِنَ الأُخْرَى فَمُمَاثَلَةٌ؛ نَحْـو: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الصَّافَّات: ١١٧-١١٨] نلاحظ: (مستقيم ومستبين) يَقْرُبَانِ من بعضهما البعض.

وَإِنِ اتَّفَقَتَا فِي الْحَرْفِ الَّذِي قَبْلَ الأَخِيرِ فَلُزُومُ مَا لا يَلْزَمُ، نَحْوَ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضُّحَى: ٩-١٠] فقبل الأخير الهاء، والهاء متفقة هنا، وهذا في الشعر بابٌ واسعٌ؛ يُسَمَّى: لزومَ ما لا يلزم[1]، **وَآيَاتُ سُورَةِ (أَلَمْ نَشْرَحْ). وَأَمَّا الْغَايَاتُ فَهِيَ: أَوَاخِرُ السُّوَرِ، وَالْقَصْدُ بِذَلِكَ: أَنَّ آخِرَ كُلِّ سُورَةٍ أَتَى عَلَى الْوَجْهِ الأَكْمَلِ، وَالنَّمَطِ الأَبْلَغِ فِي بَرَاعَةِ الانْتِهَاءِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ تُخْتَمَ بِهِ.** ففي سورة المائدة -مثلًا- عندما ذُكِرَ المشهد العظيم: وقوفُ عيسى عليه

---

(١) وهو أن يلتزم في الشعر أو النثر حرفٌ أو حرفان فصاعدًا قبل الروي بشرط عدم الكلفة. الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٥٧).

الصلاة والسلام وسؤالُ الله له على وجه التبكيت والتوبيخ للكافرين، خُتمت السورةُ بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [الْمَائِدَة: ١٢٠]، فنهايةُ السورةِ تناسبُ ما كان في آخرها من قوة، وهذا يُسَمُّونَه: براعة الخَتْمِ: أن تأتي في أوَاخِرِ كلامك بشيء يُفهم ما كان كلامك فيه قبلَه، وهنا يقول: الغايات في كتاب الله تبارك وتعالى انتهاء السور بِجُمَل وآيات تناسب ما في السور من معانٍ قوية يُرَكَّزُ عليها.



النوع الثالث والرابع والخامس والثمانون
أفضل القرآن، وفاضله، ومفضوله(١)

وهي مسألة اختلفت فيها أنظارُ العلماء: هل هناك في القرآن العظيم فَاضِلٌ وَمَفْضُولٌ؟ وهل هناك آيات أعظم من آيات، وسور أعظم من سور مع أن المتكلم بها واحدٌ سبحانه وتعالى؟

والصحيحُ -إن شاء الله تعالى بِتَضَافُرِ الأحاديث والآثار- أن هناك آياتٍ أفضل من آيات، وسورًا أفضلَ من سور، والله تعالى أعلم.

هَذِهِ الأَنْوَاعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَيُشْبِهُهَا مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ: الْكَلامُ عَلَى أَصَحِّ الأَسَانِيدِ، فكما أن في الحديث إسنادًا صحيحًا، وإسنادًا أصح منه، وإسنادًا له الصحة المطلقة، كَمَالِكٍ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ كما يقول البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: سلسلة الذهب. وهذه الأسانيد كلها صحيحة لكنها ليست على درجة واحدة في الصحة. وكما فرَّقوا بين الحسن والصحيح، مع أنه في الاصطلاح الأول لم يكن هناك حديثٌ حسنٌ وصحيحٌ، إنما كانت الأحاديث المقبولة المحتَج بها هي الأحاديث الصحيحة، فلما أرادوا أن يفرقوا بين الراوي الضابط والراوي الذي خَفَّ ضبطُه، قالوا: حديث صحيح، وحديث حسن. فالحديث الحسن هو ما خَفَّتْ درجةُ ضبطِ رُوَاتِه(٢)، ففرقوا بين ذلك بقولهم: حديثٌ حسنٌ، وحديثٌ صحيحٌ.

ثم الأحاديث الصحيحة نفسها، هناك أحاديث أصحُّ من أحاديثَ، وهذه تُستخدم في الترجيح، فإذا اختلفت الأحاديثُ وتعارضت، وأُريد أن يُرَجَّحَ بينَها فأنه يُذهب إلى الحديث الأصح، ما كان في البخاري ومسلم يؤخذ به، ثم ما كان

---

(١) ذكره المؤلف في الإتقان (٤/ ١٣٦): النوع الثالث والسبعون.

(٢) انظر: نخبة الفكر، للحافظ (٢١).

في البخاري فقط، ثم ما كان في مسلم فقط، ثم ما كان في كتب السُّنَّةِ حسب التفصيل المعروف في كتب الأحاديث.

فالمؤلف يقول: يُشْبِهُ هذا النوعُ النوعَ المعروفَ بالمفاضلة في الكلام على الأسانيد: صحيحها وحسنها(١).

وَاخْتُلِفَ فِي تَفَاضُلِ بعض الآيَاتِ وَالسُّوَرِ عَلَى بَعْضٍ، فَذَهَبَ كَثِيرُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِهِ، مِنْهُمْ: إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ(٢)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ(٣)، وَالشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ(٤).

القاضي المالكي الإمام أبو بكر بن العربي المشهور رَحِمَهُ اللَّهُ، عاش في الأندلس وبلاد المغرب، وله كتاب: «أحكام القرآن»، وله: «الناسخ والمنسوخ في القرآن»، و«قانون التأويل» أو: «رحلة ابن عربي»... إلخ من كتبه الكثيرة المشهورة، وهو إمام ثقة ثَبْتٌ من أئمة المسلمين، وتُوُفِّيَ في منتصف القرن السادس.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: إِنَّهُ الْحَقُّ، وَنَقَلَهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ.

ذكرنا أن المتكلم هو الذي يأتي في كلامه على العقائد بما لم يَرِدْ في الآثار والأحاديث، فهو إما أن يَذْكُرَ في كلامه على العقائد آثارًا وأحاديث كما فعل

---

(١) انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (١/ ٣٣).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو بكر ابن العربي. قال ابن بشكوال: هو الإمام العالم الحافظ المستبحر، ختام علماء الأندلس، وأحد أئمتها وحفاظها. توفي سنة [٥٤٣هـ]. انظر: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قطلوبغا.

(٤) الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي أبو محمد. شيخ الإسلام، سلطان العلماء. توفي سنة [٦٦٠هـ]. انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ٢١).

الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتب العقائد التي صنَّفها، حيث كان يتكلم على العقائد ويمزج كلامَه بالآثار والأحاديث، وإما أن يُجَرِّدَ كلامَه من الآثار والأحاديث، وعلى كلا القسمين فهو متكلم. وإذا طالعتَ كتابًا (كالتوحيد) مثلًا لإمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجده مليئًا بالآثار، بل يكاد يقتصر على الآثار، فهذا لا يقال له: علم كلام، ولا يقال لابن خزيمة: المتكلم، وأيضًا اللَّالَكَائِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) عندما ألَّف كتابَه الكبيرَ في مسائل العقائد والكرامات وغيرها -وقد طُبع في أربعة أجزاء- فإنه قد اقتصر فيه غالبًا على الأحاديث والآثار، فهذا لا يُعَدُّ من علم الكلام، ولا يعد صاحبُه متكلمًا.

والمتكلم قد يُذَمُّ وقد يُمدح عمله، فإن كان لنصرة السنة ورفعة شأنها فيمدح كما كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن كثيرًا من كلامه على العقائد ممزوجٌ بالأحاديث والآثار، لكنه أيضًا يُكثر من مناظرة المتكلمين والمنطقيين، ومناظرة الرافضة بأسلوبهم نفسه المعتمِد على علم الكلام المستغرق فيه، فمثل هذا يُمدح؛ لأن قصده هو نصرة السنة والذَّبُّ عنها والمنافحة عنها، كالقاضي أبي الطيب ابن البَاقِلانِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)، وكان أحد أذكياء الدنيا، وأحد أذكياء العالَم كما يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما نافح عن أهل السنة؛ فهذا أيضًا قصدُه محمودٌ، وإن كان يمزج كلامه بما لم يَرِدْ في الكتاب والسنة كفعل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَكِنَّ فِعْلَهُ ممدوحٌ.

وَقَالَ ابْنُ الْحَصَّارِ: الْعَجَبُ مِمَّنْ يَذْكُرُ الاخْتِلافَ فِي ذَلِكَ مَعَ النُّصُوصِ

---

(١) هبة الله بن الحسن بن منصور، الحافظ أبو القاسم الرازي الطبري الأصل، المعروف باللالكائي، الفقيه الشافعي، [المتوفى: ٤١٨ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ٣٠٣).

(٢) سبق التعريف به.

الْوَارِدَةِ بِالتَّفْضِيلِ، فالعجبُ ممن يذكر خلافًا، وقد وردت نصوص صريحة ثابتة في السنة بتفضيل آيات على آيات وسور على سور.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». وهذا كتاب عجيب في بابه، استفاد البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث رسول الله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً» أو «بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً»[1] على اختلاف الروايات، وصنف كتابًا عظيمًا ما زال يَخْرُجُ هذا الكتاب إلى الآن تِبَاعًا، خرج منه أربعة عشر مجلدًا -فيما أظن- حتى الآن؛ فهو كتاب كبيرٌ مُهِمٌّ في شُعَبِ الإيمان، بَيَّنَهَا باجتهاد منه رَحِمَهُ اللَّهُ، والجزء المطبوع من الكتاب وصلَ فيه إلى الشعبة الستين، وهذا كتاب مهمٌّ يُرجع إليه في أشياء كثيرة، وفي مسائل عديدة، وقد توفي الْبَيْهَقِيّ سنةَ ٤٥٨هـ (ثمان وخمسين وأربعمائة) رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ الْحَلِيمِيُّ[2]: وهو أحدُ علماءِ المسلمين وألَّف كتابًا اسمه: «المنهاج في شُعب الإيمان» وإن كان البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ قد اقتصر في شُعبه على إيراد الأحاديث والآثار مع كلامٍ يسيرٍ عليها من ناحية التضعيف والتحسين والتصحيح، لكن الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ تَوَسَّعَ في الكلام على شُعب الإيمان وأتى بكلام رائق عليها، فيحبذ الرجوع إلى كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحليمي؛ فإنه كتاب جيد في بابه.

وَمَعْنَى التَّفْضِيلِ يَرْجِعُ إِلَى أَشْيَاءَ: هذا كلام الحليمي.

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ بِآيَةٍ أَوْلَى مِنَ الْعَمَلِ بِأُخْرَى وَأَعْوَدَ عَلَى النَّاسِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، القاضي أبو عبد الله الحليمي البخاري الفقيه الشافعي. [المتوفى: ٤٠٣ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ٥٧).

يعني: أشد إفادةً، وأعود على الناس بالفائدة، **وَعَلَى هَذَا يُقَالُ: آيَاتُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ خَيْرٌ مِنْ آيَاتِ الْقَصَصِ؛ لأَنَّهَا إِنَّمَا أُرِيدَ بِهَا تَأْكِيدُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالإِنْذَارِ وَالتَّبْشِيرِ، وَلا غِنًى بِالنَّاسِ عَنْ هَذِهِ الأُمُورِ، وَقَدْ يَسْتَغْنُونَ عَنِ الْقَصَصِ، فَكَانَ مَا هُوَ أَعْوَدُ عَلَيْهِمْ وَأَنْفَعُ لَهُمْ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الأُصُولِ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا يُجْعَلُ تَبَعًا لِمَا لا بُدَّ مِنْهُ.**

يعني: هناك آياتٌ تتحدث عن التوحيد، والتوحيدُ لا غنًى للإنسان عنه، فهو لُبُّ الدينِ، وهو حياة الإنسان وَقِوَامُهُ، وهناك آيات في القصص. فآيات التوحيد التي تتحدث عن توحيد الله تبارك وتعالى أفضل من آيات القصص من باب العود بالفائدة على الإنسان، لكنها في مرتبة واحدة من كون المتكلم بها هو الله سبحانه وتعالى، وهي في مرتبة واحدة من الإعجاز، وقد تتفاضل في البلاغة، لكنها كلها معجزة لرسول الله ﷺ، لكنه لا يتكلم عن هذا الباب إنما يتكلم على الباب الذي يعود على الإنسان بالفائدة أكثرَ، ففائدة التوحيد وآيات الأحكام، والإخبار بالشرائع وتثبيت الإيمان، أعودُ على الإنسان من آيات القصص وغيرها.

الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ: الآيَاتُ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى تَعْدِيدِ أَسْمَاءِ اللهِ وَبَيَانِ صِفَاتِهِ وَالدَّلالَةِ عَلَى عَظَمَتِهِ أَفْضَلُ، بِمَعْنَى أَنَّ مُخْبَرَاتِهَا أَسْنَى وَأَجَلُّ قَدْرًا، وَعَلَى هَذَا نَحَا ابْنُ عَبْدِ السَّلامِ فِي قَوْلِهِ: الآتِي. يعني: الآيات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص] هي أفضلُ من مَثِيلاتِهَا من الآيات؛ لكونها تتكلم عن الله تبارك وتعالى وعن عظمته سبحانه وتعالى، وعلى هذا نحا ابن عبد السلام: وهو عبد العزيز

بن عبد السلام، المختصر: بالعز بن عبد السلام، سلطان العلماء في مصر والشام في أيام دولة المماليك، وله تاريخ حافل، وسيرته عطرة رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلْيُرْجَعْ إليها.

الثَّالِثُ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ سُورَةً خَيْرٌ مِنْ سُورَةٍ، أَوْ آيَةً خَيْرٌ مِنْ آيَةٍ، يَعْنِي: أَنَّ الْقَارِئَ يَتَعَجَّلُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا فَائِدَةٌ سِوَى الثَّوَابِ الآجِلِ، وَيَتَأَدَّى مِنْهُ بِتِلاوَتِهَا عِبَادَةٌ، كَقِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالإِخْلاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَإِنَّ قَارِئَهَا يَتَعَجَّلُ بِقِرَاءَتِهَا الاحْتِرَازَ مِمَّا يَخْشَى، وَالاعْتِصَامَ بِاللهِ، وَيَتَأَدَّى بِتِلاوَتِهَا عِبَادَةُ اللهِ لِمَا فِيهَا مِنْ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ بِالصِّفَاتِ الْعُلَى عَلَى سَبِيلِ الاعْتِقَادِ لَهَا وَسُكُونِ النَّفْسِ إِلَى فَضْلِ ذَلِكَ الذِّكْرِ[1].

عندما تقرأ آيات في القصص فإنك تحصل بذلك على يقين بهذا القرآن العظيم وبأخبار الرسل وَثَبَاتِهِم، ويحصل لك صبرٌ وثَبَاتٌ، وتنال أجرًا أخرويًّا أيضًا بسبب تلك القراءة كما هو معلوم، أما إذا قرأتَ آية الكرسي والمعوذتين وآياتِ الحَرَس المشهورة في القرآن، فهذه الآيات وأمثالها إنما تتعجل أنتَ بها فائدةً، وهي الاحتراز مما تخشاه، والاعتصام بالله تبارك وتعالى من العَدُوِّ، سواءً عدو الإنس، أو عدو الجن، فتتعجل من ذلك فائدةً زائدةً، فهذا الذي أتى به يدل على أن في القرآن فاضلًا ومفضولًا من هذه الجهة.

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ لا تَفَاضُلَ؛ لأَنَّ الْجَمِيعَ كَلامُ اللهِ، وَلِئَلَّا يُوهِمَ التَّفْضِيلُ نَقْصَ الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ. إن قيل: بأنه لا تفاضلَ على الإطلاق فهذا صحيح، لا يكون تفاضلٌ مطلقًا بدون تَبْيِينٍ، وبدون تفصيل، أما إن قيل بالتفصيل، فهناك تفاضل، وإنما قلنا: لا تفاضل على الإطلاق؛ لأنه كله كلام الله تبارك وتعالى،

(١) انظر: المنهاج في شعب المنهاج (٢/ ٢٤٤).

والكُلُّ مُعْجِزٌ، والكُلّ بليغ، لكن على التفصيل هناك آيات لا شك أفضل من آيات، وهو قد أتى باستدلالات عقلية على ما ذهب إليه، وهي استدلالات جيدة، لكن الآثار قد حَسَمَتْ هذا البابَ وأتت بالتفضيل، فإذا أتت الأحاديث والآثار الصحيحات بالتفضيل فإنه لا كلامَ بعدَ هذا.

وَنُقِلَ عَنِ الأَشْعَرِيِّ وَالْبَاقِلَّانِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ، وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ. وَعَلَى الأَوَّلِ: قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ: الْقُرْآنُ عَلَى قِسْمَيْنِ: فَاضِلٌ: وَهُوَ كَلامُ اللهِ فِي اللهِ، وَمَفْضُولٌ، وَهُوَ: كَلامُهُ عَنْ غَيْرِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القَصَص: ٣٨] الآيَةَ، وَكَحِكَايَاتِهِ عَنِ الْكُفَّارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

يفضل بعضُ العلماء أن يقال: قَصَصه، وقاصًّا كلامَ فرعون، وقاصًّا كلامَ الكافرين، وقاصًّا كلام المرسلين، أفضل من قولهم: حكى كلامًا؛ لأن حكى تَحْتَمِلُ الصدقَ والكذبَ في كلام الله، بينما الاستعمال القرآني كان القَصَص والقَصّ، فيُفَضِّل بعض العلماء أن نستخدم لفظَ القصِّ، فنقول: قَصَّ اللهُ تعالى علينا أخبارَ الكافرين، وقص الله تبارك وتعالى علينا قصصَ المرسلين، أفضلُ من قولنا: حكى، والله أعلم.

قُلْتُ[١]: بَلْ هُوَ ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ: أَفْضَلُ، وَفَاضِلٌ، وَمَفْضُولٌ؛ لأَنَّ كَلامَهُ تَعَالَى فِيهِ بَعْضٌ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ؛ كَتَفْضِيلِ الْفَاتِحَةِ وَالإِخْلاصِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى: «أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٤٣٨): النوع الثامن والعشرون: هل في القرآن شيءٌ أفضل من شيءٍ.

الْقُرْآنِ الْفَاتِحَةُ»، وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأُبَيٍّ، وَأَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَابِرٍ الْعَبْدِيِّ، وَلَفْظُهُ: «أَخْيَرُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»(١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ طَرِيقٍ مَرْفُوعًا: أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ(٢).

وَرَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْبَسْمَلَةُ(٣). وهذا مرجوحٌ بِمَا في مسلم، واشتُهر عند العلماء أن أعظمَ آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى هي آية الكرسي.

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: «سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس»(٤). «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤): عن أبي سعيد ابن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]». ثم قال لي: «لأعلمنك سورةً هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل: لأعلمنك سورةً هي أعظم سورةٍ في القرآن»، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته».

(٢) صحيح مسلم (٨١٠): عن أبي بن كعبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر! أتدري أي آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر».

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٧٣) وفي المعرفة (٢/ ٣٧٧) والمستغفري في فضائل القرآن (١/ ٤٥١): عن عمر بن ذرٍ، عن أبيه، عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: «إن الشيطان استرق من أهل القرآن أعظم آيةٍ في القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم». وقال: كذا وكان في كتابي، عن أبيه، عن ابن عباسٍ وهو منقطعٌ.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٧٨): عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيءٍ سنامٌ، وإن سنام =

سُورَةُ الْبَقَرَةِ»، وهذه الأحاديث فيها ضعفٌ تفصيله في كتب الحديث.

وَكَذَا وَرَدَتْ أَحَادِيثُ مُشْعِرَةٌ بِالتَّفْضِيلِ، كَكَوْنِ (الإِخْلاصِ) تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ(١).

وَذُكِرَ فِي حِكْمَةِ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ تَوْحِيدٌ وَأَحْكَامٌ وَوَعْظٌ، وَسُورَةُ (الإِخْلاصِ) فِيهَا التَّوْحِيدُ كُلُّهُ. فهي ثلث القرآن على هذا.

وَفِي مُسْنَدِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ: أَنَّ الْفَاتِحَةَ تَعْدِلُ ثُلُثَيْهِ(٢)، وَفِي الْمُسْتَدْرَكِ أَحَادِيثُ: أَنَّ الزَّلْزَلَةَ تَعْدِلُ نِصْفَهُ، وَالْكَافِرِينَ تَعْدِلُ رُبْعَهُ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ تَعْدِلُ ثُلُثَهُ(٣)، وَأَلْهَاكُمْ تَعْدِلُ أَلْفَ آيَةٍ(٤).

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النَّصر: ١] تَعْدِلُ رُبْعَهُ(٥).

= القرآن سورة البقرة، وفيها آيةٌ هي سيدة آي القرآن، هي آية الكرسي»: وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبيرٍ، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبيرٍ وضعفه».

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ. ومسلم (٨١٢): عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد (٦٧٨): عن شهرٍ، عن ابن عباسٍ، رفعه إلى النبي ﷺ قال: «فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٥٤) والبيهقي في الشعب (٤/ ١٢٨): عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن، وقل هو الله أحدٌ تعدل ثلث القرآن». وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٥٥) والبيهقي في الشعب (٤/ ١٣٠): عن ابن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آيةٍ في كل يومٍ؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر». وقال: «رواة هذا الحديث كلهم ثقاتٌ، وعقبة هذا غير مشهورٍ».

(٥)أخرجه الترمذي (٢٨٩٥): عن أنس بن مالكٍ، أن رسول الله ﷺ قال لرجلٍ من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان»؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: «أليس معك قل هو الله أحدٌ؟» قال: بلى، قال: «ثلث القرآن»، قال: «أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك قل يا أيها الكافرون؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك إذا زلزلت =

هذه الأحاديثُ كلُّها فيها ضعفٌ ما عدا (أَلْهَاكُمْ)؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ آيَةٍ» قالوا: ومن يستطيع ذلك يا رسول الله؟ قال: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ تَعْدِلُ أَلْفَ آيَةٍ». قال الذهبي في تعليقه على المستدرك: رُوَاتُهُ ثقاتٌ غيرَ عقبة بن محمد، ليس بمشهور(١).

فتبين لنا من هذه الآثار الكثيرة أن هناك فاضلًا ومفضولًا، وأن هذه المفاضلة نسبيةٌ وليست مُطْلَقَةً، بمعنى أنها في جانبٍ دونَ آخَرَ.



=

الأرض؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن» قال: «تزوج تزوج». وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

(١) انظر: المستدرك (٢٠٨١).

النوع السادس والثمانون
مفردات القرآن(١)

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ نَوْعٌ لَطِيفٌ قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ: أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ أَوْ الْبَسْمَلَةُ كَمَا تَقَدَّمَ(٢)، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا قَرِيبٌ. أَطْوَلُ آيَةٍ فِيهِ آيَةُ الدَّيْنِ(٣).

سيأتي الآن على آياتٍ في القرآن فيقول: هذه أطولُ آيةٍ، وتلك أَرْجَى آيةٍ، وثالثةٌ أعظمُ آيةٍ، وأخوفُ آية... إلخ. مِمَّا استنبطه العلماءُ من كتاب الله تبارك وتعالى، فقال: أطولُ آيةٍ فيه آيةُ الدَّيْنِ، وهي الآية التي في آخر سورة البقرة.

أَجْمَعُ آيَةٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النَّحل: ٩٠]، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ، وَأَبُو عُبَيْدٍ فِي الْفَضَائِلِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَعْظَمُ فَرَحًا مِنْ آيَةٍ فِي سُورَةِ الْغُرَفِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] الْآيَةَ، سورة الغرف هي سورة الزمر، وقيل لها: الغُرَفُ لِذِكْرِ الغرف فيها، ونجد في الكتب القديمة تفاوتًا في أسماء السور، مثل سورة التوبة يقال: الفاضحة، ومثل الزمر يقال: الغُرَف، ومثل محمد يقال: القتال، وغير ذلك من التفاوت في أسماء السور بحسب ما ورد فيها، وبحسب شهرة اسم هذه السورة عند العلماء. وقول ابن مسعود: ما في القرآن آية أعظم فرحًا من آية في سورة الغُرف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

---

(١) ذكره المصنف في الإتقان (٤/ ١٤٨) النوع الرابع والسبعون.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] الشاهد فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾، فيها بشارة أن الله يغفر الذنوب جميعًا، فبهذه البشارة فليفرح الناس، فهي خير من الدنيا وما فيها ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يُونُس: ٥٨].

وَقَالَ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَكْثَرُ تَفْوِيضًا مِنْ آيَةٍ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ الْقُصْرَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطَّلَاق: ٣] الآيَةَ(١).

هذه السورة كثُر فيها أحكام النساء، ولكنها ليست بكثرة سورة النساء الكبرى، فَسُمِّيَتْ: سورةَ النساء الْقُصْرَى؛ أي: الصغرى، وهيَ: الطلاق.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: أَعْدَلُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النَّحل: ٩٠] الآيَةَ، وَأَحْكَمُ آيَةٍ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [الزَّلزَلَة: ٧] الآيَتَيْنِ(٢).

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالا: الْتَقَى ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ أَرْجَى؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ الآيَةَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَكِنْ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠] قَالَ: فَرَضِيَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: (بَلَى)، قَالَ: فَهَذَا لِمَا يَعْتَرِضُ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٨٩)، عبد الرزاق في المصنف (٦٠٠٢)، والبيهقي في الشعب (٢١٧٣) والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٢) والحاكم (٢/ ٣٨٨). وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٧٠).

فِي الصَّدْرِ مِمَّا يُوَسْوِسُ بِهِ الشَّيْطَانُ. أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ(١). أي: رضي منه قوله الظاهر: (بلى) على ما في صدره ﷺ، ويرضى الله تعالى منا قولنا (بلى) باللسان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولو حاك في الصدر ما حاك من وساوس الشيطان، يقول رسول الله ﷺ: «ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ»(٢) وهذا من رحمة الله تعالى بنا، فقد يَحِيكُ في صدر الإنسان المسلم أشياءُ، وقد اشتكى الصحابةُ شيئًا من هذا لرسول الله ﷺ فقال: «ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ»، قطعًا لوسوسة الشيطان بهذا.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ «حليةِ الأولياءِ» لأَبِي نُعَيْمٍ الأصبهانيِّ أحدِ المحدثين المشهورين، فيه بعض الغرائب وبعض الضعيف كما أخبر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّكُمْ -يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ- تَقُولُونَ: أَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيَةَ، لَكِنَّا -أَهْلَ الْبَيْتِ- نَقُولُ: إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضُّحَى: ٥] وَهِيَ: الشَّفَاعَةُ)(٣).

وَأَخْوَفُ آيَةٍ: قِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [الْمَعَارِج: ٣٨]، وَعِنْدِي أَنَّهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، وفي (٤/ ٢٨٩) وأبو داود في الزهد (٢٩٠).
وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: فيه انقطاع. قال الحافظ في إتحاف المهرة (٨/ ٦٠): يعني: بين المنكدر، وابن عباسٍ، وابن عمرٍو.
(٢) أخرجه مسلم (١٣٢): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٧٩): عن حرب بن شريحٍ، قال: قلت لأبي جعفرٍ محمد بن علي ابن الحسين: جعلت فداك، أرأيت هذه الشفاعة الذي تحدث بها أهل العراق أحقٌّ هي... الحديث.

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الْكَهْف: ١٠٣-١٠٤].

يرى السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الآية أخوف آية، وهي آية عظيمة مخيفة، فالإنسان الذي يعبد اللهَ تبارك وتعالى على ضلال، أو يعمل عملًا في الدنيا يظن أنه يتقرَّب به إلى الله، وهو لا يزداد به إلا بُعْدًا -والعياذ بالله- عن الله تعالى، فإذا جاء يوم القيامة بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، نسأل الله تعالى أن يعافيَنا من هذا المصير، وَأَلَّا يجعلَنا من أولئك الناس برحمته وفضله(١).

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهَا: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٢٣](٢)، وهذه آية عظيمة مخيفة أيضًا، وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَ سُفْيَانُ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الْمَائِدَة: ٦٨](٣).

---

(١) قال الزركشي في البرهان (١/ ٤٤٨): وأما أخوف آيةٍ، فعن الإمام أبي حنيفة أنه قال: هي قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، ولو قيل: إنها ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ لكان له وجهٌ، ولهذا قال بعضهم: لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣/ ٤٤٩): قال معمرٌ، وبلغني أن عمر بن الخطاب مر به ركبٌ فأرسل إليهم يسألهم من هم؟ فقالوا: جئنا من الفج العميق، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نؤم البيت العتيق، قال: فرجع إليه الرسول فأخبره، فقال عمر: إن لهؤلاء لنبأٌ. ثم أرسل إليهم: أي آيةٍ في كتاب الله أحكم؟ قالوا: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨] قال: فأي آيةٍ أعدل؟ قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠] قال: فأي آيةٍ أعظم؟ فقالوا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فأي آيةٍ أرجى؟ قالوا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ﴾ [الزمر: ٥٣]، قال: فأي آيةٍ أخوف؟ قالوا: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، قال: سلهم أفيهم ابن أم عبدٍ؟ قالوا: نعم.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا (باب الرجاء مع الخوف).

قيل: إنه القرآن، وقيل: غير ذلك، فإن قيل ذلك لأهل الكتاب فنحن – المسلمين- أَوْلَى بهذا الخطاب، وَأَوْلَى أن نخاف منه، فنحن لَسْنَا على شيء حتى نُقِيمَ كتابَ الله بيننا، فإن نُزِعَ حكمُ الله من بيننا فنحن لسنا على شيء، كما قال عمر ﵁: «نحْنُ أمةٌ أَعَزَّنَا اللهُ بالإِسْلَامِ، فإنْ تركناه -أو كما قال- أَذَلَّنَا اللهُ»(١).

رَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ حَدَّثَنَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَى: ٣٠]، وَسَأُفَسِّرُهَا لَك يَا عَلِيُّ: «مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَرَضٍ أَوْ عُقُوبَةٍ أَوْ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ الْعُقُوبَةَ، وَمَا عَفَا اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَاللهُ أَحْلَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ عَفْوِهِ»(٢). هذه بالتفضيل النسبي، أما التفضيل المطلق فهو لآية الكرسي، والتفضيل النسبي قد تكون آيةٌ أفضلَ من أخرى في باب مُعَيَّنٍ، فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ هذه أفضل آية تشرح أحوال المرء إذا أصيب بمصيبة أو مرض أو بلاء، فإن الله تبارك وتعالى يُكَفِّرُ عنه بذلك البلاء ويعفو عنه، فهي أفضل آية في هذا الباب، فهي مفضَّلَة تفضيلًا نسبيًّا.

وَقَالَ الْبُلْقِينِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ: قَدْ قِيلَ: إِنَّ سُورَةَ الْحَجِّ مِنْ عَجِيبِ الْقُرْآنِ؛ فِيهَا مَكِّيٌّ وَمَدَنِيٌّ وَحَضَرِيٌّ وَسَفَرِيٌّ وَلَيْلِيٌّ وَنَهَارِيٌّ وَحَرْبِيٌّ وَسِلْمِيٌّ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ. انْتَهَى.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٠-٩٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٦٠٤) وأحمد (٦٤٩).

وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْكَلَامَ مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَاتٍ السَّعِيدِيُّ النَّحْوِيُّ فِي كِتَابِهِ: (فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ) وَقَالَ: الْمَكِّيُّ مِنْهَا: مِنْ رَأْسِ الثَّلَاثِينَ إِلَى آخِرِهَا، وَالْمَدَنِيُّ: مِنْ رَأْسِ خَمْسَ عَشْرَةَ إِلَى رَأْسِ الثَّلَاثِينَ، وَاللَّيْلِيُّ: خَمْسُ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا، وَالنَّهَارِيُّ: مِنْ رَأْسِ تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى رَأْسِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَالْحَضَرِيُّ: إِلَى رَأْسِ الْعِشْرِينَ.

قُلْتُ: وَالسَّفَرِيُّ أَوَّلُهَا كَمَا تَقَدَّمَ، وَالنَّاسِخُ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الْحَجّ: ٣٩] **الآيَةَ.**

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ هذه الآية نزلت في المدينة بالإذن للمسلمين بِبَدْءِ القتالِ، أما أولًا فلم يكن مأذونًا لهم، بل كانوا مأمورين بالصبر وبالتَّحَمُّلِ والإعراض عن الكافرين.

وَالْمَنْسُوخُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [الْحَجّ: ٥٢] **الآيَةَ، نَسَخَتْهَا: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾** [الأَعْلَى: ٦][1] بأنه لن يدخل في كلام الرسول ﷺ شيءٌ من الباطل أبدًا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الْحَجّ: ٥٢] وهذه فيها قصة طويلة لا مجال لِذِكْرِهَا، لكن معنى قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي: لن تنسى شيئًا من القرآن ولن يدخل عليك شيءٌ فيه، بل سَتُبَلِّغُهُ كما أنزلناه إليكَ، هذا على رأي من قال: إنها ناسخ ومنسوخ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤١] **الآيَةَ. نَسَخَتْهَا آيَةُ السَّيْفِ[2].**

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٧١).

(٢) انظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (١٤٧)، الناسخ والمنسوخ للمقري (١٧٩).

آية السيف: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التَّوْبَة: ٥].

هذه الآيةُ نَسَخَتْ آياتٍ كثيراتٍ في الأمر بالصبر على المشركين المحاربين، والإعراض عنهم، أما القول بأن هذه الآية نسخت حتى آيات الأمر بالصبر والقسط والعدل مع المشركين أو الكافرين الذميين الْمُسْتَأْمَنِينَ فغير مستقيم، فهذه الآية لم تَنْسَخْ قولَه تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الْمُمْتَحَنَة: ٨]، فنحن مأمورون بمراعاة أهل الذِّمَّةِ وأهل الأمان وأهل العهد بينَنا، حتى أن رسول الله ﷺ حَذَّرَ أشدَّ التحذير من قتل المعاهَد، وقتل الذِّمِّيِّ، وَبَيَّنَ أنه خصمُه ﷺ يوم القيامة[(١)]، فَلْيُحْذَرْ من هذا، إنما الكلام كله في أحوال الكافرين المحاربين والمعادين لنا؛ إذ ليس الكافرون مرتبةً واحدةً في العداء، فهناك كافرون ليس بينَنا وبينَهم عداءٌ، بل هم يقتربون منا جِدًّا، وما يبقى على إسلامهم إلا شيءٌ قليلٌ، وكثيرٌ منهم يدخل في دين الله تبارك وتعالى؛ لأنهم ما يعرفون الإسلام، فهذا لا يُعقل أن يُعَدَّ -مثلًا- كاليهود المحاربين، ولا يعد كالنصارى المحاربين الصليبيين، وإنما هذا أمره أهونُ منهم، وهذا يتمثل كثيرًا في الناس الذين هم من نصارى العرب الذين يقيمون من قرون طويلة مع المسلمين في ديارهم، فهؤلاء أقربُ بكثير وإن كانوا كافرين، لا يُتَوَلَّوْنَ، وَيُتَبَرَّأُ منهم أيضًا، لكن أقول: شأنُهم

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦): عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما». أربعين عامًا».

أهـونُ مـن شـأن الكـافرين المحـاربين مـن النـصارى الـصليبيين، ومـن اليهـود الضالِّين الذين يحاربوننا كلَّ يوم وكل ساعة وكل دقيقة.



النوع السابع والثمانون: الأمثال(١)

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي(٢)، وَلِلنَّاسِ فِي أَمْثَالِ الْقُرْآنِ تَصَانِيفُ مِنْهُمْ الإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيُّ(٣).

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلالٍ وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ، وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ، وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ، وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِالأَمْثَالِ»(٤).

---

(١) ذكره السيوطي في الإتقان (٤/ ٤٤): النوع السادس والستون.

(٢) قال في الإتقان (٤/ ٤٦): أمثال القرآن قسمان: ظاهرٌ مصرحٌ به، وكامنٌ لا ذكر للمثل فيه، فمن أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين؛ مثلًا بالنار، ومثلًا بالمطر. أخرج ابن أبي حاتمٍ وغيره من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباسٍ قال: هذا مثلٌ ضربه الله للمنافقين؛ كانوا يعتزون بالإسلام، فيناكحهم المسلمون، ويوارثونهم، ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ يقول: في عذابٍ، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ هو المطر ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ يقول: ابتلاءٌ ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ تخويفٌ ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ يقول: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزا اطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبةٌ قاموا ليرجعوا إلى الكفر، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الآية.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ الآية؛ أخرج ابن أبي حاتمٍ من طريق علي عن ابن عباسٍ قال: هذا مثلٌ ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الزبد فيذهب جفاءً وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك.

وأما الكامنة فقال الماوردي: ...ثم ساق كلامه المذكور هنا.

(٣) علي بن محمد، أقضى القضاة، أبو الحسن الماوردي. صدوق في نفسه، لكنه معتزلي. توفي سنة [٤٥٠هـ]. انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٣/ ١٥٥).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٤٨): عن أبي هريرة ﷺ. وفيه: معارك بن عبادٍ، ضعفه الحافظ.

وَلَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الرُّوم: ٥٨]، وَمِنْ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ مَا صُرِّحَ فِيهِ بِذِكْرِ الْمَثَلِ وَهُوَ الأَغْلَبُ.

أحد السلف يقول: إذا قرأتُ مثلًا في كتاب الله ولم أَفْهَمْهُ فإني أبكي على نفسي؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العَنكَبُوت: ٤٣]. والأمثال في كتاب الله جاءت على أعظم الأوجه، بل إن السيوطي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: «معترك الأقران في إعجاز القرآن» عَدَّ الأمثالَ من نوع الإعجاز القرآني؛ لما فيها من قوة وظهور، ووضوح برهان وحُجَّةٍ.

وَمِنْهَا مَا لَمْ يُصَرَّحْ فِيهِ بِذِكْرِ الْمَثَلِ، وَلَكِنَّهَا كَامِنَةٌ فِيهِ، كَمَا حَكَى الْمَاوَرْدِيُّ أَنَّ بَعْضَهُمْ سُئِلَ -المراد بقوله: (بعضُهم) هو الحسين بن الفضل النيسابوري رَحِمَهُ اللهُ[١]؛ كان من علماء المسلمين المتدبرين للقرآن على وجه عظيم، وسيأتي النقل عنه؛ مما يدل على تدبره حقًّا، ويعجب الإنسان مِنْ فَهْمِ هؤلاء العلماء كيف تَدَبَّرُوا كتابَ اللهِ، وكيف أخرجوا منه هذه المعاني- فَقِيلَ لَهُ: إِنَّك تُخْرِجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ: (خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا)؟ فَقَالَ: نَعَمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البَقَرَة: ٦٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفُرْقَان: ٦٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإِسْرَاء: ١١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

---

(١) الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي النيسابوري أبو علي، المفسر الأديب إمام عصره في معاني القرآن. توفي سنة [٢٨٣هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٦/ ٧٤٢).

﴿تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسْرَاء: ٢٩].

فَقِيلَ لَهُ: هَلْ تَجِدُ فِيهِ: (مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ)؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يُونُس: ٣٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأَحْقَاف: ١١].

فَقِيلَ لَهُ: هَلْ تَجِدُ فِيهِ: (احْذَرْ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ)؟ قَالَ: نَعَمْ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التَّوْبَة: ٧٤].

فَقِيلَ لَهُ: فَهَلْ تَجِدُ فِيهِ: (لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)[١]، قَالَ: نَعَمْ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يُوسُف: ٦٤].

فَقِيلَ لَهُ: هَلْ تَجِدُ فِيهِ: (مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سُلِّطَ عَلَيْهِ)؟ قَالَ: نَعَمْ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ [الْحَجّ: ٤][٢].

هذه عجيبةٌ من عجائب علماء المسلمين، كيف يستحضرونَ الآياتِ الكريمةَ؟! والاستحضارُ أن تحضر الآية المناسبة للمعنى المراد، وكتاب «الأمثال القرآنية» للحسين بن الفضل النيسابوري كتاب حُقِّقَ في مجلة مجمع اللغة العربية العراقي في إحدى المجلدات وهذا الكتابُ حقَّقَهُ أحدُ الدكاترة في أحد أعداد مجلة مجمع اللغة العربية العراقي.

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ: أَيْنَ تَجِدُ فِي الْقُرْآنِ: (الْحَبِيبُ لا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ)؟ فَقَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٩٩٨).

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٣٥٥)، الإتقان (٤/ ٤٨).

بِذُنُوبِكُم ﴾ [الْمَائِدَة: ١٨] **انْتَهَى**(١).

وهذا أيضًا استخراج لطيف لهذا المعنى.

* * *

سيشرع المؤلف في النوع الآتي في ذكر آداب القارئ والْمُقْرِئِ، وهي آداب العالِم والمتعلم، وقد أفرد كثيرٌ من علماء المسلمين كُتُبًا لآداب العالم والمتعلم؛ لأن العلم عندنا يختلف عن جميع العلم في أنحاء الدنيا، فالعلم عندنا هو العلم بالله تبارك وتعالى أَوَّلًا؛ إذ مَنْ جَهِلَ اللهَ فلم يكتسب علمًا قَطُّ، ومن عرف الله لم يَفُتْهُ شيءٌ قَطُّ، فعلماء الغرب والشرق الذين جهلوا الله تبارك وتعالى وعلموا علمًا قال عنه الله تبارك وتعالى في القرآن: إنه لا شيءَ، فبعد أن نفى عنهم سبحانه وتعالى العلمَ الحقيقيَّ بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فأَثْبَتَ لهم نوعًا مُعَيَّنًا من العلم كأنه لا علمَ إذا جُرِّدَ من معرفة الله، فهذه مصيبة، وهذا الذي حَدَثَ في الغرب عندما نبذوا الدِّينَ، ونبذوا الله تبارك وتعالى -والعياذ بالله- من أفكارهم ومن آرائهم ومن علمهم، وهذا كله من جَرَّاءِ ما كانت تفعله الكنيسةُ الظالمةُ بالناس، فقد كانت الكنيسة تذيق الناس ألوانًا من العذاب، وكانت تُضَيِّقُ عليهم حياتَهم ومعيشتَهم، وتضيق عليهم في رزقهم وفي أقواتهم، وكانت تتفق في ذلك مع الملوك في أوروبا في ذلك الزمان في القرون الوسطى المظلمة، لذلك يقول المؤرخون: القرون المظلمة هي القرون الوسطى في تاريخ الأوروبيين.

---

(١) وانظر تفصيل الكلام على هذاالمبحث في كتاب معترك الأقران (١/ ٤٦٤-٤٧١)، والإتقان (٤/ ٤٤-٥٣).

وللأسف أن يأتي الجاهلون من المسلمين فيقولون: إن القرون الوسطى هي قرون مظلمة مُطْلَقًا، وهي ليست كذلك! بل هي قرون نورٍ وضياءٍ لنا معشرَ المسلمين، ظهرت فيها الرسالة، وظهر فيها الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، وظهر فيها أجيال المسلمين العظيمة، فهي بالنسبة لنا -بل للدنيا كلها- قرونُ نُورٍ، وقرون هداية، وقرون خير، لكنها بالنسبة لأوروبا كانت قرونَ ظلام حَقًّا.

وفي أوائل عصر النهضة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر اكتشف الغرب مُكْتَشَفَاتٍ متواليةً كان من أَجَلِّهَا المطبعة في ذلك الزمان، يعني: عندما كان السيوطي رحمه الله على قيد الحياة، وبعده بقليل اكتشف الغربُ المطبعةَ؛ لأنها لم تَكنْ عندَ علماءِ المسلمين ولم يَرِدْ ذِكْرُ المطبعة إلا في القرن الرابع عشر وأواخر القرن الثالث عشر، حيث كانت هناك مطبعة أتى بها نابليون إلى مصر في حملته عليها سنة [١٢١١هـ-١٧٩٨م] عندما جاء غَازِيًا، وكانت شيئًا عجبًا في ذلك الزمان. وَلَمَّا غزا البريطانيون الهندَ أيضًا أتوا معهم بمطبعة، فرآها العلماء المسلمون في الهند، وَتُدُولتْ المطابع في القرن الرابع عشر، وبلد كاليمن مثلًا لم يعرف المطابع حتى سنة ١٣٥٠؛ أي: بعد ظهور مطبعة أوروبا بقرابة أربعة قرون ونيف! فاكتشف الغربُ المطبعةَ، واكتشفوا اكتشافاتٍ متواليةً، فابتدأ تَدَخُّلُ الكنيسةِ، هل يجوز طباعة الإنجيل أم لا تجوز؟ وصاروا يضايقون العلماءَ الذين يكتشفون مكتشفاتٍ، كـ(جاليليو[1]) الذي اكتشف (التليسكوب)، و(إسحاق نيوتن[2])الذي اكتشف قانون الجاذبية،

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين (٣٠/ ٢٦٤).

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين (٣٣/ ٢٣٠).

وفلان وفلان، فكانوا يقتلون العلماء، يحرقونهم في ميدان عامٍّ، يرمون بهم من فوق الكاتدرائيات الضخمة، وهي مجمع الكنائس الضخم، المهم أنهم يقتلونهم ويتخلصون منهم، أو يحكمون عليهم بالسجن مدةً طويلةً، وقد اكتشف العلماء -مثلًا- أن الأرض ليست مركزًا للكون كما كانت تقول الكنيسة، وكانت تنافح به رأيًا دينيًّا إلهيًّا، وهذا ناتجٌ عن تحريفهم في كتاب الله، وتمسكوا بهذا، وصبغوه بصبغة إلهية دينية زُورًا وبهتانًا، فأصبح الناس في مفترق طرق؛ إما أن يتبعوا الكنيسة ودينها المحرف الذي ينهاهم عن كل مكتشَف ومخترَع، وعن كل خير في دنياهم، وإما أن يتبعوا المكتشفاتِ العلميةَ، لكن الناس كانوا خائفين؛ لأن للكنيسة سطوةً هائلةً في ذلك الزمان، وعلاقةً خفيةً بالملوك والإمبراطوريات في أوروبا في ذلك الزمان، حتى إذا جاءت الثورة الفرنسية الكبرى سنةَ [١٧٨٩م] التي أقيمت على إثرها الجمهوريةُ الفرنسيةُ، وكان شعارها: اشنقوا آخِرَ مَلِكٍ بأمعاءِ آخِرِ قِسِّيسٍ، أي: لويس السادس عشر بأمعاء آخِر قسيس، وهذا يَدُلُّكَ على مدى كراهيتهم لرموز دينهم في ذلك الزمان، فقد كان هناك كاتدرائيات بها رهبان يعذبون ويحرقون الناسَ فيها، بل اكتشفوا زَنَازِينَ بمقدار طول الإنسان، يُدخلون الإنسانَ فيها فيموت وهو واقفٌ، أو بمقدار ما ينام فيموت وهو متمدد، أو بمقدار جلوسه القرفصاء فيموت وهو كذلك، ووجدوا هياكل عظمية كثيرة في الكنائس والكاتدرائيات تحت أرضها فزاد من سخطهم على الكنيسة وعلى أصحاب الكنيسة.

وانتشر بعد ذلك الفكرُ العلمانيُّ الأوروبيُّ مُمَثَّلًا في (ماركس) في إنجلترا حيث كان يعيش هنالك، وبشَّر بخروج الشيوعية من تلك البلاد فخرجت في

روسيا، و(هيجل) في ألمانيا، و(نيتشه) أيضًا في ألمانيا، وظهر مفكرون غربيون ملحدون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وكان ذلك من جرَّاء ما صنعته الكنيسةُ فيهم، فكانت تلك القرون قرونَ ظلام حَقًّا، أما نحن المسلمين فلم نكن كذلك؛ لأنها كانت قرونَ خيرٍ ونورٍ وَعِلْمٍ، بل كان الملوك والخلفاء يتسابقون في تكريم العلماء، وتكريم العلم مشهور من سيرة المسلمين.

إن كثيرًا من السلف رحمهم الله والخلف، أَلَّفُوا في آداب العالم والمتعلم، فقد أَلَّف الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الجامع في أخلاق الراوي والسامع»، وَأَلَّفَ ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم»، وأَلَّف الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا في هذا أيضًا، وكثيرٌ من علماء المسلمين، تُعَدُّ هذه الكتبُ بالمئات؛ لأن العلمَ في الإسلام مرتبطٌ أشدَّ الارتباط بمعرفة الله تبارك وتعالى، وبالخشية منه، فالعالِم الذي لا يخشى الله ولا يتقيه ولا يخاف منه يكون عَالِمَ سَوْءٍ والعياذُ بالله، يفسد وَيَضُرُّ الدينَ أكثرَ مما يُصْلِحُهُ؛ لذلك كان علماء المسلمين يحرصون على ألا يُعَلِّمُوا متكبرًا ولا متجبرًا ولا جاهلًا، لا يريد أن يفقه ولا يريد أن يتعلم العلمَ الحقيقيَّ، ويحرصون أشدَّ الحرص على ألا يضعوا العلمَ إلا في موضعه وعند أهله؛ لأنك إذا وضعتَ العلمَ في غير أهله أتيتَ بجناية عظيمة على الدِّين، وأتيتَ بجناية عظيمة على العلم فيخرج علماء سوء والعياذ بالله، يخرج علماء قصدُهم الشهرةُ، وقصدُهم صرفُ وجوهِ الناسِ إليهم، قصدُهم الرئاسةُ والتصدرُ في المجالس، وهذا من أعظم المصائب على

(١) أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي. أحد الحفاظ الأعلام، ومن ختم به إتقان هذا الشأن. وصاحب التصانيف المنتشرة في البلدان. [المتوفى: ٤٦٣ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٠/ ١٧٥).

الناس، نسأل اللهَ العافيةَ، أن يكون قصدُ العالِم المقدَّم في الناس الشهرةَ وَصَرْفَ وجوهِ الناسِ إليه والترؤسَ في المجالس، وأن يقال: قال فلان، وقال فلان، فإن كانت هذه نيتُه فقد هلك؛ لأن رسولَ الله ﷺ أخبرنا أَنَّ أَوَّلَ ثَلَاثَةٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ: قَارِئُ الْقُرْآنِ الَّذِي يُؤْتَى فَتُعَدَّدُ عَلَيْهِ النِّعَمُ، نِعْمَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مَا عَمِلْتَ بِهَا؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَقْرَأْتُ الْقُرْآنَ لِوَجْهِكَ، قَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَقْرَأْتَهُ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، وَقَدْ قِيلَ[(١)]. يعني: أخذتَ حظَّك في الدنيا، قد قيل بأنك مقرئٌ عظيمٌ، وعالِم كبيرٌ، أو إنسان نِحْرِيرٌ، قد حَصَّلْتَ ما أردتَه، فيؤمر به فَيُسْحَبُ على وجهه إلى النار! لذلك كان العلماء يحرصون دائمًا على تصحيح النية في طلب العلم، فإذا وجدتَ إنسانًا أدبُه قليلٌ في طلب العلم، ويَقِلُّ أدبُه في مخاطبة العلماء، ومخاطبةِ كبراءِ العلماء والصلحاء، فَاعْلَمْ بأنه لم يُرَبِّ نفسَه بالعلم، ولم يأخذ نفسَه بالعلم الحقيقي، إنما ظن نفسَه عالمًا أو طالب علم عندما تَعَلَّمَ مسألةً أو مسألتين؛ فتصدَّر وقال: قال فلان، وقال فلان، وهو مسكينٌ جاهلٌ جهلًا مركبًا؛ لأن الجاهلَ الذي يدري بأنه جاهلٌ، هذا جهلُه بسيطٌ، أما الجاهل المركب فهو جاهلٌ ولا يدري أنه جاهلٌ، وهذه مصيبة عُظْمَى، فإذا كان الإنسان جاهلًا ولا يدري بأنه جاهل فهذا جهله جهل مركب؛ وقد حذَّر العلماءُ منه كثيرًا، وَحَذَّرُوا من إنسان هذه نفسيتُه وهذه طريقة تفكيره.

فلنحرص على تصحيح النية في طلب العلم، وعلى جعلِ الله تبارك وتعالى أمامَ أنظارنا دومًا وأبدًا، وهذه أعظم مرتبةٍ في الإسلام، وهي مرتبة الإحسان: أن تَعْبُدَ اللهَ كأنكَ تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك سبحانه وتعالى[(٢)]، هذه المرتبة

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٩٠٥).

(٢) هذه إحدى المراتب الثلاث الواردة في حديث جبريل، حينما سأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، =

التي قَلَّمَا يصل إليها الناسُ، وهم -وللأسف الشديد- منصرفونَ عنها إلى أشياء أخرى، فإذا تَوَصَّلَ الإنسانُ إلى هذه المرتبة تَوَصَّلَ إلى المرتبة التي ليس بعدَها شيءٌ، فهذه مرتبة الصديقين، وهي مرتبة ليس بعدها شيءٌ، هكذا طلب العلم. كيف لكَ بأن تستغفرَ لكَ الحيتانُ في الماء(١)، وتستغفر لك الحيواناتُ في جحورها، ويستغفر لكَ النمل في أماكنه، والوحشُ يستغفر لك، والملائكة الأبرار تذكرك في الملأ الأعلى، ويذكرك الله في الملأ الأعلى، ويذكرك الناسُ الصالحون؟! كيف لكَ بهذا ونيتُك وأفعالُك خَرِبَةٌ، وقلبُك مملوءٌ بالغشِّ والخداع والنفاق والرياء، وإرادة الإيقاع بالمسلمين، وسوء الظن بالمسلمين، كيف لكَ بهذا؟!

وقد اتفق علماء المسلمين على أن كبائر الذنوب القلبية أعظمُ من كبائر الذنوب الجارحية العملية، فاتفقوا على أن الشك والشرك والشقاق والنفاق والخداع، وسوء الظنِّ بالمسلمين، وإرادة الإيقاع بالمسلمين والكيد بهم، والنفرة منهم، والتكبر عليهم كلها أمراضٌ قلبيةٌ أعظمُ من كبائر الذنوب العملية، مثل الزنا، والْحَلِفِ بغير الله، والربا؛ لأن المؤمن قد يزني فينزع عنه اللهُ صفةَ =

والإحسان، صحيح مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) يشير إلى ما أخرجه أبو داود (٣٦٤١-٣٦٤٢) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجة (٢٢٣): عن كثير بن قيسٍ، قال: كنت جالسًا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق. فأتاه رجلٌ، فقال: يا أبا الدرداء! أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ لحديثٍ بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ، قال: فما جاء بك؟ تجارةٌ؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ».

الإيمان حالَ زناه(١)، ثم تعود إليه إن شاء الله تعالى، أما مَنْ كان في قلبه خداعٌ مستمرٌّ، وفي قلبه شقاق وكبر مستمرٌّ وسوءُ ظنٍ، فهذا متى ينجو؟ ومتى يرجع إلى الله؟ ومتى يرضى الله عنه؟! نسأل اللهَ العافيةَ، فينبغي التنبه لهذه النقطة فهي مهمة جِدًّا، والله أعلم.



(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧): عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمنٌ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمنٌ، ولا ينتهب نهبةً، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمنٌ».

النوع الثامن والثمانون، والتاسع والثمانون
آداب القارئ والمقرئ[١]

هَـذَانِ النَّوْعَـانِ مِـنْ زِيَـادَتِي، وَشِـبْهُهُمَا مِـنْ عِلْـمِ الْحَـدِيثِ: آدَابُ الْمُحَـدِّثِ، وَآدَابُ طَالِبِ الْحَدِيثِ. وَلِلنَّـاسِ فِي ذَلِكَ تَصَانِيفُ أَشْـهَرُهَا: التِّبْيَـانُ لِلنَّـوَوِيِّ. التبيان في آداب قارئ القرآن، وهو كتاب مشهور للإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كتابٌ يَحْسُنُ للمؤمن أن يرجع إليه، فإنه يُذَكِّرُهُ كثيرًا مما ينساه، وَيُعَلِّمُهُ كثيرًا مما يَجْهَلُهُ، وَمُخْتَصَرُهُ لَهُ، وَأَنَا أُشِيرُ هُنَا إِلَى مَقَاصِدِهِ حَاذِفًا مُعْظَمَ الأَدِلَّةِ اخْتِصَارًا[٢].

فَعَلَى كُلٍّ مِنَ الْقَارِئِ وَالْمُقْرِئِ: إِخْلَاصَ النِّيَّةِ. لما كان القارئ والمقرئ - أي: العالم والمتعلم- أعظمَ طبقات المسلمين -باتفاق المسلمين- خُصُّوا بتلك النصيحة، وإلا فإخلاص النية مطلوبٌ من جميع طبقات الناس، في العبادة وفي غيرها، وَقَصْدُ وَجْهِ اللهِ، وَأَنْ لَا يَقْصِدَ بِتَعَلُّمِهِ أَوْ بِتَعْلِيمِهِ غَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا كَرِئَاسَةٍ أَوْ مَالٍ[٣]. يحضرني كلامُ أحدِ السلفِ كان مُدَرِّسًا، فاشتكى رَحِمَهُ اللَّهُ إلى آخَرَ، فقال: هناك مجلسٌ فإذا حضرتُه وقَلَّ الناسُ أصابني الغمُّ ودخلني الحزنُ، فإذا ازداد الناسُ فرحتُ، قال: هذا مجلس سُوءٍ فلا تَعُدْ إليه[٤]. مع أن هذه مشاعرُ قلبيةٌ، والعالِم يريد أن يكثر الناسُ فينتفعوا بكلامه، وينتفعوا بما يقول

(١) ذكره في الإتقان (١/ ٣٥٩): النوع الخامس والثلاثون: في آداب تلاوته وتاليه.

(٢) قال في الإتقان (١/ ٣٥٩): وأنا ألخصها هنا وأزيد عليها أضعافها، وأفصلها مسألةً مسألةً؛ ليسهل تناولها.

(٣) قال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي، إنها تقلب علي». أخرجه الخطيب في الجامع (١/ ٣١٧).

(٤) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (١٧٥٨)، وحلية الأولياء (٩/ ١٢).

لهم من نصائحَ، فهو يُخْبِرُ عن نفسه فيقول: إذا قَلَّ الناسُ أصابني الغمُّ، وإذا ازداد الناسُ فَرِحْتُ، فقال له هذا الناصح: هذا مجلسُ سوءٍ فلا تَعُدْ إليه، أو أن تُصَحِّحَ نيتَك، إما أن تُصَحِّحَ نيتَك أو ألا تعودَ إلى ذلك المجلس، فانظر كيف كان حرصُ السلفِ على تصحيح النية وقصد وجه الله ﷺ.

وَلَا يَشِينُ الْمُقْرِئَ إِقْرَاؤُهُ بِطَمَعٍ فِي رِفْقٍ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ.

هنا المعنَى بهذا الشكل ما وجدتُ له توجيهًا حَسَنًا، (ولا يشين المقرئَ إقراؤه بطمع) فهذا الكلام غير معقول؛ فالإقراء بالطمع والإقراء بغير وجه الله يشين المقرئَ ولا شك، فالشكلُ يجب أن يكون والله أعلم: (ولا يشين المقرئُ إقراءَه بطمع في رفق يحصل له من بعض مَنْ يقرأ عليه)، وهذه مسألة مهمة، لم يكن السلف -رضي الله عنهم ورحمهم- يأخذون مالًا على التعليم في الأغلب الأعظم الأكثر، ما عدا قليلًا من الناس أُثِرَ عنهم أنهم كانوا يأخذون بعضَ المال؛ لفقرهم ولشدة حاجتهم وأُثْبِتَ ذلك في تراجمهم، وأسماؤهم معلومة لا داعي لإثباتها هنا. وكانوا يحذرونَ بألا يشين المقرئُ إقراءَه بطمع في رفق يحصل له من بعض مَنْ يقرأ عليه، رفق أو رفد عطاء. فكان هذا عندَهم من أعظم العيب، فكانوا لا يَقْبَلُونَ الهديةَ من قارئ يقرأ عليهم أبدًا إلا في حدود ضيقةٍ جِدًّا، وكان مقرئُو القرآن لا يأخذون شيئًا على إقرائهم ولو كان خيطًا، وكان هذا مشهورًا عن السلف ﷺ(١).

وَلا التَّكَثُّرُ بِكَثْرَةِ الْمُشْتَغِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمُتَرَدِّدِينَ إِلَيْهِ، لا يَتَكَثَّرُ بتِلْكَ المجالس، يقول: اليومَ حضر في مجلسي كذا وكذا، هذا من التكثر الممقوتِ الذي يُشَكُّ في

(١) انظر في تفصيل هذه المسألة: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٢/ ٩١)، تنقيح الأنظار (٢/ ١٥٣).

نية صاحبه والعياذ بالله، **وَلَا يكْرَهُ قِرَاءَةَ أَصْحَابِهِ عَلَى غَيْرِهِ**، أي: ولا يَكْرَهُ هو قراءةَ أصحابه على غيره. بعضُ العلماء إذا أتى إليهم التلميذُ والطالبُ متعلمًا يكرهون أن يقرأ على غيره، وهذا غير صحيح، فإن النيةِ الحسنةِ تقتضي خلافَ هذا العملِ، فللإنسان أن يقرأ على من شاء، فإذا أتى المعلمَ أحدٌ يريد أن يقرأ عليه شيئًا فلا يمنعه المعلمُ من أن يقرأ على غيره.

وَالتَّخَلُّق بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ وَأَوَامِره وَنَوَاهِيه، هذا معطوفٌ على إخلاص النية وقصد وجه الله والتخلق بآداب القرآن، ما الفائدةُ من أن يكون قارئًا للقرآن عَالِمًا متعلمًا ثم لا يتخلق بآدابه؟ أو لا يحاول التخلقَ بآدابه؟ قد لا يستطيع الإنسانُ أن يتخلق بآداب القرآن؛ لأن الرسولَ ﷺ هو الذي كان خُلُقُهُ القرآن[(١)]، أما غيره ففِيهِ ضعفٌ وفيه عجزٌ، وفيه توانٍ وكسلٌ، فلا يستطيع أن يتخلقَ بأخلاقِ القرآنِ، لكن على الأقل يجب أن يحاول أن يكون وَقَّافًا عند آيات القرآن وحدوده وأخلاقه.

وَيَعْمَلُ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ مِن الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَعَدَمِ الالْتِفَاتِ إِلَيْهَا وَإِلَى أَهْلِهَا[(٢)]. هذا مهمٌّ جِدًّا؛ العالِم لا بد أن يكون زاهدًا في الدنيا، ليس شرطًا أن يكون فقيرًا؛ لأن الزهد أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك، فكثيرٌ من الأغنياء هم أزهدُ بكثيرٍ من كثير من الفقراء؛ لأن الدنيا في أيديهم ليست في قلوبهم، وبعض الفقراء قد فُتِحَ عليهم قليل من الدنيا ومع ذلك استولت على قلوبهم،

(١) أخرجه أحمد (٢٤٦٠١): عن سعد بن هشام بن عامرٍ، قال: أتيت عائشة، فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن...».

(٢) عن بشر بن مطرٍ، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول لأصحاب الحديث: «أعلمتم أني كنت قد أتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصرة من أبي جعفرٍ سلبته» أخرجه الخطيب في الجامع (١/ ٣٦٧).

فاثنانِ من عظماء الصحابة والمبشَّرين بالجنة: عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا من أغنى أغنياء الصحابة، بل كان عبد الرحمن بن عوف يُكَسَّرُ مالُه من الذهب بالفؤوس، وقد خلف أربعَ زوجات كان نصيبُهن الثمن، فكان لكل واحدة من نصيبها من الثمن مائةُ ألفِ دينارٍ ذهبًا، وكان من أزهد الزهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل بَشَّرَهُ رسول الله ﷺ بالجنة، وكان من الستة المرشحين للخلافة بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وَالْجُودِ، الجودُ معروفٌ، فالعالِم البخيلُ هذا ليس عَالِمًا، **وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ**، هذا أمرٌ مُهِمٌّ أيضًا، تَلْقَى الإنسانَ بوجهٍ عبوسٍ غضوبٍ، فإن سألتَه، قال: هذا من لوازم العلم، ومن لوازم الوقار في العلم. مَنْ قال لكَ هذا؟ كان أصحاب رسول الله ﷺ يتقاذفون بالبطيخ[2] في مجلسه الشريف ﷺ، ويراهم ﷺ ويتبسم لهم، وهم يضحكون، وأيضا الصحابة كانوا يأخذون في أخبارهم وأخبار العرب في الجاهلية ويضحكون ورسولُ الله ﷺ يتبسم إليهم، فَمَنِ الذي قال: إن العُبُوسَ وتقطيبَ الجبينِ وعدمَ الضحكِ وعدمَ المزاحِ من وقار العلم؟! هذا أمر غير صحيح.

وَالْخُضُوعِ، وَاجْتِنَابِ الضَّحِكِ وَكَثْرَةِ الْمَزْحِ، الضحك المصاحَب للصوت والقهقهة، فالمتعلِّم -خاصةً في مجلس التعلم- يُكره له القهقهةُ وإخراجُ الضَّحِكِ بصوتٍ عالٍ، أما إن ضحك فظهرت نواجذُه أو أنيابُه فلا شيءَ في هذا، فكان رسولُ الله ﷺ يضحك حتى تَظْهَرَ نواجذُه الشريفةُ ﷺ، **(وكثرة المزح)**

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٦٦): عن بكر بن عبد الله قال: كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال.

تجتنب؛ لأن رسول الله ﷺ كان يمزح ولكن لا يُكثر من مزاحه، بل كان مزحه وسطًا كأخلاقه كلها ﷺ، حتى في مزاحه كان يبلغ الكمال ﷺ[1].

وَالتَّنَظُّفِ[2] بِإِزَالَةِ الأَوْسَاخِ وَالشَّعْرِ وَالظُّفْرِ[3] وَالرِّيحِ الْكَرِيهِ وَتَسْرِيحِ اللِّحْيَةِ وَدَهْنِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الطَّهَارَةِ وَاتِّبَاعِ الأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِالأَذْكَارِ وَفَضَائِلِ الأَعْمَالِ؛ لأن أحقَّ الناس باتباع مثل هذا هو الذي يرويه ويضبطه، وهم العلماء وطلبة العلم.

وَالتَّبَرِّي مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ: الْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ[4]. فينبغي على طالب العلم والمعلم اجتناب أمراض القلوب، ولا يخلو إنسانٌ منا من مرض في قلبه، قَلَّ ذلك أو كَثُرَ، إلا مَنْ رَحِمَهُ ربُّه تبارك وتعالى، فلننتبه لذلك الأمر، وقد أكثر علماء السلف من التحذير من هذا، وكان كلامهم في التحذير من أمراض القلوب أكثرَ من التحذير من أمراض الجوارح، وهي الذنوب الكبائر، فكانوا يحذرون جِدًّا من الكبر والرياء والخداع والغش على ما سبق ذكر ذلك، فينبغي التنبه لهذا الأمر، فهو على غاية من الأهمية، والله أعلم.

---

(١) انظر: أخلاق أهل القرآن، للآجري (٨٧).

(٢) انظر: الجامع، للخطيب [باب إصلاح المحدث هيئته، وأخذه لرواية الحديث زينته].

(٣) انظر: الجامع، للخطيب (١/ ٣٧٤).

(٤) أخرج الخطيب في الجامع (١/ ٩٦): عن عليٍ قال: «يا طالب العلم، إن العلم ذو فضائل كثيرةٍ، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور الواجبة، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضى، وقوسه المداراة، وجيشه مجاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأوه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه صحبة الأخيار».

وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ دُونَهُ، وَأَنْ لا يَرَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ.

وإن كان غيره دونه، وإن كان أعظمَ عالِم في البلد، فإنه لا يحقُّ له أن يتكبرَ، وألَّا يرى نفسَه خيرًا من أحد أبدًا؛ فإنه لا يدري بِمَ يُختم له ويُختم لذاك، ولم يُؤْثَرْ عن السلف أبدًا أنهم كانوا يُفَضِّلُونَ أنفسَهم على غيرهم، فإن من السلف أعلامًا لم يُؤْثَرْ عنهم يومًا من الأيام ولا في كلمة من الكلمات ولا في فلتة لسان أنهم قد فضَّلوا أنفسَهم على غيرهم أبدًا، ولا في مقالة واحدة مهما كان ذلك الغير، فلينتبه الإنسان أَلَّا يرى في نفسه أو حتى في حديثه القلبيِّ أنه خيرٌ من ذلك أو من ذاك أبدًا؛ لأنه لا يدري ماذا سَيُخْتَمُ له أو يُخْتَمُ لذاك، فهذا مَدْخَلٌ عظيمٌ من مداخل الشيطان، أما الخير النسبي بأن يرى ذاك لا يصلي فيحمد الله ويقول: أنا أصلي ولله الحمد، ويرى ذلك لا يصوم ولا يطيع اللهَ فيحمد الله تبارك وتعالى أنه أفضلُ منه؛ لأنه يصوم ويصلي، فهذا التفضيل تفضيل نسبي لسبب مُعَيَّنٍ، وإنما الخطر أن يرى نفسَه أنه أفضلَ من الناس مُطْلَقًا.

وَيَرْفُقُ بِطَلَبَتِهِ، وَيُرَحِّبُ بِهِمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ بِحَسبِ حَالِهِ وَحَالِهِمْ، وَيَنْصَحُهُمْ مَا اسْتَطَاعَ، وَيَتَوَاضَعُ لَهُمْ، وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى التَّعَلُّمِ، وَيُؤَلِّفُهُمْ عَلَيْهِ، وَيَعْتَنِي بِمَصَالِحِهِمْ، وَيَصْبِرُ عَلَى بَطِيءِ الْفَهْمِ.

قوله: (يَرْفُقُ بطلبته ويرحب بهم)؛ لأن بعض طلبة العلم قد يأتي مشغوفًا بالعِلْمِ ولم يتعلم بعدُ الأدبَ في طلب العلم، ولم يتعلم كيفيةَ أَخْذِ العلوم، فهذا يُرْفَقُ بحاله، كما كان رسول الله ﷺ يرفق بحال صحابته الذين دخلوا في الإسلام، أو الذين قَدِمُوا من البادية ولم يتعلموا بعدُ الآدابَ المرعيةَ معه ﷺ،

وقد عاتبهم اللهُ تعالى في كتابه في سورة الحجرات[١].

قولـه: (**ويرحب بهم، وَيُحْسِنُ إليهم بِحَسبِ حالِه وحالِهم**)، أي: فقرًا وَغِنًى، جَاهًا وَمَرْكَزًا، إن استطاع أن ينفع أحدًا فيهم فَلْيَفْعَلْ، (**ويتواضع لهم ويُحَرِّضهم على التعلُّم، ويُؤَلِّفهم عليه، ويعتني بمصالحهم، ويَصْبِر على بَطِيءِ الْفَهْمِ**)؛ لأنه ليس كل الطلبة على مستوًى واحد، بل علينا أن نصبر على بَطِيءِ الفهم[٢].

وَيَعْذُرُ مَنْ قَلَّ أَدَبُهُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، وَيُعَرِّفُهُ ذَلِكَ بِلُطْفٍ؛ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ.

لا بد له أن يعرفه، وقال العلماء في كيفية التعريف: إما أن ينظر إليه نظرًا حادًّا؛ ليعلمَ أنه قد أخطأ، وخاصةً إن كان في مجلس غاصٍّ بالطلبة، فما ينبغي للشيخ أن يؤدِّبَه ابتداءً بكلام ثقيل حتى لا يُحْرَج، ومن أراد تفصيلَ ذلك فليرجع إلى كتاب ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالِم والمتعلم». فينظر إليه نظرًا حادًّا شَزْرًا حتى يعلم أنه قد أخطأ، فإن لم يَرْعَوِ وَيَنْكَفَّ فإن الشيخ يُفْهِمُهُ بلطف بمفرده أنه قد أخطأ، فإن لم يستطع بمفرده فأمام الطلبة، وإن لم يرعوِ فإن عليه أن يشتد عليه، وإن لم ينكف فإن عليه أن يطرده من مجلسه؛ لأن العلمَ دينٌ، وأخذُه دينٌ أيضًا، والأدبُ في أخذه من واجبات العلم، ومن واجبات الدين أيضًا، وقد كان السلفُ لا يُعَلِّمُونَ أحدًا

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) وقد أخرج الترمذي (٢٦٥٠-٢٦٥١) وابن ماجه (٢٤٧): عن أبي هارون العبدي، قال: كنا إذا أتينا أبا سعيدٍ الخدري، قال: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إن الناس لكم تبعٌ، وإنهم سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرًا».

يستهزئ بهم أو بمجلسهم أو بعلمهم، بل إنهم قد بَالَغُوا في ذلك كثيرًا، فكان أحد السلف إذا فتح الكتاب وقرأ لا يتكلم أحدٌ أبدًا، فإن تكلم أحدٌ أو ضحك أغلق الكتاب ويقول: وصلى الله على محمد، ويقوم من مجلسه. وقد جلس أحد الشيوخ مرةً ليحدث فضحك إنسانٌ كان موجودًا -كان من عبيد الوالي عبدالله بن طاهر والي خراسان- فأمر عبد الله بأن يُقتل هذا العبد؛ لأن الشيخ قد غضب وقام من مجلسه، وهو لم يفعل شيئًا يستحقُّ القتلَ وشُفع فيه فنجا، وهذا الشيخ لا شك أنه بَالَغَ في المسألة، لكن لأعلمكم كيف كان السلف رحمهم الله يحرصون على مجالس العلم[1]، فلا يتكلم فيها أحدٌ، ولا يمزح فيها أحدٌ، ولا يضحك فيها أحدٌ، إلا ما كان من باب دعابة أو فُكَاهَة تُسَلِّي قليلًا، فقد كان بعض السلف يَصْنَعُون هذا.

وَيُعَوِّدُهُمْ بِالتَّدْرِيجِ بِالآدَابِ السنِيَّةِ، وَيَأْخُذُهُمْ بِإِعَادَةِ مَحْفُوظَاتِهِمْ.

هذا أمرٌ جِدُّ مهم؛ إعادة المحفوظات؛ لأنه قد يحفظ الإنسانُ منا ألفيةً أو اثنتين أو ثلاثا ثم ينساها بعد سنتين أو ثلاث؛ لأنه لا يُرَاجِعُهَا، أو لا يأخذ نفسَه بالشدة لمراجعتها، الحفظُ له جاذبيةٌ؛ فإن حفظ الإنسان واعتمد على أنه قد حفظ ولم يُراجع ما قد حَفِظَهُ فهذا خطأٌ عظيمٌ؛ لأن الوقت الذي مضى في حفظ تلك المعلومات يُسَمَّى: ساعاتٍ علميةً، وهذه الساعات العلمية قد بذل الإنسانُ فيها جهدًا عظيمًا من وقته لكي يحفظ، فخسارة عليه أشدُّ خسارة أن ينسى الإنسانُ ما قد حَفِظَهُ، والمراجعة ليست شيئًا سهلًا خاصة المحفوظات

---

(١) عن عبد الرحمن بن عمر، قال: ضحك رجلٌ في مجلس عبد الرحمن بن مهدي، فقال: من ضحك؟ فأشاروا إلى رجلٍ، فقال: «تطلب العلم وأنت تضحك، لا حدثتكم شهرًا». أخرجه الخطيب في الجامع (١/ ١٩٣).

العلميـة ففيهـا ملـلٌ، والـنفسُ تتثاقـل عنهـا، فعليـه أن يأخـذ نفسَه بالـشدة في المراجعة؛ لئلا ينسى ما قد حَفِظَهُ، وكان يقال: مَنْ حَفِظَ المتونَ حَازَ العلومَ أو الفنون، فينبغي الحرصُ على حفظ كتاب الله تعالى أولًا، وشيءٍ من أحاديث رسول الله ﷺ، وبعض المنظومات المعينة خاصةً في العلم الذي تَخَصَّصَ فيه الطالبُ.

وَيُثْنِي عَلَى مَنْ ظَهَرَتْ نَجَابَتُهُ مَا لَمْ يَخْشَ عَلَيْهِ الإِعْجَابَ، قد يقول قائل: إن رسول الله ﷺ قال: «احْثُوا فِي وَجْهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»(١) نقول: نَعَمْ، إن رسول الله ﷺ قد قال ذلك، ولكن ذلك الحَثْيَ إنما يكون للمَدَّاحِ، والمدَّاح هو الذي يَشْتَدّ في مدحه ويُكْثِرُ منه، وقد عُرِفَ بين الناس بالمَدْحِ إن كان حقًّا وإن كان باطلًا، وإلا فإن رسول الله ﷺ قد أَثْنَى ومدح كثيرًا من صحابته، فمما قاله: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»(٢) وهذا ثناءٌ -ولا شك- لعلي بن أبي طالب، وأثنى على أبي بكر في أحاديثَ كثيرةٍ جِدًّا، وأثنى على عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأثنى على عدد كبير من الصحابة، فَمَدَحَهُمْ رسولُ الله ﷺ في وجوههم وفي غيبتِهم، أمام الناس وبانفرادهم، فهذا متواترٌ عن رسول الله ﷺ، لكن لا ينبغي للعالِم أن يُكثر من ثنائه على تلميذه؛ لأمرين: حتى لا يُدخل العُجْبَ في نفس التلميذ، ولئلا يشتعلَ الحسدُ في قلوب بعض الطلبة الذين لم يتأدبوا بعدُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٢): عن أبي معمرٍ، قال: قام رجلٌ يثني على أميرٍ من الأمراء، فجعل المقداد يحثي عليه التراب، وقال: «أمرنا رسول الله ﷺ، أن نحثي في وجوه المداحين التراب».

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، مسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (العلماءُ أشدُّ تَغَايُرًا من التُّيُوسِ في زرائبها)(١) وهذا صحيحٌ، مَنِ اطَّلَعَ على سِيَرِ كثيرٍ من العلماء يجد أن كلامَ الأقران بعضِهم في بعضٍ ينقصه كثيرٌ من الدقة في كثيرٍ من الأحيان؛ لذلك كانت هناك قاعدةٌ بين العلماء أن ذَمَّ الأقران بعضهم بعضًا بدون دليل واضح لا يُؤْخَذُ، ولو كان ذلك الذمُّ من إمامٍ، ما لم يكن هناك دليلٌ واضحٌ على هذا الذم وعلى ذلك القدح، فإن ذلك الذم لا يؤخذ ولا يعتبر؛ لأن التنافس بين الأقران معلومٌ، وقد سبق ذكر طرف من التنافس بين الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ وبين عدد من علماء عصره في المقدمة؛ كالإمام السخاوي، والإمام القسطلاني، وابن الكَرَكِي، فقد جرت بينَهم منافساتٌ وكلام طويل.

وَيُعَنِّفُ مَنْ قَصَّرَ تَعْنِيفًا لَطِيفًا مَا لَمْ يَخْشَ تَنْفِيرَهُ، وَيُقَدِّمُ فِي تَعْلِيمِهِمُ السَّابِقَ فَالسَّابِقَ. كان السلف يأخذون النوبةَ، يعني: مَنْ جاء أولًا يقرأ أولًا، خاصةً في كتاب الله تبارك وتعالى، يقول أحد الطلبة -وكان من السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: (قمتُ ليلًا لآخُذَ النوبةَ على ابن الأخرم)، قام في السَّحَرِ قبلَ الفجرِ؛ ليأخذ نوبتَه على أحد علماء السلف في القرآن الكريم (فذهب إليه في وقت السَّحَرِ) أي: قبلَ الفجرِ، قال: (فوجدتُ قد سبقني ثلاثون قارئًا) هذا وقد ذهب إليه في وقت السَّحَرِ! يقول: (فلم تدركني النوبةُ حتى العصر)(٢)، والإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا كان ابنُ القاسمِ تلميذُه يأتيه في السَّحَرِ، أتى إليه مرةً فألقى عليه مسألةً أو مسألتين فأجابه الإمامُ، ورأى من الإمام انشراحًا -انشراحَ صدرٍ في تَقَبُّلِ المسائلِ- فصار

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٠٩٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٦٥).

يأتيه في السَّحَرِ كلَّ يومٍ، فدقَّ ابنُ القاسمِ البابَ مرةً فلم يُجِبِ الإمامُ مالكٌ لسببٍ ما، فَنَامَ على عتبة الباب، فخرج الإمامُ لصلاة الفجر فلم يَرَهُ، فرأته مولاته -مولاةُ الإمام مالك- فظنته عبدًا للإمام مالك فَرَفَسَتْهُ بِرِجْلِهَا، وقالت له: قُمْ فإن مولاك لا ينام، إن له اليوم تسعًا وأربعين سنةً يصلي الفجرَ بوضوء العشاء. وهذه المرأةُ مُطَّلِعَةٌ على أحواله فهي مولاته، تعلم أنه لا ينام طول الليل للتعبد وطلب العلم، تسعًا وأربعين سنة، أي: لم يتعش يومًا عشاءً ثقيلًا، ولم يَحْتَجْ للذهاب إلى بيت الخلاء، لم ينعس النعس الذي يضطره إلى الوضوء، كلُّ هذا في تسع وأربعين سنةً متواصلة، لم تخذله نفسُه يومًا من الأيام! كانت عظمةُ السلف من هذه المداومة على الفضائل؛ والعجب أن يأتي إنسانٌ اليومَ ويقول: نحن رجالٌ وهم رجالٌ! هذا الكلام لا يُقبل، انظر إلى سِيَرِهِمْ، إلى عباداتهم، إلى زهدهم، إلى تَجَرُّدِهِمْ وطلبهم العلم، إلى تقليلهم من الطعام والشراب، وانظر إلى حالنا، ثم بعد ذلك قل ما شئتَ أن تقول.

وَلَا يُمَكِّنُهُ مِنْ إِيثَارِهِ بِنَوْبَتِهِ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ شَرْعِيَّةٍ، يعني: لا يُمَكِّنُ الطالبُ أحدًا من نوبته أبدًا إلا لمصلحة شرعية، فإن وجد مصلحة شرعية -إنسانٌ يحتاج أن يتقدم في نوبته ورأى أن في ذلك مصلحة- قدمه، وإلا لا يقدمه؛ ليس هناك إيثار في هذا، **فَإِنَّ الإِيثَارَ فِي الْقُرَبِ مَكْرُوهٌ.**

القُرْبَةُ: كل ما يقربك إلى الله، فإن آثرتَ بها أحدًا أقل ما يقال: إنكَ قد أخطأتَ، لا تُؤْثِرْ بنصيبكَ شيئًا يقربك إلى الله تبارك وتعالى مَهْمَا كان الأمر، ولعلنا نستفيد من قصة ابن عباس -مع الفارق في القياس- عندما أراد النبيُّ ﷺ أن يعطيَ مَنْ كان على يساره ليشربَ؛ لأنه كان من أشياخ الصحابة، فقال ابنُ

عباسٍ: «والله لا أُوثِرُ بنصيبي من رسول الله ﷺ أحدًا»[(١)] هو غلام مُعَلَّمٌ كما جاء في وصفه: كان غلامًا مُعَلَّمًا ذَكِيًّا فَهِمًا لَقِنًا، لم يرضَ أن يؤثر بنصيبه مِنْ شربه من سُؤْرِ رسولِ الله ﷺ أحدًا؛ فما بالكم بشيء أعظم من هذا؟!

وَيَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهُمْ، وَيَسْأَلُ عَنْ غَائِبِهِمْ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ تَعْلِيمِ أَحَدٍ لِكَوْنِهِ غَيْرَ صَحِيحِ النِّيَّةِ، هذا أمرٌ مهمٌّ؛ لأن عددًا من السلف -كما ذكرنا سابقًا- كانوا يتعلمون بدون نية صحيحة، وقد قالوا عن أنفسهم: طَلَبْنَا العلمَ لغير الله فَأَبَى أن لا يكونَ إلا لله[(٢)]، يعني: في مسيرتهم لطلب العلم أَصْلَحُوا نياتِهم، فصار طلبُ العلم لله تبارك وتعالى. وهذه المقولة صَدَرَتْ عن سفيان ابن عيينة رَحِمَهُ اللهُ الهِلَالِيّ المشهور الإمام الكبير، إمام أهل مكة، تُوُفِّيَ سنةَ ١٩٨هـ (ثمان وتسعين ومائة)، وصدرت عن غيره من السلف: «طلبنا العلمَ لغير الله فأبى أن يكون إلا لله».

فالكليات الشرعية اليومَ -مثلا- لا يُمنع منها أحدٌ، وقد يقول بعضُ الناس: صَفُّوا الناس في مقابلات شخصية ولا تقبلوا إلا مَنْ كان كذا، نقول: هذا شيء حسن، لكنه خلاف ما كان عليه السلفُ، فإنهم كانوا يُعَلِّمُونَ كلَّ الناس تقريبًا -إلا مَنْ ساء أدبُه فإنهم يطردونه من مجلسهم- بدون النظر والتدقيق في نياتهم، وهذا أمرٌ مهمٌّ؛ لأنه قد يتعظ.

وكثيرًا ما يحدث هذا خاصةً في أقسام الثانوية، عندما يكون الطالب مُلْتَحِقًا بقسم الدراسات الإسلامية كما كان سابقًا، يتأثر الطالب بما يُلقى عليه من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥١) ومسلم (٢٠٣٠).

(٢) انظر: مسند علي بن الجعد (١٨٤٩) وحلية الأولياء (٦/ ٣٦٧): عن سفيان الثوري، يقول: طلبت العلم ولم تكن لي نيةٌ ثم رزقني الله النية.

مواعظَ ورقائقَ، وما يدرس من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، ويدرس مادةَ الأخلاق، ومادة الثقافة، فيتأثر تأثرًا جَمًّا فتصحح نيته في الطريق.

وَيَصُونُ يَدَيْهِ حَالَ الإِقْرَاءِ عَنِ الْعَبَثِ، وَعَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ وَالسَّمْعِ لِغَيْرِ الْقَارِئِ، وَيَقْعُدُ مُتَطَهِّرًا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ فِي ثِيَابٍ بِيضٍ نَظِيفَةٍ، وَإِذَا وَصَلَ لِمَوْضِعِ جُلُوسِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ مَسْجِدًا تَأَكَّدَ؛ لأجل تحيةِ المسجدِ، **وَلْيَكُنْ مَجْلِسُهُ حَسَنًا وَاسِعًا، وَلا يُذِلُّ الْعِلْمَ فَيَذْهَبُ إِلَى مَوْضِعٍ يُنْسَبُ إِلَى مَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ فَيُعَلِّمُهُ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ خَلِيفَةً فَمَنْ دُونَهُ**[١)، وقد وَرَدَ عن السلف في هذا الموضوع آثار عديدة، منها أن هارون الرشيد رحمه اللهُ تعالى طلب من الإمام مالك أن يُدَرِّسَ ابنيه في مجلسه فرفض الإمامُ رَحِمَهُ اللهُ، وقال: حتى يَأْتِيَا إلى مجلسنا[٢]، فَأَتَيَاه إلى مجلسه رَحِمَهُ اللهُ وَتَعَلَّمَا منه العلمَ، وهكذا كان شأن السلف.

وأيضًا أحدُ علماءِ السلفِ اسمُه شريك القاضي أتاه ابنُ الخليفة وكان متكبرًا متعجرفًا وسأله سؤالًا وهو متعالٍ فلم يُجِبْهُ الإمامُ شريك القاضي، فقال له: كأنك تستهزئ بأولاد الخلفاء، فقال: لا، ولكن هذا العلمَ يؤخذ بأدب، فانتبه ابن الخليفة لما صَدَرَ منه، فجلس على ركبتيه في مجلس شريك، فقال -أي: شريك-: نعم إذن، يعني: الآن أعطيك ما تشاؤه من العلم[٣].

(١) انظر: أخلاق أهل القرآن، للآجري (١١١): باب أخلاق المقرئ إذا جلس يقرئ ويلقن لله ﷻ ماذا ينبغي له أن يتخلق به.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٨/ ٦٦).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٠): عن حمدان بن الأصبهاني، قال: «كنت عند شريكٍ فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط وسأله عن حديثٍ فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه فلم يلتفت إليه، فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلافة، قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه، قال: فجثا على ركبتيه ثم سأله، فقال شريكٌ: هكذا يطلب العلم».

وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَجْتَنِبَ الأَسْبَابَ الشَّاغِلَةَ عَنِ الْعِلْمِ، إِلَّا مَا لا بُدَّ مِنْهُ، وَيُطَهِّرَ قَلْبَهُ، وَيَتَوَاضَعَ لِمُعَلِّمِهِ، على المتعلم أن يجتنبَ الأسبابَ الشاغلةَ عن العلم، ولو كان هذا الأمرُ زواجًا، قد يقال: إن السُّنَّةَ أن أتزوجَ، أقول: نَعَمْ، لكن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أَخَّرَ زواجَه إلى أن بلغ الأربعين، وعددٌ من الأئمة أَخَّرُوا زواجَهم إلى أكثرَ من هذا أو أقلَّ، فلا بأسَ إن لم تغلب المرءَ شهوتُه أن يؤخر زواجَه بعضَ الشيء إن لم يكن محتاجًا لهذا[1]، فإن ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ قال مقولةً جميلةً في هذا، وهي: «يُذْبَحُ العلمُ على أفخاذ النساء» أي: مَنْ كان مِزْوَاجًا مطلاقًا فكيف له أن يطلبَ العلمَ؟! قد يقال: إن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يتزوجون؛ المغيرةُ تزوج سبعينَ، الحسن تزوج سبعينَ، أو أكثرَ أو أقلَّ، أقول: هاتوا نساءً كنساء السلف، وعيشةً كعيشةِ السلفِ، وطريقةً كطريقتهم في الحياة، طريقة سهلة ليس فيها تعقيدٌ، يضع الرجل نساءه في بيت واحد، وأولادَه معه في بيت واحد، ليس عليه أن يجنبهم كثيرًا من المفاسد والشؤون الموجودة اليوم بين أظهرنا، مفاسد وشرور ضخمة!

أنا لا أدعو إلى التقليل من الزواج أو إلى تأخيره، وإنما نقول: لطالبِ العلمِ حالٌ مخصوصٌ لا بد أن يراعيَها، إن كان يُحِبُّ العلمَ ويقدمُه عليه أن يراعيَ هذا الأمرَ، فإن كثيرًا من السلف رحمهم الله تعالى كانوا يكتفون بامرأة، بل قد اكتفى الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بجارية؛ لأن للجارية من الحقوق أقل ما للحرة، فإنه ليس له أن يطأها مثلًا في كل أربعة أيام مرة، وليس لها عليه حقوق، إلا ما أوجب عليه

---

(١) قال ابن الجوزي في صيد الخاطر (١٩٣): وأختار للمبتدئ في طلب العلم أن يدافع النكاح مهما أمكن، فإن أحمد بن حنبل لم يتزوج حتى تمت له أربعون سنة، وهذا لأجل جمع الهم، فإن غلب عليه الأمر، تزوج، واجتهد في المدافعة بالفعل؛ لتتوفر القوة على إعادة العلم.

الشرعُ من طعام وكسوة معينة، أما الزوجة فلها حقوق، لم يَسْتَطِعْهَا عددٌ من الأئمة، فكانوا يكتفونَ بجوارٍ، وكانوا يكتفون بواحدة، وبعضُهم كان يُؤَخِّرُ الزواجَ، وبعضُهم لم يتزوج قطُّ، وهذه ليست دعوةً إلى ترك الزواج، إنما هي دعوة لِلتَّرَيُّثِ في هذا الأمر، فإذا غَلَبَتْكَ الشهوةُ وَجَبَ عليكَ الزواجُ إن كنت مستطيعًا، وإلا أَخِّرْهُ ما استطعتَ في سبيل طلب العلم[١].

وليست الشواغلُ في الزواج فقط، وإنما أشياء كثيرة جِدًّا، كطلبِ الدنيا؛ هذا شاغلٌ ضخمٌ، ويشغل الناس كثيرًا بدعوى: أَدْخُلُ في عالَم التجارة ليصبحَ عندي مالٌ أُنْفِقُ منه على المساكين، وينتقل من مشروع إلى آخرَ، إلى ثالثٍ وإلى رابعٍ، والمساكين ما زالوا ينتظرون مالَه، حتى يتقدم به العمر والزمان فيضيع عليه العلم وتضيع عليه الصدقةُ، ويضيع عليه كلُّ شيء، وتبقى تجارتُه أو تزول.

وأيضًا الانشغال كثيرًا بالأولاد والأهل وبالأرحام والاحتفال الزائد بهم؛ اليومَ عندَ خالي، وغدًا عند عمي، وبعدَ غدٍ عندَ ولديهما، واليوم الخامس عند أمي، والسادس عند أبي، والسابع عند أختي، وهكذا طوال السنة، فهذه شواغلُ ضخمةٌ، يحْرِصْ أن يتجنبَ الأشياءَ الشاغلةَ، فإن لم يستطع تجنبَها كأن تكون أمه أو أباه أو شيئًا يجب عليه أن يؤديه، فإن عليه أن يقلل ما استطاع من هذا الشواغل، وإخواننا يعلمون ممن يَدْرُسُونَ أو يُدَرِّسُونَ أو يُعَلِّمُونَ أو هم موظفون من الساعة الثامنة إلى الساعة الخامسة مساء فإنه بعد الفجر يذهب لتوصيل أولاده إلى المدارس، وفي الساعة الخامسة أو ما بعدها قليلا في أيام الشتاء يصلي المغرب ويأتي إلى البيت يتعشى، وبعد العشاء يكون قد انتهى

(١) انظر: صيد الخاطر، لابن الجوزي (٤٣٦).

تقريبًا نشاطه، ويحتاج إلى النوم؛ ليقوم في اليوم الثاني، هذه شواغلُ لا بد أن يراعيَها إن كان حَقًّا يريد طلبَ العلم، وإلا فليكن من الفضلاء الذين يَطَّلِعُونَ على ما في بطون الكتب، ولا يتبجح بأنه طالبٌ للعلم، والله أعلم.

وَيَتَوَاضَعَ لِمُعَلِّمِهِ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ سِنًّا مِنْهُ أَوْ أَقَلَّ شُهْرَةً، وَيَنْقَادَ لَهُ وَيَقْبَلَ قَوْلَهُ، كَالْمَرِيضِ مَعَ الطَّبِيبِ النَّاصِحِ الْحَاذِقِ(١).

وَلا يَتَعَلَّمَ إِلَّا مِمَّنْ تَأَهَّلَ وَظَهَرَ دِينُهُ وَصِيَانَتُهُ، فَالْعِلْمُ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ -هذه مقولةُ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللهُ-، **وَيَنْظُرَ إِلَى مُعَلِّمِهِ بِعَيْنِ الاحْتِرَامِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلا يَدْخُلَ عَلَيْهِ بِلَا إِذْنٍ إِلَّا إِنْ كَانَ بِمَوْضِعٍ لا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِئْذَانٍ**، كالمساجد ونحوها، **وَيُسَلِّمَ عَلَى الْحَاضِرِينَ، وَيَخُصَّهُ بِزِيَادَةِ تَوَدُّدٍ، وَيُسَلِّمَ عِنْدَ انْصِرَافِهِ أَيْضًا، وَلا يَتَخَطَّى النَّاسَ، وَيَجْلِسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ الشَّيْخُ فِي التَّقَدُّمِ، وَلَا يُقِيمَ أَحَدًا وَيَجْلِسَ مَوْضِعَهُ**، وذلك لما روي عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقِيمَ الرَّجُلُ أَخَاهُ مِنْ مَقْعَدِهِ، وَيَجْلِسَ فِيهِ»، قُلْتُ لِنَافِعٍ: الجُمُعَةَ؟ قَالَ: الجُمُعَةَ وَغَيْرَهَا(٢).

وهناك نهي أن يجلس المرء في وسط الحلقة؛ ولا يقيم أحدًا ليجلس مكانه، لكن لو أقام الشيخُ أحدًا وأجلس أحدًا مكانَه فلا بأسَ؛ لأن الرسولَ ﷺ قد أقام بعضَ الصحابة وأجلسَ مكانَهم آخرين في الحادثة المشهورة في سورة الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ [المُجَادَلَة: ١١] أي: قوموا فقوموا.... إلى آخر

(١) انظر: جامع بيان العلم (١/ ٤٥٥): باب هيبة المتعلم للعالم.

(٢) أخرجه البخاري (٩١١)، مسلم (٢١٧٧).

الآية، فلو فعل الشيخ هذا فلا بأس لعبرة أو لمصلحة شرعية رآها في تكريم قادم أو غائب أو كبير في سنه أو في شأنه فإن ذلك مما لا بأسَ فيه.

وَلا يَجْلِسَ وَسطَ الْحَلْقَةِ[١]، وَلا بَيْنَ صَاحِبَيْنِ بِغَيْرِ إِذْنِهِمَا[٢]، وَلا يَغْمِزَ بِعَيْنِهِ عِنْدَ الشَّيْخِ، وَلا يَقُولَ لَهُ: قَالَ فُلانٌ بِخِلافِ قَوْلِكَ، هذا أمر كثيرًا ما يقع في الدروس الفقهية، يقول للشيخ: قال فلانٌ بخلاف قولكَ. فلِمَ سألتَه إن كنتَ تعرف خلاف قوله؟! العاميُّ يكتفي بما يقوله الشيخُ، وليس عليه أن يبحثَ عن الأقوال؛ فإن عَلِمَ الأقوالَ فليس من أهل الترجيح؛ ليرجح بين الأقوالِ، وليس عليه أن يدورَ على حلقات العلم؛ ليعلمَ الأقوالَ الفقهيةَ المختلفةَ.

أنت إنسانٌ عاميٌّ سألتَ شيخًا، فمذهبك مذهبُ شيخك، لا تفْقَهُ شيئًا مما يقول ذلك الشيخ إلا الجوابَ، لو خالفتَه بدليل مثلًا -ولك أن تخالفَه بدليلٍ- فهل تفهم هذا الدليلَ، وهل تفهم المدلولَ من الدليل؟ هل تعرفُ أن هذا الدليلَ الذي قاله العالِم سليمٌ؟ هل تعرف أن هذا الدليلَ صحيحٌ؟ هل تعرفُ أن هذا الدليل غيرُ مجروحٍ ولا معارَض؟ وهذا ليس تقليدًا ولا تَعَصُّبًا، لكن ليس للعاميِّ المحضِ أن يسأل عن أشياءَ ليس لمصلحته معرفتُها، ولئن عَرَفَهَا لا تُغْنِيهِ شيئًا، إنما ذلك لطالب العلم النبيه الذكيِّ، له أن يسأل عن هذا الدليل بأدب وتلطف.

---

(١) أخرج أبو داود (٤٨٢٦) والترمذي (٢٧٥٣): عن حذيفة: «أن رسول الله ﷺ: لعن من جلس وسط الحلقة».

(٢) لما أخرجه أبو داود (٤٨٤٤): عن عمرو بن شعيب -قال ابن عبدة-: عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ، قال: «لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما».

وَلَا يَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا[١]، وَلَا يُلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسِلَ.

الإلحاحُ مكروهٌ؛ لأن الشيخ قد يفتر لعجزٍ عن بعض الأمور لا يريد أن يشرحَها، فالإلحاحُ عليه مَجْلَبَةٌ لغضبه، وأذكر هنا طُرْفَةً في هذا المقام، وقد وقعت حقيقة: أتى رجلٌ إلى عالِم فوجده في بيته، فطرق البيتَ وَأَدْخَلَتْهُ الجاريةُ، فإذا بالرجل في بيت الخلاء، فناداه وهو في بيت الخلاء قال: يا سيدي فلان، قال: نَعَمْ. ورحَّب به، قال: يا سيدي، حدثني فإني جئتُ من بلاد بعيدة مشتاقًا إليكَ، قال: أنا في بيت الخلاء اصبر حتى أخرجَ، فألحَّ عليه إلحاحًا شديدًا، قال: يا سيدي، قد جِئْتُكَ من بلاد بعيدة وأخشى أن يفوتني الدرسُ، فحاول الشيخُ أن يبينَ له أن هذا الأمرَ ليس صحيحًا لكن الطالب لا يستجيب، فقال له اكتب: حدثنا فلان، قال: حدثنا فلان، قال: حدثنا فلان: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[٢]، اذهب والله لا أحدثك غيره. ورفَضَ أن يحدثه أي حديث غير هذا الحديث. فالإلحاحُ يأتي بنتائجَ عكسية في كثير من الأوقات.

وَلَا يَشْبَعَ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِ، وَيَرُدَّ غِيبَةَ شَيْخِهِ إِذَا قَدِرَ، كان قالون[٣] الإمام الكبير القارئ طالبًا عند نافع[٤]، وَكان وَرْشٌ[٥] أيضًا طالبًا عندَ نافعٍ، ومئات غيرهما من التلاميذ كانوا طلبةً عند نافع، أما وَرْشٌ فقد جاء من مصرَ إلى

---

(١) ذكر الذهبي في السير (٤/ ٣٣٦): عن سعيد بن جبيرٍ: أنه كان لا يدع أحدًا يغتاب عنده.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٤).
(٣) سبق التعريف به.
(٤) سبق التعريف به.
(٥) سبق التعريف به.

المدينة ليقرأ عند نافع، فتوسَّط عند بعض المشايخ ليقرأ على نافع، فقرأ ختمةً في شهر وَقَفَلَ راجعًا إلى مصر، هذا ورشٌ الذي مذهبه منتشرٌ الآنَ في المغرب العربي، وأما قالونُ -وقالونُ كلمةٌ روميةٌ معناها جَيِّدٌ، قالها عليُّ بنُ أبي طالبٍ في مجلسـ وكان -فيما يُقال- أصمَّ، فإذا قرأ القرآنَ أو قُرِئَ عليه القرآنُ سَمِعَ، أمَّا غير ذلك فقد كان أصمَّ لا يسمع شيئًا، وقالون هذا جَلَسَ عند نافعٍ عشرينَ سنةً يقرأ عليه القرآنَ حتى قال نافع: إلى متى تقرأ عليَّ؟! اذهب إلى تلك الأسطوانة في المسجد النبوي -على صاحبه أفضل الصلاة والسلام- وَأَقْرِئِ الناسَ، فأرشده إلى أسطوانة معينة لِيُقْرِئَ الناسَ.

الشاهدُ: لا يملُّ من طول صحبته. وقد كان أحدُ المشايخ في هذا القرن الفائت -الرابع عشر الهجري- قد درس على شيخه سبعَ عشرةَ سنةً يأتي إليه كلَّ يوم لم يتخلف يومًا واحدًا، وتصوَّر هذه الهمةَ! فالمطلوبُ طولُ الصحبة حتى يُخْرِجَ الإنسانُ من الشيخ كلَّ ما عنده، ولا بأسَ أن يذهب الإنسانُ إلى أكثرَ من عالِم أو أكثرَ من شيخٍ، وليس للشيخ أن يمنعه، وإن منعه فهو خطأٌ من الشيخ إلا لمصلحة شرعية، إن رأى في الطالب تَطَلُّعًا إلى مناصب، أو إلى شهرة، وأراد أن يحصل على ذلك بالتنقل بين المشايخ بسرعة فإن له أن يمنعه، أما غير ذلك في غير المصلحة الشرعية فلا ينبغي.

وَلا يُفَارِقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ، وَيَتَأَدَّبَ مَعَ رُفَقَائِهِ، وَلا يَحْسُدَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلا يُعْجَبَ بِمَا حَصَّلَهُ؛ لأن العلومَ مِنَّةٌ من الله تعالى وبركةٌ، لماذا اشْتُهِرَ الإمامُ الشافعيُّ والإمامُ مالكٌ والإمامُ أبو حنيفة والإمام أحمد؟

هذه هِبَةٌ من الله تعالى، لماذا لم يشتهر الإمام الليثُ بنُ سعدٍ المصريُّ(١) عندَ العوامِّ ولا أبو ثور(٢)، مع أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «إن الليثَ أَفْقَهُ من مالك»(٣) لكنه لم يُرْزَقْ طلبةً كَمَالِكٍ، فمالك رُزِقَ طلبةً نشروا علمَه، أما الليثُ فلا.

الإمام الطبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ظَلَّ مذهبُه حتى أواخر القرن الخامس، وكان مذهبًا مُتَّبَعًا كالمذاهب الأربعة ثم اندثر بعد ذلك، والإمام الأوزاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إمامُ أهلِ لبنانَ ظَلَّ مذهبُه إلى نهاية القرن الثامن منتشرًا بين الناس ثم اندثر، والإمام أبو ثور وهو من مدرسة الرأي في العراق ظَلَّ مذهبُه منتشرًا في بلدان العالَم الإسلامي حتى اندثر بعد ذلك، هذا أمرٌ أَرَادَهُ اللهُ تبارك وتعالى، وهذه هبةٌ يهبها الله تبارك وتعالى لمن شاء من عباده.

قيل للإمام مالك: إن ابنَ أبي ذئبٍ(٤) قد أنشأ مُوَطَّأً، وكان ابنُ أبي ذئب عالِمًا كبيرًا من علماء المدينة في أيام الإمام مالك، وكان بينَه وبينَ الإمام مالكٍ قليلٌ من الخلاف، فقال الإمام مالك: ما كان لله بَقِيَ. فانظر أين موطأ ابن أبي

---

(١) الليث بن سعدٍ، شيخ إقليم مصر وعالمه، أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، مولاهم، الإصبهاني الأصل المصري، أحد الأعلام. توفي سنة [١٧٥هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ٧١٠).

(٢) إبراهيم بن خالد ابن أبي اليمان، أبو ثور الكلبي البغدادي، الفقيه أحد الأعلام. وقيل: كنيته أبو عبد الله، ولقبه أبو ثور. توفي سنة [٢٠٤هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ٧٧٢)، تاريخ بغداد (٦/ ٥٧٦).

(٣) ذكره الذهبي في السير (٨/ ١٥٦): عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهبٍ، ويحيى بن بكيرٍ.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث ابن أبي ذئب أبو الحارث القرشي المدني. قال الحافظ: ثقة فقيه فاضل. توفي سنة [١٥٨وقيل ١٥٩هـ]. انظر: تقريب التهذيب(٤٩٣)، تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٣٠).

ذئب اليومَ؟! بينما موطأُ الإمام مالك منتشر في البلدان، ليس أحدٌ من طلبة العلم يجهل موطأَ الإمام مالك، حتى أكاد أقول: ليس أحدٌ من المثقفين -حتى غير الثقافة الشرعية- يجهل موطأ الإمام مالك. أما ابن أبي ذئب فلا يكاد الناس يسمعون باسمه حتى من طلبة العلم.

وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِلَا حَاجَةٍ عِنْدَ الشَّيْخِ، وَلا يَضْحَكَ، وَلا يُكْثِرَ الْكَلامَ، وَلا يَعْبَثَ بِيَدِهِ، وَلا يَلْتَفِتَ بِلا حَاجَةٍ، بَلْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الشَّيْخِ، وَلا يَقْرَأَ عَلَى الشَّيْخِ فِي حَالِ مَلَلِهِ، وَيَحْتَمِلَ جَفْوَةَ الشَّيْخِ وَسُوءَ خُلُقِهِ، وَإِذَا جَفَاهُ ابْتَدَأَهُ هُوَ بِالاعْتِذَارِ وَإِظْهَارِ الذَّنْبِ لَهُ. بعضُ المشايخ -جزاهم اللهُ خيرًا- عندهم جفوةٌ، إما لطبع أو لملل، أو لمشكلة عارضة طارئة، أو لشيء أَثَّرَ عليه: ماتَ ولدُه الوحيدُ، حُرِقَتْ كُتُبُهُ، ذهب عِلْمُهُ الذي عَكَفَ عليه سنواتٍ طوالًا، فأورثه ذلك قسوةً في خُلقه، فعلينا أن نحتملَ ذلك من الشيخ؛ لأن الصلةَ بهذا الشيخ فيها فائدةٌ كبرى، وأَخْبَارُ السلفِ كثيرةٌ في احتمال المعلمين الذين عندَهم بعضُ الجفوة وبعض القسوة في الأخلاق، مَنْ أرادها فليرجع إليها في مواضعها.

وَإِذَا صَدَرَ مِنَ الشَّيْخِ أَفْعَالٌ ظَاهِرُهَا مُنْكَرٌ أَوَّلَهَا وَلا يُنْكِرُهَا، أي: أَوَّلَهَا ما قَبِلَتِ التأويلَ، هناك قاعدةٌ عندَ الأحناف في الأصول يقولون: (يُلْتَمَسُ لإثباتِ إسلامِ المرءِ أقلُّ شيءٍ، وَيُلْتَمَسُ لنفيِ الكفرِ عنه سبعونَ شيئًا)؛ يعني: كلما استطعتَ أن تحملَ كلامَ الإنسان الذي أمامك مَحْمَلًا حسنًا شَرْعِيًّا فَافْعَلْ، فلن تستفيد شيئًا إذا دخل إنسان النار! ولن يضرك شيءٌ إن دخل إنسانٌ الجنة؛ لذلك وَسِّعْ صَدْرَكَ -كما يقول العوامُّ-، وَأَحْسِنِ الظنَّ بالناس، وَالْتَمِسْ لكلامهم الأعذارَ، فإن الشيخَ قد يتكلم في حالِ غضبٍ أو في حالِ مَلَلٍ، قد يتكلم في حالِ

تَحَدٍّ أو في حالٍ يَسُوءُهُ ما قاله في ذلك الحال، فإن كتبتَ عليه تلك الحالةَ وَسَجَّلْتَهَا وَأَظْهَرْتَهَا وَبَيَّنْتَهَا للناس قطعتَ عليه -غالبًا- طريقَ الرجوع إلى الحقِّ، فَالْتَمِسْ لذلك العالِمِ -خاصةً إن كان عَالِمًا فَاضِلًا له صيتٌ حَسَنٌ في الناس- الأعذارَ، ماذا يضرك ذلك؟! لعلك بإظهارك عثرةَ العالِم بنشرها بين العوامِّ يسقط ذلك العالِم من أعينهم ولا يعودون يعتبرونه أو يستمعون لمواعظه ونصائحه، وهذا أمرٌ جد خطير أن تُنْشَر مساوئ العلماء على العامَّة الذين لا يفقهونَ هذه الأمور، ولا يَعُونَهَا حقَّ الوعي.

نعم، نحن نقول: إن الإمام الكبير الذي يُخْطِئُ هَفْوَتُه ليست كهَفْوَةِ طالِب العلم الصغير الذي لا يُعَرْفَ، لكن هذه الهفوة إن كانت لأمرٍ شرعيٍّ مُتَّفَقٍ عليه وعلى حرمته ليس فيه خلاف، وهذا الرجل قد شَذَّ عن إجماع المسلمين، فإنه يُنَبَّهُ بِلُطْفٍ من قِبَلِ غيرنا، ليس نحن الذين نُنَبِّهُ، إنما يُنَبِّهُهُ أفاضلُ العلماء والمشايخ الذين يَتَقَبَّلُ منهم ذلك الْعَالِمُ، أما أن يُنَبِّهَهُ كلُّ إنسانٍ كَبُرَ أم صَغُرَ أو طالبُ علمٍ أو غير طالب علم فإن هذا لا يَصِحُّ، وليس هذا من أخلاق السلف ﵃، هَاتُوا دليلًا على أن السلف كانوا يَفْعَلُونَ ذلك؟ إنما كانوا يفعلون ذلك مع الجهمية الذين هم أصحاب بِدَعٍ كِبَارٍ، ومع المعتزلة الذين هم أصحاب بدع كبار، ينفون الأسماءَ والصفاتِ ويؤولونها أو يُعَطِّلُونَهَا كما فَعَلَ الْجَهْمِيَّةُ، فهؤلاء الناس يجب أن تُظْهَرَ بدعتُهم خاصةً أن لهم تلاميذَ ولهم طلبة نَشَرُوا علمَهم ومذاهبَهم وأَقْوَالَهم بين الناس، فكان من الواجب على العلماء الكبار أن يَتَصَدَّوْا لهم، ولم نسمع بطالب علم لا يُعرف أو صغير أو مبتدئ قد رَدَّ على هؤلاء الناس ونشر كتبًا في الرد عليهم، إنما الكتب التي وَصَلَتْ إلينا اليومَ من

أعلام السلف ﭬ كـ: عثمانَ بنِ سعيدٍ الدَّارِمِيِّ، والإمامِ أحمدَ بنِ حنبل، وابن أبي عاصم، والخلال... إلخ، الذين أَلَّفُوا كتبَ السُّنَّةِ في الردِّ على المبتدِعة وأصحاب العقائد الزائغة، كانوا أعلامَ السلفِ، بل كانوا صفوةَ السلفِ، فهم الذين يَرُدُّونَ، لا كلُّ طالبِ عِلْمٍ يَرُدُّ، ولا كل إنسان يَتَبَجَّحُ وَيَرُدُّ!

لذلك إن فُعِلَ هذا مع الشيخ فإنه يقطع الطريقَ عليه غالبًا في الرجوع وتأخذه العزةُ بالإثم ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، صحيح أنه يجب أن يَرْجِعَ إلى الحقِّ لكن ليس بهذه الطريقة، بنشر مساوئه على العوامِّ، خاصة أننا في عصر قد سَهُلَ فيه الكتابةُ ووسائلها، وانتشر تَعَلُّمُ القراءة والكتابة بينَ طبقاتٍ عظيمةٍ من الناس، بينما في أيام السلف يَقِلُّ في طبقات الناس القراءةُ والكتابةُ، ولم يكونوا يسمحون أن تُقْرَأُ كتبُ العلمِ بلا إجازةٍ -هذا أمرٌ مُهِمٌّ ينبغي التنبه له-، وَمَنْ فَعَلَ هذا أُدِّبَ وَعُزِّرَ عندَ السلطانِ فَمَنْ دُونَهُ حتى القضاة، فلا يستطيع أي إنسان، بل لا يستطيع أي طالبِ عِلْم أو شيخ أو عالِم من العلماء أن يأخذَ أيَّ كتاب ويقرأه في المسجد على الناس إلا بإجازة من الشيخ، وإنما كان ذلك لأن الشيخ يُحَذِّرُ هذا الطالبَ إن كان غير أهلٍ، ولا يسمح له ولا يُجِيزُهُ بهذا الكتاب، فلا يعود يستطيع قراءتَه على العوامِّ أبدًا.

ثم يتفرس الشيخُ في وجه هذا الإنسان الآتِي ويعرف علمَه، فإن وَجَدَهُ على أدب وخُلُقٍ حَسَنٍ وعلم جَمٍّ سَمَحَ له وإلا فلا، هذا من الأشياء الجيدة في حال سلفنا رحمهم الله.

أما الآنَ فالكتبُ تُلْقَى في المكتبات فيأخذها كُلُّ بَرٍّ وفاجر، وكل صغير وكبير، وكل مَنْ كان أهلًا للعلم، ومن لم يكن أهلًا له، وهذا أمرٌ خطيرٌ أن تُلقَى

هذه الشبهاتُ بينَ العوامِّ، وأن تُعَطَّلَ منزلةُ العلماء بسبب مسألة إما أن تكون خلافيةً، أو أن يكون جمهور العلماء قالوا بخلاف قول ذلك العالِم فَضَلَّ وَزَلَّ فيها ولا شكَّ، لكن ليس هكذا الأمرُ أن تُلْقَى الكُتُبُ في التشنيع على العلماء بين العوامِّ وبينَ الجهلةِ، وبين الفَجَرَةِ وأراذلِ الناسِ، فلا يعودون ينتفعون بذلك العالِم، والله أعلم.

وَمِمَّا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْقَارِئُ وَالْمُقْرِئُ: الْحَذَرُ مِنَ اتِّخَاذِ الْقُرْآنِ مَعِيشَةً يُكْتَسَبُ بِهَا، نَعَمْ، يَجُوزُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ أَخْذُ الأُجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِهِ، وَمُلازَمَةُ التِّلاوَةِ.

أخذُ الأجرةِ على التعليم سبق الكلام عن ذلك، أما ملازمة التلاوة، فينبغي على القارئ والمقرئ ملازمةُ التلاوةِ حتى لا يَنْسَوُا القرآنَ العظيمَ.

وَالإِكْثَارُ مِنْهَا. وَنِسْيَانُهُ كَبِيرَةٌ[(١)]، وَإِذَا أَرَادَ الْقِرَاءَةَ اسْتَاكَ وَتَوَضَّأَ[(٢)]، فَإِنْ قَرَأَ مُحْدِثًا جَازَ بِلَا كَرَاهَةٍ.

وَيَحْرُمُ مَسُّ الْمُصْحَفِ وَالْقِرَاءَةُ عَلَى الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ، وَيَجُوزُ لَهُمَا النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ، وَإِمْرَارُ الْقُرْآنِ عَلَى قَلْبَيْهِمَا[(٣)]، وَيُسَنُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي مَكَانٍ

---

(١) قال في الإتقان (١/ ٣٦٣): نسيانه كبيرةٌ، صرح به النووي في الروضة وغيرها، لحديث أبي داود وغيره: «عرضت علي ذنوب أمتي، فلم أر ذنبًا أعظم من سورةٍ من القرآن أو آيةٍ أوتيها رجلٌ ثم نسيها». وروى أيضًا حديث: «من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة أجذم». وفي الصحيحين: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمدٍ بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها».

(٢) وفي الإتقان (١/ ٣٦٤): وقد روى ابن ماجه عن علي موقوفًا والبزار بسندٍ جيدٍ عنه مرفوعًا: «إن أفواهكم طرقٌ للقرآن فطيبوها بالسواك». أخرجه ابن ماجه (٢٩١). قلت: ولو قطع القراءة وعاد عن قربٍ، فمقتضى استحباب التعوذ إعادة السواك أيضًا.

(٣) وفي الإتقان (١/ ٣٦٣): يستحب الوضوء لقراءة القرآن؛ لأنه أفضل الأذكار، وقد كان ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهرٍ كما ثبت في الحديث. قال إمام الحرمين: ولا تكره القراءة للمحدث؛ لأنه صح أن النبي ﷺ كان يقرأ مع الحدث. قال في شرح المهذب: وإذا كان يقرأ فعرضت له ريحٌ أمسك عن
=

نَظِيفٍ(١)**، وَلَا يُكْرَهُ فِي الْحَمَّامِ عِنْدَنَا**(٢)، أي: عند الشافعية، والحمَّام: هو الحمَّام التركي وهو مشهور عندنا في بعض البلدان، ولا يُقْصَدُ به الحمام الذي هو مشهور عندنا الآن بيت الخلاء الذي يقضي فيه المرء حاجته، إنما الحمَّام الذي يقصده هو الذي يغتسل فيه ويتنظف، وإنما كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ من السلف غير الشافعية؛ لأنه لا يُحْتَرَزُ فيه من النجاسة، لأن كثيرًا من الناس لم يكن لديهم في بيوتهم أماكنُ للغسل فكان هناك حماماتٌ عامَّةٌ، فليس مكانًا للاحتراز من النجاسات، بل يغلب على الظن أن فيه نجاسةً ما، فكانوا لا يُحَرِّمُونَ، وإنما يكرهون قراءةَ القرآن فيه، أما عند الشافعية فلا يُكره كما قال.

وَلا فِي الطَّرِيقِ(٣)**، وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَيَجْلِسُ بِخُشُوعٍ وَسَكِينَةٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ، وَلَا يَكُونُ قَائِمًا وَلَا مُضْطَجِعًا**، هذا في غالب أحواله عليه أن يتأدب مع القرآن، وإلا فقد رُوِيَ في صحيح مسلم أن عائشة ﵂ قرأتِ القرآنَ وهي مضطجعة، أما الأدبُ الغالبُ في قراءة القرآن فهو أن يقرأه المرءُ وهو في حالٍ حسنةٍ، لذلك يُخْطِئُ كثيرٌ من الناس عندما يعتاد القراءةَ وهو مضطجع بدون تأدُّب مع القرآن، فإن قلتَ له، قال لك: قد رُوِيَ عن عائشة! نعم، قد رُوِيَ عن

= القراءة حتى يستقيم خروجها. وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة، نعم يجوز لهما النظر في المصحف، وإمراره على القلب، وأما متنجس الفم فتكره له القراءة. وقيل: تحرم، كمس المصحف باليد النجسة.

(١) زاد في الإتقان (١/ ٣٦٤): وأفضله المسجد.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب (٢/ ١٦١-١٦٢).

(٣) قال النووي: لا تكره القراءة في الطريق مارا إذا لم يلته، وروي نحو هذا عن أبي الدرداء وعمر بن عبد العزيز. وعن مالكٍ كراهتها. قال الشعبي: تكره القراءة في الحش وبيت الرحا وهي تدور. وهذا الذي ذكره مقتضى مذهبنا. المجموع (٢/ ١٦٤).

عائشة، لكن هل رُوِيَ أن ذلك كان ديدنها؟ وهل روي أن ذلك كان ديدن بقية الصحابة؟ ثم ما يدريك أن لعائشةَ عذرا في هذا؟ لا ندري هذه الأمور كلها، فلا نأخذ حديثًا هكذا ونقول قد رُوِيَ عن فلان هذا، نعم رُوِيَ، لكن الحالَ الحسنةَ الأدب في قراءة القرآن، فهذه واقعةُ عَيْنٍ مرةً واحدةً رُوِيَتْ عن عائشةَ، فلا يُجعل هذا سنة ومذهبًا.

وَيَسْتَعِيذُ، وَأَفْضَلُ أَنْوَاعِ الاسْتِعَاذَةِ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، وَلَوْ تَعَوَّذَ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَجْزَأَهُ(١).

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله القادر من الشيطان الفاجر، قد رُوِيَ ذلك عن السلف؛ لأن كلَّ هذا يُحَقِّقُ قولَ الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النَّحْل: ٩٨]، مَنْ قال: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، فقد نطق الاستعاذة قريبًا مِمَّا جاء الأمرُ القرآنيُّ به، ومن قال: أعوذُ بالله القادرِ من الشيطان الفاجر، ومن قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقد قال بذلك جمعٌ من السلف، وليس عليه شيء إن شاء الله؛ لأنها ليست آيةً من كتاب الله، إنما هو أمرٌ أَمَرَ اللهُ تبارك وتعالى الناس أن يستعيذوا، فمن استعاذ بأي طريقة أجزأته.

وَيَتَدَبَّرُ الْقُرْآنَ(٢)، أما التدبر فهو واجبٌ من وَاجِبَات التلاوة، ليس واجبًا من

---

(١) قال في الإتقان (١/ ٣٦٤): ويسن التعوذ قبل القراءة؛ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾؛ أي: أردت قراءته. وذهب قومٌ إلى أنه يتعوذ بعدها؛ لظاهر الآية، وقومٌ إلى وجوبها؛ لظاهر الأمر.

(٢) قال في الإتقان (١/ ٣٦٨): وتسن القراءة بالتدبر والتفهم؛ فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، وقال: =

الواجبات الشرعية المتعينة على المرء، لكنه واجب صناعةً، يعني: القارئ والمقرئ هم أقربُ الناس إلى القرآن.

و(المقرئ) اخْتَلَفَتْ فيه التعاريفُ، فقيل: مَنْ حاز أكثرَ من ثلاث قراءات فهو مقرئ، ومن حَازَ أقلَّ منها فهو قارئ، فيجب على المقرئ والقارئ -لأنهما أقربُ الناسِ إلى كتاب الله تبارك وتعالى وهم مِمَّنْ يُكثرون تلاوةَ كتاب الله تبارك وتعالى- تدبر القرآن، ولو اطلعنا على تفسير السلف ومعاني القرآن، مثلَ معاني القرآن للفَرَّاءِ[1] والزَّجَّاجِ وابنِ النَّحَّاسِ[2] رحمهم الله، ولو اطلعنا على كلام السلف في مشكل القرآن لرأينا عجبًا، فابن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] ألَّف كتابًا عظيمًا ذكرته قبلَ ذلك وقلتُ: إن كلَّ طالب علم قرآنيٍّ يجب عليه أن يقرأ هذا الكتاب، وأن يكون في مكتبته لِمَا فيه من كلام عظيم على آيات من كتاب الله، وهو: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فعلى طلبة العلم أن يقرأوه ويتدبروه ليروا كيف كان السلف -رحمهم الله تعالى- يتدبرون القرآنَ، كل هذه المذاهب الفقهية إنما صارت مذاهبَ ولها أعلامٌ ولها أئمة وتلاميذُ ولها كُتُبٌ بالتدبر العظيم لكتاب الله، فالإمامُ يقرأ كتابَ الله مراتٍ ومراتٍ ليستخرجَ حُكْمًا واحدًا، ويمضي على طالب العلم السَّنَتَانِ والسَّنَةُ ولم يختم كتابَ الله مرةً =

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾. وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آيةٍ، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى، اعتذر، واستغفر، وإذا مر بآية رحمةٍ، استبشر، وسأل، أو عذابٍ، أشفق، وتعوذ، أو تنزيهٍ، نزه، وعظم، أو دعاءٍ، تضرع، وطلب.

(١) سبق التعريف به.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) سبق التعريف به.

واحدةً!

وَتَقَدَّمَتْ كَيْفِيَّاتُ الْقِرَاءَةِ فِي كَيْفِيَّةِ التَّحَمُّلِ. وَيَبْكِي عِنْدَ الْقِرَاءَةِ، فَإِنْ لَمْ يَبْكِ تَبَاكَى(١)، لأن هذا أيضًا كان بين كثيرٍ من السلف، فقد جاء وفدٌ من الأشعريين -قومِ أبي موسى عبدِ اللهِ بنِ قيسٍ ﵁ - إلى رسول الله ﷺ فأقرأهم القرآنَ فصاروا يبكون ويتَسَاقَطُون من البكاء، حتى قال أبو بكر ﵁: «هَكَذَا كُنَّا ثُمَّ قَسَتِ الْقُلُوبُ»(٢)، وأبو بكر ﵁ من البَكَّائِينَ المشهورين من الصحابة ﵃، مع ذلك انظر إلى وفد الأشعريين عندما سَمِعُوا القرآنَ، بل انظر إلى النجاشيِّ وأصحابِه عندما سمعوا القرآنَ، وهم ليسوا عَرَبًا، فإنهم لما سمعوا القرآنَ من جعفر بن أبي طالب ﵁، حيث قرأ عليهم صدرَ سورةِ مريمَ صاروا يبكون بكاءً عظيمًا، النجاشيُّ وَبَطَارِقَتُهُ الذين كانوا معه، فالقرآنُ له تأثيرٌ على النفوس، فالمشهورُ من السلف أنهم كانوا يتأثرون، بل كثيرٌ من الكافرين يتأثرون؛ أَسْلَمُوا أم لم يُسْلِمُوا، كانوا يتأثرون ويخشعون عند تلاوة القرآن، وَيُسْتَدَلُّ لذلك بقول الوليد بن المغيرة: «واللهِ إن له لحلاوةً وإن عليه لَطَلَاوَةً، وإن أسفلَه لَمُغْدِقٌ، وإن أعلاه لَمُثْمِرٌ، وإنه لَيَعْلُو وما يُعْلَى عليه»(٣)، والوليدُ من حكماء قريش ومن علمائها ومقدميها تُوُفِّيَ وعمره خمس وتسعون سنة.

---

(١) قال في الإتقان (١/ ٣٧١): يستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لا يقدر عليه، والحزن، والخشوع؛ قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾. وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعودٍ عن النبي ﷺ وفيه «فإذا عيناه تذرفان». وفي الشعب للبيهقي عن سعد بن مالكٍ مرفوعًا: «إن هذا القرآن نزل بحزنٍ وكآبةٍ، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٢٤) رقم (٣٥٥٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٠) والبيهقي في الاعتقاد (٢٦٨) وفي الشعب (١/ ٢٨٧). قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وقال جبيرُ بن مُطْعِمٍ بن عدي -عندما ذهب إلى المدينة؛ ليفادي بعضَ الأسرى- فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بالطور، فكاد قلبي أن يطير -هذه رواية البخاري-، وفي رواية للبخاري أيضًا: «وكان ذلك أولَ ما وَقَرَ الإسلامُ في قلبي»(١)، فانظر إلى قوله: «وكاد قلبي أن يطير»؛ لتعرف كيف كان للقرآن تأثيرٌ على الصحابة فَمَنْ دونَهم رضي الله عنهم جميعًا(٢).

وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ مِنْ فَضْلِ اللهِ، أَوْ عَذَابٍ اسْتَعَاذَ، أَوْ تَنْزِيهٍ نَزَّهَ، أَوْ تَفَكُّرٍ تَفَكَّرَ، وَيَقْرَأُ عَلَى تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ، وَيَجُوزُ مُخَالَفَتُهُ إِلَّا أَنْ يَقْرَأَ السُّورَةَ مَعْكُوسًا فَلا. أي: لا يجوز أن يقرأ السورةَ من آخِرها إلى أَوَّلِهَا، وتفعل ذلك بعض المعاهد للتعليم في بعض الأحيان؛ لِبَيَانِ شدةِ الحرصِ، ولبيانِ أن ذلك الطالبَ يقرأ السورةَ من أولها إلى آخِرها ومن آخِرها إلى أولها بدون أن يضره ذلك شيئًا، ولكني أَمِيلُ إلى عدم تعليم الطفل ذلك.

قوله: **يجوز مخالفةُ ترتيب المصحف**، لكن العلماء على مراعاة الترتيب؛ لأنهم لم يُرَتِّبُوهُ كذلك إلا لِحِكْمَةٍ، وإن كان ترتيبًا توقيفيًّا كما يميل بعضُ العلماء، أو ترتيبًا اجتهاديًّا كما يميل آخرونَ، فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا لحكمة، فالتوقيف لحكمة قطعا، أما الاجتهاد فهو لحكمة لا نعرفها اتفق عليها الصحابةُ، فلا نخالف ذلك الترتيبَ، بل عندما يقرأ الإمام في الصلاة فإن عليه أن يتبعَ ذلك الترتيبَ الذي اتفق عليه الصحابةُ ولا يتعمد المخالفةَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٤): عن محمد بن جبير بن مطعمٍ، عن أبيه رضي الله عنه.

(٢) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٣٧٢): قال في شرح المهذب: وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يفكر في تقصيره فيها فإن لم يحضره عند ذلك حزنٌ وبكاءٌ فليبك على فقد ذلك فإنه من المصائب.

وَالْقِرَاءَةُ فِي الْمُصْحَفِ أَفْضَلُ، لأَنَّ النَّظَرَ فِيهِ عِبَادَةٌ(١).

العبادةُ تحتاج إلى دليل يَسُنُّ ذلك الأمرَ ويسن ذلك التعبدَ، لكن لا شَكَّ أن رؤيةَ كلام الله تبارك وتعالى المكتوب في المصحف هو عبادة؛ لأن غير الحافظ وسيلتُه لقراءة كتاب الله هي النظرُ في المصحف، والنظرُ في المصحف؛ ليقرأ كتابَ الله عبادةٌ، لكن هذا من باب القياس في الأدلة وليس له دليلٌ، والله أعلم.

وَالْجَهْرَ، إِلَّا إِذَا خَافَ الرِّيَاءَ. وَيُسَنُّ تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِهِ مَا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى حَدِّ التَّمْطِيطِ وَالإِفْرَاطِ بِزِيَادَةِ حَرْفٍ أَوْ إِخْفَائِهِ أَوْ مَدِّ مَا لا يَجُوزُ مَدُّهُ فَحَرَامٌ(٢).

سبق الكلام عن هذا وسبق تعريف التمطيط والحدر، وبينَّا مراتبَ القراءةِ فَلْيُرْجَعْ إليه.

وَيُرَاعِي الْوَقْفَ عِنْدَ تَمَامِ الْكَلامِ، وَلا يَتَقَيَّدُ بِالأَحْزَابِ وَالأَعْشَارِ. لأن الأحزابَ والأعشارَ والأجزاءَ التي فعلها السلفُ اجتهادًا منهم ﷺ ليس الكثير منها مكانَ وقوفٍ، فلا يَتقيد بها المرءُ، إنما يأتي إلى مكان ينبغي الوقوف عليه فيَقِفُ، كما فصلتُ قبلَ ذلك في الوقف التامِّ والوقف الكافِي، والوقفِ الحَسَنِ، فينبغي أن يَعْرِفَ أين يقفُ فيقفُ عند ذلك المكان، مثلَ الجزءِ الخامسِ في النساء، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إلخ

---

(١) قال في الإتقان (١/ ٣٧٤): قال النووي: هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضًا ولم أر فيه خلافًا. قال: ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة فيه، ومن الحفظ، ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف، لكان هذا قولًا حسنًا.

(٢) وفي الإتقان (١/ ٣٧٤): قال النووي: والجمع بينهما أن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى مصلون أو نيامٌ بجهره، والجهر أفضل في غير ذلك؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط.

[النِّسَاء: ٢٤]، فإن هذه الآية لها اتصالٌ عظيمٌ بما قَبْلَهَا وما بَعْدَهَا، فلو وقفنا عندها إتمامًا للجزء الرابع فلا بأسَ، وإن وصلنا فهو الأفضلُ، لنقف عندَ موضعٍ معينٍ ينبغي الوقوفُ عليه.

وَيَقْطَعُ الْقِرَاءَةَ إِذَا نَعِسَ أَوْ مَلَّ أَوْ عَرَضَ لَهُ رِيحٌ حَتَّى يَتِمَّ خُرُوجُهَا، أَوْ عَرَضَ لَهُ تَثَاؤُبٌ حَتَّى يَنْقَضِيَ، وَإِذَا قَرَأَ نَحْوَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [الْمَائِدَة: ٦٤] إِلَخْ، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مَرْيَم: ٨٨] إِلَخ، خَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ.

هذا قد وَقَعْتُ على دليل له؛ أثرٌ من أحد التابعين، ولا أظنُّ إلا أنه أخذه من صحابي، أما التابعي فهو إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ كان إذا قرأ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ خفض صوْتَهُ قليلًا[1]، ويرجع بعد ذلك إلى صوتِه المعتادِ، أيضًا قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مَرْيَم: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [الْمَائِدَة: ٧٣] يخفض بها صوته؛ تَأَدُّبًا مع كتاب الله، وَتَأَدُّبًا مع الله تبارك وتعالى.

وَيَتَأَكَّدُ الاعْتِنَاءُ بِسُجُودِ التِّلاوَةِ، وَهِيَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ عِنْدَنَا، وَمَحَالُّهَا مَعْرُوفَةٌ، وَإِنَّمَا اخْتُلِفَ فِي الَّتِي فِي ﴿حم﴾ [فُصِّلَتْ: ١]، وَالأَصَحُّ عِنْدَنَا أَنَّهَا عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٨].

اختلف في موضع السجدة، ولها علامةٌ معروفةٌ في القرآن.

وَالَّتِي فِي النَّمْلِ، وَالأَصَحُّ أَنَّهَا عِنْدَ: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النَّمْل: ٢٦][2].

---

(١) ذكره النووي في المجموع (٢/ ١٦٨).

(٢) وفي الإتقان (١/ ٣٨١): وأما (ص) فمستحبةٌ، وليست من عزائم السجود؛ أي: متأكداته. وزاد بعضهم =

وَتَحْرُمُ الْقِرَاءَةُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ مُطْلَقًا لِلْقَادِرِ وَغَيْرِهِ. وهذا مذهبُ الشافعية.

وَلا يُكْرَهُ النَّفْثُ مَعَهُ لِلرُّقْيَةِ (١). النفث: شيء بين النفخ وبين التفل، حيث لا يخرج شيءٌ ملحوظٌ مُبَلَّلٌ ولا يخرج جافًّا، إنما يكون شيء معه بعضُ الريق، ويستخدم هذا في القراءة على الْمَرْضَى.

وَلَا أَنْ يَقُولَ: أي: ولا يُكره أن يقول: **قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو وَقِرَاءَةُ فُلَانٍ، وَكَرِهَهُمَا بَعْضُ السَّلَفِ**، ليس له دليلٌ على هذه الكراهة، فيمكن أن يقال: هذه قراءةُ أبي عَمْرٍو، وهذه قراءةُ نافعٍ، وهذه روايةُ وَرْشٍ، فقد اتفق العلماءُ أنه لا بأسَ بهذا إن شاء الله.

وَيُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، بَلْ أُنْسِيتُ، وهذا فيه دليلٌ معروفٌ(٢)، **وَلِبَعْضِ مَسَائِلِ هَذَا الْبَابِ تَتِمَّاتٌ مَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ. انْتَهَى**(٣).

=

آخر الحجر. نقله ابن الفرس في أحكامه.

(١) انظر: لسان العرب (٢/ ١٩٥): [مادة: نفث].

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٣) ومسلم (٧٩٠): عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال النبي ﷺ: «بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل نسي، واستذكروا القرآن، فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم».

(٣) زاد في الإتقان (١/ ٣٨٢): [مسألةٌ] قال النووي: الأوقات المختارة للقراءة أفضلها: ما كان في الصلاة، ثم الليل، ثم نصفه الأخير، وهي بين المغرب والعشاء محبوبةٌ، وأفضل النهار بعد الصبح، ولا تكره في شيءٍ من الأوقات لمعنًى فيه، وأما ما رواه ابن أبي داود عن معاذ بن رفاعة عن مشايخه، أنهم كرهوا القراءة بعد العصر - وقالوا: هو دراسة يهود - فغير مقبولٍ، ولا أصل له. ويختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ثم الاثنين والخميس. ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان ، والأول من ذي الحجة، ومن الشهور: رمضان. ويختار لابتدائه ليلة الجمعة، ولختمه ليلة الخميس. فقد روى ابن أبي داود عن عثمان بن عفان أنه كان يفعل ذلك. والأفضل الختم أول النهار أو أول الليل؛ لما رواه الدارمي بسندٍ حسنٍ عن سعد ابن أبي وقاصٍ قال: إذا وافق ختم القرآن أول الليل، صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختمه أول النهار، صلت عليه الملائكة حتى يمسي.

النوع التسعون: آداب المفسر

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي. قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَنْ أَرَادَ تَفْسِيرَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ طَلَبَهُ أَوَّلًا مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ مَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ قَدْ فُسِّرَ فِي مَكَانٍ آخَرَ، فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ طَلَبَهُ فِي السُّنَّةِ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ.

تفسير القرآن بالقرآن أعظمُ المراتب؛ لأنه ليس شيء يُفْهَم به كلامُ الله إلا كلامَ الله سبحانه وتعالى، ثم يطلبه في السُّنَّةِ، ثم إن لم يجد ذلك يطلبه من كلام الصحابة وآثار التابعين رحمهم الله تعالى[1]، ثم يَجْنَحُ بعد ذلك إلى شواهدَ من لغة العرب الأصيلة فيفسر بها القرآنَ كما كان يفعل ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، ومسائلُ نافعِ بنِ الأزرقِ مشهورةٌ مع ابن عباس رضي الله عنهما عندما أتى إليه وسأله في مسائلَ كثيرةٍ، أما أصلُ الحديثِ في هذه المسائل ففيه ضعفٌ، أما كُتُبُ الأدبِ فقد أصابت في ذِكْرِ مسائلِ نافعِ بنِ الأزرقِ مع عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما. وهي مسائلُ عجيبةٌ تدل على استحضارٍ عجيبٍ من ابن عباس لِشِعْرِ العربِ وَنَظْمِهِمْ وكلامِهم، أحبذ الرجوع إليها ففيها فوائدُ كثيرةٌ[2].

وَقَدْ قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ[3]، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني (٢-١٧-٢٧).

(٢) وفيها قال نافع: يا ابن عباس! أخبرني عن قول الله عز وجل: والأرض وضعها للأنام. [الرحمن:١٠]. قال: الأنام: الخلق، وهم ألف، ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أوما سمعت لبيد بن ربيعة يقول:

فإن تسألينا فيما نحن فيه فإننا ... عصافير من هذا الأنام المسجر

انظر: سؤالات نافع بن الأزرق (ص٢٢٨).

(٣) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، الجرجاني (٢/ ١٩).

ٱللَّهُ﴾ [النِّسَاء: ١٠٥] فِي آيَاتٍ أُخَرَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(١) يَعْنِي: السُّنَّةَ، وَفِيهِ: «كَانَ يَنْزِلُ جِبْرِيلُ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ بِالْقُرْآنِ»(٢)، وَأَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ الَّذِي رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَابْنُ جَرِيرٍ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ يُفَسِّرُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا آيَاتٍ بِعَدَدٍ عَلَّمَهُ إِيَّاهُنَّ جِبْرِيلُ»(٣) فَهُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، وَإِنْ أَوَّلَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

الحديثُ المنكرُ هو: الضعيفُ إذا خالف الثقةَ فحديثُه حديثٌ مُنْكَرٌ(٤)، أما إن خالف الثقةُ الثقةَ فنرجع إلى الترجيح، أما إذا خالف الثقة من هو أوثق؛ يعني: إذا قيل عن إمام بأنه ثقة، وقيل عن آخرَ: ركنٌ من أركان الحديث، ثقة ثقة، ثقة ثَبْتٌ، حجةٌ لا يُسأل عن مثله، جبل... إلخ. هذه الألفاظُ التي تدل على التوثيق العظيم، فإن مَنْ خالفه يُعَدُّ حديث ذلك المخالف شاذًّا(٥).

قد يسأل سائلٌ ويقول: ألا يَهِمُ الإمامُ؟ نقول: نَعَمْ يَهِمُ(٦)، لكن لعلماء الحديث قواعدُ لا يحيدون عنها، تجري على الأغلب الأعمِّ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧١٧٤) حديث صحيح. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، العجلوني (٢/ ٥٢٠).

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (٦٠٨). قال ابن حجر في موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر (٢/ ٣٢٣): هذا أثر صحيح موقوف على حسان بن عطية، وهو شامي ثقة من صغار التابعين، ولما قاله أصل في المرفوع.

(٣) أخرجه البزار في المسند (٧٩)، وابن جرير في التفسير (١/ ٧٨) والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٥٦٩).

(٤) انظر: معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح (ص ١٧٠).

(٥) انظر: الاقتراح في بيان الاصطلاح، لابن دقيق العيد (ص ١٧).

(٦) انظر: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، الملا القاري (ص ٣٣٤).

ثم الحديثُ الضعيفُ يمكن أن يكون صحيحًا؛ لأن الحديثَ الضعيفَ إن خَفَّتْ درجةُ ضبطِ راوٍ من الرواة إلى الحدِّ الذي لم يعد يحتمل، يضعف حديثُه(١)، وقد يصح أن يكون هذا الراوي الذي روى أَلْفًا أو ألفين أو خمسمائة من الأحاديث قد ضبط حديثًا أو حديثين أو ثلاثة، ولكن يقال: كلُّ أحاديثِه ضعيفةٌ؛ للجري على الأغلب الأعم؛ لأن المحدثين إنما يأخذون بالقواعد الغالبة العامة، لذلك قالوا: قد يكون الحديثُ الصحيحُ ضعيفًا، والحديث الضعيف صحيحًا(٢)، بل إن الحديث الموضوع قد يكون صحيحًا، فهذا الرجل الذي يكذب دومًا، حتى في كلام الناس قد يصدق مرة أو مرتين أو ثلاثا، ومع ذلك فكلُّ أحاديثِه حكمها موضوعةٌ(٣)، حتى الأحاديث التي قد يصدق فيها؛ لأننا لا نعلم صدقَه في إخباره؛ ولأنه بمجرد أن كذب قد سقطت عدالتُه، حتى لو قال: صدقتُ في هذا الحديث بالذات وكذبتُ في كل الأحاديث غيره، فلا يُقبل قولُه؛ لأنه قد سقطت عدالتُه، مع أنه يصح أن يكون هذا الحديث صحيحًا في الذهن لكن المحدثين لا يأخذون بمثل هذا إنما يأخذون بالقواعد الغالبة العامة؛ لذلك إذا خالف الثقةُ مَنْ هو أوثقُ فحديثُ الثقة شاذٌّ، ضعيفٌ لا يُقبل، وإذا خالف الثقةُ مجموعةً من الثقات في مستواه، لكن لكونهم مجموعةً من الثقات أَوْجَبَتْ شذوذَ حديثِه، فإن خالف الضعيفُ ثقةً فحديثُه منكرٌ. هذا هو الفرقُ بين المنكر والشاذِّ.

---

(١) انظر: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (١/ ٢٢٣).

(٢) انظر: معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح (ص ١٤)، النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي (١/ ٣٩٠).

(٣) انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر (ص٢٢٣).

يقول الإمام الشافعي: (**كُلُّ ما حَكَمَ به رسولُ اللهِ ﷺ فهو مما فَهِمَهُ من القرآنِ**). وهنا يمكن أن يقال: إن الأمور التي كان يجتهد فيها ﷺ -على القول بأن له أن يجتهد ﷺ، وهذا القول عليه أكثرُ العلماء، وفيه أخبار لا تُنكر صحيحة مشهورة معروفة- قد حَكَمَ فيها بالقرآن؛ لأن القرآن لم يكن ليسكت عن شيء لم يُصِبْ فيه ﷺ عينَ الحقِّ الذي يريد اللهُ تبارك وتعالى أن يكون، بل لو لم يصب فإنه يأتي القرآنُ مُصَحِّحًا كما نزل في أَسْرَى بَدْرٍ، وقبول الفداء منهم، وترك قتلهم[(١)]، وكما في قصة الأعمى رضي الله عنه وأرضاه عبد الله ابن أم مكتوم[(٢)]، وفي تحريم النبي ﷺ العسلَ على نفسه في الراجح من القولين في سورة التحريم...[(٣)] إلخ، فعاتب اللهُ تبارك وتعالى فيه رسولَه ﷺ، وصَحَّحَ اجتهادًا له قد اجتهده ﷺ.

ويمكن أن يقال أيضًا: هو وحي من الله؛ لأن الله أمر بأخذه كما في آية سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الْحَشْر: ٧]؛ لأن الرسولَ ﷺ ما حَكَمَ فيه باجتهاده، وقد أخذه الصحابةُ أيضًا. والله أعلم.

فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ فِي السُّنَّةِ رَاجَعَ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ؛ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْقَرَائِنِ وَالأَحْوَالِ عِنْدَ نُزُولِهِ، وَلِمَا اخْتَصُّوا بِهِ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِّ، وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٢). ضعيف. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٨٧): فيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه، ولكن رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٣٣٣١)، الطبراني في الكبير (٧٨٨٦)، والأوسط (٩٤٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٧٤).

(٤) انظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص ٤٠).

هم قد عرفوا أسبابَ النزول، وعرفوا قرائنَ أحوال النزول التي تُوضِحُ المرادَ؛ لذلك قَلَّتْ أسئلتُهم لرسول الله ﷺ، ويتعجب الإنسان لماذا لم يسأل الصحابةُ رسولَ الله ﷺ كثيرًا من الأسئلة التي تدور بأذهانِنا عن القرآن؟

لكن أقول: إنهم قد سألوه لكن ليس كل ما سأله الصحابةُ رسولَ ﷺ قد نُقِلَ إلينا، لكن عمومَ مسائلهم قليلةٌ؛ لأنهم أُوتوا ملكةَ اللسانِ العربيِّ أولًا، فهم أَدْرَى الناسِ بمرادِ اللهِ ومرادِ رسولِه ﷺ، وهم أيضًا قد عرفوا أسبابَ النزولِ، وعرفوا القرائنَ والأحوالَ التي تَنَزَّلَ فيها القرآنُ، فما احتاجوا بعد ذلك أن يُكْثِرُوا من الأسئلة؛ لذلك نجد في عصر التابعين كَثُرَتِ الأسئلةُ جِدًّا مقارنةً بعصرِ الصحابة، وهكذا كلما تأخر الزمان كثرت الأسئلةُ في كتاب الله تبارك وتعالى.

قوله: (**وَلِمَا اخْتصُّوا به من الفَهْمِ التامِّ والعلمِ الصحيحِ والعملِ الصالحِ**)، قد يقول قائل: ما دَخْلُ العملِ الصالحِ هنا؟ نقول: إن العملَ الصالحَ نورٌ، يُنتج نورًا يُرى في وجوهِ الناسِ، وفي أعمالهم وأقوالهم، ينبثق عنهم الإخلاصُ، يُدخل كلامَهم في القلوب، فلا شك أن الذي يعمل أعمالًا صالحة يُوَفِّقُهُ اللهُ تبارك وتعالى، ويُفْهِمُهُ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢]، ويشرح صدرَه، فيُصبح قابلًا لأَنْ يَفْهَمَ كلامَ الله وكلامَ رسولِه ﷺ، إن هذا العِلْمَ نورٌ يقذفه اللهُ تعالى في قلبِ من شاء من عباده(١)؛ لذلك تجد الإنسانَ يتعلم عشرين سنةً أو ثلاثين سنةً ولا يخرج بشيء، وإنسانٌ يتعلم سنتين أو ثلاثَ سنوات ويخرج بشيء كثيرٍ وحصيلةٍ كبيرةٍ، ومرجعُ ذلك إلى التقوى

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٧٦).

والخوف من الله تبارك وتعالى، وإلى الأعمال الصالحة، فإن الله يوفقه لِفَهْمِ المرادِ؛ لأن كثيرًا من الناسِ في كثيرٍ من الأحيان لا يفهمون مسألة من المسائل، حتى إذا رجع إلى الله تعالى واستغفر وتضرع أَفْهَمَهُ اللهُ هذه المسألةَ، وهذا يحدثُ كثيرًا، كما كان شيخ الإسلام (ابن تيمية) رَحِمَهُ اللَّهُ، كان إذا لم يفهم مسألةً -كما قال الرواةُ عنه- يخرج إلى الصحراء يُمَرِّغُ وجهَه في التراب ويدعو الله تبارك وتعالى ويسأله أن يُفْهِمَهُ هذه المسألةَ، فيرجع وقد فَهِمَهَا[١]، فالعلمُ نورٌ يقذفه اللهُ تعالى في قلبِ مَنْ شاء من عباده.

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ[٢] رَجَعَ إِلَى أَقْوَالِ التَّابِعِينَ[٣]،[٤]، وَرُبَّمَا وَقَعَ فِي عِبَارَاتِهِمْ تَبَايُنٌ فِي الأَلْفَاظِ فَحَسِبَهَا بَعْضُ مَنْ لَا فِطْنَةَ لَهُ اخْتِلَافًا فَيَحْكِيهَا أَقْوَالًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُعَبِّرُ عَنِ الشَّيْءِ بِلَازِمِهِ[٥] أَوْ بِنَظِيرِهِ[٦]، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنُصُّ عَلَى الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ، وَالْكُلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمَاكِنِ فَلْيَتَفَطَّنِ اللَّبِيبُ لِذَلِكَ.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦] فَسَّرَهَا بعضُ

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٩٨).

(٢) الصحابي: من لقي النبي ﷺ في حياته مسلمًا ومات على إسلامه. انظر: فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٤).

(٣) التابعي: التابعي من صحب صحابيًا. وقيل: من رآه، وهو الأظهر. انظر: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لابن جماعة (ص١١٤).

(٤) انظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص ٤٤).

(٥) لازم الشيء: هو أمر خارج عن المسمى لكنه لازم له. انظر: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المرداوي (١/ ١١٤).

(٦) النظير: النظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها كالنحوي نظير النحوي وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه. الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص١٥٥).

السلفِ بالإسلام، وَفَسَّرَهَا بعضُهم باتباع القرآن، وفسرها بعضهم بتفاسيرَ أخرى، ومن لوازمِ الإسلامِ اتباعُ القرآنِ؛ لذلك يقول: منهم مَنْ يُعَبِّرُ عن الشيء بلازمه، إذا قلنا: الصراط المستقيم: هو الإسلام، ثم قال إنسانٌ: هو طريقُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ كما أُثِرَ ذلك عن بعض السلف، وقال آخرُ: هو اتباع القرآن[1]، فإن طريق أهل السنة والجماعة أو اتباع القرآن هو لازمٌ من لوازم الإسلام، فقد فَسَّرَهُ بِلازِمِهِ، ولا شيءَ في هذا، والتفسيرُ بالنظير كتفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿تُبْسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠]، قيل: البَسْلُ هو: الحبس[2]، وقيل: هو الارْتِهَانُ[3]. فهذا تفسيرُ الشيء بنظيرِ شيءٍ آخَرَ، وبينهما فرقٌ دقيقٌ لكنهما يَقْرُبَانِ من بعضهما حتى يكونا كالنظير، وهذا يَكْثُرُ في تفاسيرِ السلفِ رحمهم الله تعالى.

وَأَمَّا قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْحَجَّاجِ[4]: أَقْوَالُ التَّابِعِينَ فِي الْفُرُوعِ غَيْرُ حُجَّةٍ فَكَيْفَ تَكُونُ حُجَّةً فِي التَّفْسِيرِ؟

أعتقد أنه شعبة بن الحجاج الْعَتَكِيُّ والله أعلم، وهو الإمام المشهور. أما سعيدُ بنُ الحجاج فهذا ما سَمِعْنَا به في علماء السَّلَفِ في القرآن والحديث، إنما المشهور أنه شُعْبَةُ، وشعبةُ تَتَحَرَّفُ بسهولة إلى سعيد.

فَمَعْنَاهُ أَنَّهَا لا تَكُونُ حُجَّةً عَلَى غَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ وَهُوَ صَحِيحٌ، أَمَّا إِذَا أَجْمَعُوا عَلَى الشَّيْءِ فَلا يُرْتَابُ فِي كَوْنِهِ حُجَّةً[5]. أي: إذا أجمع كلُّ التابعين

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (١/ ٥٤)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٢١).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٢/ ٣٠٥).

(٣) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (١/ ٣٣٩).

(٤) شعبة بن الحجاج. انظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص ٤٥).

(٥) انظر: المرجع السابق.

على تفسيرٍ، فهم قد أخذوه غالبًا من الصحابة فكيف يستقيم لكَ مخالفتُهم؟!

أما إن اختلفوا فإن لكَ -أيها العالِم أو طالب العلم المتمكِّن- أن تأخذ من هذه الأقوال ما رأيتَه أنه هو الأقربُ إلى الصوابِ، وليست أقوال التابعين في هذه الحالة حجةً عليكَ واجبة الاتباع.

فَإِنِ اخْتَلَفُوا لَمْ يَكُنْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ حُجَّةً عَلَى بَعْضٍ وَلَا عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَيُرْجَعُ فِي ذَلِكَ إِلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ أَوْ عُمُومِ لُغَةِ الْعَرَبِ أَوْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ[١].

وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا قَالَ: التَّفْسِيرُ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ[٢]. ثُمَّ رَوَاهُ مَرْفُوعًا بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ بِلَفْظِ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٍ تُفَسِّرُهُ الْعَرَبُ، وَتَفْسِيرٍ تُفَسِّرُهُ الْعُلَمَاءُ، وَمُتَشَابِهٍ لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَمَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى اللهِ فَهُوَ كَاذِبٌ[٣].

قوله: (**الذي رواه ابن جرير عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا**) لعله أراد موقوفًا؛ لأنه بعد ذلك يقول: (**ثم رواه مرفوعًا بسند ضعيف**)[٤]، والله أعلم. فَلْيُرَاجَعْ هذا في الطبري. والموقوفُ هو: كلامُ الصحابيِّ في الأشياء التي فيها مجالٌ

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٧٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٧٠) ضعفه الألباني. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٣/ ٣٧١).

(٤) قال الطبري بعد حديث ابن عباس الموقوف: قد روي بنحو ما قلنا في ذلك أيضًا عن رسول الله ﷺ خبر في إسناده نظر. انظر تفسير الطبري (١/ ٧٠).

للاجتهاد(١)، فإن لم يكن فيها مجالٌ للاجتهاد فهو موقوفٌ له حُكْمُ الرَّفْعِ ولو لم يصرح الصحابيُّ برفعه إلى رسول الله ﷺ(٢)، لأن هذا الأمرَ من الأمور الغيبية التي لا يعرفها إلا اللهُ، وأَطْلَعَ عَلَيْهَا رسولَ الله ﷺ، ولم يكن هذا الصحابي ممن يَطَّلِعُ على علم أهل الكتابين، فإن هذا يقال: موقوف له حكمُ الرفعِ.

قوله: وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها: أكثرُ كلماتِ القرآنِ معروفةٌ عندَ العربِ، وإنما الشأنُ في نَظْمِهَا في سِلْكٍ مُعْجِزٍ، فالذي يُعْجِزُ العربَ ليس الكلمات فقط، وإن كان كثير منها وقع موقعًا في نفوسهم؛ لذلك يقول ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو نُزِعَتْ كلمةٌ من القرآن ثم أُدِيرَ لسانُ العربِ على أن يُوضع كلمةٌ أخرى مكانَها لم تجدها»(٣)، لم تجد ذلك أبدًا؛ لأن الكلماتِ القرآنيةَ عظيمةٌ، لكن الذي أَعْجَزَ العربَ أكثرَ هو كيفية نَظْم هذه الكلمات في جُمَلٍ؛ لذلك لَمَّا سمع الأعرابيُّ قولَ إخوةِ يوسفَ الذي قصه الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يُوسُف: ٨٠] سَجَدَ ذلك العربيُّ لله تبارك وتعالى، فسئل: لماذا سجدتَ؟ قال: سجدتُ لفصاحة ذلك الكلام(٤)! فلو أردتَ أن تعبر عن هذا المعنى لا تستطيع أن تعبر عنه إلا بسطور، لكنَّ نِصْفَ سطرٍ عَبَّرَ عن معانٍ كثيرةٍ، وحُكي عن بعض الناس أنه أراد أن يُعَارِضَ القرآنَ فلما وصل إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ

---

(١) انظر: معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح (ص ٤٦).

(٢) انظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي (١/ ٤٢١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ٥٢).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/ ١٨٥).

ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هُود: ٤٤] أخذته رعدةٌ، وأصابته خشيةٌ وخوفٌ من الله تبارك وتعالى وترك القلمَ كأنه وصل إلى قناعة أن هذا الكلام ليس بكلام بشر؛ لأن هذا الكلام لا يُعَارَضُ. وهذا منسوبٌ إلى ابن المقفع، وقيل غيره[١]. فالعربُ تستعمل كل هذه المفردات: (قيل)، و(يا أرض)، (ابلعي)، لكن نظمَها على هذا السلك الفريد، وعلى هذا التتابع العجيب هو الذي أَثَّرَ في العرب أَيَّمَا تأثيرٍ.

قوله: (وتفسيرٌ لا يُعذَرُ أحدٌ بجهالته)، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البَقَرَة: ٤٣] فهَذِهِ من الأمور المعروفة من الدين بالضرورة[٢]، وعدم قُرْبِ الزنا، وعدم شرب الخمر معروف من الدين بالضرورة، فلا يُعْذَرُ أحدٌ بجهالته، ولا يأتي أحدٌ ويَقْرَبُ هذه المنكراتِ ثم يقول: أنا لا أعرف حكمَها وأنا جاهل بها!

وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُكْثِرَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُحْتَمَلَةِ الْبَعِيدَةِ وَالتَّفَاسِيرِ الْغَرِيبَةِ، وَأَلَّا يَتَكَلَّفَ فِي حَمْلِ الآيَةِ عَلَى مَذْهَبِهِ إِذَا كَانَ ظَاهِرُهَا يُخَالِفُهُ؛ لأن القرآن يُتعصب له، ولا يُتعصب عليه، لا نأتي بالمذهب ثم نحاول أن نلويَ عنقَ الآيات، ونلوي عنقَ الأحاديث؛ للتوافق معه، هذا لا يصحُّ.

فَفِي الْحَدِيثِ: «مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»[٣].

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (١/ ٣١).

(٢) المعلوم من الدين بالضرورة: هو معرفة المعلوم على ما هو به. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي (١/ ٧٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٧٨٤٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥١): رجاله رجال الصحيح.

وَأَنْ يُرَجِّحَ مِنَ الأَقْوَالِ مَا وَافَقَ قِرَاءَةً أُخْرَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، فَتَفْسِيرُ الْمُلامَسَةِ بِالْمَسِّ بِالْيَدِ أَوْلَى مِنَ الْجِمَاعِ؛ لِمُوَافَقَتِهِ لِلْقِرَاءَةِ الأُخْرَى: (أَوْ لَمَسْتُمُ).

الأئمة الشافعية يرون أن مجردَ المسِّ لأي امرأة ينقض الوضوءَ[1]، والآثارُ كثيرةٌ، لكن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال عن حديث عائشة الذي نَحْتَجُّ به نحن، عندما كان رسول الله ﷺ يصلي في الليل -وهذا يدل على أن الأئمة لا يُقَعِّدُونَ مذاهبَهم بهوى، إنما كله عِلْمٌ- في بيت عائشة فإذا سجد غَمَزَهَا ﷺ[2]، أي: بيده، فَتَقْبِضُ رِجْلَهَا فيسجد ﷺ. قال: إن صَحَّ حديثُ عائشةَ فهو مذهبي. والإمام الشافعي قبل البخاري وقبل مسلم وقبل الكتب الستة، وما صَحَّ عندَه هذا الحديثُ. والإمام تَقِيُّ الدين السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتابٌ في هذا هو: «مَعْنَى قَوْلِ الإمام الْمُطَّلِبِي (أي: الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ): إذا صَحَّ الحديث فهو مذهبي»[3] ويُبَيِّن هذا الحديثَ وغيرَه من أقوال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي قال فيها: إن صَحَّ كذا فهو مذهبي، لكن الشافعي لم يَصِحَّ عندَه هذا الحديثُ.

كذلك أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنده أقوالٌ تخالف في بعضها ما هو معروف عندنا من آثار اليوم، لكن الإمام أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يصحَّ عنده هذا، فلم يأخذ به، ويأتي -للأسف- بعضُ الجهال ويقولون: إنه ضعيف في العلم بالحديث! أو لا يدري عن الحديث شيئًا! وهو ليس كذلك، بل لأنه لم يصحَّ عندَه ذلك الحديثُ الذي

---

(١) انظر: الأم، الشافعي (١/ ٢٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٨٢)، ومسلم (٥١٢).

(٣) معنى قول المطلبي الإمام إذا صح الحديث فهو مذهبي، السبكي، طبعته مؤسسة قرطبة.

دَوَّنَتْهُ الأئمةُ بعدَ ذلك، وتَلَقَّتْهُ بالقبول، فلو تَلَقَّتْهُ الأمةُ بالقبول وكان معلومًا عندَهم، فلا يمكن أن يخالفه الإمامُ أبو حنيفةَ، ولا يستطيع إمامٌ أن يخالفَه، لذلك الشافعي رَحِمَهُ اللهُ سئل عن حديث لرسول الله ﷺ، قيل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ قال: سبحان الله؛ أرأيت في وسطي زنّارًا؟!(١). يعني: أرأيتني نصرانيًّا حتى أخالف حديث رسول الله ﷺ؟! كيف لا أقول به؟! وإنما حصل في ظاهر أقوال الأئمة معارضة بعض الأحاديث؛ لأنها لم تصحَّ عندهم، أو لأنها لم تَصِلْهُمْ، أوأنها مرجوحة بأحاديث أُخَرَ هي عندهم أصح من هذا الحديث، وأنصح بالرجوع إلى كتاب: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»(٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، فقد توسع في هذا الأمر وقعد له تقعيدًا حسنًا.

يقول: فتفسير: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، هناك قراءة صحيحة: (أو لمستم النساء)، فالملامسة المفاعلة، وعلى القراءة الأخرى هي مطلق اللمس(٣)، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأنعام: ٧] ومن هذه القراءة أن اللمسَ المراد: هو مُطْلَقُ الْمَسِّ(٤)، وبعضهم قال: المرادُ باللمس هنا المسُّ الناقض، وهو ما كان بشهوة، وبعضُهم قال: ما كان منه مَنِيٌّ أو مَذْي(٥)، وبعضُهم قال غيرَ ذلك، المهم: أن الإمام السيوطي يبين مأخذَ الشافعية في هذا فقال: فتفسيرُ

(١) حلية الأولياء (٩/ ١٠٦).

(٢) طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ص ١٢٤).

(٤) انظر: المبسوط، السرخسي (١/ ٦٧).

(٥) انظر: البناية شرح الهداية، العيني (١/ ٣٠٦).

الملامسةِ باللمس باليد أَوْلَى من الجماع، وهذا مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَيَحْرُمُ تَحْرِيمًا غَلِيظًا أَنْ يُفَسِّرَ الْقُرْآنَ بِمَا لا يَقْتَضِيهِ جَوْهَرُ اللَّفْظِ، كَمَا فَعَلَ (ابْنُ عَرَبِيٍّ) الْمُبْتَدِعُ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ كِتَابُ: «الْفُصُوص» الَّذِي هُوَ كُفْرٌ كُلُّهُ[١].

يعني: لا يجوز للإنسان أن يفسرَ القرآنَ بما لا يقتضيه ظاهرُ اللفظِ العربيِّ. فالباطنيةُ سُمُّوا: باطنيةً؛ لأنهم ادَّعَوْا أن للقرآن ظهرًا وبطنًا، أو مطلعًا وحَدًّا... إلخ[٢] من الأقوال التي ادعوها، ففي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٩٧] قالوا: أن تحج إلى الشيخ[٣]، ومثله تفسير الرافضة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البَقَرَة: ٦٧] بأن البقرة هي عائشةَ[٤]!! وقد أفتى بعضُ الأئمة أن مَنْ يفعل ذلك فهو كافرٌ؛ لأنه فَسَّرَ اللفظَ بما لا تحتمله العربية بوجه من الوجوه أبدًا، أما إن فسر اللفظ بشيء تحتمله العربية وإن كان مخطئًا في تفسير هذا فهو معذور.

وَكَمَا يُحْكَى عَنْ بَعْضِ الْمُلْحِدَةِ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] إِنَّ مَعْنَاهُ: مَنْ ذَلَّ - أَيْ: مِنَ الذُّلِّ - (ذِي) إِشَارَةً لِلنَّفْسِ - (يَشْفَ) جَوَابُ (مَنْ) مِنَ الشِّفَا - (عُ) فِعْلُ أَمْرٍ مِنَ الْوَعْيِ.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ﴾ قال: مَنْ ذَلَّ، يعني: أخذنا (ال) وجعلناها مع (الذَّالِ)

---

(١) واسمه: فصوص الحكم. فهو يقرر فيه مذهب وحدة الوجود. انظر: فصوص الحكم لابن عربي، تحقيق: د. أبو العلا عفيفي (ص٧).

(٢) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٩٢).

(٣) لم أعثر على من فسره بهذا.

(٤) انظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص ٣٦).

فصارت ذَلَّ، بقي (ذِي) إشارة، أي: من ذَلَّ هذه النفسَ[١]، يشفَ: من الشفا، (عُ) فعل أمر للجماعة، و(عِ) للمفرد! تحريف الباطنية للقرآن العظيم أمرٌ غريبٌ، لكن طالبَ العلم الناضج لا تنطلي عليه مثلُ هذه الأمور، فركاكتها واضحة، وسخفها وبطلانها بين.

وَيَحْرُمُ أَنْ يُخَرَّجَ الْقُرْآنُ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَنْطِقِيَّةِ، وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ عَصْرِنَا مِمَّنْ يُبِيحُ الْمَنْطِقَ مِنْهُمْ وَمَنْ يُحَرِّمُهُ عَلَى التَّغْلِيظِ عَلَى بَعْضِ الْعَجَمِ، وَقَدْ خَرَّجَ بَعْضَ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ -أي: على (القواعد المنطقية)- **وَأَفْتَوْا بِتَعْزِيزِهِ وَزَجْرِهِ، وَأَنَّهُ أَتَى بَابًا مِنَ الْعَظَائِمِ.**

القواعد المنطقية: المقدماتِ والنتائج، والتصور والتصديق[٢]، فهذه الأمور التي يَعْرِفُهَا أهلُ المنطق لا يَحِلُّ لأحد أن يأتيَ ويقول: في كتاب الله تبارك وتعالى مثلُ هذه القواعد، ويخرِّج الآيات على هذه القواعد، قد يكون في بعض الآيات ذلك، ولا شيءَ في هذا، لكن أن يُؤَصَّلَ وَيُخَرَّجَ ما في كتاب الله تبارك وتعالى على القواعد المنطقية فهذا هو الخطأ الذي ينبغي التَّنَبُّهُ له، فلا ينبغي تنزيل تلك القواعد على كتاب الله تبارك وتعالى؛ إذ إن كتاب الله تبارك وتعالى أسمى من ذلك كله؛ فهو يُبْنَى عليه ويخرَّج منه ولا يخرَّج عليه.

وَإِذَا أَعْرَبَ آيَةً أَعْرَبَهَا عَلَى أَظْهَرِ مُحْتَمَلَاتِهَا وَأَرْجَحِهَا، وَلَا يَذْكُرُ كُلَّ مَا تَحْتَمِلُهُ وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا جَائِزًا إِلَّا لِقَصْدِ التَّمْرِينِ، وَلا يَذْكُرُ الْأَقَاصِيصَ الَّتِي لَا يَدْرِي صِحَّتَهَا خُصُوصًا الإِسْرَائِيلِيَّاتِ.

---

(١) أشار إلى هذا النوع من التحريف القنوجي في فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ١٦).

(٢) انظر: التقريب لحد المنطق، لابن حزم (ص ١٥٧)، معيار العلم في فن المنطق، الغزالي (ص٦٥).

هذه الإسرائيليات التي هي أخبار اليهود والنصارى، قال فيها النبي ﷺ: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ**»(١)، لكن ليس مطلقًا؛ فليس المقصود أنه لا حرج حتى في الأمور التي فيها كذب ووضعها ظاهر، والتي فيها غرائب وعجائب يستبعدها العقل الصحيح؛ إنما حدثوا عنهم ولا حرج في الأمور التي توافق العقلَ وليس في شرعنا شيءٌ يخالفها.

وقال ﷺ: «**لَا تُصَدِّقُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»(٢) أي: لا تَحْكُمُوا بصدقِ ما جاءوا به؛ فإن أكثرَهم فُسَّاقٌ، ولا تُكَذِّبُوهُمْ؛ لأنه لعله أن يكون قد بَقِيَ شيءٌ من كتابهم لم يُحَرَّفْ، وقد بقي بلا شك؛ لذلك استخرج بعضُ العلماء -كابن القَيِّمِ وَمَنْ قبلَه وَمَنْ بعدَه- إشاراتٍ واضحةً لرسول الله ﷺ من التوراة والإنجيل، فبقي أشياءُ قليلةٌ لم تُحَرَّفْ، لكن كتبهم قد غَيَّرُوهَا وحَرَّفُوها كما أخبر الله تبارك وتعالى ولم تَعُدْ لها القيمة العلمية الصحيحة؛ لذلك بُعِثَ رسولنا ﷺ وأنزل الله تعالى عليه القرآنَ العظيمَ؛ لأن كتبَهم لم تَعُدْ صالحةً من كثرةِ ما غَيَّرُوهَا وَحَرَّفُوا فيها؛ لذلك كان لِزَامًا علينا أيضًا ألا نُكَذِّبَهُمْ في الأشياء التي ليس فيها كَذِبٌ ظاهر أو مخالفةٌ لشرعنا، وليس فيها مخالفةٌ للعقل الصحيح، فلا نُكَذِّبُهم، وأيضًا لا نُصَدِّقُهم، هذه قاعدةٌ مهمةٌ، إنما نروي عنهم ولا حرج في هذا. فلا نحكم على ما أتوا به بصدق ولا بكذب بشرط ألا يكون مخالفًا لشرعنا، وَأَنْ يندرجَ تحت القواعد الشرعية المعروفة، وألا يكون مُخَالِفًا للعقل، إنما نرويه روايةً ولا حرجَ في هذا.

---

(١) أخرجه البخاري في صححيه (٣٤٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٨٥).

ولكن توسع كثير من المفسرين في الإسرائيليات، وأتوا بغرائبَ وعجائبَ وبِدَوَاهٍ لا يصدقها العقلُ، خاصةً في أمور خَلْقِ الكونِ، وأن الأرضَ على قَرْنَيْ ثورٍ، وأن الثورَ قائمٌ على بحر، وأن البحر قائمٌ على الثلج، وأن الثلجَ قائمٌ على كذا[١]، وهذه أمورٌ غيرُ صحيحةٍ ليس في شَرْعِنَا شيءٌ يُصَدِّقُهَا، وهي أمورٌ ظاهرةُ البُطْلانِ، كما قال الألوسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد دَارَ الناسُ الأرضَ مراتٍ ولم يَرَوْا قَرْنَيْهِ»[٢]، والألوسيُّ في عصره قبلَ قُرَابَةِ مائةِ سنةٍ، فالعلمُ الحديثُ اليومَ الذي ظهرت به الأمورُ واتضحت يُعْلَم منه أنه لا هناك ثورٌ ولا شيءٌ، فالإنسانُ لا يأخذ خرافاتِ بني إسرائيل ويرويها في كتابه على أن رسولَ الله ﷺ قال: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ»[٣]! قال الإمام السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومثلُ هذه الأمور تزيد الكافرينَ كُفْرًا»[٤]، وتزيد الفلاسفةَ وأمثالَهم كفرًا؛ لأن الفلاسفة يَعْتَزُّونَ بالعقل اعتزازًا زائدًا عن الحدِّ، ولا يُقِرُّونَ بكثيرٍ من أمور الوحي، فإذا أتيتهم بشيء مثل هذا زادهم هم وأمثالهم كُفْرًا.

وَلْيَقْتَصِرْ مِنْهَا عَلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ إِذَا كَانَ فِي الآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَيْهِ مُتَحَرِّيًا أَصَحَّ مَا وَرَدَ، وَسَيَأْتِي حُكْمُ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ.



(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (٦/ ٢٣٨).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) لم أجده للألوسي.
(٤) لم أعثر على هذا القول للسيوطي ولا لغيره.

النوع الحادي والتسعون
من يقبل تفسيره ومن يرد

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَيُشْبِهُهُ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ: مَعْرِفَةُ مَنْ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُ وَمَنْ لا تُقْبَلُ.

قَدْ تَقَدَّمَ فِي آدَابِ الْمُفَسِّرِ أَنَّ التَّفْسِيرَ يُطْلَبُ أَوَّلًا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ السُّنَّةِ ثُمَّ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَنَاقِلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ شَرْطُهُ شُرُوطُ الرِّوَايَةِ، وَهِيَ: الْعَدَالَةُ وَالْحِفْظُ وَالإِتْقَانُ، وَهُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ.

لا يتصدَّى لكتاب الله إلا مَنْ حاز هذه الأمورَ: العدالةَ[1] والحفظَ[2] والإتقانَ[3]، فلا يأتي إنسانٌ غيرُ عَدْلٍ أو غير متقن وضابط ومحرِّر فَيَتَكَلَّمُ في كتاب الله؛ لأنه سيأتي بالعظائم. وَكَذَا رِجَالُ الْقُرْآنِ؛ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ أَحَدَ أَرْكَانِهِ صِحَّةُ السَّنَدِ[4]. صحة السند باستِفَاضة وشهرة، أو تواتره. فمِنَ العلماء من قال بصحة السند كالإمام ابن الجَزَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ وشيخِه ابنِ اللبان، وغيره لم يقل بصحة السند على أن يكون سندَ آحادٍ فقط[5]، إنما قصدُه أن يكون هذا السند

(١) من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة. انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر (ص ٦٩).

(٢) الحفظ: هو الضبط: ضبط صدر: وهو أن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء، وضبط كتاب: وهو صيانته لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه. وقيد بالتام إشارة إلى الرتبة العليا في ذلك. انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر (ص ٦٩).

(٣) الإتقان: هو الحفظ، ومنهم من فرق بين الحفظ والإتقان، فعرفوا الإتقان بقولهم: والإتقان أكبر من حفظ السرد. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٩/ ٣٧٠)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي (١/ ٣٩).

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ٩).

(٥) خبر الآحاد: كل ما لم ينته إلى التواتر. وقيل: هو ما يفيد الظن. انظر: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لابن جماعة (ص ٣٢).

مستفيضًا[١] مشهورًا[٢] بين الناس، هذا لو لم يتواتر سندًا فلا بأسَ به، فإنه يُقبل قراءةً صحيحةً عن رسول الله ﷺ.

ورجالُ القرآنِ رجال السند، لا بد أن يكونوا ممن حَازُوا العدالةَ والضبطَ والإتقانَ في القرآن وليس في الحديثِ؛ لأن حفصًا مثلا مُقَدَّمٌ في القرآن، قال الشاطبيُّ: (وَحَفْصٌ وَبِالإِتْقَانِ كَانَ مُفَضَّلَا)[٣] لكن حَفْصًا في الحديث يُضَعَّفُ، والبَزِّيُّ في الحديث يُضَعَّفُ[٤]، كثيرٌ من أئمة القرآن يُضَعَّفُونَ في الحديث، أنتَ الآن تَخَصُّصُكَ في الهندسة، تُسأل عن الطب فلا تعرف، فلا يَحِقُّ لإنسان ما أن يُضَعِّفَكَ بقولِ: هذا ضعيف لا يفقه في علم الطب شيئًا، إنما تُحَاكَمُ إلى عِلْمِكَ الذي درستَه وتخصصتَ فيه، وهؤلاء الأئمة برزوا في القرآن العظيم، وتخصَّصوا في كتاب الله تبارك وتعالى؛ لذلك كانت عنايتُهم بغيره أقلَّ، ولو كانت الأحاديثُ المرويةُ عن رسول الله ﷺ؛ لذلك إذا تصدَّى أحدُهم لرواية الأحاديث فالغالبُ عليه أنه لا يضبط ذلك لتوجه عنايتِه العظمى إلى كتاب الله تبارك وتعالى، وبعضهم يجمع بين الاثنين؛ فأبو بكر بن عياش رَحِمَهُ اللهُ كان إمامًا من أئمة السُّنَّةِ الكبارِ، وكان إمامًا عظيمًا من أئمة القرآن[٥]. فليس شرطًا أن يجمع الإنسانُ بينَ القرآنِ والحديثِ.

---

(١) اختلف العلماء في تعريف المستفيض، ومنها: هو ما زاد رواته في كل مرتبة على ثلاثة. انظر: التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، السخاوي (ص ٥٠).

(٢) عرف بأنه: الذي رواه الجماعة الكثيرة عن إمامٍ من أئمة رواته، وقيل: رواه الجماعة ثلاثة فأكثر ما لم يبلغ التواتر. انظر: مشيخة القزويني (ص ١٠٥)، التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، السخاوي (ص ٤٩).

(٣) انظر: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، الشاطبي (١/ ٣).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٢/ ٥١).

(٥) انظر: المرجع السابق (٨/ ٤٩٥).

لذلك كان الخطأُ أيضًا ممن يضعف بعض الآثار القرآنية، لِضَعْفِ رجالِها في الحديث، نقول له: هذه الأسانيدُ القرآنيةُ يختلف حالُها عن الأسانيد الأحاديثية، شروطُ الْمُحَدِّثينَ في رجالهم تختلف عن شروط رجال القرآن، فشروط المقرئ في القرآن أعظمُ بكثير من شروط الْمُحَدِّثِ، أشدُّ صعوبةً من شرط البخاري ومسلم؛ لأن البخاري ومسلما يقبلان أخبار الآحاد مطلقًا، ورجال القرآن لا يقبلون في القرآن إلا المتواتر أو الآحاد مع الاستفاضة والشهرة، كمَا مَرَّ آنفًا.

لذلك لا يصحُّ إذا تواتر عند المقرئين شيءٌ أن نحاكمه إلى الأحاديث؛ لأن هذا أمرٌ متواترٌ عندَهم، وأنت تريد أن تحاكمَه إلى ضوابط الآحاد، والتواترُ لا يقدح فيه شيءٌ، فالتواترُ مقبولٌ حتى من الكفار[1][2]، ناهيك أن يكون من أئمة المقرئين الأَجِلَّاءِ، الذين عُرِفُوا بالفضل وبالتقوى، فإذا تواتر شيءٌ لديهم، فلا يُحاكَم هذا المتواتِر عندَهم إلى قواعد المحدثين؛ لأن المحدِّثين يَرْضَوْنَ من ذلك بالآحاد، ولا يرضى بذلك أئمةُ القرآنِ، وهذا أمرٌ يجب أن ننتبَه إليه، وأقربُ مثالٍ على ذلك ما جاء في التكبير، فالتكبيرُ عندَ ابنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ متواترٌ[3]،

---

(١) انظر: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، الملا القاري (ص ١٦٦).

(٢) اشتراط الإسلام في التواتر قضية خلافية، فقيل: لا يجوز التواتر من الكفار وذلك لجواز تواطئ الكفار، وأهل بلد على الكذب، فلا يفيد خبرهم العلم. انظر: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر (ص١٦٦).

(٣) روى البزي عن ابن كثير التكبير من أول سورة (والضحى) إلى آخر سورة الناس، ولفظه الله أكبر. ونقله الداني عن البزي من أول سورة الشرح، ولم ينسب الداني التكبير إلى غيره من أصحاب ابن كثير. وروى قنبل وهبة الله عن أبي ربيعة عن البزي التكبير من أول سورة الشرح ولفظه: لا إله إلا الله والله أكبر. ورواه بكار عن قنبل في آخر سورة الناس، وإذا كبر هناك قرأ الفاتحة وخمس آيات من سورة البقرة وآخرها: وأولئك هم المفلحون. انظر: الكنز في القراءات العشر، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه (٢/ ٣٩٦).

فيأتي إنسانٌ ويقول: لا يصح؛ لأن رَاوِيَ حديثِ التكبيرِ -وهو البزي- ضعيفٌ في الحديث، فهذا سندٌ غيرُ صحيحٍ، نقول له: هذا عندَ المحدثين غيرُ صحيح؛ لأن هذا الرجل اختلَّ شرطُ المحدِّثين فيه، لكنه جاء عند الْمُقْرِئِينَ، فهوعندَ أهلِ القرآنِ متواتر، فلا يصحُّ محاكمةُ هذا إلى ذاك؛ لذلك عندما جاءَ أئمةُ العربيةِ وأرادوا أن يحاكِموا نصوصَ القراءاتِ القرآنيةِ لِمَا وضعوه من قواعد عِيبَ عليهم هذا الأمرُ، وشدَّد في ذلك أئمةُ اللغةِ المتأخرونَ مثل: ابن مالك وابن هشام، وأبي حيان رحمهم الله جميعًا؛ إذْ وقفوا وقفةً صلبةً للدفاع عن القرآن العظيم في وجه بعض النحويين القدامى؛ كَالزَّجَّاجِ والْمُبَرِّدِ وغيرهما ممن كان يُحَاكِمُ نصوصَ القراءاتِ إلى قواعد اللغة، فما وافق منها القواعدَ قَبِلَهُ، وما خالف منها القواعدَ رَدَّهُ[١]، نقول له: يا مسكينُ، إنما تُحَاكَمُ قواعدُ اللغةِ إلى كتاب الله.

قال أبو عمرو الداني: (وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها)[٢].

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ الصَّحَابَةِ[٣] أَنَّ التَّفْسِيرَ بِالرَّأْيِ حَرَامٌ[٤]، وَتَقَدَّمَ فِي الْمُقَدِّمَةِ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّأْوِيلِ.

---

(١) انظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، النويري (١/ ١١٤).

(٢) انظر: جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (٢/ ٨٦٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس (١/ ٧٢).

(٤) قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» أخرجه الترمذي في السنن (٢٩٥٢) حديث ضعيف.

الْمُفَسِّرُ يَجْمَعُ بين الروايةِ[١] والدرايةِ[٢] كما هو معلوم، والرواية هي الأحاديثُ والآثارُ عن الصحابة والتابعينَ، فإن ساقَها مجردةً فهو تفسيرٌ، وإن أضاف إليها الدرايةَ واللغةَ فهو تأويل، فالجمعُ بين الرواية والدراية نُسَمِّيهِ: التفسيرَ كما فعل الشوكانيُّ وابنُ كثيرٍ وابن جرير؛ فإنهم جمعوا بين التفسير والتأويل على هذا المعنى، وقيل: التفسيرُ في الأمور الواضحات، والتأويلُ في الأمور التي فيها إجمالٌ، وقيل: غير ذلك مما سبق في المقدمة بيانُه بالتفصيل.

أما التفسير بالرأي فهو أن يقول في القرآن بكلامه المجرد، ويكون ذلك عن هَوًى[٣]، لا يقول في القرآن شيئًا بأثرٍ؛ بحديثٍ، بكلام أئمة العربيةِ، إنما يقول ذلك برأيٍ مُجَرَّدٍ من لَدُنْهُ، فإنه قد ارتكب أمرًا عظيمًا، وإن أصاب في تفسيره فقد أخطأ؛ لأنه ليس له سبقُ عِلْمٍ في هذا، إنما ظَنَّ أن يكون كذا فقال به، ومثل هذا الأمر لا يجوز في كتاب الله تعالى أبدًا؛ لأن من يتصدى لكتاب الله يجب عليه أن يكون عَالِمًا به، إنما إن سُئِلْنَا عن شيء فنرجع إلى كُتُبِ التفاسير، فنحن مهمتنا أن نحكيَ ونقصَّ ما قاله أئمتُنا في التفسير، فنحن -أو أكثرنا- لا نملك من الآلات والأدوات ما نتمكن بها من تفسير كتاب الله تعالى، فلا نملك إلا أن نرجع إلى كتب الأئمة ونستقي منها ما قالوه، حتى كتب التفاسير الْمُحْدَثَة

---

(١) الراوية: علم يشتمل على أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وروايتها وضبطها، وتحرير ألفاظها. انظر: اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، المناوي (١/ ٢٣٠).

(٢) الدراية: علم يعرف منه حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف المرويات، وما يتعلق بها. انظر: اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، المناوي (١/ ٢٣٠).

(٣) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية. د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار (ص ٢٧).

أصحابها يرجعون كلُّهم إلى ما في الكتب القديمة، لا يملك الإنسان أن يستقل بالتفسير مطلقًا، فلا يستطيع ذلك أحدٌ في هذا العصر مهما أُوتِيَ من عِلْمٍ، بل لا بد له أن يرجع إلى ما في الكتب القديمة. فكيف تفسر القرآنَ برأيكَ المجردِ؟! فإنك وإن أصبتَ فقد أخطأتَ وأتيتَ أمرًا عظيمًا!

فَأَمَّا الأَوَّلُ: فَحَرَامٌ مُطْلَقًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى اللهِ وَالْقَطْعِ بِأَنَّهُ مُرَادُهُ.

وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ التَّأْوِيلُ: فَقَدِ اخْتُلِفَ فِي جَوَازِهِ، فَمَنَعَهُ قَوْمٌ؛ سَدًّا لِلْبَابِ وَتَمَسُّكًا بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ. ظاهرُ الحديث والآثار التي وردت في التخويف من القول على الله تبارك وتعالى بغير علم، وتوقف بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم في التفسير، فهذه الآثار دَعَتْ أقوامًا إلى أن يَتَوَقَّفُوا عن التفسير مطلقًا، فما كانوا يتكلمون في كتاب الله أبدًا، كسعيد بن المسيب رحمه الله عندما سئل عن شيء من القرآن، فقال: اتق الله، فإنه قد ذهب من يعرف تفسيرَ كتاب الله تبارك وتعالى[(١)]. وسئل عبيدة السلماني عن آية من القرآن، فقال: «ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، اتق الله، وعليك بالسداد»[(٢)]. وغيرُهما من الأئمة الذين كانوا يتورَّعُون عن القول في التفسير.

والصحيح -إن شاء الله- أنه جائزٌ لمن يملك آلَتَه[(٣)]، وكما ذكرتُ: لا أتصور أن أحدًا اليوم يستطيع أن يملك من الآلات التي يفسر بها كتابَ الله

---

(١) عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت رجلًا يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: «لا أقول في القرآن شيئًا». انظر: تفسير الطبري (١/ ٧٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ٨٠).

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي (١/ ٣٤٩)، (٤/ ٨٩)، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد (ص ١٣١)، وما بعدها.

مُسْتَقِلاًّ، والأسلمُ في هذه الأَعْصُرِ الأخيرةِ أن لا يُتَّجَهَ إلى التفسيرِ اتجاهًا مُسْتَقِلاًّ، بل إن أراد إنسان أن يتطفل على مائدة التفسير مع ما في التفاسير الكثيرة من كفاية فعليه إما أن يرتب أقوالَ الأئمة أو أن يهذبها، أو يختصرها ويأتي بها، أما من يدعي التفسيرَ استقلالًا فهذه دعوى عظيمة.

وَجَوَّزَهُ آخَرُونَ لِمَنْ كَانَ عَالِمًا بِعُلُومٍ:

أَحَدُها: اللُّغَةُ؛ لأَنَّ بِهَا يَعْرِفُ شَرْحَ مُفْرَدَاتِ الأَلْفَاظِ وَمَدْلُولاتِهَا(١).

الثَّانِي: النَّحْوُ؛ لأَنَّ الْمَعْنَى يَتَغَيَّرُ وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الإِعْرَابِ فَلا بُدَّ مِنَ اعْتِبَارِهِ(٢). واللغة العربية الصحيحة نجدها في المعاجم والقواميس وفي كتب الأدب القديمة، وفي أمالي القدماء ككتب الجاحظ، وابن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرهما من أئمة اللغة والبيان، وفي حديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة من باب أولى.

الثَّالِثُ: التَّصْرِيفُ: وَلَمْ يَذْكُرْهُ بَعْضُهُمْ، وَهُوَ الأَصْوَبُ(٣)؛ لأنه ليس محتاجًا إليه المفسرُ احتياجًا شديدًا يتوقف الأمرُ عليه، إنما إن عرفه فهو خيرٌ، وإن جهل معظمَه فليس عليه شيءٌ إن شاء الله.

وَوَجْهُ مَنْ ذَكَرَهُ أَنَّ بِهِ تُعْرَفُ الأَبْنِيَةُ وَالصِّيَغُ.

الرَّابِعُ: الاشْتِقَاقُ؛ لأَنَّ الاسْمَ إذا كَانَ اشْتِقَاقُهُ مِنْ مَادَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ اخْتَلَفَ

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢١٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (٤/ ٢١٣).

(٣) قال الزركشي: وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر. انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٢٩٧).

الْمَعْنَى بِاخْتِلافِهِمَا؛ كَالْمَسِيحِ؛ هَلْ هُوَ مِنَ السِّيَاحَةِ أَوِ الْمَسْحِ[١]. يختلف المعنى في كلمة المسيح باختلاف الاشتقاق، أهو من المسح على الأَكْمَهِ والمريضِ أو من السياحة؟

الْخَامِسُ: الْمَعَانِي؛ لأَنَّ بِهِ تُعْرَفُ خَوَاصُّ تَرَاكِيبِ الْكَلامِ مِنْ جِهَةِ إِفَادَتِهَا[٢].

المعاني: أقسام الكلام من خبر وإنشاء، وذكرنا الخبر والإنشاء، وذكرنا التصريف وعلم اللغة والنحو بالتفصيل في المقدمة، فما ذكرناه سابقًا لن نُعِيدَ ذِكْرَهُ مرةً أخرى على التفصيل المتقدم، لكنى أقول: إنَّ المعاني هو الخبر والإنشاء؛ لذلك يقول: به تُعرف خواصُّ تراكيب الكلام من جهة إفادتها، أي: إفادتها للخبر أم للإنشاء، فإذا كنت تقرأ كتابًا ومررت فيه بأسلوبُ نَهْيٍ أو استفهام، فلا بد أن تبين ذلك، وهذا من مهارة القارئ، ألَّا يقرأ الكتابَ قراءةً واحدةً بأسلوب واحد وبنبرة صوتية واحدة، إنما إذا مر بسؤال يُغَيِّرُ طريقةَ كلامه، كذلك إذا مر باستفهام أو نهيٍ أو أمرٍ أو رجاءٍ أو تَمَنٍّ.... إلخ أقسام الإنشاء، فإنه يغير من طريقة نبرته ودرجة صوته، من أَجْلِ أن يفهمَ السامعُ الكلامَ.

السَّادِسُ: الْبَيَانُ: لأَنَّ بِهِ يُعْرَفُ خَوَاصُّ التَّرَاكِيبِ مِنْ حَيْثُ اخْتِلافُهَا بِحَسَبِ وُضُوحِ الدَّلالَةِ وَخَفَائِهَا[٣]. اختلاف المعاني أو الأساليب يُفيد توضيح أو خفاء قَصْدِ المتكلم، على ما جرى قبل ذلك من تفصيلٍ؛ لذلك هو يقول: (به يُعرف

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢١٤).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢١٤).

(٣) فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان. انظر: مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ١٦٢).

خواصُّ التراكيب من حيث اختلافُها بحسب وضوح الدلالة وخفائها)، التشبيه والمجاز والاستعارة تُقَرِّبُ المعنى أو تبعده بحسب قصده من تورية أو تصريح أو كناية أو تعريض.... إلخ ما ذكر قبل ذلك.

السَّابِعُ: الْبَدِيعُ: لأَنَّ بِهِ يُعْرَفُ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ[١]. أي: تحسين وَقْعِ الكلام على أُذُنِ السامع، نحو: الجناس، والمقابلة، والترصيع، وما تكلمنا في هذا قبل ذلك من الفَوَاصِل، هذا ما يُعْرَفُ بالبديع.

وهذا البديع يتَعَلَّق بظاهر الكلمات ولا يدخل في المعاني، فالمعاني لها شيء آخر، إنما نتكلم في وَقْعِ ظاهِرِ الكلامِ على الإنسان، فيتأثر الإنسان من هذه الأساليب أساليب القرآن؛ لأنها تقع على أذنه موقعًا حَسَنًا، وهذا ما يسميه بعض الناس: (موسيقى القرآن).

وأنا أعترض على هذه التسمية؛ للأسباب التالية:

السبب الأول: لأن كلمة موسيقى تُوهم الآلاتِ المشهورةَ المعروفةَ اليومَ بينَ الناسِ، وهو غيرُ ذلك، مثل ما يقال مثلًا: فاصلٌ مُوسِيقِيٌّ؛ لأن الموسيقى عِلْمٌ بكيفية إيقاع الكلام على أُذُنِ الإنسان، ويساعده في ذلك الآلاتُ[٢]؛ لذلك كانت كُتُبُ الأقدمينَ تُرَتَّلُ وَتُلَحَّنُ بالآلات، بعد أن وقع عليها ما وقع وأصابها ما أصابها، فكان الناس يتقربون إلى مَتْبُوعِيهِمْ بالآلات الموسيقية، فيقرؤون كتبَهم بالآلات الموسيقية، وهذا مُتَّبَعٌ إلى الآن في الكنائس، بأن تصحب القسَّ والراهبَ فرقة موسيقية في شرحه لكتابه، أو في قراءته لآيات كتابه الْمُحَرَّفِ،

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (١/ ٥٠).

(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ١٩٠٢).

فتجعل له وَقْعًا لم يكن كذلك بدونها، وهذا أمرٌ مُهِمٌّ، لذلك داود عَلَيْهِ السَّلَامُ رزقه الله تبارك وتعالى صوتًا جميلًا رائعًا، تُرَجِّعُ معه الجبال والطيور من شدة جمال صوته، ولَمَّا أراد رسولُ الله ﷺ أن يضرب لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلًا بجمال صوته قال: «قَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[١]، فإن داودَ عليه الصلاة والسلام كان قد أوتي صوتًا رائعًا جميلًا يتقرب بهذا الصوت الجميل إلى آذان السامعين، فكانوا يتأثرون جِدًّا عندما يأخذ داود في التلاوة، ولأهل الكتاب في وصف التأثير الذي يتركه داود عليه الصلاة والسلام في آذان السامعين شيءٌ لا آتِي به هاهنا، إنما هو شيء عظيم، من أراده فليرجع إليه في التفاسير[٢]، لكني أقول: إن القرآن في غنًى عن هذا؛ لذلك جاءت فواصلُه على طريقةٍ وعلى وَقْعٍ في الآذان يفوق كثيرًا وَقْعَ الآلاتِ الموسيقيةِ في الآذان، اسمع القرآنَ من رجل حسن الصوت يحسن الوقفَ ويحسن الابتداءَ لا شكَّ أن الإنسان يتأثر لذلك جِدًّا، وإنما لم نتأثر تأثر القُدَامَى وَتَأَثُّرَ الصحابة وَالسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنه قد ضَعُفَتْ ملكتنا في العربية، وضعفت سَلِيقَتُنَا جِدًّا وتَذَوُّقُنَا للعربية، لذلك لا نتأثر ولا نهْتَزّ اهتزاز القُدَامَى عندما يُتلى عليهم كتابُ الله تبارك وتعالى، فكانوا يتأثرون بمعانيه، وكانوا يتأثرون لِوَقْعِ كلامه في الآذان، وورد في هذا آثار كثيرة.

السبب الثاني: لأنها كلمةٌ غيرُ عربيةٍ، فاللفظة يونانية[٣]، ويجدر بنا نحن أن نستعمل كلامَ العرب ومفرداتِهم ومصطلحاتِهم.

السبب الثالث: تَأَدُّبًا مع كتاب الله تبارك وتعالى، يُستحسن ألا تُطْلَقَ هذه

(١) متفق عليه: البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (٣/ ٤١٦).

(٣) انظر: مفاتيح العلوم، السكاكي (ص ٢٥٩).

الكلمةُ (موسيقى القرآن)، بل وَقْع القرآن على الآذان أو على النفوس أَوْلَى -والله أعلم- من التعبير بـ: موسيقى القرآن.

الثَّامِنُ: عِلْمُ الْقِرَاءَات؛ لأَنَّ بِهِ تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ النُّطْقِ بِالْقُرْآنِ، وَبِالْقِرَاءَاتِ تُرَجَّحُ بَعْضُ الْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةِ عَلَى بَعْضٍ[1]. وهذا ذكرناه قبل ذلك.

التَّاسِعُ: عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ؛ لِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ بِظَاهِرِهَا عَلَى مَا لا يَجُوزُ عَلَى اللهِ، فَالْأُصُولِيُّ يُؤَوِّلُ ذَلِكَ وَيَسْتَدِلُّ عَلَى مَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجِبُ وَمَا يَجُوزُ[2].

أصول الدين يقصد به أمور العقائد[3]، وتكلمتُ قبل ذلك على التأويل فيها بما لا داعيَ للمزيد فيه، وقد قلتُ إجمالًا: إن السلفَ رضي الله عنهم قد أَمَرُوا بأن تُمَرَّ جميعُ الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات كما جاءت ولا تُناقش، ولا تُعْرض على الأفهام، ولا تُعْرض على الأذهان ولا على العقول؛ لأنها فوقَ عقولنا وأذهاننا؛ لذلك قالوا: أَمِرُّوهَا كما جاءت، وهو الأسلم والأحكم إن شاء الله تعالى.

الْعَاشِرُ: أُصُولُ الْفِقْهِ؛ لأَنَّ بِهِ يُعْرَفُ وَجْهُ الاسْتِدْلالِ عَلَى الأَحْكَامِ وَالاسْتِنْبَاطِ. لأن الأصول تَدُلُّنَا على الأحكام الشرعية من أدلتها الإجمالية[4]، بينما الفقه استنباطات الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية الدقيقة[5]، والأصول

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢١٥).
(٢) انظر: المرجع السابق (٤/ ٢١٥).
(٣) انظر: الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب (ص١٣٠).
(٤) انظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول، الإسنوي (ص ١٥).
(٥) انظر: نهاية الوصول إلى علم الأصول، الساعاتي (١/ ٦).

قواعدُ كبرى تُوضع ثم يُسْتَنْبَطُ منها ويُقاس عليها، وَيُدْخَلُ تحتها الأحكامُ.

الْحَادِي عَشَرَ: أَسْبَابُ النُّزُولِ وَالْقَصَصُ؛ إِذْ بِسَبَبِ النُّزُولِ يُعْرَفُ مَعْنَى الآيَةِ الْمُنَزَّلَةِ فِيهِ بِحَسَبِ مَا أُنْزِلَتْ فِيهِ.

الثَّانِي عَشَرَ: النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ؛ لِيُعْلَمَ الْمُحْكَمُ مِنْ غَيْرِهِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: عِلْمُ الْفِقْهِ.

الرَّابِعَ عَشَرَ: الأَحَادِيثُ الْمُبَيِّنَةُ لِتَفْسِيرِ الْمُجْمَلِ وَالْمُبْهَمِ.

الْخَامِسَ عَشَرَ: عِلْمُ الْمَوْهِبَةِ، وَهُوَ عِلْمٌ يُوَرِّثُهُ اللهُ لِمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ[1]، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِحَدِيثِ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». هذا رواه أبو نُعيم في (حلية الأولياء)[2] عن أنس وضعفه أبو نعيم، وقيل بأنه ليس بحديث، وأنه من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام، وقيل بأنه من كلام أحد أئمة السلف، وقيل: غير ذلك[3]، فالكلام فيه كثير.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: (وَعُلُومُ الْقُرْآنِ وَمَا يُسْتَنْبَطُ مِنْهُ بَحْرٌ لا سَاحِلَ لَهُ)[4].

قَالَ: فَهَذِهِ الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ كَالآيَةِ لِلْمُفَسِّرِ لا يَكُونُ مُفَسِّرًا إِلَّا بِتَحْصِيلِهَا، فَمَنْ فَسَّرَ بِدُونِهَا كَانَ مُفَسِّرًا بِالرَّأْيِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَإِذَا فَسَّرَ مَعَ حُصُولِهَا لَمْ يَكُنْ مُفَسِّرًا بِالرَّأْيِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ.

قوله: كالآية للمفسِّر: الآية في اللغة بمعنى العلامة[5]؛ أي: كالعلامة للمفسر

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢١٥).

(٢) انظر: حلية الأولياء (١٠/ ١٤).

(٣) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم (١٠/ ١٥).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢١٦).

(٥) انظر: العين، الخليل بن أحمد (٨/ ٤٤١).

الصحيح الحاوي للعلوم الصحيحة للتفسير، فَإِنْ حَوَاهَا لم يكن مفسرًا برأيه، وإلا كان كذلك.

ويمكن أن يكون الكلام قد وقع فيه تحريف، ويكون الصواب: (كالآلة للمفسر)، لكن هذه العلوم فيها أحاديث وفيها غيرها فيطلق عليها كلها علوم الآلة فيصح أن يكون اللفظ كالآلة للمفسر. لكني دائمًا أميل إلى إبقاء النص كما هو إن استطعنا أن نجد لذلك وَجْهًا، والوجهُ هنا في قوله: (كالآية للمفسر)، أي: كالعلامة الفارقة للمفسر، والله أعلم.

قَالَ: وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ كَانَ عِنْدَهُمْ عُلُومُ الْعَرَبِيَّةِ بِالطَّبْعِ لَا بِالاكْتِسَابِ، فما كانوا يحتاجون مثلنا إلى تعلم علوم النحو: الفاعل والمفعول والبدل والمبدل منه؛ لأنهم ما كانوا يعرفونها أصلًا، إنما كانت سليقتهم متكفلة بذلك، وَاسْتَفَادُوا الْعُلُومَ الْأُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَلَقَّوْهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قُلْتُ: وَلِهَذَا كَانَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعُ فِيهِ هَذَا الْكِتَابُ مُسْتَمَدًّا مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ، وَأَنْوَاعُهُ مَأْخُوذَةٌ مِنْهُ.

وَمَنْ أَتْقَنَ الْأَنْوَاعَ الْمَذْكُورَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ حَصَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَرُومُهُ[١] وَلَمْ يَحْتَجْ مَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ.

وَلَعَلَّك تَسْتَشْكِلُ عِلْمَ الْمَوْهِبَةِ، وَتَقُولُ: هَذَا هُوَ شَيْءٌ لَيْسَ فِي قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ تَحْصِيلُهُ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَنْتَ مِنَ الْإِشْكَالِ. وَقَدْ خَطَرَ لِي تَشْبِيهُهُ بِقَوْلِهِمْ فِي حَدِّ الْمُجْتَهِدِ: هُوَ فَقِيهُ النَّفْسِ؛ أَيْ: شَدِيدُ الْفَهْمِ بِالطَّبْعِ لِمَقَاصِدِ الْكَلَامِ بِحَيْثُ يَقْدِرُ عَلَى الِاسْتِنْبَاطِ.

---

(١) أي: حصل له ما يطلبه. انظر: مجمل اللغة، لابن فارس (٤٠٨).

التفسير لا يتعرض له إلا إنسانٌ ذكي فَهِمٌ لَقِنٌ ثَقِفٌ، أما الإنسانُ الذي في فهمه شيءٌ، أو في مستوى ذكائه شيء، فهو عَسِرُ الفَهْمِ بطيءُ الفَهْمِ فلا يصحُّ أن يتعرض لكتاب الله تبارك وتعالى، كما كان يقول الفقهاء في حَدِّ الفقيه المجتهد: أن يكون فقيهَ النفس[1]، فاهمًا لمقاصد الكلام ومراميه[2]، فاهمًا بأمور عصره وبوضع مجتمعه وأمور زمانه عارفًا بها، فهذا يَحِلُّ له الاجتهادُ، أما مَنْ لم يكن يعرف ذلك، ولا يعرف مقاصد الكلام ولا مراميَه، ولا وضعَ زمانه ولا حاله، ولا يعرف ما الناس فيه من خير أو شر، فهذا كيف له أن يجتهد؟!

وَمِمَّنْ لا يُقْبَلُ تَفْسِيرُهُ الْمُبْتَدِعُ خُصُوصًا الزَّمَخْشَرِيَّ فِي كَشَّافِهِ.

المبتدع المعلنُ بدعتَه، والمتظاهرُ بها الذي لم يسترها، والداعي إليها لا تُقْبَل روايتُه، ولا يقبل تفسيرُه[3]، ولا يقبل منه كلامُه في العلم؛ لأنه قد يَدُسُّ في كلامه في العلم ما يؤيد مذهبَه وَيُرَجِّحُ طريقتَه، أما المستتر فقد قَبِلَ منه السلفُ كلامَه وروايتَه، فقد أخرج الإمام البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه عن عدد منهم[4]، وأخرج الأئمة في كتبهم عن عدد من المبتدعة الذين لم يُعلنوا عن بدعتهم ولم يظهروها ولم يَدْعُوا الناس إليها، أما المعلن وغير المستتر فليس له إلا أن يُرَدَّ عِلْمُهُ عليه، وترد روايتُه عليه؛ لأنه قد يُدْخِلُ فيها ما ليس منها[5]، خصوصًا

---

(١) انظر: المستصفى، أبو حامد الغزالي (ص ٣٤٥).

(٢) أي: مقاصد الكلام. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٧٥).

(٣) رواية المبتدع محل خلاف بين العلماء، فمنهم من قبلها مطلقًا، ومنهم من ردها، ومنهم من فصل فقبل رواية غير الداعي إلى بدعته، وترك رواية الداعي إليها. انظر: معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح (ص ١١٤).

(٤) انظر: رسوم التحديث في علوم الحديث، الجعبري (ص ١٠٢).

(٥) هذه القضية محل خلاف بين العلماء. انظر: معرفة أنواع علوم الحديث، لابن الصلاح (ص ١١٤).

الزمخشريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه كان يعلن الاعتزال ويُظْهِرُه على الناس(١)، بل إنه عندما كان يذهب إلى أصحابه يدق الباب عليهم، فعندما يسألون من؟ يقول: محمود المعتزليُّ(٢).

وقد صرح في بداية كتابه أن طائفته وأهلَ مذهبه هم الطائفة العدلية الناجية(٣)، وبئس ما قال! إنما الطائفة الناجية هي مَنْ كانت على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهذا الرجل في التفسير خاصةً قد رد كثيرًا من الأحاديث، وأساء الأدب في عدد من أحاديث رسول الله ﷺ، حتى إن هناك حديثًا في الصحيحين وهو أن رسول الله ﷺ أخبر بأن: «كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِنَّمَا يَبْكِي لأَجْلِ نَخْسِ الشَّيْطَانِ لَهُ»(٤) ينخسه الشيطانُ إذا وُلِدَ، فكان يقول: لو كان هذا صحيحًا لَمُلِئَتِ الدنيا صُرَاخًا(٥)، الرسولُ ﷺ يقول: «إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ»(٦) فإن الشيطان لم ينخسه ساعةَ الولادة، فكيف يرد حديثَ رسول الله ﷺ هذا وهو في الصحيحين، ومثل هذا لا يُرَدُّ به على رسول الله ﷺ. وأحاديثُ كثيرةٌ رَدَّهَا على هذا المنوال؛ لذلك كان الأئمة يبتعدون عن إقراء كتابه.

فَقَدْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنْ إِخْرَاجِ الآيَاتِ عَنْ وَجْهِهَا إِلَى مُعْتَقَدِهِ الْفَاسِدِ بِحَيْثُ يَسْرِقُ الإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ. وَأَسَاءَ فِيهِ الأَدَبَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ فَضْلًا عَنِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ. لذلك قَيَّضَ اللهُ تبارك وتعالى له شيخًا

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٠/ ١٥٦).
(٢) لم أعثر على من ذكر هذه اللفظة.
(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١/ ٣).
(٤) متفق عليه: البخاري (٤٥٤٨)، مسلم (٢٣٦٦).
(٥) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١/ ٣٥٧).
(٦) متفق عليه: البخاري (٤٥٤٨)، مسلم (٢٣٦٦).

يسمى: ناصرَ الدين بن الْمُنَيِّرِ، الإسْكَنْدَرِيُّ المصري[١]، فكما أن الزمخشري قد أطال لسانَه في الأئمة وفي حقهم، وأساء الأدبَ مع عدد من أنبياء الله تبارك وتعالى، فإن الله تبارك وتعالى قد سَخَّرَ له شيخًا عجيبًا في لسانه، وعجيبًا أيضًا في فَهْمِهِ، ثَقِفًا[٢] لَقِنًا[٣]، قرأ كتابَه وأخرج منه الاعتزالَ بالمناقيش كما قال هو، فإن الزمخشري قد صرح بالاعتزال نصرةً لمذهبه في عدد من المواضع في تفسيره، أتى عليها كلها تقريبًا هذا الرجل رَحِمَهُ اللَّهُ: ناصر الدين بن الْمُنَيِّرِ، رجل إسكندري مالكي مصري، وهو مطبوع في حاشية الكشاف[٤]، والكشاف مطبوع عدةَ طبعات، قد تخلو بعضُ الطبعات من حاشية ابن المنير وقد تثبت في بعضها الآخر فمن أراد الكشافَ فليأخُذه بحاشيتين على الأقل: حاشية ابن المنير، وحاشية الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حيث خَرَّجَ أحاديثَ الكشاف، وسماه: «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف»[٥]، هاتان حاشيتان لا بد منهما لمن يشتري هذا الكتاب.

وهو يأتي بكلامٍ دقيق في الاعتزال في موضع لا يظنه الظانُّ أنه يتكلم فيه على مذهبه، ومما تكلم عليه -فيما أظن- قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس: ٢٦] قال ما معناه: إن أعظم مِنَنِ الله تبارك وتعالى على

(١) انظر: فوات الوفيات، الصفدي (١/ ١٤٩).

(٢) الثقف: الفطن. انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري (٣/ ٣٢٥).

(٣) اللقن: الحسن التلقن لما يسمعه. انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري (٣/ ٣٢٥).

(٤) الكشاف بحاشية ابن المنير.

(٥) لخصه من تخريج الزيلعي وزاد عليه ما أغفله من الأحاديث المرفوعة التي ذكرها الزمخشري بطريق الإشارة والآثار الموقوفة؛ فإنه ترك تخريجها إما عمدًا وإما سهوًا. انظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، الكتاني (ص ١٨٦).

الإنسان دخوله الجنة[١]. وإنما قال ذلك؛ لكي ينفيَ رؤيةَ الله تبارك وتعالى في الآخرة، والمعْلُوم أن الحسنى في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى) الجنة، وأن الزيادة: هي رؤية الله تبارك وتعالى كما يعتقد أهل السنة والجماعة، فلأن الرجل يقول بنفي الرؤية كسائر المعتزلة قال: إن أعظم مِنَّةٍ من الله تبارك وتعالى على عباده إدخالهم الجنة، أو كلامًا هذا معناه، فمثل هذا يقرؤه الإنسان ولا ينتبه أنه يريد أن ينفي رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة؛ ولا ينتبه إلى أن هنا موضعًا فيه نصرة لمذهبه الاعتزالي.

وَقَدْ أَحْسَنَ الذَّهَبِيُّ إِذْ ذَكَرَهُ فِي الْمِيزَانِ، وَقَالَ: كُنْ حذِرًا مِنْ كَشَّافِهِ[٢]، وَأَلَّفَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ: «الانْكِفَاف عَنْ إِقْرَاءِ الْكَشَّافِ»[٣] ذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ عَقَدَ التَّوْبَةَ مِنْ إِقْرَائِهِ وَتَابَ إِلَى اللهِ فَلَا يَقْرَؤُهُ وَلا يَنْظُرُ فِيهِ أَبَدًا؛ لِمَا حَوَاهُ مِنَ الإِسَاءَةِ الْمَذْكُورَةِ.

قَالَ: وَقَدِ اسْتَشَارَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ نُسْخَةً وَيَحْمِلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَشَرْتُ عَلَيْهِ بِأَنْ لا يَفْعَلَ حَيَاءً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُنْقَلَ إِلَى بَلَدٍ هُوَ فِيهَا كِتَابٌ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِجَنَابِهِ ﷺ، عَلَى أَنَّهُ آيَةٌ فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الْبَلاغَةِ وَالإِعْجَازِ لَوْلا مَا شَانَهُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ بِحَمْدِ اللهِ غُنْيَةٌ فِي هَذَا النَّوْعِ.

معلومٌ أن البيضاويَّ سار على نهج الزمخشري، واختصر مواضع من كتاب

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٢/ ٣٤٢).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي (٤/ ٧٨).

(٣) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ٩٧٥).

الزمخشري، وتخلص مما فيه من الاعتزال[١]، وتفسير البيضاوي عليه حواشٍ كثيرة جِدًّا لا يعلمها إلا الله! مَنْ أراد أن يستقصيَها فَلْيَرْجِعْ إلى كتاب حاجي خليفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ «كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون»[٢] يَرْجِع إلى كلمة حاشية وينظر في حواشي البيضاوي، وهو تفسير مختصر.

وَلَا يُقْبَلُ مِمَّنْ عُرِفَ بِالْجِدَالِ[٣] وَالْمِرَاءِ[٤] وَالتَّعَصُّبِ[٥] لِقَوْلٍ قَالَهُ وَعَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا ظَهَرَ لَهُ. أصعبُ شيء التعصبُ، سواءٌ كان في الفقه أو الحديث أو التفسير، فلا مانع للإنسان أن يختار مذهبًا فقهيًّا ويسير عليه، بل كان الأئمة يُفَضِّلُون للإنسان أن يختار مذهبًا فقهيًّا يُدَرِّبُ نفسَه في الفِقْهِ على منواله وعلى أَثَرِهِ وطريقته؛ لأن طالب العلم المتوسط، بل كثير من طلبة العلم المتقدمين لا يستطيعون الاستقلالَ بآرائهم الفقهية، إنما يحتاجون إلى كتب السلف رحمهم الله تعالى في هذا المقام، وَكُتُبُ السلفِ الفقهيةُ إنما تنقسم إلى كتب المذاهب المعروفة المشهورة في الأسواق، فلا مانعَ للإنسان أن ينسج على منوال مذهب فقهي؛ لأن مصنفه لا يشذ في آرائه، ولا يخرج عن الإجماع، ولا يأتي بآراء غريبة، ولا يأتي بآراء منكرة ولا بآراء قد أوسعها الأئمة نقاشًا وبحثًا

---

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (١/ ١٨٦)، التفسير والمفسرون، د. الذهبي (١/ ٢١١).

(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (١/ ٢٨٨) وما بعدها.

(٣) الجدال: عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ٧٥).

(٤) المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير. انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ٢٠٩).

(٥) التعصب: عدم قبول الحق عند ظهور دليله. انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمدي نكري (١/ ٢١٨).

ليبتدع غيرها، فلا بأس في هذا، لكن عليه ألا يتعصب، إذا علم الحق أو غلب على ظنه أن الحق عند فلان مما ليس عنده فلا بأس أن يتبع فلانًا هذا، أما التعصب وكبتُ النفسِ على اتباع شيء معين فهذا لم يرضَ به الأئمة ومن دونهم رحمهم الله تعالى، فعلى الإنسان ألا يتعَصَّبَ في مسائل الفقه، ومسائل الحديث والتفسير وغيرها إذا عَلِمَ أَنَّ الحَقَّ عند فلان، بل عليه أن يرجع إلى كلامه إن كان عنده إنْصَافٌ.

ويجب على عارض الحق أيضًا أن يعرضه بطريقة جميلة، ليس فيها شدة، وليس فيها إثارة أَنَفَةٍ(١)، وإثارة حَمِيَّةٍ(٢)؛ لئلا تأخذ ذلك الرجلَ العزةُ بالإثم، فيمتنع عن قبول الحق، فينبغي للإنسان العاقل أن يعرضَ ما عندَه من حق بلطف ورِوِيَّة(٣) وأدب حتى يَسْهُلَ تقبلُ الناس له، أما إن عرضه بفظاظة(٤) وغلظة فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عِمۡرَانَ: ١٥٩] ليس هناك حقٌّ بعد الحق الذي مع رسول الله ﷺ، حق واضح صريح لم يختلف فيه اثنان من المسلمين، ومع ذلك قال الله تبارك وتعالى له: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾؛ لذلك ينبغي على الإنسان أن يتلطف مع الناس خاصة في هذه الأزمان.

وَلَا مَنْ يُقَدِّمُ الرَّأْيَ عَلَى السُّنَّةِ، وَلَا مَنْ عُرِفَ بِالْمُجَازَفَةِ وَعَدَمِ التَّثَبُّتِ، أَوْ

---

(١) العزة والحمية. يقال: أنف من الشيء يأنف أنفًا إذا كرهه وشرفت نفسه عنها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٧٦).

(٢) الحمية: الأنفة والغضب. الكليات، الكفوي (ص ٤٠٩).

(٣) قال في الصحاح (٦/ ٢٣٦٤): والروية أيضا: التفكر في الأمر.

(٤) الفظاظة: هي القسوة، وما تصرف منها. انظر: حصر حرف الظاء، الحداد المهدوي (ص ٢١).

بِالْجُرْأَةِ وَالإِقْدَامِ عَلَى اللهِ وَقِلَّةِ الْمُبَالاةِ. الجزاف: هو الأخذ العشوائيُّ من الشيء[١]، فكأنه يلقي بأفكاره جزافًا، فلا يهتم، ولا يتفكر، ولا يبالي بأن يَتَرَيَّثَ، فمن كان هذا شأنه فهو خطر على العلم، فعلى الإنسان أن يتثبت، كما قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ: «بَقِيتُ أتفكر في الحديث المتواتر: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» نَيِّفًا وثلاثين سنةً»[٢]، انظر كيف كان الأئمة يفكرون ويتريّثون، مع عدم السرعة في الكلام والجواب وعدم الجرأة على الله! أما الذي لا يخشى الله، ولا يخشى أنه قد يعاقبه الله تبارك وتعالى؛ لأنه يقول برأيه، فهذا مجازف.

وَمِنَ الْمَطْعُونِ فِيهِمْ: جُبَيْرٌ[٣]، وَالْعَوْفِيُّ. الْعَوْفي هذا الذي ذكره هو مِنْ أَهْلِ القرن الثاني، وطُعِنَ في الْعَوْفِيِّ لأجل ضعف عنده[٤]. وقد حَسَّنَ له الإمامُ الترمذيُّ رَحِمَهُ اللهُ في جَامِعِهِ فيما أخرجه عنه[٥]، إنما هو ممن يؤخذ حديثُه على وجه الاعتبار والاحتجاج، لكنه ليس بمطعون فيه بمعنى أنه كذاب أو متهم بالكذب، أو متروك، أو ضعيفٌ جِدًّا، فهو ليس كذلك.

وَالْكَلْبِيُّ، وحاله مشهور[٦]، **وَمُقَاتِلٌ**[٧]، هو ممن روى التفسير وروى التاريخَ، وكان الأئمة يأخذون عنه في التاريخ، ويأخذون عنه في التفسير أيضًا، لكن يتركون حديثَه، وإنما كانوا يأخذون التفسيرَ ويأخذون التاريخَ دون

---

(١) تاج العروس، الزبيدي (٢٣/ ٨٤).
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٦).
(٣) هو جبير بن نفير الحضرمي الحمصي، توفي سنة ٨٠ هـ.
(٤) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي (٣/ ٧٩).
(٥) انظر: سنن الترمذي (٢/ ٣٤٢) رقم (٤٧٧).
(٦) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص٤٧٩).
(٧) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ٢٠١).

الحديث؛ لأنه صعب أن تحاكم التواريخ كما تحاكم الأحاديث؛ وقد صنف أحدُ المصنفين قريبًا كتابًا أخرج فيه السيرة النبوية الصحيحة، فأتى بشيء جيد، لكن هذا المنهج لا يلائم أخبارَ السيرة، وأخبارَ ما فيها من تفاصيل؛ لأنه غَضَّ الطرفَ عن كثير من الأخبار النبوية التي اشْتُهِرَتْ بين الناس. والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «ثلاثة ليس لها أصلٌ: التفسيرُ والتاريخُ والْمَغَازِي»[١]. فأصلُ البيتِ أساسُه، وأصلُ هذه الأخبار الإسنادُ؛ لذلك التفسير والتاريخ والملاحم والمغازي ليس لها أصلٌ، أي: في الغالب، أو في الأعم، وإلا فالتفسيرُ مرويٌّ بآثارٍ مُسْنَدَةٍ من أئمة المفسرين كابن جرير، والبغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وابن أبي حاتم... إلى الصحابة والتابعين، لكن الأغلب في أحوال التفسير والتاريخ والمغازي أنها ليس لها سندٌ، إنما تَقَبَّلَهَا الناسُ ورووها، ومحمد بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ممن يَحْسُنُ حديثُه[٢]، وقد روى كثيرًا من السُّنَّةَ النبويةَ بدون إسناد، إنما قال: بلغني عن جماعة من أهل المدينة، بلغني عن جماعة من أهل العلم...

وأكثر تفاصيل أخبار السيرة على هذا المنوال، وإلا فنحن نعرف عن غزوة بدر بالمقطوع به وهو القرآن العظيم المتواتر، لكن بعض تفاصيل الغزوة لم تأتِ فيها أخبارٌ بأسانيد ثابتة، إنما أتى فيها أخبار بأسانيدَ واهيةٍ، وكثير أخبارها لم يَرِدْ فيها أسانيدُ، كصنيع ابن إسحاق في سيرته، وتلميذه ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سيرته المشهورة، فإنه لم يأتِ بأسانيد، بل أكثر ما قاله: بلغني عن أهل العلم، وحصل كذا، وحصل كذا، بالتعليق للأخبار، وهذا منهجٌ لا بأسَ به؛ لأن هذه

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي (٢/ ١٦٢).

(٢) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ٤٦٧).

الأخبار اشتهرت عند أهل العلم، وتداولوها فيما بينَهم، فليس عليهم جُناح أن يَرْوُوهَا هكذا.

أما الأحاديث فأمرها مختلف؛ لأنها أشياء تُرْوَى عن رسول الله ﷺ فيحتاج المرء إلى التَّثَبُّتِ. والضجة الكبيرة المثارة في تحقيق الأخبار التاريخية ليست صائبة عندي؛ لأن ذلك لا ينبني عليه عملٌ كبيرٌ، إنما الذي يحصل أننا نضيع ثلاثةَ أرباع أخبار السيرة الشريفة بهذا الصنيع كما أخرج ذلك العالِم حفظه الله السيرة النبوية الصحيحة على هذا المنوال، فإن مَنْ تَصَفَّحَهَا يرى أن كثيرًا من الأخبار المشهورة ليست هناك؛ لأنه التزم ألا يُخْرِجَ خَبَرًا إلا بسندٍ صحيح، فالدعوة بوجوب كتابة التاريخ على قواعدِ المحدثين دعوى فيها غُلُوٌّ في ظني والله أعلم. ويخالفها ما قبله السلف من محمد بن إسحاق في القرن الخامس عشر، والمسألة طويلة، لكن هذه رؤوسها لمن شاء أن يعلمها.

وَالسُّدِّيُّ الصَّغِيرُ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ، بِخِلَافِ الْكَبِيرِ وَاسْمُهُ: إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. السدي الكبير صَالِحٌ للاحتجاج وحديثُه حَسَنٌ[(١)]، أما السُّدِّيُّ الصغير وهو محمد بن مروان، فهو مُتَّهَمٌ بالكذب[(٢)]، خاصة السُّدِّيَّ عن مقاتل عن الكلبي، وهذه تُسَمَّى: سلسلةَ الكذبِ، فكما أن هناك سلسلة الذَّهَبِ، فهناك سلسلة الكذب كما يسميها بعضُ المحدثين[(٣)].

---

(١) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ١٠٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٥٠٦).

(٣) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي (١/ ١٩٨).

ثُمَّ إِنَّ التَّفْسِيرَ عَنْ تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَرَدَ مِنْ طُرُقٍ، فَمِنْ جَيِّدِهَا: طَرِيقُ سَعِيد بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ نُوحٍ عَنِ ابْنِ قَيْسٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مُحَصَّنٍ عَنْهُ، وَطَرِيقُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْهُ هَكَذَا بِالتَّرْدِيدِ -أي: بالشك- وَرُبَّمَا يُجْزَمُ بِأَحَدِهِمَا فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ. وَطَرِيقُ مَالِكِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدٍ عَنْهُ -أي: ابن عباس- وَمِنْ وَاهِيهَا: طَرِيقُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ[١]. الكَلْبِيّ هو المتهم، وأبو صالح هذا كاتبُ الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ فقيه مصر، والذي يقول عنه الذهبي: اللَّيْثُ أَفْقَهُ مِنْ مَالِكٍ إلا أن الليث لم يُؤْتَ تلاميذَ ينشرون عِلْمَهُ. وأبو صالح هذا حديثُه حَسَنٌ[٢]، يقول ابن حجر في التقريب: رجل صدوق[٣]، أي: يكون حديثُه في الغالب حسنًا، فالتبعة ليست على أبي صالح وإنما على الكلبي في وهاء ذلك السند.

وَطَرِيقُ الضَّحَّاكِ عَنْهُ -أي: ابن عباس- مُنقَطِعَةٌ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ سَمَاعُهُ مِنْهُ، بَلْ قِيلَ: وَطَرِيقُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ كَذَلِكَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا سَمِعَ التَّفْسِيرَ مِنْ مُجَاهِدٍ أَوْ سَعِيدٍ عَنْهُ[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق (١/ ١٩٨).

(٢) قال الذهبي: بكل حال، فكان صدوقًا في نفسه، من أوعية العلم، أصابه داء شيخه ابن لهيعة، وتهاون بنفسه حتى ضعف حديثه، ولم يترك بحمد الله، والأحاديث التي نقموها عليه معدودة في سعة ما روى. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ٤٠٥).

(٣) انظر: تقريب التهذيب (ص ٣٠٨).

(٤) انظر: تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، لأبي زرعة (ص ٢٣٤).

الضحاك طريقه عن ابن عباس منقطع، ولم يعرف الأئمة مَنِ الواسطةُ بين الضحاك وابن عباس[١]، لكن لَمَّا عرف الأئمةُ الواسطةَ بين علي ابن أبي طلحة وبين ابن عباس فقالوا: هو إما مجاهد، أو سعيد بن المسيب قُبِلَ. فإن كانت الواسطةُ معلومةً، وكلاهما ثِقةٌ، بل من كبار الثقات، بل من جبال العلماء فلا يضر أن يقول عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ: قال ابنُ عباسٍ، فَعَلِيُّ ابنُ أَبِي طَلْحَةَ أحدُ مَنِ اعْتُمِدَ عليه في رواية التفسير، وجاءت روايتُه في الطبريِّ كثيرًا جِدًّا[٢]، وعند ابن أبي حاتم[٣]، وكثير من المفسرين اعتمدوا على طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وإنما تُرْوَى عن أبي صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس، هذه الطريق مشهورة جِدًّا في التفسير، واعتمد عليها البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه تعليقًا[٤].

فهذا النوع: مَنْ يُقْبَلُ تفسيرُه ومن يُرَدُّ، أي: في زمان المفسرين الذين وضعوا التفسيرَ، أما اليومَ فقد وُضِعَتِ الكتبُ، فلم يعد لإنسان طريقٌ إلا أن يبحث في الذي دُوِّنَ، فكُتُبُ السلفِ كُتِبَتْ وَدُوِّنَتْ، فَابْحَثْ فيها وَحَقِّقِ الطُّرُقَ.



(١) انظر: المراسيل، لابن أبي حاتم (ص ٩٤).

(٢) في ثلاثمائة وسبعة وستين موضعًا تقريبًا. انظر: تفسير الطبري.

(٣) في خمسمائة وخمسة تسعين موضعًا تقريبًا. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم.

(٤) أي: ذكر معلقات رويت من هذا الطريق. انظر: تغليق التعليق، لابن حجر (٢/ ٤٣٠) وغيرها.

النوع الثاني والتسعون: غرائب التفسير

هَـذَا النَّوْعُ مِـنْ زِيَـادَتِي، وَهُـوَ يُشْبِهُ مِـنْ عِلْـمِ الْحَـدِيثِ: الْمُنْكَـرَ أَوِ الْغَرِيـبَ، وَالْمُرَادُ بِهِ: مَا قِيلَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الأَقْوَالِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي لا يَحِلُّ حَمْلُ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا وَلا ذِكْرُهَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّحْذِيرِ مِنْهَا.

وَأَلَّـفَ فِيـهِ بَعْـضُ الْمُتَقَـدِّمِينَ كِتَابًا فِـي مُجَلَّـدَيْنِ وَهُـوَ: مَحْمُـودُ بْـنُ حَمْـزَةَ الْكِرْمَـانِيُّ فِـي حُـدُودِ الْخَمْـسِمِائَةِ. محمـود بـن حمـزة الكِرْمَـانِيُّ يُـدْعَى: تـاجَ القُرَّاءِ[1]، أَلَّفَ كتابًا اسمُه: «غرائب التنزيل وعجائب التأويل» هذا كتاب طبعته دار القبلة، بتحقيق الدكتور شِمْرَان الْعِجْلِي، وهو كتاب في مُجَلَّدَيْنِ كبيرينِ، وهذا الكتاب فيه عجائب وغرائب، يقول السيوطي عنه: (لا يَحِلُّ ذِكْرُهَا إلا على سبيل التحذير منها)[2]، فلا يحل ذِكْرُهَا لسببين: أن بعضها ليس لـه سندٌ في العربية تَصِحُّ به، والعربية هي من أعظم الأمور التي يُرْجَعُ إليها في تفسيرِ كتابِ اللهِ تبارك وتعالى، فبعد ما ورد ثابتًا عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين يُرْجَعُ للعربية، فإن لم يكن هناك وجهٌ في العربية لهذا التفسير الذي قال به ذلك الرجلُ، فلا يُقْبَلُ، خاصةً أنه ليس له أصل، لا بسند صحيح، ولا ضعيف، بل ولا موضوع، فنرجع إلى العربية، فإن أجازته العربيةُ بلا تكلف قُبِلَ، وإن لم تُجِزْهُ العربيةُ إلا بتكلف رُدَّ، وإن لم تجزه العربية أصلًا فحرام ذِكْرُهُ؛ فقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] قال قوم: يعني: العشقَ[3]، وهذه تجوز في العربية، أن الإنسان يفيض به العشق حتى لا يطيق تحمله فَيُجَنُّ،

---

(١) انظر: معجم الأدباء، الحموي (٦/ ٢٦٨٦).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢٣١).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢٣٢).

كمَجْنُون ليلى، وهو قيس الذي جُنَّ من جراءِ العشقِ[١]، وقد أتى الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (روضة المحبين)[٢] على أخبار قوم كذلك، وأتى الإمامُ ابنُ حزمٍ كذلك في (طَوْقِ الحمامةِ في الأُلْفَةِ والإيلاف)[٣] بأخبار مثل ذلك، وابنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أتى في كتابه (أخبار الحمقى والمغفلين)[٤] بأخبار من هذا النوع؛ لذلك لا يبعد في العربية هذا، لكنه لم يشتهر عن المفسرين، خاصةً أن لنزول هذه الآيات سببًا مشهورًا، عندما قال رسول الله ﷺ: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَلَا تَقُولُوا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا» فنزلت هذه الآياتُ[٥].

فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، قَالَ قَوْمٌ: يَعْنِي: الْعِشْقَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النَّمْل: ٢٣] قَالَ قَوْمٌ: فَرْجٌ عَظِيمٌ[٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق: ٣] قَالَ بَعْضُهُمْ: أَيْ: مِنْ شَرِّ الذَّكَرِ إِذَا قَامَ[٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشُّورَى: ١-٢] قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ يَنْزِلُ عَلَى نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْمَشْرِقِ يَبْتَنِي عَلَيْهِ مَدِينَتَيْنِ وَنَحْوَ ذَلِكَ[٨]. من الأقوال التي هي بعيدةٌ غريبةٌ، بعضُها لا يحل

(١) قيس بن الملوح، مجنون ليلى. انظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، الآمدي (ص٢٤٨).
(٢) مطبوع.
(٣) مطبوع.
(٤) مطبوع.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٥).
(٦) قاله الكرماني في «غرائب التنزيل وعجائب التأويل».
(٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ٢٣٢).
(٨) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦٤).

ذِكْرُهُ ليس له وجهٌ في العربية البتةَ، فهذه من الأمور التي لا يحل ذِكْرُهَا، ويُنتبه لها عندما تذكر في كتب المفسرين، لَكِنْ ذِكْرُ هذه الأقوالِ قليل جدًّا، بل يندر جِدًّا أن تُذْكَرَ، فليست عند ابن جرير ولا ابن أبي حاتم، ولا عند البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «معالم التنزيل» ولا عند كثير غيرهم. والله أعلم.

وَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ مِنْهَا؛ لِيَحْذَرَهَا الْمُفَسِّرُ وَلَا يُعَوِّلَ عَلَيْهَا، وَإِنْ وَقَعَ الأَوَّلُ مِنْهَا فِي تَفْسِيرِ الْكَوَّاشِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُعْتَمَدِينَ. الثقات، لَكِنْ في هذه ضَعْفٌ، وللأسف بعض المفسرين يقع في مثل هذه المواضع لأَجْلِ الغرابةِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهِ مَا اشْتُهِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] **فَقَدْ لَهَجَ الْعَوَامُّ بِأَنَّ مَعْنَاهُ: مُتَزَوِّجُونَ،** لَهَجَ: أي: أكثرَ مِنْ ذِكْرِ كذا. ليس هناك وجهٌ في العربية وليس هناك رواية حتى نقبل ذلك الكلامَ، فعلام اعتمد من قال بأن (مسلمون) معناها (متزوجون)؟!

وَهَذَا قَوْلٌ لَا يُعْرَفُ أَصْلًا، وَلَا يَجُوزُ الإِقْدَامُ عَلَى تَفْسِيرِ كَلَامِ اللهِ بِمُجَرَّدِ مَا يَحْدُثُ فِي النَّفْسِ أَوْ يُسْمَعُ مِمَّنْ لا عُهْدَةَ عَلَيْهِ. انْتَهَى. وَاللهُ أَعْلَمُ.



النوع الثالث والتسعون: معرفة المفسرين

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ مُهِمٌّ، وَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِيهِمْ طَبَقَاتٍ.

أَلَّفَ السيوطيُّ فيه «طبقات المفسرين»، وألَّف تلميذُه الدَّاوُدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «طبقات المفسرين» أيضًا، فطبقاتُ المفسرين المعروفةُ اليومَ هي للسيوطي وللداودي[١]، ولم يشتهر عن أُمَّةٍ من الأمم أنها اعتنت بتواريخ علمائها كأمة الإسلام، فعندَهم طبقاتُ المفسرينَ، وطبقاتُ أهلِ المذاهبِ، مثل: طبقاتِ الشافعيةِ[٢]، وطبقاتِ الحنابلةِ[٣]، وطبقاتِ المالكيةِ[٤]، وطبقاتِ الأحنافِ[٥]، وليست كتابًا واحدًا، بل عدةَ كُتُبٍ في طبقات أهل المذاهب، وطبقات فحول الشعراء[٦]، وطبقات الشعراء[٧]، وطبقات المؤرخين، وطبقات الفقهاء[٨]، والعلماء.

فَمِمَّنِ اشْتُهِرَ بِمَعْرِفَةِ التَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: الْخُلَفَاءُ الأَرْبَعَةُ، وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ

---

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ١١٠٧).

(٢) للسبكي وغيره. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ١٠٩٩).

(٣) لابن أبي يعلى.

(٤) لابن فرحون. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ١١٠٦).

(٥) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد القرشي. انظر: انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ١٠٩٨).

(٦) انظر: طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي.

(٧) انظر: طبقات الشعراء، لابن المعتز.

(٨) لأبي إسحاق الشيرازي، وغيره. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (٢/ ١١٠٥).

اللهِ مِنِّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لأَتَيْتُهُ)[١].

وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ الْبَحْرُ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ، فَقَدْ دَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[٢]، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (نِعْمَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ)[٣].

وَمِنَ التَّابِعِينَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ[٤]، فَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَسْأَلُهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَنْ تَفْسِيرِ آيِهِ، وَلِهَذَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ)[٥]. هناك تفسير مطبوع لأحد المشايخ حفظه الله جَمَعَ روايات مجاهد في الكتب الستة المشهورة، أظنه لم يتجاوزها، أو تجاوزها إلى التسعة التي في المعجم، وأخرج تفسير مجاهد في مجلدين مطبوعين، لكن تفسير مجاهد أعظم من ذلك وأوسعُ بكثير؛ لأنه قد فُقِدَ كثيرٌ منه مع مرور الزمان؛ لأنه -كما قال- قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثَ مراتٍ يسأله في كل مرة عن تفسير آيِهِ، والنصُّ الذي أعرفه: أنه يستوقفه عندَ كُلِّ آيةٍ فيسأله عن معناها، وفيمن نزلت، وأسبابِ النزولِ، فالمسألةُ أكبرُ من أن تكون في مجلدين، لكن الموجودَ في الأسواق مُجَلَّدَانِ.

وَمِنْهُمْ: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ[٦]، وَعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ[٧]، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٢٢٠).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٤٤٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ٨٥).

(٦) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (١٠/ ٣٥٨).

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/ ١٢).

رَبَاحٍ(١)، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَمَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ -هو أحد التابعين الكبار ممن أَدْرَكَ رسولَ الله ﷺ لكنه لم يَرَهُ، اسمُه رُفَيْعُ بنُ مِهْرَانَ- (٢) **وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ(٣)، وَقَتَادَةُ(٤)، وَالضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ(٥)، وَخَلْقٌ، ثُمَّ حَمَلَ التَّفْسِيرَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ خَلْقٌ، وَأَلَّفُوا فِيهِ مِنَ الْكُتُبِ كَمُقَاتِلٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَوَكِيعٍ(٦)، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ(٧)، وَمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيِّ(٨)، وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ جَرِيرٍ(٩)، وَهُوَ أَجَلُّهُمْ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.**

يقول: أبو جعفر هو أَجَلُّهُمْ، أي: أَجَلُّ المفسرين. وعبد الرزاق له كتاب مطبوع، طُبِعَ حديثًا، أظنه في ١٤١٢هـ، بتحقيق الدكتور: مصطفى مُسْلِم، في دار العاصمة في الرياض، في أربعة أجزاء، وهو كله تفسيرٌ بالمأثور. ومقاتل تفسيره منتشرٌ في كتب التفسير، والسُّدِّيُّ كذلك، ووكيع له تفسير مشهور لكن لا أعلم أهو موجود أم لا.



---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/ ٧٩).
(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير (٢/ ٢٩١).
(٣) انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٤/ ٢٣٦).
(٤) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص٤٥٣).
(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٥٩٨).
(٦) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٩/ ١٤٠).
(٧) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص ٣٥٤).
(٨) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ١١٤).
(٩) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (٢٣/ ٢٧٩).

النوع الرابع والتسعون: كتابة القرآن

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ عُلُومِ الْحَدِيثِ، وإنما ذكر المؤلف أنه نوعٌ من أنواع علوم الحديث؛ لأن المحدثين حرصوا في كتبهم -خاصة مُتَأَخِّرِي الْمُحَدِّثِينَ- على كيفية كتابة الحديث النبوي الشريف، فوضعوا قواعدَ عجيبةً لمن يريد أن يعلم كيفيةَ كتابةِ الحديث، وكيفية مراجعة الكتابة، وكيفية وضع الدوائر، وكيفية إصلاح الخطأ في الحديث، كل هذا موجود وَمُبَيَّنٌ. ومن أَجَلّ ما بُيِّنَ فيه ذلك كتاب: «تدريب الراوي لشرح تقريب النواوي» للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو كتاب من جزأين[1]، على كلِّ طالبِ علمٍ أن يقتنيهما؛ لذلك يقول: (وهو نوع من أنواع علوم الحديث)[2]؛ لأنه اشتهر عند المحدثين طرائق في كيفية كتابتهم للحديث، وكيفية إصلاح تلك الكتابة، ومراجعتها... إلخ.

وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تُسْتَحَبُّ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ وَتَحْسِينُ كِتَابَتِهِ وَتَبْيِينُهَا وَإِيضَاحُهَا، وَتَحْقِيقُ الْخَطِّ دُونَ مَشْقِهِ وَتَعْلِيقِهِ. فسر المشق في الهامش بقوله: هو سرعةُ الكتابةِ[3]، وهو كذلك، راجعتُ المادةَ فلم أجد كلمة أقربَ منها، وهي سرعة الكتابة؛ لأن سرعة الكتابة ينتج عنها بعض الأخطاء، وهناك أثر مروي في «المصاحف» لابن أبي داود السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابن الإمام صاحب السنن المشهورة[4]: أن ابن سيرين سُئِلَ لماذا كُرِهَ الْمَشْقُ؟ قال: (ألا ترون كيف

---

(١) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي (١/ ٤٩٢)، وما بعدها.

(٢) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي (١/ ٤٩٢).

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٤/ ١٥٥٥)، تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ٢٦٥).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٢٢١).

يُغْرِقُونَ الأَلِفَ؟)(١). ومعنى يغرقون الألف: يُقْصِرُونَهَا فلا تظهر، بسبب السرعة، يعني: يريد أن السرعة قد ينتج عنها أخطاء؛ لذلك نَهَى السلفُ عن كتابته بسرعة.

وأما قوله: (وتعليقه)، فما وجدتُ كلمة قريبة تساعد معنى التعليق هنا، إنما وجدتُ المشهورَ: تغليقُه، والتَّغْلِيق: هو الإشكال(٢)؛ لأنك عندما تكتب الخط سريعًا فكأنك أغلقتَ الكتابةَ فلم تَسْمَحْ لأَحَد بأن يقرأها، ككتابة الأطباء لا يقرأها إلا أناسٌ مُحَدَّدُونَ، كأنهم أغلقوها عندما يكتبونها بتلك الطريقة، فكأنه -والله أعلم- يقول: دون مشقه وتغليقه، وليس: تعليقه، هذا المعنى أقرب والله أعلم، أي: فأصبح كلامًا مُشْكِلًا مغلقًا لا يُدْرَى معناه.

فَقَدْ رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ فِي فَضَائِلِهِ -«فضائل القرآن» ويجدر بطالب العلم القرآني خاصةً أن يرجع إليه، وهو مطبوعٌ بتحقيق لا بأس به؛ مع أن فيه آثارًا كثيرة تحتاج إلى تحقيق أكثر وأكبر- عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ وَجَدَ مَعَ رَجُلٍ مُصْحَفًا قَدْ كَتَبَهُ بِقَلَمٍ دَقِيقٍ فَكَرِهَ ذَلِكَ وَضَرَبَهُ، وَقَالَ: (عَظِّمُوا كِتَابَ اللهِ)، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا رَأَى مُصْحَفًا عَظِيمًا سُرَّ بِهِ(٣). فَعُمَرُ ﷺ كان الظاهر من أحواله الشدة والقوة والقسوة على أصحابه، لكن قَلْبَه كان يفيض رَحْمَةً لهم رضي الله عنهم أجمعين.

لكن الآن وسائلُ الطباعة تَحَسَّنَتْ، ويمكن كتابة المصحف بخط دقيق مضبوط مشكولٍ، ويحسن فعل ذلك من أجل وضعه في جيوب الناس لأجل

(١) انظر: كتاب المصاحف، لابن أبي داود (ص ٣٠٤).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٩).

(٣) انظر: فضائل القرآن، للقاسم بن سلام (ص ٣٩٨).

المراجعة، ولأجل الحفظ، فإن هذا مما لا شيء فيه، وكراهةُ عُمَرَ رضي الله عنه له لا تعني: التحريمَ.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُكْتَبَ فِي شَيْءٍ صَغِيرٍ، وَأَنَّهُ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ يَكْتُبُ فَقَالَ لَهُ: (أَجِلْ قَلَمَكَ وَنَوِّرْهُ كَمَا نَوَّرَهُ اللهُ)[١]. هكذا شَكَلَهَا المحقق هنا: (أَجِلْ) ولم أَرَ لها وجهًا؛ لأن معنى (أَجِلْ قَلَمَكَ)؛ أي: حَرِّكْهُ في الصفحة، لكنها -والله أعلم- (اجْلُ قَلَمَكَ) بهمزة الوصل، أي: وَضِّحْهُ وَاجْعَلْ كتابتَك واضحةً ظاهرةً[٢]، من الجلاء، فهي بهمزة الوصل: (اجْلُ قلمَك وَنَوِّرْهُ كما نَوَّرَهُ اللهُ).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ كَرِهَ كِتَابَتَهُ مَشْقًا[٣].

وَتَحْرُمُ كِتَابَتُهُ بِنَجِسٍ[٤]**، وَأَمَّا بِالْمُذْهَبِ فَهُوَ حَسَنٌ كَمَا قَالَ الْغَزَالِيُّ**[٥].

ولمن أراد أن يرجع إلى ذلك كله فننصحه بكتابين: الكتاب الأول: «المحكم في نقط المصاحف» لأبي عَمْرٍو الدَّانِي رحمه الله[٦]، وهناك «المقنع في رسم مصاحف الأمصار»[٧] و«التوثيق في رسم المصاحف» للأندلسيِّ[٨]، وهناك عدة كتب للسلف والخلف في رسم المصاحف.

وهناك دراسة حديثة لطيفة، وهي رسالة ماجستير لرجل عراقي اسمه غانم

---

(١) انظر: كتاب المصاحف، لابن أبي داود (ص ٢٩٣).
(٢) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري (١/ ١٤٥).
(٣) انظر: كتاب المصاحف، لابن أبي داود (ص ٣٠٤).
(٤) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي (١/ ٨٠).
(٥) انظر: الوسيط في المذهب، أبو حامد الغزالي (٢/ ٤٧٩).
(٦) مطبوع.
(٧) لأبي عمرو الداني، مطبوع.
(٨) لم أعثر عليه.

قدوري الحمد، اسمها: «رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية» كتابٌ ضخمٌ، وفيه جهد واضح ومشكور، وفيه صور لمخطوطات المصاحف القديمة، وطريقة كتابة النقط، وطريقة التعشير، وطريقة التخميس، وطريقة التنوين: الوقف والفتحة والضمة والكسرة، كانوا يُلَوِّنُونَهَا بألوان ويضعون نقاطًا، فيه صُوَرٌ كثيرة للمصاحف القديمة، وتبيين لما يُشْكِلُ فهمُه في كتب السلف، وكيف يُعَشِّرُونَ، وكيف ينقطون، وكيف يجعلون النقطةَ أمام الحرف، وخلف الحرف، ووسطه وفوقه وتحته... إلخ، فهذا الكتاب فيه دراسة علمية جيدة وجادَّة.

وهناك خلاف في كتابته بالْمُذْهَبِ، تفصيله في كتاب: «المحكم في نقط المصاحف» لأبي عمرو الداني أحد أئمة المسلمين في القرآن العظيم[١]، والأصح أنه يجوز كتابته بِمَاءِ الذَّهَبِ، وقد كرهه بعض السلف لبعض الآثار، لكن الذي انتهى إليه الأمر أنه يجوز فِعْلُ ذلك ولا شيء فيه إن شاء الله.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ مُرَّ عَلَيْهِ بِمُصْحَفٍ زُيِّنَ بِالذَّهَبِ، فَقَالَ: (إِنَّ أَحْسَنَ مَا زُيِّنَ بِهِ الْمُصْحَفُ تِلاوَتُهُ بِالْحَقِّ)[٢].

لا شَكَّ أن تلاوة المصحف وتدبره وتعاهده آناء الليل وأطراف النهار، هي الزينة الحقيقية، أَمَّا أن يُزَيَّنُ بالذهب ويوضع في المجلس؛ ليُفتخر به، فلا ينفع هذا إلا النفعَ اليسيرَ، إذا كان يريد إكرام المصحف ينفعه ذلك ولا شك، لكن النفع الجليل العظيم هو إكرام المصحف بالتلاوة والقراءة وإحسان الوقوف عند حدود القرآن، والانزجار عند زواجره، والائتمار بأوامره، هذه هي الزينة

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٨/ ٧٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٩٤٧).

الحقيقية للمرء في تلاوته للقرآن.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[١]**، وَأَبِي ذَرٍّ** -جندب بن جنادة- **وَأَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ**[٢]**، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ قَالَ: (لا تَكْتُبُوا الْقُرْآنَ حَيْثُ يُوطَأُ)**[٣]**، وَذَكَرَ أَصْحَابُنَا أَنَّهُ تُكْرَهُ كِتَابَتُهُ عَلَى الْحِيطَانِ وَالْجُدْرَانِ، وَعَلَى السُّقُوفِ أَشَدَّ كَرَاهَةً؛ لأَنَّهُ يُوطَأ**[٤]. أي: لأن السقف يُوطَأُ من فوق، فإذا كُتِبَتِ الآياتُ وهناك من يطأ السقفَ، فهذا مكروهٌ ولا شك، أن تطأ على مكان كُتب في باطنه القرآن، بل يَحْرُمُ إن تعمَّده الشخصُ.

الثَّانِيَةُ: اخْتُلِفَ فِي نَقْطِ الْمُصْحَفِ وَشَكْلِهِ. أي: في زمن السلف، أما مَنْ بَعْدَهُمْ فقد أجمعوا على جواز ذلك[٥] وإنما أجازوه مع أنه شيء مُحْدَثٌ؛ لأن فيه فائدةً في إحسان تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى، خاصةً من العوامِّ الذين لا يعرفون القراءة على أصولها وليس لهم شيخٌ في القرآن، فالشكل والنقط يساعدهم جِدًّا، فَتَصَوَّرِ الآنَ القرآنَ أمامنا ليس فيه شَكْلٌ ولا نَقْطٌ، وليس فيه دوائرُ تدل على بداية الآيات ونهايتها، فإنه يصعب قراءتُه جِدًّا.

وَيُقَالُ: أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: أَبُو الأَسْودِ الدُّؤَلِيُّ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقِيلَ: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ، وَقِيلَ: نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ اللَّيْثِيُّ[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٢٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٢٣٧).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة (١٢١).

(٤) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي (١/ ٨٠).

(٥) انظر: كتاب المصاحف، لابن أبي داود (٣٢٤)، المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص٢).

(٦) انظر: المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص١-٦)، فضائل القرآن، لابن كثير (ص ١٤٩)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ١٨٤).

المشهور عند السلف أن نصر بن عاصم الليثي[١] هو أول من نَقَطَ المصاحفَ، قيل: بِأَمْرِ الحَجَّاجِ، وقيل: بغيره[٢]. أما أبو الأسود فمشهورٌ أنه أولُ مَنْ شَكَلَ المصاحفَ، قيل: بأمر عَلِيٍّ رضي الله عنه، وقيل: بأمر غيره[٣].

وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْهَمْزَةَ وَالتَّشْدِيدَ وَالرَّوْمَ وَالإِشْمَامَ: الْخَلِيلُ[٤]. والخليلُ بن أحمد الفَرَاهِيدِيُّ مِنْ أعلمِ علماءِ العربيةِ، ومن أذكياء العالَم كما وُصِفَ رحمه الله، وهو من أهل السنة، كان على طريقة حسنة صحيحة في عقيدته وفي عبادته، وفي زهده وفي وَرَعِهِ وصلاحه، تُوُفِّيَ ١٧٠هـ[٥].

وَقَالَ قَتَادَةُ: بَدَءُوا فَنَقَّطُوا (النقطُ معروفٌ) **ثُمَّ خَمَّسُوا** (والتخميسُ هو وضع دائرة بعد خمسِ آياتٍ)[٦]؛ لأنهم كانوا يحفظونه خمسًا خمسًا؛ لذلك كانوا يضعون الدائرةَ بعد الخمسِ.

ثُمَّ عَشَّرُوا[٧]، والتعشيرُ كذلك أن تُوضَعُ الدائرةُ بعد العشر؛ أي: بعد الآية العاشرة. أما الآنَ فهناك دائرةٌ بعدَ كلِّ آيةٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَوَّلَ مَا أَحْدَثُوا النَّقْطَ عِنْدَ آخِرِ الآيِ، ثُمَّ الْفَوَاتِحِ وَالْخَوَاتِمِ[٨].

النقطُ له طُرُقٌ، إما النقط للشكل، أو النقط للدلالة على أواخر الآيات، وهي

---

(١) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢٩/ ٣٤٧).
(٢) انظر: المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص٦).
(٣) انظر: المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص ٤٣).
(٤) انظر: النقط، لأبي عمرو الداني (ص ١٢٩).
(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ٤٢٩).
(٦) انظر: المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص ٢٢).
(٧) انظر: المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص٢).
(٨) انظر: البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني (ص ١٣٠).

التي نسميها فواصلَ، فالنَّقْط إما أن يدل على الفواصل، أو أن يدل على طريقة النطق بالحرف، مضمومًا كان أو مكسورًا أو مفتوحًا.

وَقَالَ يَحْيِي بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِمَّا أُحْدِثَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا النُّقَطَ الثَّلَاثَ عَلَى رُؤُوسِ الآيِ[1]. أي: ابتدءوا بوضع نقاط ثلاث فوق رؤوس الآي يعرفون بها بداية الآية. ونجدها في المصاحف القديمة.

وَقَدْ رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: جَرِّدُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَخْلِطُوهُ بِشَيْءٍ[2]**، وَرُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ** -إبراهيمُ النَّخَعِيُّ المشهورُ- **أَنَّهُ كَرِهَ نَقْطَ الْمَصَاحِفِ**[3].

هو الآن يأتي بالروايات كلها، كان من السلف مَنْ يكره أن يُوضَعَ مع القرآن شيءٌ؛ لا تعشير ولا نقط ولا تخميس، ولا ثلاث نقاط، ولا شيء من مثل هذا، فكانوا يكرهون أن يخلطوا كتابَ الله بغيره تمامًا، لكن هو جائز إن شاء الله، والهدف منه سائغٌ وهو أن يُحْسَنَ قراءةُ كتاب الله تبارك وتعالى.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٍ: أَنَّهُمَا كَرِهَا التَّعْشِيرَ[4]**. وَقَالَ مَالِكٌ: لَا بَأْسَ بِهِ**

---

(١) انظر: كتاب المصاحف، لابن أبي داود (ص ٣٣١).

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص ٣٩٢)، وقد جاءت روايات عن ابن مسعود مفصلة، تبين أنه أراد ألا يزاد في القراءة على ما في القرآن، وأن يجرد في التعليم ليربوا عليه الصغير، وليس مرادها ما ذهب إليه بعض العلماء، حيث ذهبوا بها إلى تجريد المصحف من النقط وغيره؛ لأن هذه الأشياء لم تكن موجودة في عصرهم، فيقال: إنهم جردوها منه؛ لأن دخولها في المصاحف إنما جاء بعد عمر وابن مسعود رضي الله عنهما، فلا يصح أن يقال: إنهم أرادوا هذا.

لكن الذين حملوه على هذا إنما حملوه من باب التخريج على كلام ابن مسعود رضي الله عنه، لا أنه هو مراده الأولي. المحرر في علوم القرآن، د مساعد الطيار (ص ٢٣٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٩٤١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٩٤٢)، (٧٩٤٣).

فِي الْمَصَاحِفِ الَّتِي يَتَعَلَّمُ فِيهَا الغِلْمَانُ، أَمَّا الأُمَّهَاتُ فَلا[(١)].

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ كَرِهَ النَّقْطَ وَالْفَوَاتِحَ وَالْخَوَاتِمَ[(٢)].

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: نَقْطُ الْمُصْحَفِ وَشَكْلُهُ مُسْتَحَبٌّ؛ لأَنَّهُ صِيَانَةٌ لَهُ مِنَ اللَّحْنِ وَالتَّحْرِيفِ[(٣)].

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ: مِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ أَنْ يُفَخَّمَ فَيُكْتَبَ مُفَرَّجًا بِأَحْسَنِ خَطٍّ، وَلَا يُصَغَّرَ، وَلَا تُقَرْمَطَ[(٤)] حُرُوفُهُ، وَلَا يُخْلَطَ بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ كَعَدَدِ الآيَاتِ وَالسَّجَدَاتِ وَالْعَشَرَاتِ وَالْوُقُوفِ، وَاخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ، وَمَعَانِي الآيَاتِ[(٥)].

وَقَالَ ابْنُ مُجَاهِدٍ: وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُشْكَلَ إِلَّا مَا يُشْكِلُ[(٦)].

وَقَالَ الدَّانِي: لَا أَسْتَجِيزُ النَّقْطَ بِالسَّوَادِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ لِصُورَةِ الرَّسْمِ، وَلَا أَسْتَجِيزُ جَمعَ قِرَاءَاتٍ شَتَّى فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ لأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ التَّخْلِيطِ وَالتَّغْيِيرِ لِلْمَرْسُومِ، وَأَرَى أَنْ تَكُونَ الْحَرَكَاتُ وَالتَّنْوِينُ وَالتَّشْدِيدُ وَالسُّكُونُ وَالْمَدُّ بِالْحُمْرَةِ، وَالْهَمَزَاتُ بِالصُّفْرَةِ، انْتَهَى[(٧)].

لأن اختلاطَ القراءات في سطرٍ واحدٍ قد يَشْكُلُ على الإنسان، ولا يَعْرِفُ ما هي القراءةُ الموافِقة لِبَلَدِهِ أو لقراءته، ولا يَعْرِفُ القراءةَ الصحيحةَ من الشاذة...

---

(١) انظر: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، النفراوي (١/ ٥٣١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٩٤٠).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب، النووي (٢/ ٧١).

(٤) القرمطة: دقة الكتابة، وتداني الحروف والسطور. انظر: العين، الخليل بن أحمد (٥/ ٢٥٨).

(٥) انظر: شعب الإيمان، البيهقي (٣/ ٣٣٠).

(٦) انظر: المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص ٢١٠).

(٧) انظر: المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني (ص ١٩)، النقط، لأبي عمرو الداني (ص ١٣٠).

إلخ، فينبغي ألا تُخْلَطَ القراءاتُ في المصحف نفسِه، ولو وُضِعَتْ في الهامش فلا بأسَ.

الثَّالِثَةُ: فِي رَسْمِ الْمُصْحَفِ، وَفِيهِ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، أَشْهَرُهَا: (الْمُقْنِعُ) لِلدَّانِيِّ، وَ(الرَّائِيَّةُ) لِلشَّاطِبِيِّ[1]. الرائيةُ منظومةٌ للشاطبي رَحِمَهُ اللهُ في الرسم العثماني[2]، وهي سهلةٌ تُحْفَظُ إن شاء الله تعالى، وفيها ثلاثُمائة بيتٍ تقريبًا. **وَهُوَ مُتَّبَعٌ لَا يُرَاعَى فِيهِ الْقَوَاعِدُ النَّحْوِيَّةُ**. والمتبعُ هو: الرسمُ العثمانيُّ، فلا يُتَّبَعُ فيه قواعدُ النحو، أي: القواعد في الهجاء والإملاء، والقواعد في حَذْفِ الأَلِفَاتِ وإبقائها... إلخ[3]، لا يُتَّبَعُ ذلك إن خَالَفَ رَسْمَ المصحفِ، أَمَّا إن لم يُخَالِفْهُ وهو الأكثر، فتستوي قواعدُ رسم المصحف مع القواعد النحوية والإملائية والهجائية.

وَقَدْ حَرَّرْتُهُ عَلَى تَرْتِيبٍ لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَضَبَطْتُهُ بِقَوَاعِدَ بَعْدَ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ الأَصْلَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ أَنْ تُرْسَمَ بِحُرُوفِ هِجَائِهَا. أَيْ: ألا يُحْذَف منها شيء، فالأَلِفُ تَبْقَى كما هِيَ، هذا الأصلُ، والتاءُ تُرْسَمُ كما هو معلومٌ ومعروفٌ، كما سيأتي إن شاء الله من تفصيل، فالأصلُ أن يُتْبَعَ هجاء الكلمة فتُكتب الكلمة كما نَتَلَفَّظُ بها، فإن اخْتَلَفَتْ لِعِلَّةٍ من العلل أو لسبب من الأسباب لاتباعِ الرسم العثماني، فإن هذا استثناءٌ، وإلا فإن الأصلَ فيه هو هذا.

الْقَاعِدَةُ الأُولَى: فِي الْحَذْفِ: تُحْذَفُ الأَلِفُ مِنْ يَاءِ النِّدَاءِ نَحْوَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ،

---

(١) القصيدة الرائية في معرفة مرسوم الخط للشاطبي. انظر: المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، لابن حجر (ص ٣٩١).

(٢) الرسم العثماني: هو رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابة كلمات القرآن وحروفه. انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (١/ ٣٦٩).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (١/ ٣٦٩).

يٰآدَمُ، يٰرَبِّ.

سيأتي على ذكر قواعدَ كثيرةٍ يضبط بها في ظَنِّهِ جميعَ مرسومات الكلمات القرآنية حَسبَ الرسم العثماني، وفيه استثناءاتٌ، فأطال فيها جِدًّا وتحتاج إلى صَبْرٍ، وسنأتي عليها إن شاء الله تعالى. فأكثر ما يَهُمُّ الْحُفَّاظَ أنه يأتي في مواضعَ فيها خلاف في الرسم يؤثر على النطق حال الوقف، وذلك نحو: متى تُثْبَتِ التاءُ مربوطةً ومتى تُثْبَتْ مَبْسُوطَةً؟ متى يُفْصَلُ حرفُ (أَنْ) عَنْ (لَا)، ومتى يُوصل حرف (أن) بـ (لا)؟ ومتى يوصل حرف (في) بـ (من)، ومتى تُفصل عنها... إلخ ما سيذكر رَحِمَهُ اللهُ؟ فَيَهُمُّ ذلك الحُفَّاظَ؛ لأنهم في حاجة إلى معرفةِ ضبطِ هذه الكلمات حتى إذا وَقَفُوا عليها وَقْفًا اخْتِبَارِيًّا أو وقفًا اضطراريًّا، فإنهم يعرفونَ كيفية ذلك، مثل قول الله تبارك وتعالى: (أَلَّا) وَرَدَتْ في مواضع عشرة مفصولةً، فيجوز لك أن تقف على (أَنْ)، ويجوز لك أن تقف بـ(أَلَّا)، لكنها إن لم تَرِدْ كذلك وهو الأكثر حيث وردت موصولة، فإنه لا بد لك أن تقف عليها بـ(أَلَّا)، ولا يجوز أن تقف عليها بـ(أَنْ لا)؛ اتِّبَاعًا للرسم العثماني، ومثل هذه من القواعد التي سيأتي على ذِكْرِهَا؛ من قواعد الهجاء والإملاء، وقواعد الرسم العثماني.

يقول المؤلف: القاعدةُ الأُولَى: في الحذف: متى تُحذف الألف؟ كان علماءُ القرآنِ في العهد القريب في البلاد الموريتانية -كما ذَكَرَ ذلك أحدُ علمائهم- وفي ليبيا إلى اليوم يشترطونَ إذا حَفِظَ إنسانٌ القرآنَ أن يكتبَه كتابةً، فلا يعدون الحافظَ حافظًا حتى يكتبَ نسخةً من القرآن، فإذا كَتَبَ نسخةً من القرآن فإنهم يعتبرونَ حفظَه حينئذٍ، والنسخةُ هذه ليست سهلةً؛ لأن عليه أن يتبعَ فيها الرسمَ العثمانيَّ على قواعدِه، فعليه أن يَضْبِطَ الكلماتِ كما كَتَبَهَا الصحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وهذا

أمرٌ ليس بسهل.

وَهَاءُ التَّنْبِيهِ نَحْوَ: هَؤُلاءِ، هَٰأَنْتُمْ، فـ(ها) أداةٌ منفصلة عن (أولاء)، لذلك كان المدُّ هنا بين (ها) وبين (أولاء) مدًّا منفصلًا، ولو كانت صورتُه صورةً متصلةً، وكذلك (هٰأنتم).

وَ(نَا) مَعَ ضَمِيرٍ نَحْو: أَنْجَيْنٰكُمْ، آتَيْنٰهُ. الأَلِفُ من ضمير (نَا) تُحْذَفُ إذا أُضِيفَتْ إلى ضميرٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أي: من ذلك الحذف الذي يجوز: أُولٰئِكَ، الألف من أولئك، ويُشار لها بِأَلِفٍ خِنْجَرِيَّةٍ على هيئة الْخِنْجَرِ بِدُونِ مِقْبَضٍ، وَ(لَكِنَّ) وَ(تُرِكٌ).

وَفُرُوعُ الأَرْبَعَةِ: (اللهُ)، وَ(إِلَهٌ) كَيْفَ وَقَعَ، وَ(الرَّحْمٰنُ)، وَ(سُبْحٰنَ) كَيْفَ وَقَعَ إِلَّا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٩٣]، أَيْ: هذا الموضعُ في القرآن يُثْبَتُ بالأَلِفِ، وما عَدَاهُ فتُحْذَفُ أَلِفُهَا. وَبَعْدَ لامٍ نَحْو: (خَلٰئِفَ) وَ(خِلٰفَ رَسُولِ اللهِ) ﷺ، وَ(عَلّٰم)، وَ(إِلٰفِ)، (يُلٰقُوا). وَبَيْنَ لامَيْنِ نَحْوَ: (الْكَلٰلَةِ)، وَ(الضَّلٰلَةِ)، وَ(خِلٰلَ)، (لَلدّٰارُ)، وَ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. المقصودُ بحذفِ الأَلِفِ هنا هو حذفُ الألفِ التي بينَ اللَّامَيْنِ: اللامِ الْمُؤَكِّدَةِ، وَاللامِ الَّتِي هِيَ لامُ التَّعْرِيفِ.

وِمنْ كُلِّ عَلَمٍ زَائِدٍ عَلَى ثَلاثَةٍ: كَإِبْرٰهِيمَ وَصٰلِحٍ، وَمِيكٰئِيلَ، وَ(اللّٰتِ)، إِلَّا جَالُوتَ وَطَالُوتَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. فالألف في يأجوج ومأجوج -على قراءة الإبدال ياجوج وماجوج- ثابتة، مع أنه علم زائد على ثلاثة. وَدَاوُدَ لِحَذْفِ وَاوِهِ، أي: الثانية، وَإِسْرَائِلُ لِحَذْفِ يَائِهِ. وَاخْتُلِفَ فِي هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَهَامَانَ وَقَارُونَ، هذه القواعد كلها يُرْجَعُ إليها في كُتُبٍ كثيرةٍ، حديثةٍ وقديمةٍ، لكن لا بدَّ أن نَمُرَّ عليها مُرُورًا لأنها موجودة في الكتاب أولًا، وثانيًا لأنها مفيدة للإخوة

الْحُفَّاظِ.

وِمِنْ كُلِّ مُثَنًّى اسْمٍ أَوْ فِعْلٍ إِنْ لَمْ يَتَطَرَّفْ نَحْوَ: (رَجُلانِ) (يُعَلِّمَنِ)، (أَضَلَّنَا)، إِنْ هَٰذَانِ، إِلَّا (بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ).

وَمِنْ كُلِّ جَمْعِ تَصْحِيحٍ، أي: تُحذف الأَلِفُ من كلِّ جَمْعِ تَصْحِيحٍ لِمُذَكَّرٍ أَوْ مُؤَنَّثٍ نَحْو: اللَّعِنُونَ، مُلَقُو رَبِّهِمْ، إِلَّا (طَاغُونَ) فِي [الذَّارِيَاتِ: ٥٣] وَ [الطُّورِ: ٣٣]، فبَقِيَتْ فيها الأَلِفُ مع أنها جمعُ مُذَكَّرٍ، وَ(كِرَامًا كَاتِبِينَ) [الانفطار: ١١]، وَإِلَّا (رَوْضَاتِ) [الشورى: ٢٢] وَ(آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ) [يوسف: ٧] وَ(مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) [يونس: ٢١]، وَ(آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) [يونس: ١٥].

وَإِلَّا إِنْ تَلَاهَا هَمْزَةٌ نَحْوَ: (الصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ) [الأحزاب: ٣٥]، أَوْ تَشْدِيدٌ نَحْوَ: (الضَّالِّينَ) وَ(الصَّافَّاتِ) [الصافات: ١].

فَإِنْ كَانَ فِي الْكَلِمَةِ أَلِفٌ ثَانِيَةٌ حُذِفَتْ أَيْضًا إِلَّا (سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ) فِي فُصِّلَتْ، وَمِنْ كُلِّ جَمْعٍ عَلَى (مَفَاعِلَ)، أَوْ شِبْهِهِ نَحْوَ: (الْمَسْجِدِ، وَمَسْكِنَ، وَالْيَتْمَى، وَالنَّصْرَى، وَالْمَسْكِينِ، وَالْمَلْئِكَةِ، وَالْخَبْئِثِ).

وَالثَّانِيَةُ، أَيْ: نَحْذِفُ الأَلِفَ الثانيةَ، مِنْ: (خَطَٰيَنَا) كَيْفَ وَقَعَ، وَمِنْ كُلِّ عَدَدٍ كَثَلَٰثٍ وَثُلَٰثٍ، وَسَحِرٍ، إِلَّا فِي آخِرِ الذَّارِيَاتِ، فَإِنْ ثُنِّيَ فَأَلِفَاهُ، أي: ألفاه محذوفتان، وَالْقِيَمَةِ، وَالشَّيْطَٰنِ، وَسُلْطَٰنٍ، وَاللَّٰتِي، وَاللَّٰئِي، وَخَٰلِقٍ وَعَٰلِمٍ، وَبِقَٰدِرٍ، وَالأَصْحَٰبِ، وَالأَنْهَٰرِ، وَالْكِتَٰبِ، وَمُنَكَّرُ الثَّلَاثَةِ، أَي: النكرة من الألفاظ الثلاثة الأخيرة: أصحابٍ وَأنهارٍ وَكِتَابٍ، إِلَّا أَرْبَعَةَ مَوَاضِعَ: (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) [الرعد: ٣٨]، (كِتَابٌ مَعْلُومٌ) [الحجر: ٤]، (كِتَابِ رَبِّكَ) [الكهف: ٢٧] فِي الْكَهْفِ.

يقول: وَمُنَكَّرُ الثلاثةِ إلا أربعةَ مواضعَ، وذكر فيهن كلمةً ليست بِنكِرَةٍ؛ وهي

(كِتابِ رَبِّكَ)، فهذه كانت نكرةً، ثم أُزِيلَتْ نَكَارَتُهَا بالإضافة، فلم تَعُدْ نكرةً، فالاستثناءُ هنا ليس صحيحًا في حَقِّهَا، إلا إذا قصد قبل الإضافة، أو خلوها من (أل) التعريف.

(وَكِتَابٍ مُبِينٍ) [النمل: ١]، وَمِنَ الْبَسْمَلَةِ، تُحْذَفُ الأَلِفُ غيرُ الممطوطةِ؛ لأنها يَكْثُرُ دَوَرَانُهَا في الأمثلة وفي الكتابة فَتُحْذَفُ اختصارًا وسهولةً، لكن الأصلَ أن الصحابةَ ﵃ كَتَبُوهَا كذلك، وَ(بِسْمِ اللهِ مَجْرُهَا) [هود: ٤١]، وَمِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ مِنْ سَأَلَ، ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البَقَرَة: ٢١١].... إلخ. تُحذف منها أَلِفُهَا، وتُحذف أيضًا همزتُها حتى نُحَرِّكَ السينَ فننطقها بدون مساعدة.

وَمِنْ كُلِّ مَا اجْتَمَعَ فِيهِ أَلِفَانِ أَوْ ثَلاثَةٌ، نَحْوَ: (آدَمَ، آخَرَ)، هذه العلامةُ (~) التي فوقَ أَلِفِ (آخرَ) تُغني عن الهمزة، ومعناها أنها همزةٌ وَأَلِفٌ، فلا يُجمع بينها وبين الهمزة، وإنما يُوضع إما الهمزة وإما هذه العلامةُ، أما أن يُجمع بينَهما فلا يصحُّ، وأصلُ آدم: أَءْدَم، والعربُ لا تنطقُ بهمزتينِ متواليتينِ أُولَاهُمَا متحركٌ والثاني ساكنٌ[(١)]؛ لذلك تَسْمَعُ بعضَ الناس يقول: أنا أُؤْمِنُ بكذا. وهذه لا تنطقها العرب، وإنما الصواب: أنا أُومِنُ بكذا. يبدلون الهمزة الثانية حرفَ مَدٍّ من جنس حركة الهمزة الأولى، فـ(أءدم) الهمزة الأولى حركتها الفتحة، فيبدلون الهمزة الثانية حرف مد من جنس حركة الهمزة الأولى فتصير (آدم).

(إِءْتُونِي بِكِتَابٍ) الهمزةُ الأُولَى متحركةٌ والثانيةُ ساكنةٌ، فنبدل الهمزة الثانية الساكنة حرف مد من جنس حركة الهمزة الأولى فتصير: (إِيتُونِي بِكِتَابٍ) لكن إذا وَصَلْتَهَا فتقول: في السماوات ائْتوني؛ لأن الهمزة الأُولى همزةُ وَصْلٍ، وهمزةُ

---

(١) انظر: شرح التصريح على التوضيح، الوقاد (٢/ ٧٠٨).

الوَصْلِ تَسْقُطُ عندَ وصلِ الكلمةِ بما قَبْلَهَا، فتقول: السماواتِ ائْتُونِي، فَتَخَلَّصْتَ من اجتماع الهمزتين، لكن إذا قُلْتَ: السماوات ووقفت، ثم قلت: إيتوني بكتاب، فهنا يجبُ عليكَ أن تُبْدِلَ الهمزةَ الثانيةَ ياءً، ولو كان الرسمُ العثمانيُّ ليس فيه ياءٌ، والإبدالُ هنا واجبٌ في: ائتوني، آدم، اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ.

ءَأَشْفَقْتُمْ، ءَأَنْذَرْتَهُمْ، فالهمزةُ ليست على أَلِفٍ فالألف محذوفة، ونحن نكتب الهمزتينِ على أَلِفَيْنِ: (أَأَشْفَقْتُمْ)، لكن في المصحف العثماني تُحذف الأَلِفُ الأُولَى التي عليها الهمزة الأولى وَتُوضَعُ الهمزة على السطر:

وَمِنْ رَأَى كَيْفَ وَقَعَ إِلَّا: (مَا رَأَى) [النجم: ١١]، **وَ(لَقَدْ رَأَى)** [النجم: ١٨] **فِي النَّجْمِ.**

وَ(ءَالْئٰنَ)، إِلَّا: (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ) [الجن: ٩].

وَالأَلِفَانِ مِنْ: (الأَيْكَةِ) إِلَّا فِي الْحِجْرِ [الحجر: ٧٩] **وَق** [ق: ١٣].

الأَيْكَة: تُحذف أَلِفَاهَا؛ لأن هناك قراءةً: لَيْكة بِدُونِ هَمْزَةٍ، فَنَحْذِفُ الأَلِفَيْنِ مُرَاعَاةً لتلك القراءة، فلو ثَبَتَتِ الأَلِفَانِ لَمَا اسْتَطَعْنَا أن نقرأ: (كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ) وهي قراءةٌ متواتِرَةٌ صحيحةٌ لا شك فيها، فهذا الموضعُ يجب أن يُحْذَفَ أَلِفَاهُ لِيَبْقَى صالحًا للنطق بِكِلتاَ القراءتينِ: الأيكة، وليكة: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٧٦] (كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ).

وَتُحْذَفُ الْيَاءُ مِنْ كُلِّ مَنْقُوصٍ مُنَوَّنٍ رَفْعًا وَجَرًّا، نَحْوَ: (بَاغٍ وَلَا عَادٍ) [البقرة: ١٧٣]، هذه قاعدةٌ نحويةٌ معروفةٌ، تقول: (جاء قاضٍ)، فقاضٍ: فاعلٌ مرفوعٌ بالضمة الْمُقَدَّرَةِ على الياءِ المحذوفةِ. وتقول: (سلمتُ على قاضٍ). لكن إذا نَصَبْتَ الكلمةَ قلت: (رأيتُ قَاضِيًا). فتُثبت الياءَ، أما إن جاءت مجرورةً أو

مرفوعةً فَتَحْذِفُ الياءَ، تقول: جاء قاضٍ، وسلمتُ على قاضٍ، وتَثْبُتِ الياءُ في المرفوع والمجرور أيضا إذا عُرِّفَ بالألِفِ، تقول: جاء القاضي، وسَلَّمْتُ على القاضِي.

وَالْمُضَافُ لَهَا إِذَا نُودِيَ إِلَّا: (يُعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) فِي الْعَنْكَبُوتِ، أَوْ لَمْ يُنَادَ إِلَّا (وَقُلْ لِعِبَادِي)، يعني: (يا عبادي) نودي بالياء، و (قل لعبادي) ليس فيها نداءٌ، وتبقى الياءُ على الحالين، سواءً نُودِيَتْ أم لم تُنَادَ، مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وَ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ فِي طه [طه: ٧٧] وَالدُّخَانِ [الدخان: ٢٣]، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠]، وَمَعَ مِثْلِهَا نَحْو: (وَلِيِّي)، وَ(الْحَوَارِيِّينَ)، وَ(مُتَّكِئِينَ)، إِلَّا (عِلِّيِّينَ)، وَ(يُهَيِّئْ)، وَ(هَيِّئْ)، وَ(مَكْرَ السَّيِّئِ)، وَ(سَيِّئَةً) وَ(السَّيِّئَةِ)، (أَفَعَيِينَا) [ق: ١٦]، وَ(يُحْيِي) مَعَ ضَمِيرٍ لَا مُفْرَدًا، وَحَيْثُ وَقَعَ: (أَطِيعُونِ)، (اتَّقُونِ)، (خَافُونِ)، (ارْهَبُونِ)، (فَأَرْسِلُونِ)، (وَاعْبُدُونِ) إِلَّا فِي يس، (وَاخْشَوْنِ)، إِلَّا فِي الْبَقَرَةِ، وَ(يَكِيدُونَ)، إِلَّا: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ﴾ [هود: ٥٤]، وَ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ [غافر: ٣٩] إِلَّا فِي آلِ عِمْرَانَ وَطه، وَ﴿لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود: ٥٤]، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ [يوسف: ٦١]، ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [هود: ٧٨]، ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ [الحجر: ٦٩]، ﴿يَهْدِيَنِ﴾ [الكهف: ٢٤]، ﴿سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وَ(كَذَّبُونِ)، (يَقْتُلُونِ)، (أَنْ يُكَذِّبُونِ)، وَ(وَعِيدِ)، وَ(الْجَوَارِ)، وَ(بِالْوَادِ) [طه: ١٢]، وَ(الْمُهْتَدِ)، إِلَّا فِي الأَعْرَافِ.

وَتُحْذَفُ الْوَاوُ مَعَ أُخْرَى -يعني: إذا جاءت وَاوَانِ تُحْذَفُ واحدةٌ- نَحْو: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [التوبة: ١٩]، ﴿فَآءُو ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ، يَؤُسًا.

وَتُحْذَفُ اللَّامُ مُدْغَمَةً فِي مِثْلِهَا نَحْو: الَّيْلِ، الَّذِي، إِلَّا اللهَ، اللَّهُمَّ، اللَّعْنَةُ وَفُرُوعُهُ، وَاللَّغْوُ، وَاللُّؤْلُؤُ، وَاللَّاتُ، وَاللَّمَمُ، وَاللَّهَبُ، وَاللَّطِيفُ، وَاللَّوَّامَةُ(١).

وهذا السرد يُفهم منه مدَى صعوبةِ ضَبْطِ هذه الكلماتِ تحتَ قاعدةٍ معينةٍ، خاصةً أنه سيأتي على الحذف الذي لَمْ يدخل تحت القاعدة وهو كثيرٌ. وحتى يحفظ المرءُ هذا هناك منظومات سَهَّلَتْ عليه حِفْظَ مثل هذه الأشياء، مثل منظومة الشاطبي وغيرها، لكن الأمرَ ليس هو بالسهل، خاصةً إذا اخْتُبِرَ الطالب في كتابة مصحف من حفظه، فهذا أمرٌ صعبٌ، يقلّ الآنَ أن يُوجَدَ مَنْ يعرف كيف يَكْتب هذه الكلمات كتابةً مضبوطةً في القرآن جميعِه من حفظه -إلا بعض الطلاب في موريتانيا وليبيا وبعض الدول الأخرى-، إنما يحتاج إلى الرجوع دائمًا وأبدًا إلى (مُقْنِعِ الدَّانِي) وإلى عِدَّةِ كُتُبٍ حتى يعرف كيفيةَ ضبطِ المرسوم وغيرِه، أما على هذه الطريقة فلا يستطيع.

يقول السيوطيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (رَتَّبْتُهَا وَحَرَّرْتُهَا بِطَرِيقَةٍ لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهَا، وَبِقَوَاعِدَ مَضْبُوطَةٍ)، الذي يَطَّلِعُ الآنَ على الفرع الآتي وهو فرعٌ كبيرٌ، يجد أن كل حذف يدخل تحت قاعدةٍ مُعَيَّنَةٍ، وحَذَفَ الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بعضَ الأحرف التي ليست مندرجةً تحت قاعدةٍ معينةٍ، إنما هي مفروشةٌ.

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/ ١٦٩-١٧٢).

فرعٌ
في الحذف الذي لم يدخل تحت القاعدة

حُذِفَتِ الأَلِفُ مِنْ: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] - ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ [النساء:٩] - ﴿مُرَٰغَمًا﴾ [النساء:١٠٠] - ﴿خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢] - ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] - ﴿بَٰلِغُ﴾ [الطلاق: ٣] - ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] - ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فِي الأَعْرَافِ [١٣٩] وَهُودٍ [١٦] - ﴿ٱلْمِيعَٰدِ﴾ فِي الأَنْفَالِ [٤٢] - ﴿تُرَٰبًا﴾ فِي الرَّعْدِ [٥] وَالنَّمْلِ [٦٧] وَعَمَّ [٤٠] - ﴿جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء:٥٨] - ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ [المائدة:٥٢] - ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور:٣١] - ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الدخان:٤٩] - ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] - ﴿فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص:١٠] - ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾ [سبأ:١٧] - ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ [الزمر:٣] - ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ فِي الزُّمَرِ [٢٢] - ﴿أَثَٰرَةٍ﴾ [الأحقاف:٤] - ﴿عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] - ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبأ:٣٥]

- وَحُذِفَتِ الْيَاءُ مِنْ (إِبْرَاهِيمَ) فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [٢٥٨]؛ لأن فيها قراءة: إِبْرَاهَام، وإبراهيم؛ فَلِذَلِكَ حَذَفُوا الياءَ حتى تحتمل القراءتين معًا[١] - وَ﴿ٱلدَّاعِ إِذَا

---

(١) قرأ ابن عامر: (إبراهام)بألف كل ما في سورة البقرة وفي النساء بعد المئة وفي الأنعام حرفًا واحدًا (ملة إبراهام)، وفي التوبة بعد المئة (إبراهام)، وفي سورة إبراهيم(إبراهام)، وفي النحل ومريم كلها (إبراهام)، وفي العنكبوت الثاني (إبراهام)، وعسق(إبراهام)، وفي سور المفصل كلها (إبراهام) إلا في سورة المودة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بالياء، وفي سبح ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾وما بقي في جميع القرآن بالياء. وحجته في ذلك أن كل ما وجده بألف قرأ بألف وما وجده بالياء قرأ بالياء اتباع المصاحف.

واعلم أن إبراهيم اسم أعجمي دخل في كلام العرب، والعرب إذا أعربت اسمًا أعجميًا تكلمت فيه بلغات؛ فمنهم من يقول: إبراهام، ومنهم من يقول: أبرهم قال الشاعر:

نحن آل الله في بلدته ... لم يزل ذاك على عهد ابرهم

انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة (١١٣-١١٤).

دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] - وَ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] - وَ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي﴾ [المائدة: ٥٤] - وَ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ [الأنعام:٨٠] - ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٣] - ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ﴾ [هود: ٤٦] - ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ﴾ [هود: ١٠٥] - ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ [يوسف: ٦٦] - ﴿أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] - ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] - ﴿مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] - ﴿مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٢٩] ﴿عِقَابِ﴾ فِي الرَّعْدِ [٣٢] وَغَافِرٍ [٥] وَص [١٤]. ﴿أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] - ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] - ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ [الإسراء: ٦٢] - ﴿أَن يَهْدِيَنِ﴾ [الكهف: ٢٤] - ﴿إِن تَرَنِ﴾ [٣٩] - ﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾ [٤٠] - ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [٦٦] - ﴿نَبْغِ﴾ [٦٦] الْخَمْسَةُ فِي الْكَهْفِ، أي: الكلمات الأخيرة هذه كلها في الكهف - ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ فِي طه [٩٣] - ﴿وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] - ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ﴾ [الحج: ٥٤] - ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨] - ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] - ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] - ﴿وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩] - ﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] - ﴿يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١] - ﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ [النمل: ١٨] - ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ [النمل: ٣٦] - ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ﴾ [النمل: ٣٦] - ﴿تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢] - ﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ﴾ [النمل: ٨١] - ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ: ١٣] - ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [يس: ٢٣] - ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣] - ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] - ﴿لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] - ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:١٦٣] - ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] - ﴿ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] - ﴿تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠] - ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [الدخان:٢١] - ﴿يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق:٤١] - ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] - ﴿يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧] -

﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ مَرَّتَيْنِ فِي الْقَمَرِ [٦-٨] وَ﴿يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] - ﴿أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥] - ﴿أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦] - ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] -. وَحُذِفَتِ الْوَاوُ مِنْ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾ [الإسراء: ١١] - ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ﴾ فِي حم [الشورى: ٢٤] - ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] - ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨](١).

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ فِي الزِّيَادَةِ:

زِيدَتْ أَلِفٌ بَعْدَ الْوَاوِ آخِرَ اسْمٍ مَجْمُوعٍ، نَحْوَ: ﴿بَنُوا إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] - ﴿مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة: ٤٦] - ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] - بِخِلافِ الْمُفْرَدِ نَحْوَ: ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ [يوسف: ٦٨] - إلا ﴿الرِّبَوا﴾ [البقرة: ٢٧٨] - ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦].

وَآخِرَ فِعْلٍ مُفْرَدٍ أَوْ جَمْعٍ مَرْفُوعٍ أَوْ مَنْصُوبٍ، أي: زيدت أَلِفٌ أيضًا بعد آخِرِ فعلٍ مفردٍ، أو جمع مرفوع أو منصوب، إِلَّا: ﴿جَاءُو﴾، وَ﴿وَبَاءُو﴾ حَيْثُ وَقَعَا، وهذه كثيرًا ما يسأل عنها الناس: لماذا حُذفت؟ والجواب: لأن الصحابة حذفوها فقط، هذه أقرب إجابة، - وَ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾ [الفرقان: ٢١] - ﴿فَإِن فَاءُو﴾ [البقرة:٢٢٦] - ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ﴾ [الحشر: ٩] - ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ فِي النِّسَاءِ [٩٩] - ﴿سَعَوْ فِي آيَاتِنَا﴾ فِي سَبَأٍ [٥].

وَبَعْدَ الْهَمْزَةِ الْمَرْسُومَةِ وَاوًا، نَحْوَ: ﴿تَفْتَؤُا﴾ [يوسف: ٨٥] - وَفِي ﴿مِائَةُ﴾ وَ﴿مِائَتَيْنِ﴾ وَ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠] وَ﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٦] وَ﴿السَّبِيلَا﴾

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ١٣٦ وما بعده).

[الأحزاب: ٦٧] - ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ [الكهف: ٢٣] - ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] - ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: ٤٧] - وَ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٨] - وَ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨] - وَ﴿وَلَا تَاْيْـَسُواْ﴾ [يوسف: ٨٧] وَ﴿لَا يَاْيْـَسُ﴾ [يوسف: ٨٧] - ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَسِ﴾ [الرعد: ٣١]، وَبَيْنَ الْيَاءِ وَالْجِيمِ فِي: ﴿وَجِاْىٓءَ﴾ فِي الزُّمَرِ [٦٩][1] - وَزِيدَتْ يَاءٌ فِي ﴿نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] وَ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [يونس: ٧٥] وَ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: ٨٣] وَ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ فِي طه [١٣٠] - ﴿مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓ﴾ [يونس: ١٥] - ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ فِي الشُّورَى [٥١] - ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فِي النَّحْلِ [٩٠] - ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فِي الرُّومِ [١٦] - ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦] - ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] - ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] - ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ [الأنبياء: ٣٤] - وَزِيدَتْ وَاوٌ فِي ﴿أُوْلُواْ﴾ وَفَرْعِهِ - وَ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٥] - وَكُتِبَ (ابْنُ) بِالْهَمْزَةِ مُطْلَقًا.

وقد تَحَجَّجَ بمثل هذه المواضع رشاد خليفة؛ لِيُثْبِتَ هذا الرقمَ (١٩) فقال: أضيفت الياء هنا مثلًا في ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [يونس: ٧٥] أو ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] حتى يستقيم العددُ الذي هو إما (١٩) أو مضاعفات (١٩) أو الذي يُقْسَمُ على (١٩)... إلخ ما جاء به، ونحن نقول: لعل بعضَه يصلح لهذا. لكن الحكمةَ الرئيسةَ الله أعلم بها، ثم إن كان رسم المصحف توقيفًا أي: أن الشارع أَوْقَفَ الصحابةَ على كيفية رسم المصحف وبَيَّنَ لهم كيفيةَ رسمه فلا يتجاوزونَ تلك

---

(١) وفي سورة الفجر: ٢٣.

الكيفيةَ أبدًا، وهذا رأي بعض العلماء. واعترض بعض العلماء فقال: كيف يُوقفهم رسولُ الله ﷺ على كيفية الرسم وهو ﷺ لم يكتب ولم يقرأ؟

نقول: يجوز أن يُعَلِّمَهُ الله تبارك وتعالى كيفيةَ الرسم الذي يريده سبحانه وتعالى أن يُثبت في المصاحف؛ لأنه بالنظر لا تستطيع أن تعرف لماذا كتب الصحابة (شيء) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ [الكهف: ٢٣] بالألف، ولماذا حذفوها في كل المصحف مع كثرتها؟ وهناك مثال أقرب: عندما جاء الهدهد إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال سليمان: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] فكلمة (لأعذبنه) مكتوبة بطريقة تختلف عن طريقة كتابة (لأذبحنه) وهما في سطر واحد، مع أن المفترض الرسم الإملائي الحديث يكتبهما سواءً، فلا ندري لماذا كُتِبَتْ هكذا! قد يُقَال: ربما يكون ذلك قد فات على الراسمين مثلًا، فكيف يفوت على الراسم كلمتان في سطر واحد شبه متجاورتين؟! وهناك أمثلة كثيرة لاختلاف الرسم واتحاد كيفية النطق.

فإذا تفكَّر الإنسان في هذا الأمر يعجب حقيقة، ويذهب عن باله تمامًا ذلك الظن الذي ذهب إليه ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): حيث قال: «كان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التّوسّط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحّش وبعدهم عن الصّنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف؛ حيث رسمه الصّحابة بخطوطهم وكانت غير

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل ابن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. توفي سنة (٨٠٨ هـ).

مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيسة رسوم صناعة الخطّ عند أهلها. ثمّ اقتفى التّابعون من السّلف رسمهم فيها تبرّكًا بما رسمه أصحاب الرّسول ﷺ وخير الخلق من بعده المتلقّون لوحيه من كتاب الله وكلامه»(١) اهـ كلامه. لكنه لا يُسَلَّمُ له هذا أبدًا، ولا نظن أن الصحابة قد أخطؤوا أبدًا في كل تلك المواضع، إنما لا بد أن تكون هناك حكمةٌ ما قد خَفيتْ علينا؛ لأن المعارضين إذا قلنا لهم: إن ذلك الرسم توقيفي، يقولون بأن الصحابة قد كتبوا بما عرفوا من قواعد كتابة ذلك الزمان ولهم قرائن قوية، لكن أيضًا اتحاد الرسوم في أماكن كثيرة، والاختلاف في مكان أو مكانين، هذا أيضًا يأتي بأسئلة كثيرة على الناحية التوقيفية في الرسم العثماني، وهذه النقطة لم أجد فيها حتى الآن كلامًا شَافِيًا، ومع ذلك فمن قال بأن الرسم العثماني توقيفي ليس له دليل، والذي قال بأنه ليس توقيفيًّا أيضًا ليس له دليل، إنما لهما قرائن مأخوذة من سياق الرسم، ولم تتضح لي هذه المسألة اتضاحًا تامًّا، لكني أميل إلى أنه أمرٌ قد أوقفهم الشارعُ على كتابته، لكن ليس عندي دليل وليس للنافين دليل أيضًا. والله أعلم.

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: فِي الْهَمْزِ: يُكْتَبُ السَّاكِنُ بِحَرْفِ حَرَكَةِ مَا قَبْلَهُ أَوَّلًا أَوْ وَسَطًا أَوْ آخِرًا، نَحْوَ: ﴿ٱئْذَن﴾ قبل الهمزة مكسور فنضع الهمزة على نبرة **﴿ٱؤْتُمِنَ﴾** قبل الهمزة مضموم فنضع الهمزة على واو **وَ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾** قبل الهمزة مفتوح فنضع الهمزة على ألف، هذا معنى كلامه - **﴿ٱقْرَأْ﴾** - **﴿جِئْنَاكَ﴾** - **﴿وَهَيِّئْ﴾**

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٢٦).

- ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ﴾ - ﴿تَسُوءُهُمْ﴾ - إِلَّا: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ [البقرة: ٧٢] ﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤] ما قبل الهمزة مكسور لكن لم نضعها على نبرة - ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ [الإسراء: ٦٠] - ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٧٩].

وَكَذَا أَوَّلَ الأَمْرِ بَعْدَ فَاءٍ، نَحْوَ: ﴿فَأْتُوا۟﴾[1] أَوْ وَاوٍ، نَحْوَ: ﴿وَأْتَمِرُوا۟﴾ [الطلاق: ٦]، يعني: لو جاءت الهمزة أول الأمر بعد فاء أو واو فإنها تكتب على ألف.

وَالْمُتَحَرِّكُ، أي: الهمز المتحرك: إِنْ كَانَ أَوَّلًا أَوِ اتَّصَلَ بِهِ حَرْفٌ زَائِدٌ بِالأَلِفِ مُطْلَقًا، نَحْوَ: ﴿أَيُّوبَ﴾ - ﴿إِذْ﴾ - ﴿أَوَلَوْ﴾ - ﴿سَأَصْرِفُ﴾ [الأعراف: ١٤٦] - ﴿فَبِأَيِّ﴾[2] - ﴿سَأُنزِلُ﴾ [الأنعام: ٩٣] - إِلَّا مَوَاضِعَ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، الهمز المتحرك إن كان أولًا مثل: أيوب، أو اتصل به حرفٌ زائدٌ بالألف مُطْلَقًا، يعني: يكتب بالألف مطلقًا - ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ فِي النَّمْلِ [٥٥] وَالْعَنْكَبُوتِ [٢٩] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ [فصلت: ٩] - ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ فِي النَّمْلِ [٦٧] - ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟﴾ [الصافات: ٣٦] - ﴿أَئِنَّ لَنَا﴾ فِي الشُّعَرَاءِ [٤١] - ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ [الصافات: ١٦] - ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ [يس: ١٩] - ﴿أَئِفْكًا﴾ [الصافات: ٨٦] - ﴿أَئِمَّةً﴾ [السجدة: ٢٤] - ﴿لِئَلَّا﴾ [النساء: ١٦٥] - ﴿لَئِنْ﴾ [الزمر: ٦٥] - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الفجر: ١٣] - ﴿حِينَئِذٍ﴾ [الواقعة: ٨٤] - فَتُكْتَبُ فِيهَا بِالْيَاءِ إِلَّا: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ [آل عمران: ١٥] وَ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فَتُكْتَبُ بِالْوَاوِ.

---

(١) وقعت في البقرة [٢٤] [٢٢٣] وفي آل عمران [٩٣] يونس [٣٨] هود [١٣] الأنبياء [٦١] القصص [٤٩] الصافات [١٥٧] الدخان [٣٦].

(٢) في عدة مواضع [الأعراف، الجاثية، والنجم، والرحمن، والمرسلات].

وَإِنْ كَانَ وَسَطًا فَبِحَرْفِ حَرَكَتِهِ، يعني: بالرسم المعروف عندنا، نَحْو: ﴿سَأَلَ﴾ - ﴿سُئِلَ﴾ - ﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾ بحرف حركته، يعني: إذا كانت الهمزة مضمومة فنكتبها على الواو مثلما نكتبها نحن، إِلَّا: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ الثَّلاثَةُ فِي يُوسُفَ [٧٤-٧٥]. يقول: سأل – سئل – نقرؤه – إلا، فـ (إلا) هذه كلمة قرآنية لا يقصد منها استثناءً هنا، والله أعلم.

لعل المحقق أخطأ في إيرادها هنا، فإذا قلنا: إنها كلمة قرآنية فيستقيم جزاؤه الثلاثة في يوسف، أما غير ذلك فلا أرى لها توجيهًا واضحًا، - وَ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾(١) - وَ﴿ٱمْتَلَأْتِ﴾ [ق: ٣٠] وَ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر: ٤٥] وَ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟﴾ - فَحُذِفَ فِيهَا، وَإِلَّا إِنْ فُتِحَ أَوْ كُسِرَ أَوْ ضُمَّ مَا قَبْلَهُ، أَوْ ضُمَّ وَكُسِرَ مَا قَبْلَهُ فَبِحَرْفِهِ، نَحْوَ: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: ٩] - ﴿فُؤَادَكَ﴾(٢) - ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ [الأعلى: ٦]، فَإِنْ كَانَ مَا قَبْلَهُ سَاكِنًا حُذِفَ هُو، نَحْو: ﴿يُسْـَٔلُ﴾ [الأنبياء:٢٣] [القصص:٧٨] - ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟﴾ [المؤمنون:٦٥] - إِلَّا: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾(٣) وَ﴿مَوْئِلًا﴾ فِي الْكَهْفِ [٥٨] - فَإِنْ كَانَ أَلِفًا وَهُوَ مَفْتُوحٌ فَقَدْ سَبَقَ أَنَّهَا تُحْذَفُ لاجْتِمَاعِهَا مَعَ أَلِفٍ مِثْلِهَا؛ إِذِ الْهَمْزَةُ حِينَئِذٍ بِصُورَتِهَا، نَحْوَ: ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ - وَحُذِفَ مِنْهَا أَيْضًا فِي: ﴿قُرْءَٰنًا﴾ فِي يُوسُفَ [٢] وَالزُّخْرُفِ [٣]، فَإِنْ ضُمَّ أَوْ كُسِرَ فَلَا - أي: فلا حذف - نَحْو: ﴿ءَابَآؤُكُم﴾ - ﴿ءَابَآئِهِمْ﴾، إِلَّا: ﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾ [الأنعام: ١٢٨] - ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ فِي الأَنْعَامِ [١٢١] - ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾

(١) في عدة مواضع [الأعراف، هود، السجدة، ص].

(٢) هود [١٢٠] الفرقان [٣٢].

(٣) في عدة مواطن [العنكبوت، النجم، والواقعة].

فِي الأَنْفَالِ [٣٤] - ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ فِي فُصِّلَتْ [٣١] – وَإِنْ كَانَ بَعْدَهُ حَرْفٌ يُجَانِسُهُ فَقَدْ سَبَقَ أَيْضًا أَنَّهُ يُحْذَفُ، نَحْو: ﴿شَنَـَٔانُ﴾ [المائدة: ٨] ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، وَإِنْ كَانَ آخِرًا فَبِحَرْفِ حَرَكَةِ مَا قَبْلَهُ، نَحْو: ﴿سَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿شَٰطِيِٕ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿لُؤْلُؤٌ﴾ [الطور: ٢٤]، إِلَّا مَوَاضِع: ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ [يوسف: ٨٥]، ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ [النحل: ٤٨]، ﴿أَتَوَكَّؤُاْ﴾ [طه: ١٨]، ﴿لَا تَظْمَؤُاْ﴾ [طه: ١١٩]، ﴿مَا يَعْبَؤُاْ﴾ [الفرقان: ٧٧]، ﴿يَبْدَؤا﴾[1]، ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ [الزخرف: ١٨]، ﴿وَيَدْرَؤُاْ﴾ [النور: ٨]، ﴿نَبَؤُاْ﴾ [إبراهيم: ٩]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾، الأَوَّل فِي قَدِ أَفْلَحَ [٣] وَالثَّلَاثَة فِي النَّمْلِ [٢٩-٣٢-٣٨]، ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ في خَمْسَةِ مَوَاضِعَ اثْنَان فِي المَائِدَةِ [٢٩-٣٣]، وَفِي الزُّمَر [٢٤]، وَشُورى [٤٠]، والحشر [١٧]. ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ في الأَنْعَامِ [٢٢]، وَشُورَى [٢١]، ﴿يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾ فِي الأَنْعَامِ [٥] وَالشُّعَرَاء [٦]، ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فيه [الشعراء: ١٩٧] ﴿مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ في إِبْرَاهِيمَ [٢٠]، وَغَافِر [٤٧]، ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هود: ٨٧]، ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ﴾ في غافر [٥٠]، ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في الروم [١٣]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ﴾ [الصافات: ١٠٦]، ﴿بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ في الدخان [٣٣]، ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤] فَتُكْتَبُ فِي الكُلِّ بِالْوَاوِ.

فَإِنْ سَكَنَ مَا قَبْلَهُ حُذِفَ هُوَ، نَحْو: ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٩١]، ﴿دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥]، ﴿شَىْءٍ﴾[2]، ﴿ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل: ٢٥]، ﴿مَآءً﴾، إلا ﴿لَتَنُوٓأُ﴾

---

(١) في عدة مواضع [يونس، النمل، الروم].

(٢) في مواضع كثيرة.

[القصص: ٧٦] و﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ [يونس: ٨٧]، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠] كَذَا قَالَ الفَرَّاءُ.

وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ لَا تُسْتَثْنَى؛ لأَنَّ الأَلِفَ بَعْدَ الْوَاوِ لَيْسَتْ صُورَةَ الهَمْزَةِ، بَلْ هِيَ المَزِيدَةُ بَعْدَ وَاوِ الْفِعْلِ. فَتَأَمَّلْ.

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: [فِي البدل][1] يُكْتَبُ بِالْوَاوِ: أَلِفُ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾، و﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾، و﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ غَيْرُ مُضَافَاتٍ. و﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾[2]، و﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وَ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١]، ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ [النجم: ٢٠].

وَبِالْيَاءِ كُلّ أَلِف مُنْقَلبةٍ عَنْهَا، نَحْو: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾[3] فِي اسْمٍ أَوْ فِعْلٍ اتَّصَلَ بِهِ ضَمِيرٌ أَمْ لَا، لَقِيَ سَاكِنًا أَمْ لَا، وَمِنْهُ ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ [المائدة: ٣١]، ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ [الزمر: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ [يوسف: ٨٤] إلا ﴿تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، و﴿كِلْتَا﴾ [الكهف: ٣٢]، و﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَ﴿ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وَ﴿أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يس: ٢٠]، و﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ [الحج: ٤]، و﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١]، وَ﴿سِيمَاهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وَمَا قَبْلَهَا يَاء كَالدُّنْيَا وَالحَوَايَا، وَ﴿هُدَىٰ﴾ إلا ﴿يَحْيَىٰ﴾ اسْمًا وَفِعْلًا، وَيُكْتَبُ بِهَا (على) و(إلى) و(أنى) بِمَعْنَى (كَيْف)، و(متى) و(بلى) و(حتى) و(لدى) إلا ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥].

وَيُكْتَبُ بِالأَلِفِ الثُّلَاثِي الوَاوِي اسْمًا أَوْ فِعْلًا، نَحْو: ﴿ٱلصَّفَا﴾ [البقرة: ١٥٨]

---

(١) زيادة في بعض النسخ.

(٢) الأنعام [٥٢] والكهف [٢٨].

(٣) الأنعام [٦٠] يونس [١٠٤] النحل [٧٠] السجدة [١١].

و﴿شَفَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] والتوبة [١٠٩] وَ﴿عَفَا﴾(١) إلَّا ﴿ضُحَىٰ﴾ [الأعراف: ٩٨] [طه: ٥٩] كَيْفَ وَقَعَ وَ﴿مَا زَكَىٰ﴾ [النور: ٢١] و﴿دَحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠] و﴿تَلَىٰهَا﴾ وَ﴿طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: ٦] وَ﴿سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢].

وَيُكْتَبُ بِالأَلِفِ نُونُ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَةِ وَإِذًا، وَبِالنُّونِ ﴿وَكَأَيِّن﴾، وَبِالْهَاءِ هَاء التَّأْنِيث، إِلَّا ﴿رَحْمَتَ﴾(٢) فِي الْبَقَرَةِ [٢١٨] وَالأَعْرَافِ [٥٦] وَهُود [٧٣] وَمَرْيَمَ [٢] وَالرُّوم [٥٠] والزُّخْرف [٣٢]، وَ﴿نِعْمَتَ﴾(٣) فِي الْبَقَرَةِ [٢٣١] وَآلِ عِمْرَانَ [١٠٣] وَالمَائِدَة [١١] وَإِبْرَاهِيمَ [٢٨-٣٤] وَالنَّحْل [٧٢-٨٣-١١٤] وَلُقْمَان [٣١] وَفَاطِر [٣] وَالطُّورِ [٢٩]، و﴿سُنَّتُ﴾ فِي الأَنْفَالِ [٣٨] وَفَاطِر [٤٣] وَثَانِي غَافِر [٨٥]، وَ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ مَع زَوْجِهَا(٤)، وَ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣٧]،

---

(١) في عدة مواطن: آل عمران [١٥٢-١٥٥] المائدة [٩٥-١٠١] التوبة [٤٣] الشورى [٤٠].

(٢) رحمت: في سبعة مواضع: في البقرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾، وفي الأعراف ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، وفي هود ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾، وفي مريم ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾، وفي الروم ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾، وفي الزخرف ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. النشر في القراءات العشر (٢/ ١٢٩).

(٣) نعمت: في أحد عشر موضعًا: في البقرة ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وفي آل عمران ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾، وفي المائدة ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، وفي إبراهيم ﴿بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾، وفي النحل: ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، و﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾، وفي لقمان: ﴿أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾، وفي فاطر ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾، وفي الطور ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾. النشر في القراءات العشر (٢/ ١٢٩).

(٤) امرأت: في سبعة مواضع: في آل عمران ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [٣٥]، وفي يوسف ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ =

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦١]، ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٧]، وَ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ فِي المُجَادَلَة [٨، ٩]، ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الدخان: ٤٣]، ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ [القصص: ٩]، وَ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩]، ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٦]، وَ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾(١)، ﴿ٱللَّٰتَ﴾ [ص: ٣] و النجم [١٩]، وَ﴿مَرْضَاتِ﴾(٢)، و﴿هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، و﴿ذَاتَ﴾ [النمل: ٦٠] و﴿ٱبْنَتَ﴾ [التحريم: ١٢]، وَ﴿فِطْرَتَ﴾ [الروم: ٣٠].

الْقَاعِدَةُ الخَامِسَةُ: فِي الوَصْلِ وَالْفَصْلِ: يُوصَل (أَلَّا) بِالفَتْحِ إِلَّا عَشْرَةَ: ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾، ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟﴾ فِي الأَعْرَافِ [١٠٥-١٦٩]. ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ [التوبة: ١١٨] وَفِي هُود [١٤] ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ﴾، ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٦]، ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ فِي الْحَجِّ [٢٦]، ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟﴾ فِي يس [٦٠]، ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟﴾ فِي الدُّخَانِ [١٩]، ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ﴾ فِي المُمْتَحَنَةِ [١٢]، ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ فِي ن [٢٤].

و(مِمَّا) إِلَّا ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ﴾ فِي النِّسَاء [٢٥]، وَالرُّومِ [٢٨]، و﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ فِي المُنَافِقِينَ [١٠].

و(مِمَّنْ) مُطْلَقًا.

= ٱلْعَزِيزِ﴾ [٣٠-٥١] في الموضعين. وفي القصص ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [٩]، وفي التحريم ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ و﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾ [١٠-١١]. النشر في القراءات العشر (٢/ ١٢٩).

(١) في مواضع: يوسف [٤] ومريم [٤٢] والقصص [٢٦] والصافات [١٠٢].

(٢) البقرة: [٢٦٥] النساء: [١١٤] التحريم: [١].

وَ(عمَّا) إِلَّا فِي ﴿عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأعراف:١٦٦].

وَ(إمَّا) بِالْكَسْرِ إِلَّا ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فِي الرَّعْدِ [٤٠].

و(أَمَّا) بِالْفَتْحِ مُطْلَقًا.

و(عَمَّنْ) إِلَّا ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ فِي النُّورِ [٤٣] ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾ فِي النَّجْمِ [٢٩].

و(أَمَّنْ) إِلَّا ﴿أَم مَّن يَكُونُ﴾ فِي النِّسَاءِ [١٠٩]، ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ﴾ [التوبة: ١٠٩] ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ فِي الصَّافَّاتِ [١١]، ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا﴾ [فصلت: ٤٠].

و(إِلَّمْ) بِالْكَسْرِ إِلَّا ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ فِي الْقَصَصِ [٥٠].

و(فيما) إِلَّا أَحَدَ عَشَرَ: ﴿فِي مَا فَعَلْنَ﴾ الثَّانِي مِنَ الْبَقَرَةِ [٢٤٠]، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ﴾ فِي المَائِدَةِ [٤٨] وَالأَنْعَامِ [١٦٥]، ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ﴾ [الأنعام:١٤٥]، ﴿فِي مَا ٱشْتَهَتْ﴾ فِي الأَنْبِيَاءِ [١٠٢]، ﴿فِي مَآ أَفَضْتُمْ﴾ [النور: ١٤] ﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ فِي الشُّعَرَاءِ [١٤٦]، ﴿فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فِي الرُّومِ [٢٨]، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ﴾، ﴿فِي مَا كَانُواْ﴾ كِلاهُمَا فِي الزُّمر [٣-٤٦]، ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

و(نِعِمَّا)، و(مَهْمَا)، وَ(رُبَّمَا)، و(كَأَنَّمَا)، و(إنَّما) إلا ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ﴾ فِي الأَنْعَامِ [١٣٤]. و(أَنَّمَا) بِالْفَتْحِ إِلَّا ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ فِي الحَجِّ [٦٢] وَلُقْمَانَ [٣٠].

وَ(كُلَّمَا) إِلَّا ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ [النساء: ٩١]، ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

و(بئسما) إِلَّا مَعَ اللَّامِ[(١)] أي: لبئس ما.

و(يْكَأَنَّ)[(٢)].

وَتُقْطَعُ (حَيْثُ مَا)[(٣)] [البقرة: ١٤٤].

وَ(أَنْ لَمْ) بِالْفَتْحِ[(٤)].

وَ(أَلَّن)[(٥)] إِلَّا فِي الْكَهْفِ [٤٨] وَالْقِيَامَةِ [٣].

وَ(أَيْنَ مَا)[(٦)] إِلَّا ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ [النحل: ٧٦]، وَاخْتُلِفَ فِي ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ

---

(١) (وبئس ما) كتب موصولًا في خمسة مواضع: في البقرة ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ﴾ [١٠٢]، وفي المائدة ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [٦٢-٦٣] في الموضعين و﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ﴾، و﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ﴾ [٧٩-٨٠]. النشر في القراءات العشر (٢/ ١٤٩).

(٢) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ١٥١): فأما ويكأن، وويكأنه وكلاهما في القصص فأجمعت المصاحف على كتابتهما كلمةً واحدةً موصولةً ...».

(٣) (وحيث ما) كتب مفصولًا حيث وقع نحو: وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم، وحيث ما كنتم فولوا. النشر (٢/ ١٤٩).

(٤) (وأن لم) المفتوح كتب مفصولًا في جميع القرآن نحو ذلك ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [البلد:٧]. النشر (٢/ ١٤٨).

(٥) (وأن لن) كتب مفصولًا حيث وقع نحو: ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ﴾ [البلد: ٥]، و﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] إلا في موضعين، وهما ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ في الكهف [٤٨] و﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ في القيامة [٣].

(٦) (وأين ما) كتب مفصولًا نحو: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ إلا في البقرة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، وفي النحل ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فإنه كتب موصولًا. واختلف في ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ في النساء و﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ في الشعراء و﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ في الأحزاب ففي بعض المصاحف مفصولًا، وفي بعضها موصولًا، والله أعلم. النشر: (٢/ ١٤٨).

تَعْبُدُونَ﴾ فِي الشُّعَرَاءِ [٩٢] ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ فِي الأَحْزَابِ [٦١]. وَ(لِكَيْ لَا)[١] إِلَّا فِي آلِ عِمْرَانَ [١٥٣] وَالحَجِّ [٥] وَالحَدِيدِ [٢٣]، وَالثَّانِي فِي الأَحْزَابِ [٥٠].

و(يَوْمَ هُمْ)[٢].

وَنَحْوَ: (فمال) [المعارج: ٣٦] (ولات حين) [ص: ٣] و(ابن أُمّ) إِلَّا فِي طه فَكُتِبَتْ الهَمْزَةُ حِينَئِذٍ وَاوًا، وَحُذِفَتْ هَمْزَةُ ابْن فَصَارَتْ هَكَذَا ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه: ٩٤].

أقول: إن الرسم العثماني أمرُه عظيم ومهم، وقد اختلف العلماء في أول القرن اختلافًا بَيِّنًا عندما دخلت المطابعُ، خاصةً في القرن الماضي، وأُرِيدَ طبع المصحف طباعةً مضبوطةً مشكولة منقوطة صحيحة، فاختلفوا: هل نكتب الرسم العثماني أو لا؟

ثم أطبقوا على وجوب اتباع الرسم العثماني في المصحف، وقد ثارت دعوات قبل سنوات أيضًا بإعادة طبع المصحف على الرسم الإملائي الحديث كما يسمونه، وتعللوا بأن الصبية وأشباه الأميين يصعب عليهم متابعة ما في المصحف من مواضع الرسم الصعبة، لذلك توسط قوم فقالوا: نثبت في الصفحة الرسم العثماني اتِّبَاعًا، ثم نكتب في آخر الصفحة المواضع التي يختلف فيها الرسم الإملائي عن الرسم العثماني، فهذا مصحف مطبوع في دار الشروق، الرسم العثماني فيه مكتوب في صُلْب الصفحة، ثم في هامشها الرسم الإملائي، أي: المواضع التي يختلف فيها الرسم الإملائي عن الرسم العثماني، وهذا حل

---

(١) (وكي لا) كتب مفصولًا، ولا نحو: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ إلا أربعة مواضع. النشر (٢/ ١٥٠).

(٢) (ويوم هم) مفصولٌ في موضعين: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾ في غافرٍ [١٦] و﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ﴾ في الذاريات [١٣].

وسط لا بأس به، إذ لم يَمَسُّوا ما في صحف القرآن ولم يغيروا طريقة الكتابة العثمانية، فهو حل وسط إن أُريد التوسط في هذا الأمر، وإلا فأغلب المصاحف اليوم تكتب على إتباع الرسم العثماني، وإن كتب للصبية الصغار المصحفُ كتابةً إملائيةً تناسبهم وتناسب الهجاء المعروف عند الناس فلا بأس بهذا، فقد أفتى الإمام مالك بهذا[1]، لكن الأَوْلَى ما اتبعه جمهور العلماء بوجوب المحافظة على الرسم العثماني، وتعليم الصبية كيف ينطقون بهذا الرسم.

الْقَاعِدَةُ السَّادِسَةُ: فِيمَا فِيهِ قِرَاءَتَانِ فَكُتِبَ عَلَى إِحْدَاهُمَا. أي: فيما كُتِبَ على رَسْمٍ يَصْلُحُ لكليهما، هذه الكلمة أضبطُ، أي: كُتِبَتْ على رَسْمٍ يصلح للتلفظ بكلتا القراءتين، أو لكل القراءات إن كان في الكلمة أكثرُ من قراءتين، فنقول: يصلح اللفظ للنطق بكل القراءات، مثل: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الْفَاتِحَة: ٤] كُتبت في المصحف العثماني (م ل ك) فمن أَرَادَ أن يقرأها: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يضع خنجرية -وهي الأَلِفُ على هيئة الخنجر بدون مِقْبَضٍ، تُوضع للدلالة على أن هنا مَدًّا- بين الميم واللام، فيقول: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الْفَاتِحَة: ٤] ولا يُغير الرسم ويكتب (م ا ل ك)؛ لأن الذي يريد أن يقرأ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وهم أكثرُ القراء، لو رُسمت: (م ا ل ك) لَمَا استطاعوا أن يقرءوها (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، فهذا الرسمُ ضَبَطَهُ الصحابةُ رضي الله عنهم ضبطًا يدل على فَهْمٍ عميقٍ منهم لأصول الرسم.

كذلك (يُخَادِعُونَ) وَ﴿يَخۡدَعُونَ﴾ [الْبَقَرَة: ٩]، (وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ قراءتان صحيحتان متواترتانِ مشهورتانِ[2]، كُتبت

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالألف، واحتج أبو عمرو بأن قال: إن =

بوجه يسمح للقارئ بقراءتها على كِلَا الوجهين(١).

أيـضًا: (وَإِذْ وَعَـدْنَا مُوسَـى أَرْبَعِـينَ لَيْلَـةً)، ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الْبَقَرَة: ٥١]، ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [الْبَقَرَة: ٥٥] ﴿الـصَّعْقَةُ﴾(٢)، ﴿الـرِّيح﴾ وَ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾(٣)، ﴿تَفْدُوهُمْ﴾(٤) و﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ٨٥]، ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ [الْبَقَرَة: ٨٥] (تَظَّهَّرُونَ)(٥)، ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ١٩١] (وَلَا تَقْتُلُوهُمْ)(٦)... وهكذا إلى آخِرِ تلك الكلمات التي كُتبت على وجهٍ يسمح بقراءتين.

= الرجل يخادع نفسه ولا يخدعها. قال الأصمعي: ليس أحد يخدع نفسه إنما يخادعها، وقرأ أهل الشام والكوفة ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بغير ألف، وحجتهم في ذلك أن الله أخبر عن هؤلاء المنافقين أنهم يخادعون الله والذين آمنوا بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، فأثبت لهم مخادعتهم الله والمؤمنين ثم يخبر عنهم عقيب ذلك أنهم لا يخادعونه ولا يخادعون إلا أنفسهم، فيكون قد نفى عنهم في آخر الكلام ما أثبته لهم في أوله، ولكنه أخبر أن المخادعة من فعلهم، ثم إن الخدع إنما يحيق بهم خاصة دونه. انظر: حجة القراءات، لأبي زرعه (٨٧).

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع (٦٨).

(٢) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٣٧٧): واختلفوا في: «الصاعقة»؛ فقرأ الكسائي الصعقة بإسكان العين من غير ألفٍ، وقرأ الباقون بكسر العين وألفٍ قبلها.

(٣) انظر: حجة القراءات (١١٨) (٢٨٥).

(٤) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢١٨): (واختلفوا) في: (تفدوهم)، فقرأ المدنيان وعاصمٌ والكسائي ويعقوب تفادوهم بضم التاء وألفٍ بعد الفاء. وقرأ الباقون بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألفٍ.

(٥) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢١٨): واختلفوا في تظاهرون وتظاهرا فقرأ الكوفيون: تظاهرون عليهم، وإن تظاهرا عليه في التحريم بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٦) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢٢٧): ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلفٌ، ولا تقتلوهم، حتى يقتلوكم، فإن قتلوكم بحذف الألف فيهن، وقرأ الباقون بإثباتها.

وَمُرَادُنَا: (الْقِرَاءَاتُ الْمَشْهُورَةُ)[(١)]، فَمِنْ ذَلِكَ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الْفَاتِحَة: ٤] - (يُخَادِعُونَ) [الْبَقَرَة: ٩] - ﴿وَٰعَدۡنَا﴾ [الْبَقَرَة: ٥١] - ﴿الصَّعِقَةُ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٥٥] وَ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وَ﴿تُفَٰدُوهُمۡ﴾ [البقرة: ٨٥] - وَ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] - ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ﴾ [القرة: ١٩١] وَنَحْوِهَا - ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾[(٢)] [البقرة: ٢٥١] - (وَلَوْلَا دِفَٰعُ) - ﴿فَرِهَٰنٞ﴾ أو (فَرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ) [البقرة: ٢٨٣][(٣)] - ﴿طَٰٓئِرًا﴾، ﴿طَيۡرًۢا﴾ وَكِلتَاهُمَا متواترة[(٤)]، فِي الْمَائِدَةِ [١١٠] وَآلِ عِمْرَانَ [٤٩] - ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، (فَيُضَعِّفُهُ)[(٥)] وَنَحْوَ: ﴿عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٣] هناك قراءة:

---

(١) أي: غير الشاذة.

(٢) قرأ نافع: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ بالألف، وقرأ الباقون ﴿دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ مصدر من دفع دفعًا، وحجتهم أن الله ﷻ لا مدافع له، وأنه هو المنفرد بالدفع من خلقه، وكان أبو عمرو يقول: إنما الدفاع من الناس والدفع من الله. وحجة نافع إن الدفاع مصدر من دفع كالكتاب من كتب، كما قال: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ فالكتاب مصدر لكتب الذي دل عليه قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾؛ لأن المعنى: كتب هذا التحريم عليكم، ويجوز أن يكون مصدرا لفاعل؛ تقول: دافع الله عنك الشيء يدافع مدافعة ودفاعًا. والعرب تقول: أحسن الله عنك الدفاع، ومثل ذلك: عافاك الله، ومثل فاعلت للواحد كثير قال الله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾. انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة (١٤٠-١٤١).

(٣) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢٣٧): (واختلفوا) في: فرهانٌ فقرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرٍو فرهنٌ بضم الراء والهاء من غير ألفٍ، وقرأ الباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألفٍ بعدها...».

(٤) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة (١٦٤).

(٥) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢٢٨): (واختلفوا) في: فيضاعفه هنا والحديد، فقرأ ابن عامرٍ وعاصمٌ ويعقوب بنصب الفاء فيهما، وقرأ الباقون بالرفع، (واختلفوا) في: حذف الألف وتشديد العين منهما، ومن يضعف، ومضعفةً وسائر الباب فقرأ ابن كثيرٍ وابن عامرٍ وأبو جعفرٍ ويعقوب بالتشديد مع حذف الألف في جميع القرآن. وقرأ الباقون بالإثبات والتخفيف.

(عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ)(١) - ﴿الأَوَّلِينَ﴾ [المائدة: ١٠٧] أو ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾(٢) - ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ [النساء: ٤٣]، و(لَمَسْتُمْ)(٣).

من يقول: إن المراد بقوله: ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ [النِّسَاء: ٤٣] الجنابة، رُدَّ عليه كما ذُكر بالتفصيل قبل ذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأَنْعَام: ٧] قال القائلون: بأن مجرد لمس المرأة ينقض، واستدلوا بهذه الآية، قالوا: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ﴾ [النِّسَاء: ٤٣] وفي قراءة متواترة صحيحة: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ﴾ فالمرادُ باللمسِ مطلقُ اللمس لا الجماع كما ذهب إليه كثيرٌ من الفقهاء، وهذا رأيُ الإمامِ الشافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤) وَمَنْ وَافَقَهُ بأن المراد بالملامسة في قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ﴾ مُطْلَقُ الملامسة، ولا تختص بالجماعِ.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ بغير ألف، وحجتهم أن الأيمان عقدت بينهم؛ لأن في قوله: ﴿أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ حجة على أن أيمان الطائفتين هي عقدت ما بينهما وفي إسناد الفعل إلى الأيمان كفاية من الحجة. وقرأ الباقون: ﴿**والذين عاقدت**﴾ بالألف، وحجتهم أن العقد كان من الفريقين وكان هذا في الجاهلية يجيء الرجل الذليل إلى العزيز فيعاقده ويحالفه ويقول له: أنا ابنك ترثني وأرثك وحرمتي حرمتك ودمي دمك وثأري ثأرك فأمر الله جل وعز بالوفاء لهم، فهذا العقد لا يكون إلا بين اثنين، وقيل: إن ذلك أمر قبل تسمية المواريث وهي منسوخة بآية المواريث. حجة القراءات، لأبي زرعة (٢٠٢).

(٢) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢٥٦): (واختلفوا) في: الأوليان؛ فقرأ حمزة وخلفٌ ويعقوب وأبو بكرٍ: (الأولين) بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون على الجمع، وقرأ الباقون بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون على التثنية.

(٣) «قرأ حمزة والكسائي ﴿**أو لمستم النساء**﴾ بغير ألف...» حجة القراءات، لأبي زرعة (٢٠٥).

(٤) سبق التعريف به.

﴿قَسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] (قَسِيَّةً)[١] - ﴿قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] و(قَيِّمًا لِلنَّاسِ)[٢] - ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾ أو ﴿خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ قرئت كذلك أيضًا في المتواتر[٣]، فِي الأَعْرَافِ [١٦١] - ﴿طَـٰٓئِفٌ﴾ [الأعراف: ٢٠١] أو (طَيْفٌ)[٤] - ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١] أو (حَاشَا لِلَّهِ) ونُفَرِّقُ بينَهما في الوقفِ أيضًا[٥] - ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ﴾ [الرعد: ٤٩] (وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ)[٦] - ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ [الكهف: ١٧] (تَزْوَرُّ عن كفهم ذات اليمين)[٧] - (زُكِيَةً) [الكهف: ٧٤] ﴿زَكِيَّةً﴾[٨] - ﴿فَلَا تُصَـٰحِبْنِى﴾

---

(١) (واختلفوا) في: ﴿قَسِيَةً﴾ فقرأ حمزة والكسائي بتشديد الياء من غير ألفٍ، وقرأ الباقون بالألف وتخفيف الياء...». النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٤).

(٢) (واختلفوا) في: ﴿لَكُمْ قِيَمًا﴾، وفي المائدة﴿قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾؛ فقرأ ابن عامرٍ بغير ألفٍ فيهما، ووافقه نافعٌ هنا، وقرأ الباقون بالألف في الحرفين. النشر (٢/ ٢٤٧).

(٣) (واختلفوا) في: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾ فقرأ المدنيان ويعقوب: (خطياتكم) بجمع السلامة ورفع التاء، وقرأ ابن عامرٍ بالإفراد ورفع التاء، وقرأ أبو عمرٍو (خطاياكم) على وزن عطاياكم بجمع التكسير، وقرأ الباقون بجمع السلامة وكسر التاء نصبًا. (واتفقوا) على: خطاياكم في البقرة من أجل الرسم. النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٧٢).

(٤) (واختلفوا) في: ﴿مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ﴾ فقرأ البصريان، وابن كثيرٍ والكسائي، (طيفٌ) بياءٍ ساكنةٍ بين الطاء والفاء من غير همزةٍ، ولا ألفٍ، وقرأ الباقون بألفٍ بعد الطاء، وهمزةٍ مكسورةٍ بعدها. النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٧٥).

(٥) قرأ أبو عمرو: ﴿حاشا لله﴾ بالألف، وحجته ذكرها اليزيدي فقال: يقال حاشاك وحاشا لك وليس أحد من العرب يقول: حاشك، ولا حاش لك، والباقون: ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾. حجة القراءات، لأبي زرعة (٣٥٩).

(٦) ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ﴾ فقرأ المدنيان، وابن كثيرٍ وأبو عمرٍو (الكافر) على التوحيد، وقرأ الباقون على الجمع. النشر (٢/ ٢٩٨).

(٧) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٣١٠): (واختلفوا) في: تزاور؛ فقرأ ابن عامرٍ ويعقوب: (تزور) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألفٍ مثل: تحمر، وقرأ الكوفيون بفتح الزاي وتخفيفها وألفٍ بعدها وتخفيف الراء، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم شددوا الزاي.

(٨) قرأ الكوفيون، وابن عامرٍ وروحٌ بغير ألفٍ بعد الزاي وتشديد الياء، وقرأ الباقون بالألف وتخفيف =

[الكهف: ٧٦] (فَلا تَصْحَبْنِي)(١) - ﴿لَتَخَذْتَ﴾ [الكهف: ٧٧] أو (لَتَخِذْتَ)(٢) - ﴿مِهَٰدًا﴾ [طه: ٥٣] (مَهْدًا)(٣)- ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ٩٥] (وَحِرْمٌ على قرية)(٤)- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] (يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)(٥)- ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢] (سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرِى)(٦) - ﴿ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون:١٤] (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعَظْمَ لَحْمًا)(٧) - ﴿سِرَٰجًا﴾ [الفرقان: ٦١] (سُرُجًا)(٨)- ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ [النمل: ٦٦] أي: نقص (بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ)(٩) - ﴿وَلَا

=

الياء. النشر (٢/ ٣١٣).

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٣).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لتخذت﴾ بتخفيف التاء وكسر الخاء. حجة القراءات، لأبي زرعة (٤٢٥).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿الذي جعل لكم الأرض مهادا﴾ بكسر الميم وفتح الهاء... قرأ أهل الكوفة ﴿مِهَٰدًا﴾... حجة القراءات (٤٥٣).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿وحرم على قرية﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون ﴿وَحَرَٰمٌ﴾، قال قطرب: هما لغتان...» حجة القراءات (٤٧٠).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إن الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ بغير ألف؛ من دفع يدفع دفعًا... حجة القراءات (٤٧٧).

(٦) (واختلفوا) في: سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلفٌ، (سكرى) بفتح السين، وإسكان الكاف من غير ألفٍ فيهما، وقرأ الباقون بضم السين وفتح الكاف وألفٍ بعدها، وهم في الإمالة على أصولهم. النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٢٥).

(٧) قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿عظما فكسونا العظم لحما﴾ على التوحيد ... وقرأ الباقون ﴿عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ﴾ على الجمع...» حجة القراءات (٤٨٤).

(٨) قرأ حمزة والكسائي وخلفٌ بضم السين والراء من غير ألفٍ على الجمع، وقرأ الباقون بكسر السين وفتح الراء وألفٍ بعدها على الإفراد. النشر (٢/ ٣٣٤).

(٩) قرأ ابن كثيرٍ، والبصريان، وأبو جعفرٍ بقطع الهمزة مفتوحةً، وإسكان الدال من غير ألفٍ بعدها، وقرأ

=

﴿تُصَعِّرْ﴾ [لقمان: ١٨] (وَلا تُصَاعِرْ)(١) - ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ﴾ [سبأ: ٢٩] (رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إحدى القراءتين إنشائية والأخرى خبرية.(٢) - ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ [الزخرف: ٥٣] بِلَا أَلِفٍ فِي الْكُلِّ، وقرأ الباقون (أَسَاوِرَةً)(٣)، (الكل) ترجع على كل السابق بلا أَلِف.

﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] (غَيَابَاتِ الْجُبِّ)(٤)- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ﴾ (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ)(٥) فِي الْعَنْكَبُوتِ [٥٠] - ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ (مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا)(٦) فِي فُصِّلَتْ [٤٧]. ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ [المرسلات: ٣٣] و: (جِمَالاتٌ) عَلَى الْجَمْعِ(٧) - ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ [فاطر: ٤٠] (فَهُمْ عَلَى

=

الباقون بوصل الهمزة وتشديد الدال مفتوحةً وألفٍ بعدها...» النشر (٢/ ٣٣٩).

(١) قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون ﴿تصاعر﴾. حجة القراءات (٥٦٥).

(٢) قرأ يعقوب برفع الباء من (ربنا) وفتح العين والدال وألفٍ قبل العين من باعد، وقرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرٍو وهشامٌ بنصب الباء وكسر العين مشددةً من غير ألفٍ مع إسكان الدال، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بالألف وتخفيف العين. النشر (٢/ ٣٥٠).

(٣) ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ فقرأ يعقوب وحفصٌ أسورةٌ بإسكان السين من غير ألفٍ، وانفرد ابن العلاف عن النخاس عن التمار عن رويسٍ بفتح السين وألفٍ بعدها، وكذلك قرأ الباقون. النشر (٢/ ٣٦٩).

(٤) قرأ نافع: ﴿في غيابات الجب﴾ بالألف ... وقرأ الباقون ﴿غَيَٰبَتِ﴾. حجة القراءات (٣٥٥).

(٥) قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وقرأ الباقون ﴿آيةٌ من ربه﴾. حجة القراءات (٥٥٢).

(٦) قرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ بالألف على الجمع ... وقرأ الباقون ﴿من ثمرة من أكمامها﴾ على واحدة. حجة القراءات (٦٣٨).

(٧) (واختلفوا) في: جمالةٌ صفرٌ؛ فقرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ، وحفصٌ جمالةٌ بغير ألفٍ بعد اللام على التوحيد، وقرأ الباقون بالألف على الجمع. النشر (٢/ ٣٩٧).

بَيِّنَاتٍ)(١)– ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] (وَهُمْ فِي الْغُرْفَتِ آمِنُونَ)(٢) – ﴿لأَهَبَ﴾ [مريم: ١٩] بالألِفِ (لِيَهَبَ)(٣)؛ أي: ليهب سبحانه وتعالى لكِ غلامًا زَكِيًّا، ومن قرأها بالألف (لِأَهَبَ) أَسْنَدَ إلى جبريل الْمَلَك؛ لأنه هو الذي نَفَخَ في جيبِ دِرْعِهَا عليها الصلاة والسلام، فَأُسْنِدَ الفعلُ إليه بقوله: (لأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) [مَرْيَم: ١٩].

– ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنعام: ٥٧] (يَقْضِ الْحَقَّ) أيضًا(٤).

– ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦] و(ائْتُونِي)(٥).

– ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٣٦٧] (فَنُنْجِي مَنْ نَشَاءُ)(٦)– ﴿نُنْجِي

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي: ﴿**فهم على بينات منه**﴾ بالألف، وقرأ الباقون: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ بغير ألف. حجة القراءات (٥٩٤).

(٢) قرأ حمزة: ﴿**وهم في الغرفة**﴾ واحدة، وقرأ الباقون: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾.

(٣) قرأ أبو عمرو وورش والحلواني عن نافع: ﴿**قال إنما أنا رسول ربك ليهب لك**﴾ بالياء، أي: ليهب الله لك، ولم يكن جبريل الذي يهب بل الله يهب؛ المعنى أرسلني؛ ليهب الله لك. وقرأ الباقون: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ جبرئيل يخبر عن نفسه. فإن قال قائل: الهبة من الله تعالى فلم أخبر جبرئيل عن نفسه؟ قيل: ففي ذلك قولان أحدهما: «قال إنما أنا رسول ربك» يقول الله تعالى: «لأهب لك»، قال الزجاج من قرأ ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ فهو على الحكاية وحمل الحكاية على المعنى على تأويل «قال أرسلت إليك لأهب لك» فحذف من الكلام «أرسلت»؛ لدلالة ما ظهر على ما حذف، والقول الثاني: جبريل عليه السلام قال لمريم: إنما أنا رسول ربك أرسلني لأهب لك. حجة القراءات (٤٤٠).

(٤) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢٥٨): واختلفوا في: «يقص الحق» فقرأ المدنيان، وابن كثيرٍ وعاصمٌ، يقص بالصاد مهملةً مشددةً من القصص، وقرأ الباقون بإسكان القاف وكسر الضاد معجمةً من القضاء ويعقوب على أصله في الوقف بالياء كما تقدم في بابه.

(٥) قرأ أبو بكر: ﴿**ردمًا ايتوني**﴾ بوصل الألف جعله من الإتيان... وقرأ الباقون ﴿ءَاتُونِي﴾ ممدودة، أي: أعطوني. حجة القراءات (٤٣٤).

(٦) قال ابن الجزري في النشر (٢/ ٢٩٦): واختلفوا في: ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ فقرأ ابن عامرٍ ويعقوب وعاصمٌ =

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) بِنُونٍ وَاحِدَةٍ[(١)].

- ﴿صِرَٰطَ﴾ [الفاتحة: ٥] كَيْفَ وَقَعَ، أي: مُعَرَّفًا أو مُنَكَّرًا أو مضافًا إلى معرفة[(٢)].

- ﴿بَصْۜطَةً﴾ فِي الأَعْرَافِ [٦٩][(٣)] - وَ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧] - وَ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ بِالصَّادِ [الغاشية: ٢٢]، وقد تُقرأ بالسين، وقد تُقرأ بطريقة بينَ السين وبين الصاد، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٢٢] ليست صَادًا وليست زَايًا، بل هي بينَ الصادِ والزَّاي، قال العلماء في ضَبْطِهَا: كما ينطق العوامُّ بالظاء، ويسمى هذا: إشمامًا، أي: أن تُشِمَّ الصادَ حرفَ الزاي، فليست بصاد، وليست بزاي، فتقول: (ومن أَظْدَقُ من الله قيلا)، (اهدنا الظِّرَاطَ المستقيمَ ظِرَاطَ الذين أنعمتَ عليهم)، و(مُظَيْطِرٍ) أيضًا، و(مُظَيْطِرُونَ)[(٤)] ولا

=

بنونٍ واحدةٍ على تشديد الجيم وفتح الياء، وقرأ الباقون بنونين، الثانية ساكنةٌ مخفاةٌ عند الجيم، وتخفيف الجيم، وإسكان الياء، وأجمعت المصاحف على كتابته بنونٍ واحدةٍ.

(١) ﴿نُـجِّى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقرأ ابن عامرٍ وأبو بكرٍ بنونٍ واحدةٍ وتشديد الجيم على معنى ننجي، ثم حذفت إحدى النونين تخفيفًا. النشر (٢/ ٣٢٤).

(٢) قرأ ابن كثير في رواية القواس ﴿السراط﴾ ﴿وسراط﴾ بالسين، وقرأ حمزة بإشمام الزاي، وروي عنه بالزاي، وهي لغة للعرب، وقرأ الباقون﴿صِرَٰطَ﴾ بالصاد. حجة القراءات (٨٠).

(٣) قرأ خلفٌ لنفسه، وعن حمزة والدوري عن أبي عمرٍو وهشامٍ ورويسٍ بالسين في الحرفين. واختلف عن قنبلٍ والسوسي وابن ذكوان وحفصٍ وخلادٍ، فروى ابن مجاهدٍ عن قنبلٍ بالسين، وكذا رواه الكارزيني عن ابن شنبوذ، وهو وهمٌ. وروى ابن شنبوذ عنه بالصاد، وهو الصحيح عنه، وهي طريقي الزينبي، وغيره عنه، وروى ابن حبشٍ عن ابن جريرٍ عن السوسي بالصاد. النشر (٢/ ٢٢٨).

(٤) (واختلفوا) في: المسيطرون هنا (وبمسيطرٍ) في سورة الغاشية، فرواها هشامٌ بالسين فيهما. ورواه خلفٌ عن حمزة بإشمام الصاد الزاي، (واختلف) عن قنبلٍ وابن ذكوان وحفصٍ وخلادٍ. النشر (٢/ ٣٧٨).

تضبط إلا بالمشافهة.

وَقَدْ تُكْتَبُ الْكَلِمَةُ صَالِحَةً لِلْقِرَاءَتَيْنِ، نَحْوَ: ﴿فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١] **بِلا أَلِفٍ وَهِيَ قِرَاءَةٌ**، وَ(فاكهين)[١]، **وَعَلَى قِرَاءَتِهَا هِيَ مَحْذُوفَةٌ رَسْمًا؛ لأَنَّهُ جَمْعُ تَصْحِيحٍ.**

فَصْلٌ[٢]: **فِيمَا كُتِبَ مُوَافِقًا لِقِرَاءَةٍ شَاذَّةٍ: فَمِنْ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾** [البقرة: ٧٠] يقول بالأسفل: (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا)[٣]- **﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ﴾** [البقرة: ١٠٠] (عَهَدُوا) أو (عُوهِدُوا)[٤]وكل هذه قراءاتٌ شاذة، والفرقُ بينَ القراءةِ الشاذةِ والقراءة الصحيحة: صحةُ الإسنادِ: تَوَاتُرُهُ، أو استفاضتُه وشهرته، وموافقتُه للرسم العثماني الذي أَطْبَقَ عليه الصحابةُ، وموافقتُه لوجهٍ في العربية، قد يكون فصيحًا وقد يكون أفصحَ، وهناك أبيات اختصر فيها ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ[٥] كل هذه الشروطَ:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ للرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الأَرْكَانُ
وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوَ انَّهُ فِي السَّبْعَةِ
فَكُنْ عَلَى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ ... فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفِ

---

(١) قرأ حفص: ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. حجة القراءات (٧٥٥).

(٢) الإتقان (٤/ ١٨١).

(٣) انظر: كتاب (القراءات الشاذة) لابن خالويه (٧).

(٤) انظر: كتاب (القراءات الشاذة) لابن خالويه (٨).

(٥) سبق التعريف به.

أي: حتى لو أنه كان منسوبًا لأحد القراء المشهورين، أَثْبتْ شُذُوذَهُ إن لم تَكْتَمِلْ فيه هذه الشروطُ الثلاثةُ، والشاذُّ هو الذي لا يجوز أن يُعَدَّ قرآنًا، فلا يُقرأ به في الصلاة، ولا يُتَعَبَّد بتلاوته، والفائدة منه إخراجُ أحكامٍ فِقْهِيَّةٍ، وترجيحُ حُكْمٍ على آخَرَ، وبيانُ أمرٍ مُجْمَعٍ عليه، أو مختلف فيه... إلخ ما فَصَّلَ فيه ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النشر في القراءات العشر، في الجزء الأول، فليرجع إليه من أراده.

ولا بد أن نعلم أن القراءة الشاذة قد تكون صحيحة يقرأها السلفُ رحمهم الله تعالى في زمانهم، لكنْ تَقَادَمَ عليها العهدُ فلم يَعُدْ لها سندٌ معتبرٌ فَشَذَّتْ، لكنها قرأ بها النبيُّ ﷺ وقرأ بها عددٌ من الصحابة، وقلنا: القرآنُ لا بد فيه من التلقي.

﴿فَلَقَتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠][1] - ﴿طَيْرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣١][2]- ﴿طَيْرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣][3]- ﴿تُسَٰقِطْ﴾ [مريم: ٢٥] - ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤][4] - ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ [الإنسان: ٢١][5] - ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦][6] - ﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفجر: ٢٩][7]. هذه بعضُ القراءاتِ الصحيحةِ التي قرئت شاذة أيضا بعد تغييرها بما يحتمله الرسم.

---

(١) انظر: مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، وقرئت: (فلقتلوكم).
(٢) المصدر السابق (٤٥)، وقرئت: (طيرهم).
(٣) المصدر السابق (٧٥)، وقرئت: (طيرة).
(٤) المصدر السابق (١١٦)، وقرئت: (فصله).
(٥) المصدر السابق (١٦٦)، وقرئ: (عليهم) و(عاليتهم).
(٦) انظر: المهذب في القراءات العشر (٢/ ٤٥٠).
(٧) قرأ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿في عبدي﴾؛ أي: في جسد عبدي. مختصر في شواذ القرآن (١٧٣).

﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ وَ (خَاتَمُهُ) وهذه ليست قراءةً شاذةً.

فَصْلٌ: وَأَمَّا الْقِرَاءَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ الْمَشْهُورَةُ بِزِيَادَةٍ لَا يَحْتَمِلُهَا الرَّسْمُ وَنَحْوِهَا، نَحْوُ: ﴿أَوْصَى﴾ ﴿وَوَصَّىٰ﴾ [البقرة: ١٣٢]، فـ(أَوْصَى، وَوَصَّى) قراءتان متواترتان[1]، فإن قيل: كيف صَحَّ أن نَحذف الألفَ من أَوْصَى، وتبقى القراءةُ موافِقة للرسم العثماني؟

قلنا: القراءة قد توافق الرسم العثماني تقديرًا أو تحقيقًا، يعني: بالنظر إلى الكلمة نستطيع أن نقرأها بقراءتين مختلفتين: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الْحُجُرَات: ٦] ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَثَبَّتُوا﴾ فقولنا: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ و﴿فتثبّتوا﴾[2] يحتملها الرسمُ احتمالًا تحقيقيًّا، وهناك تقديرٌ فيه، لكن هناك بعض القراءات لا بد أن نُقَدِّرَ في الرسم الألفَ مثلًا، ونحذفها من قراءةٍ وَنُبْقِيَهَا في قراءة أخرى؛ لأنها قراءة مشهورة متواترة تلقَّتْها الأمةُ بالقَبول، وتلقاها الأئمةُ بالقبول أيضًا، فليس علينا إلا أن نَقْبَلَهَا، فما كان من شأنها كذلك فلا بد أن نلتمس فيها تقديراتٍ في الرسم العثماني، فلا نقول: إن هذه الطريقة من القراءة تُخالف الرسمَ العثمانيَّ، بل هي ثابتة متواترة، فلا بد أن نُقَدِّرَ الرسمَ العثمانيَّ تقديرًا يوافق القراءتين؛ لأنها قراءة ثابتة متلقاةٌ بالقبول.

﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ وَ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ [التوبة: ١٠٠][3] **وَ﴿سَيَقُولُونَ اللهُ﴾**

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: وأوصى بها. بالألف... وقرأ الباقون ﴿وَوَصَّىٰ﴾ بالتشديد. حجة القراءات (١١٥).

(٢) انظر: حجة القراءات (٢٠٩).

(٣) قرأ ابن كثير: ﴿**وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ بزيادة [من] وكذلك في مصاحفهم، وقرأ =

و﴿لِلَّـهِ﴾ [المؤمنون: ٨٥- ٨٧-٨٩][1] وَ﴿مَـا عَمِلَـتْ أَيْـدِيهِمْ﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ [يس: ٣٥][2].

ذكرنا هذا الموضوع في المقدمات، وذكرنا أن فيه تَوْجِيهًا -لأن بعض المستشرقين يقولون: أنتم تقولونَ: إن مصحفكم كاملٌ ليس فيه حرفٌ ساقطٌ، كيف سقطت الكلمة (مِنْ) من قوله تعالى: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؟!- وهو أنه ثَبَتَ عن رسول الله ﷺ بالسند المتواتر أنه قرأ: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ و﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فإذا كان الأمرُ كذلك فكلتاهما قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة.

وقلنا: إن الصحابة عندما أرادوا أن يكتبوا المصحف العثمانيَّ عَمَدُوا إلى طريقة فَرِيدَةٍ، قالوا: ننسخ من مصحف عثمان – رضي الله عنه وعنهم أجمعين– مصاحفَ ونُوَزِّعُها على الأمصار، فنُثْبِتُ (من) في مصحف من المصاحف: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ونحذفها من باقي المصاحف كلها؛ لأن أكثر الصحابة كانوا يقرءون: (تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ)، ولو كان أكثرهم يقرأ: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ [التوبة: ١٠٠] لَأَبْقَوْهَا في كل المصاحف، وحذفوها من مصحف واحد، لكن حذفوها من جميع المصاحف، وَأَبْقَوْهَا في المصحف

=

الباقون ﴿تَحْتَهَا﴾ من غير [من] وهكذا في مصاحفهم. حجة القراءات (٣٢٢).

(١) قرأ أبو عمرو: ﴿**سيقولون الله، سيقولون الله**﴾ بالألف فيهما ولم يختلفوا في الأولى، وقرأ الباقون ﴿لله﴾، ﴿لله﴾. حجة القراءات (٤٩٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿**وما عملت أيديهم**﴾ بغير هاء، وقرأ الباقون ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ بالهاء. حجة القراءات (٥٩٨).

الْمَكِّيِّ الذي نُقِلَ إلى مكة.

كذلك كتبوا: (وَأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) [البقرة:١٣٢] في المصحف المدني الباقي في المدينة، وحذفوها من باقي المصاحف، أثبتوا في بقية المصاحف: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢]. وهكذا في كل المواضع التي فيها زيادةُ كلمةٍ، أو حذف كلمة، أو زيادة حرف، وحذف حرف آخَرَ، وهذه طريقة وَفَّقَ اللهُ تبارك وتعالى الصحابةَ لها، وهي طريقة جميلة جيدة فيها فَهْمٌ، وفيها عِلْمٌ جَمٌّ، فلنفهم هذه النقطةَ؛ فهي مهمةٌ جِدًّا.

كذلك قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ اللهُ﴾ و﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٥-٨٧-٨٩] كتبوا هذه وتلك في مصاحف مختلفة، ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وفي مصحف: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥]، لذلك نقول: قراءةُ أهلِ مكةَ كذا، قراءةُ أهل المدينة كذا، قراءةُ أهل الشام كذا، المراد منها: قراءتهم الموافقة للمصحف الذي أُرْسِلَ إليهم من قِبَلِ عثمان رضي الله عنه.

فَكِتَابَتُهُ عَلَى نَحْوِ قِرَاءَتِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ وُجِدَ فِي مَصَاحِفِ الإِمَامِ. أي: وكلُّ ذلك من اختلافٍ بالحذف والإثبات والزيادة والنقصان وُجِدَ في مصاحف الإمام، فإن الناس لا يقرءون على مُشْتَهَى هَوَاهُمْ، وعلى مطلق إراداتهم، إنما لهم في ذلك سندٌ عن رسول الله ﷺ يوافقه شيءٌ مكتوبٌ.

فَهَذَا مَا حَرَّرْتُهُ مِنْ كُتُبِ الرَّسْمِ عَلَى انْتِشَارِهَا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ فَضَبَطُّهُ بِهَذِهِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي لَمْ أُسْبَقْ إِلَى تَحْرِيرِهَا، وَلا يَخْرُجُ عَنْهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ- إِلَّا مَا اخْتُلِفَ فِيهِ.

خَاتِمَةٌ[١]: **كَانَ الشَّكْلُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ نَقْطًا**، يعني: كان الشكلُ في الصدر الأول على عهد السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نقطًا، لم يكن ضَمَّةً أو فتحةً أو كسرةً، **فَالْفَتْحَةُ نُقْطَةٌ عَلَى أَوَّلِ الْحَرْفِ، وَالضَّمَّةُ عَلَى آخِرِهِ، وَالْكَسْرَةُ تَحْتَ أَوَّلِهِ**، الأوليةُ هنا والآخِرِيَّةُ نسبيةٌ؛ مثلَ الأَلِفِ فالنقطة قبلها بقليل فتحةٌ، وبعدَها بقليل أو فوقَها ضمةٌ، وتحتها كسرةٌ، وهكذا، مثل: التاء والثاء والياء والنون، يصح فيها الأوليةُ هذه والآخِرِيَّةُ؛ لأنها طويلة.

وَعَلَيْهِ مَشَى الدَّانِيُّ[٢]. **وَالَّذِي اشْتُهِرَ الآنَ الضَّبْطُ بِالْحَرَكَاتِ الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الْحُرُوفِ، وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْخَلِيلُ**[٣]، **وَهُوَ أَكْثَرُ وَأَوْضَحُ وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ، فَالْفَتْحُ شَكْلَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ فَوْقَ الْحَرْفِ**، لأن الفتحة يناسبها الأَلِفُ، فهم أَخَذُوا جزءًا من الألف ووضعوه مبسوطًا فوق الحرف، فالفتحةُ هي أَلِفٌ لكنها مُمَدَّةٌ فوق الحرف، والضمةُ واوٌ صغيرةٌ، والكسرةُ كذلك مُمَالَةٌ قليلًا، فهي إمالةٌ حقيقةٌ لكنها مَحْضَةٌ وكبرى، وهي إشباعٌ كَامِلٌ، فَتُوضَعُ تحتَ الحرفِ.

وَالْكَسْرُ كَذَلِكَ تَحْتَهُ، وَالضَّمُّ وَاوٌ صُغْرَى فَوْقَهُ، وَالتَّنْوِينُ زِيَادَةٌ مِثْلُهَا، أي: زيادة حرف مثلها، التنوين أن تزيدَ حرفًا مع الحرف.

فَإِنْ كَانَ مُظْهَرًا وَذَلِكَ قَبْلَ حَرْفِ حَلْقٍ رُكِّبَتْ فَوْقَهَا وَإِلَّا تَابَعْتَ بَيْنَهُمَا. هذه

---

(١) انظر: الإتقان (٤/ ١٨٦).

(٢) هو أبو عمرو الداني. سبق التعريف به.

(٣) الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن، الأزدي، الفراهيدي، البصري، صاحب العربية والعروض، أحد الأعلام. وكان رأسًا في علم اللسان، خيرًا، متواضعًا، ذا زهدٍ وعفافٍ. يقال: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله علمًا لم يسبق إليه، فرجع إلى البصرة، وقد فتح له بعلم العروض، فصنف فيه، وصنف أيضًا كتاب «العين» في اللغة. توفي سنة (١٧٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤/ ٣٥٥).

موجودةٌ بالتفصيل في أواخر المصحف الذي بينَ يدينا، أن تكون الفتحتانِ متراكبتينِ فوقَ بعضهما البعض، أو متتابعتينِ بِمَيْلَةٍ، فإن كانتا مُتَرَاكِبَتَيْن متوافقتينِ تمامًا فَهُنَا موضع من مواضع الإظهار، وإلا فإدغام أو إخفاء.

وَكُتِبَ الأَلِفُ الْمَحْذُوفَةُ وَالْمُبْدَلُ مِنْهَا فِي مَحَلِّهَا حَمْرَاءَ، وَالْهَمْزَةُ الْمَحْذُوفَةُ تُكْتَبُ هَمْزَةً بِلَا حَرْفٍ حَمْرَاءَ أَيْضًا، وَعَلَى النُّونِ وَالتَّنْوِينِ قَبْلَ الْبَاءِ عَلامَةُ الإِقْلابِ (م) حَمْرَاءَ، وَقَبْلَ الْحَلْقِ سُكُونٌ، وَتُقْرَأُ عِنْدَ الإِدْغَامِ وَالإِخْفَاءِ، أَيْ: يُقرأ السكونُ عندَ الإدغامِ والإخفاءِ. **وَيُسَكَّنُ كُلُّ مُسَكَّنٍ، وَيُعَرَّى الْمُدْغَمُ وَيُشَدَّدُ مَا بَعْدَهُ إِلَّا الطَّاءَ قَبْلَ التَّاءِ فَيُكْتَبُ عَلَيْهَا السُّكُونُ، نَحْوَ: ﴿فَرَّطتُ﴾** [الزمر: ٥٦]، **وَمَطَّةُ الْمَمْدُودِ لا تُجَاوِزُهُ.** يقول: مَطَّةُ الممدودِ لا تُجَاوِزُهُ، أي -والله أعلم-: علامة المدِّ لا تجاوز الحرفَ الممدودَ فلا تكون فوقَ غيرِه، هكذا ظَهَرَ لي، وهذه الألوانُ التي ذكرها ليست موجودةً اليومَ إنما هي في زمانه، وتدل على أحرف محذوفة في الخط مثبتة في النطق، يُعَلَّمُ عليها بعلامات ألوان.



النوع الخامس والتسعون
تسمية السور

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: اخْتُلِفَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وَسُورَةُ النِّسَاءِ، وَسُورَةُ الْمَائِدَةِ... وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْجُمْهُورُ عَلَى جَوَازِهِ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: (هَذَا مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)(١)، وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ أَنَّ الْعَبَّاسَ نَادَى بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمَّا فَرَّ الصَّحَابَةُ يَوْمَ حُنَيْنٍ: (يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، يَا أَصْحَابَ الْبَقَرَةِ، فَجَعَلُوا يُقْبِلُونَ)(٢).

وَقَالَ جَمَاعَةٌ: لَا يُقَالُ ذَلِكَ، بَلِ السُّورَةُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا.

الأحاديثُ والآثار التي تدلُّ على جواز أن نقول: سورة كذا، وسورة كذا أكثرُ من أن تُحْصَى، فهي كثيرةٌ جِدًّا! ولكن كَرِهَ بعضُ السلف أن يقال: سورةُ البقرةِ، سورةُ الأنعامِ، سورةُ النساءِ، وهذا خلافُ الصحيحِ، والله أعلم.

فَفِي الطَّبَرَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «لَا تَقُولُوا: سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَلَا سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وَلَا سُورَةُ النِّسَاءِ، وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ، وَلَكِنْ قُولُوا: السُّورَةُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ، وَالَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ، كَذَا الْقُرْآنُ كُلُّهُ»(٣)، وَهَذَا حَدِيثٌ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٧٤٧) ومسلم (١٢٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٥) وفيه قصة، وأحمد (١٧٧٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٧٥٥) والبيهقي في الشعب (٢٣٤٦) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤١٨): عن أبي عبيدة عبيسٍ الخزاز، عن موسى بن أنسٍ، عن أبيه، عن النبي ﷺ...».
وقال البيهقي: عبيس بن ميمونٍ منكر الحديث، وهو لا يصح، وإنما يروى فيه عن ابن عمر من قوله.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبيس بن ميمونٍ، وهو متروكٌ.
=

ضَعِيفٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ(١): لَا يَصِحُّ رَفْعُهُ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: إِنَّمَا يَصِحُّ مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عُمَرَ(٢).

يقول: إن كان صحيحًا فهو موقوفٌ على ابن عمر فقط لا يَتَعَدَّاه بالرفع إلى رسول الله ﷺ؛ لأنه ثَبَتَ عن رسول الله ﷺ في أحاديث صحيحات كثيرات أنه كان يقول: (**اقْرَءُوا سُورَةَ كَذَا، وسُورَةَ كَذَا، وَسُورَةَ كَذَا**) ليس في ذلك شكٌّ ولا خلافٌ إن شاء الله. أَمَّا رأيُ ابنِ عمرَ إن كان صَحَّ عنه، فهو رأيٌ واحدٌ خَالَفَهُ في هذا جمهورُ الصحابة رضي الله عنهم، وكان ابنُ أبي حاتم في تفسيرِه يقول: السورةُ التي يُذكر فيها البقرةُ، السورةُ التي يُذكر فيها آلُ عمرانَ، السورةُ التي يُذكر فيها الأنعامُ، السورةُ التي يُذكر فيها النملُ، السورةُ التي يُذكر فيها سَبَأٌ... إلخ ما قال في تفسيره.

الثَّانِيَةُ: قَدْ سَبَقَ فِي حَدِّ السُّورَةِ أَنَّهَا الْمُسَمَّاةُ تَوْقِيفًا، التَّوْقِيفِيُّ(٣): أمرٌ مُتَوَقِّفٌ على الوحيِ، أوقف رسول الله ﷺ الصحابةَ على حُكْمِهِ، لو أنكَ تريد أن تُبَيِّنَ لإنسان الطريقَ الصحيحَ، توقفه على الطريق الصحيح، وتقول: هذا هو الطريق اسْلُكْهُ، فاستُعمل التوقيف فيما حدده الشارع مجازًا.

أَوْقَفَ النبيُّ ﷺ الصحابةَ على الأمرِ: بَيَّنَهُ لهم وأَظْهَرَهُ وَوَضَّحَهُ لهم ﷺ.

= وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٠٥): وقال أحمد: هو حديث منكر، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(١) سبق التعريف به.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٣٤٧): عن نافعٍ، عن ابن عمر، قال: «لا تقولوا: سورة البقرة، ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة».

(٣) التوقيفي: من [وقف]، ما أتى به الشرع وليس لأحد الزيادة عليه ولا الإنقاص منه، ولا مجال للرأي فيه، ومنه: عدد ركعات الصلاة توقيفية. انظر: معجم لغة الفقهاء (١٥١).

فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فقوله: (قد سَبَقَ في حَدِّ السورة أنها المسماةُ توقيفًا)، ظاهرُه أنه لا يجوز إلا بتوقيف من النبي ﷺ، فلا بد أن يكون النبيُّ ﷺ قد أَوْقَفَ الصحابةَ على أسماء السور.

وَالْمُرَادُ: الاسْمُ الَّذِي تُذْكَرُ بِهِ وَتُشْتَهَرُ، وَإِلَّا فَقَدْ سَمَّى جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ سُوَرًا بِأَسْمَاءٍ مِنْ عِنْدِهِمْ، كَمَا سَمَّى حُذَيْفَةُ[1] (التَّوْبَةَ) بِالْفَاضِحَةِ[2]، وَسُورَةَ الْعَذَابِ[3]، وَسَمَّى خَالِدُ بْنُ مَعْدَانٍ[4] -أحدُ التابعينَ- الْبَقَرَةَ: فُسْطَاطَ الْقُرْآنِ[5]. لأنها اشْتَمَلَتْ على أحكام شرعية كثيرة، بل على أكثرِ الأحكام الشرعية التي نَزَلَتْ في المدينة، فلذلك كانت تُسَمَّى: فسطاطَ القرآنِ، وعمودَ القرآن من كثرة ما فيها من أحكام، ومن كثرة ما فيها من توجيهات شرعية.

وَسَمَّى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (الْفَاتِحَةَ): الْوَافِيَةَ.

وَسَمَّاهَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ[6]: الْكَافِيَةَ؛ لِأَنَّهَا تَكْفِي عَمَّا عَدَاهَا.

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: التوبة الفاضحة؛ فقد أخرج البخاري (٤٨٨٢) ومسلم (٣٠٣١): عن سعيد بن جبيرٍ، قال: قلت لابن عباسٍ: سورة التوبة، قال: «التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدًا منهم إلا ذكر فيها».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٢٦٩): عن زرٍ، عن حذيفة، قال: يقولون سورة التوبة وهي سورة العذاب، يعني: براءة.

(٤) خالد بن معدان ابن أبي كربٍ، أبو عبد الله الكلاعي الحمصي. قال الحافظ: ثقة عابد يرسل كثيرًا. توفي سنة (١٠٣هـ).
انظر: تقريب التهذيب (١٦٧٨).

(٥) أخرجه الدارمي في السنن (٣٤١٩): عن خالد بن معدان، قال: «سورة البقرة تعلمها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا تستطيعها البطلة، وهي فسطاط القرآن».

(٦) يحيى ابن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي. قال الحافظ: ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل. توفي سنة (١٣٢هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ٢٦٩).

الثَّالِثَةُ: مِنَ السُّوَرِ مَا كَانَ لَهُ اسْمَانِ فَأَكْثَرُ، فَالْفَاتِحَةُ تُسَمَّى: أُمَّ الْقُرْآنِ، وَأُمَّ الْكِتَابِ، وَسُورَةَ الْحَمْدِ، وَسُورَةَ الصَّلَاةِ، وَالشِّفَاءَ، وَالسَّبْعَ الْمَثَانِيَ، وَالرَّاقِيَةَ، وَالنُّورَ، وَالدُّعَاءَ، وَالْمُنَاجَاةَ، وَالشَّافِيَةَ، وَالْكَافِيَةَ، وَالْكَنْزَ، وَالأَسَاسَ. فهي مشهورةٌ بأنها فاتحةُ الكتاب بينَ علماءِ التفسير والحديثِ، وَتُسَمَّى أيضًا: أُمَّ الكتاب؛ لأنها كالأم بالنسبة لِمَا عَدَاهَا، وقيل: لأنها جاءت في أول القرآن، وقيل: إنها كالأم يتفرع منها جميعُ أحكام الكتاب؛ لأنها تتحدث عن العقائدِ، وأهلِ الكتابِ، وتتحدث عن طلبِ الخيرِ، وطلبِ الهدايةِ من الله تبارك وتعالى... إلخ، فهي أُمُّ الكتابِ بهذا الاعتبار. وسورة الحمدِ؛ لأن فيها الحمدَ، وسورة الصلاةِ؛ لأن الصلاة تتوقف عليها، والشفاءَ؛ لأن الصحابة كانوا يُرْقُونَ بها، والسبع المثاني: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الْحِجْر: ٨٧]، والنور: ولا شَكَّ أنها نورٌ، فهذه كلها صفاتٌ للفاتحة، واسمُها المشهورُ المعروفُ الفاتحةُ.

وَ(بَرَاءَةُ) تُسَمَّى: التَّوْبَةَ، وَالْفَاضِحَةَ، وَسُورَةَ الْعَذَابِ.

وَ(يُونُسُ) تُسَمَّى: السَّابِعَةَ؛ لأَنَّهَا سَابِعَةُ السَّبْعِ الطِّوَالِ.

السبع الطوال هي: البقرةُ، وآلُ عِمْرَانَ، والنساءُ، والمائدةُ، والأنعامُ، والأعرافُ، ويونسُ، باستثناءِ التوبةِ والأنفالِ؛ لذلك يقول البيهقيُّ رَحِمَهُ اللهُ: السابعة، والصحيح أنها السابعة على هذا المعنى، أما في الترتيب المعروف اليومَ في المصحف فهي التاسعةُ.

وهناك رأيٌ أن (يونس) آخِر السبعِ الطوالِ، لكن هذا الرأيَ مرجوحٌ؛ لأن التوبةَ أطولُ منها، و(هود) مَثِيلَتُهَا تقريبًا، إنما الذي يُراد هنا في الكتاب بهذا الاعتبارِ أنها هي السابعة، لكن في الحقيقة هي التاسعة، والرأيُ الأصحُّ -إن شاء

الله- أنها خارجةٌ عن السبع الطوال، والسابعة هي التوبة، والله أعلم.

وَ(الإِسْرَاءُ) تُسَمَّى: سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَ(السَّجْدَةُ) تُسَمَّى: الْمَضَاجِعَ؛ لأنه ورد فيها: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السَّجْدَة: ١٦].

وَ(فَاطِرٌ) تُسَمَّى: سُورَةَ الْمَلائِكَةِ.

وَ(غَافِرٌ) تُسَمَّى: الْمُؤْمِنَ، لِمَا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ [غَافِر: ٢٨].

وَ(فُصِّلتْ) تُسَمَّى: السَّجْدَةَ.

وَ(الْجَاثِيَةُ) تُسَمَّى: الشَّرِيعَةَ.

وَسورة (مُحَمَّدٌ ﷺ) تُسَمَّى: الْقِتَالَ.

وَ(الطَّلاقُ) تُسَمَّى: سُورَةَ النِّسَاءِ الْقُصْرَى.

وَقَدْ يُوضَعُ اسْمٌ لِجُمْلَةٍ مِنَ السُّوَرِ: كَالزَّهْرَاوَيْنِ لِلْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ(١)، وَالسَّبْعِ الطِّوَالِ، وَهِيَ: الْبَقَرَةُ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى الأَعْرَافِ، وَالسَّابِعَةُ: يُونُسُ، كَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٍ.

وَالْمُفَصَّلُ: المفصل اخْتُلِفَ فيه كثيرًا، من أين يبدأ، فبعضُ العلماء قال: من

(١) لما أخرجه الدارمي في السنن (٣٤٣٤) وأحمد (٢٢٩٥٠) والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٧٤) رقم (١٨٣٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٢-٧٤٧-٧٥٦) رقم (٢٠٧٥): عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلموا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا يستطيعها البطلة». قال: ثم سكت ساعةً، ثم قال: «تعلموا سورة البقرة، وآل عمران؛ فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طيرٍ صواف...». وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ، ولم يخرجاه».

الحُجُرَاتِ، وبعضُهم قال: مِنْ (ق)، وبعضُهم قال غير ذلك، وهو هنا يقول: **وَالأَصَحُّ** -فمعناه أن هناك خلافًا- **أَنَّهُ مِنَ الْحُجُرَاتِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ؛ لِكَثْرَةِ الْفَصْلِ بَيْنَ سُوَرِهِ بِالْبَسْمَلَةِ**، سُمِّيَ كذلك (أَيِ: الْمُفَصَّل) لكثرةِ الفصلِ بينَ سُورِهِ بِالبسملة، وقيل: لأن فيه تفصيلًا لأحوالٍ كثيرةٍ؛ فَسُمِّيَ المفصلَ لذلك، وقيل غير ذلك.

وَالْمُعَوِّذَاتُ: لِلإِخْلاصِ وَالْفَلَقِ وَالنَّاسِ. انْتَهَى. المشهورُ أن المعوذاتِ (للفلق والناس). أما (**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**)، (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**)، (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**)، (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**) فهذه السور الأربعة تُسَمَّى: (الْقَوَاقِلَ)؛ لأنها تبدأ بـ (قُلْ).

والزهراوانِ: (البقرةُ وآلُ عِمْرَانَ) لحديثِ رسولِ الله ﷺ فيها[1].



(١) سبق تخريجه.

النوع السادس والتسعون
ترتيب الآي والسور[١]

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي[٢]، اخْتُلِفَ: هَلْ تَرْتِيبُ الآيِ وَالسُّوَرِ عَلَى النَّظْمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الآنَ تَوْقِيفٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ بِاجْتِهَادٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؟[٣].

فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى الثَّانِي تَمَسُّكًا بِحَدِيثِ سُؤَالِ ابْنِ عَبَّاسٍ الآتِي.

وَبِمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ كَانَ عَزَمَ عَلَى تَرْتِيبِ الْقُرْآنِ بِحَسبِ نُزُولِهِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مُصْحَفِهِ كَانَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العَلَق: ١]. وَكَذَا مُصْحَفُ أُبَيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ فِيهِ اخْتِلَافٌ شَدِيدٌ فِي التَّرْتِيبِ.

هذه مسألةٌ علميةٌ، لا يوجد اليومَ بيننا مصاحفُ أُبَيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، إنما حُرِقَتْ كلُّها بأمر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فهذه المسألةِ علمية مجرَّدَة، أما الواجب علينا اليومَ أن نعتقد أن الرَّسْمَ الموجود أمامنا اليوم هو الرسم الأَوْلَى بالاتباع، وأنا أميل إلى أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم لا يستطيعون أن يُرَتِّبُوا المصحفَ كلَّه ترتيبًا اجتهاديًّا من لدنهم، بل لا بُدَّ أن يكون لهم نوعُ توقيفٍ من رسول الله ﷺ، أو نوعُ إشارةٍ منه ﷺ، وقد يدخلُ ذلك الاجتهادُ لكن في مساحة ضيقة جِدًّا، أما أن يقال: المصحفُ كلُّه مرتبٌ على هذا الاجتهاد، فلا يصحُّ؛ لأن هناك الكثير من العلماء الذين تكلموا في الربط والمناسبة بين السور، وأن هناك مناسباتٌ تَرْبِطُ بينَ السورِ القرآنيةِ. فَالْبِقَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٤] (بُرْهَانُ الدِّينِ الْبِقَاعِيُّ) أَلَّفَ كتابًا

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٦).

(٢) يعني: على كتاب البلقيني (مواقع العلوم).

(٣) انظر: الانتصار للقرآن، للباقلاني (١/ ٢٧٨): القول في ترتيب سور القرآن، وهل وقع ذلك منهم عن توقيف أو اجتهاد.

(٤) سبق التعريف به.

ضخمًا في هذا الموضوع وهو «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ»، وهناك «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُقِ السُّوَرِ» للإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وغير ذلك من الكتب التي أُلِّفَتْ لبيان المناسبة بين السور، وكتبوا كلامًا عجيبًا جيدًا علميًّا مضبوطًا، فلو كان هذا باجتهاد من الصحابة لما كان بين السور ذلك التناسب المعجز؛ لذلك أنا أقول: إنه توقيفٌ، لكن نوع من أنواع التوقيف يدخل فيه الإشارة، ويدخل فيه قليلٌ من الاجتهاد من الصحابة، والله أعلم.

وَاخْتَارَ مَكِّيٌّ وَغَيْرُهُ أَنَّ تَرْتِيبَ الآيَاتِ وَالْبَسْمَلَةِ فِي الأَوَائِلِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَرْتِيب السُّوَرِ بِاجْتِهَادِ الصَّحَابَةِ.

وَالْمُخْتَارُ أَنَّ الْكُلَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ فِي الْبُرْهَانِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْحِكْمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُهُ: إِنَّ الْعِبَادَةَ الْمُرَادَ بِهَا التَّوْحِيدُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَلْزَمُ الْعَبْدَ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ خِطَابٍ خَاطَبَ اللهُ بِهِ النَّاسَ فِي الْقُرْآنِ، فَخَاطَبَهُمْ أَوَّلًا بِمَا أَلْزَمَهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ سَائِرَ الْعِبَادَاتِ فَمَا بَعْدَهَا مِنَ السُّوَرِ وَالآيَاتِ.

قوله: [فَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ[1]]، هو مؤلفُ كتاب: «غَرَائِبُ التَّأْوِيلِ وَعَجَائِبُ التَّنْزِيلِ»، وكتابه يُدْعَى: «الْبُرْهَانُ في توجيه مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ» وكرمان[2] هذه مدينةٌ في إيران، وهذا الأمرُ قبل أن تَرْزَخَ إيرانُ تحت حكم الرافضةِ، فإيرانُ دَخَلَتْ تحتَ الحكمِ الرافضيِّ في القرن العاشر الهجري، أو أواخر التاسع الهجري

(١) محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء: عالم بالقراءات. توفي سنة (٥٠٥هـ). الأعلام، للزركلي (٧/ ١٦٨).

(٢) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٤/ ٤٥٤).

تقريبًا، وكانت قبل ذلك إقليمًا سنيًّا.

يقول الْكِرْمَانِيُّ بأن هذا أولُ خِطَابٍ خَاطَبَ الله به الناس في القرآن، فيرد عليه المعترضُ يقول له: لَيْسَتْ سورةُ البقرة بأولِ القرآنِ نُزُولًا، فيحسن فيها ما ذَكَرْتَ من أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ هو أولُ خطاب؛ لذلك قال:

فَإِنْ قِيلَ: لَيْسَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ بِأَوَّلِ الْقُرْآنِ نُزُولًا فَيَحْسُنُ فِيهَا مَا ذَكَرْتَ

قُلْتُ: أَوَّلُ الْقُرْآنِ: الْفَاتِحَةُ ثُمَّ الْبَقَرَةُ ثُمَّ آلُ عِمْرَانَ عَلَى التَّرْتِيبِ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ، وَهَكَذَا هُوَ عِنْدَ اللهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ، وَكَانَ ﷺ يَعْرِضُ عَلَى جِبْرِيلَ كُلَّ سَنَةٍ مَا كَانَ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ مِنْهُ، وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا مَرَّتَيْنِ[١]، وَكَانَ آخِرُ الآيَاتِ نُزُولًا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٨١]. فَأَمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يَضَعَهَا بَيْنَ آيَتَي الرِّبَا وَالدَّيْنِ. انْتَهَى[٢].

لماذا جَزَمَ -وليس هناك نَصٌّ- بأن القرآن هو هكذا في اللوح المحفوظ؟ يقول: هو أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يَعْرِضُ القرآنَ على رسول الله ﷺ ويتدارسانِ القرآنَ معًا كلَّ سَنَةٍ في رمضانَ، فَكَانَا يتدارسانِه على النحو المكتوب الآنَ، بدليلِ العرضةِ الأخيرةِ التي أَقَرَّ فيها جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الترتيبَ الموجودَ اليومَ[٣]، وقرأ القرآن جميعه عدا آية أو آيتين مما لم يَنْزِلْ بَعْدُ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٢٣-٣٦٢٤) ومسلم (٢٤٥٠): عن عائشة، عن فاطمة عليها السلام: أسر إلي النبي ﷺ: «أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنةٍ، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي».

(٢) انظر: البرهان في تأويل متشابه القرآن (٦٨).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

هذا الترتيبُ الموجودُ بين أيدينا اليومَ الذي أميل إليه أنه توقيفي، وإن لم يكن فيه نَصٌّ واضحٌ صريحٌ، فإن النصَّ كما يقول الأصوليونَ: قَاطِعٌ للنزاع، فلو كان هنا نَصٌّ في هذا لما اختلف العلماءُ في هذا الأمر.

وَكَذَا قَالَ الطِّيبِيُّ[(١)]: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ أَوَّلًا جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُتَفَرِّقًا عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ، ثُمَّ أُثْبِتَ فِي الْمَصَاحِفِ عَلَى التَّأْلِيفِ وَالنَّظْمِ الْمُثْبَتِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ[(٢)].

نزل القرآنُ جميعُه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً، وهذا الذي اتفق القرآنُ فيه مع الكتب النازلة جملةً واحدةً، ثم تَنَزَّلَ في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع، وهذا الذي تَفَرَّدَ به هذا الكتابُ العظيمُ من بين سائر الكتب السماوية؛ لأنه كان يتنزل في مدة طويلة، فاستطاع الصحابةُ أن يحفظوه في هذه المدة الطويلة، وتَفَاعَلُوا معه أيما تفاعُل، فنَزَلَ موجِّهًا لهم أيما توجيه ﭫ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ[(٣)] فِي الْمَدْخَلِ: كَانَ الْقُرْآنُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مُرَتَّبًا سُوَرُهُ

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) وقال أبو بكر ابن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرق في بضعٍ وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عنٍ النبي ﷺ، فمن قدم سورةً أو أخرها فقد أفسد نظم الآيات. انظر: البرهان، للزركشي (١/ ٢٦٠).

(٣) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الإمام أبو بكر البيهقي الخسروجردي [المتوفى: ٤٥٨ هـ]، مصنف «السنن الكبير»، و«السنن الصغير»، و«السنن والآثار»، و« دلائل النبوة» و«شعب الإيمان»، و«الأسماء والصفات»، وغير ذلك. كان واحد زمانه، وفرد أقرانه، وحافظ أوانه، ومن كبار أصحاب أبي عبد الله الحاكم. أخذ مذهب الشافعي عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، وغيره، وبرع في المذهب. توفي سنة (٤٥٨هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٠/ ٩٥).

وَآيَاتُهُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ إِلَّا الأَنْفَالَ وَبَرَاءَةَ.

لِمَا رَوَى الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي، وَبَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ؟ فَقَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّوَرِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فَيَقُولُ: ضَعُوا فِي السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا كَذَا وَكَذَا. وَكَانَتِ الأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ أَوَاخِرِ الْقُرْآنِ نُزُولًا، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ ثَمَّ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[1].

يقول: براءةُ من السور الكبيرة، من المئين، أي: من ذوات المائة آيةٍ فأكثرَ، والمثانِي: هي السور التي تليها في القَدْرِ؛ لأنها جاءت بعد المئين، فكأنها ثَنَّتْهَا.

ولأن براءةَ نزلت بالسيف، نزلت فيها إرهابٌ وشِدَّةٌ على الكفار والمنافقين، سُميت: الفاضحةَ، والمشقشقة، وسورة العذاب... إلخ، فلا يناسبُها بسم الله الرحمن الرحيم التي هي محضُ رحمةٍ؛ لذلك لم تُكْتَبْ بينَهما بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا هو رأيُ جمهورِ العلماءِ على أنهما سورتانِ منفصلتانِ ليس لأحدهما تعلّقٌ بالآخَر من هذه الناحية.

يقول: قال ابْن عَبَّاسٍ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَا حَمَلَكُمْ على أن عمدْتُمْ إلى الأنفال

(١) أخرجه أبو داود (٧٨٦-٧٨٧)، والترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في الكبرى (٧٩٥٣)، وأحمد (٣٩٩): حدثنا عوف ابن أبي جميلة قال: حدثنا يزيد الفارسي قال: حدثنا ابن عباسٍ، قال: قلت لعثمان بن عفان... الحديث».

وبراءة فقرنتم بينهما ولم تضعوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم؟ فسوَّغ له عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الصنيعَ.

قوله: (وكانت قصتُها شبيهةً بقصتها)، أي: قصةُ الأنفال وما فيها شبيهةٌ بقصةِ براءةَ وما فيها، **فَقُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ ولم يُبَيِّنْ لنا أنها منها، فَمِنْ ثَمَّ قَرَنْتُ بينَهما ولم أَكْتُبْ بينَهما سطرَ: بسم الله الرحمن الرحيم**. لكن الْمُطَّلِعَ على طريقةِ الأنفالِ يعلم أنها تختلفُ عن طريقة التوبة، والأنفالُ لها ختامٌ واضحٌ، وبراءةُ أيضًا لها بدءٌ واضحٌ، فالقولُ بأنهما سورةٌ واحدةٌ يَصْعُبُ، والحديث فيه ضعف.

وقد أجمع العلماء على أنهما سورتانِ منفصلتانِ، وهذا هو الذي عليه العملُ، والله أعلم.

وَقَالَ الْحَاكِمُ: جُمِعَ الْقُرْآنُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[(١)]:

إِحْدَاهَا: بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ... الْحَدِيثَ[(٢)]. وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

كانوا يكتبون على الرقاع والجلود وجريد النخل المنزوع خوصه العريض

---

(١) ذكره عقب حديث رقم (٢٩٠١) (ج٢/ ٢٤٩): ثم قال: وفيه البيان الواضح، أن جمع القرآن لم يكن مرةً واحدةً، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله ﷺ، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكرٍ الصديق، والجمع الثالث هو في ترتيب السورة؛ كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٥٤) وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢١٨) (٦/ ٤٠٩) وأحمد (٢١٦٠٦) (٢١٦٠٧) وابن حبان في صحيحه (١١٤-٧٣٠٤) والحاكم في المستدرك (٤٢١٧). وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وانظر: (صحيح فضائل الشام رقم ١، المشكاة ٦٦٢٤، الصحيحة ٥٠٢).

من جهة اتصاله بالنخل، وكانوا يكتبون على الأحجار البيضاء الْمُسَطَّحَةِ، وعلى ألواح أكتاف البُدْنِ وهي الإبل والبقر، فكان القرآنُ مكتوبًا على هذه الهيئة، فكان يُكتب على اللخف، والعسب، والأحجار، والرقاع، فلم يكن مكتوبًا في مصحف واحد مجموع، هذا في حياة رسول الله ﷺ.

الثَّانِيَةُ: بِحضْرَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بِقَتْلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا -وَاللهِ- خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: (إِنَّكَ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ)، فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ.

قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ -وَاللهِ- خَيْرٌ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، وَوَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٨]... حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩) والمؤلف تصرف في نصه بالحذف.

كان زيدٌ يستعظم أن يفعل شيئًا لم يفعله رسولُ الله ﷺ في حياته، لكن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أَخْبَرَاهُ أن هذا الأمرَ خيرٌ، فيه جَمْعٌ لكتاب الله تعالى، لِمَا تَفَرَّقَ منه في الأماكن وفي البيوت، وفي غيرها، فَوَافَقَ على ذلك زيدٌ رضي الله عنه، لَمَّا رأى انشراحَ صدرِ الخليفة ووزيره رضي الله عنهم أجمعين، وهو أمر مهم صعب، حُقَّ لزيدٍ رضي الله عنه أن يستثقلَ هذا، كيف لا وهو كتاب الله تبارك وتعالى أعظم شيء! فَحُقَّ لزيدٍ رضي الله عنه أن يهتم لِجَمْعِ القرآنِ ولهذا الحدَث العظيم.

وهذا الجمع الذي حَدَثَ كان من حسنات أبي بكر رضي الله عنه، أنه جَمَعَ القرآنَ في مصحفٍ واحدٍ بينَ دَفَّتَيْنِ قريبًا من هيئة المصحف في أيامنا.

قوله: (الثانية: بحضرة أبي بكر، فروى البخاريُّ عن زيد بن ثابت قال: أرسل إِلَيَّ أبو بكر بقتل أهل اليمامة)، وفي الهامش: في رواية البخاريِّ: (أرسل إِلَيَّ أبو بكر مقتلَ أهلِ اليمامة).

والمعنى أي: أَخْبَرَني بقتل أهل اليمامة، ومقتلِ عددٍ من القُرَّاءِ في تلك الواقعة، أو (أرسل إِلَيَّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة) أي: حينَ قُتِلَ أهلُ اليمامة أَرْسَلَ أبو بكر رضي الله عنه إلى زيدِ بنِ ثابتٍ؛ ليحضر عندَه، فـ(مقتلَ) ظرفٌ.

وَرَوَى وَكِيعٌ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الْمَصَاحِفِ: أَبُو بَكْرٍ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ[(١)].

أَيْ: أولَ من وضع المصحفَ بين دفتين: جَنَبَتَا الكتابِ تُدْعَى دفتين أو لوحين.

---

(١) أخرجه أحمد في الفضائل (١/ ٢٣٠-٣٥٤) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٤٨) وفي (٧/ ٢٤٨) وابن أبي داود في المصاحف (٤٨-٤٩-٥٠) والآجري في الشريعة (٤/ ١٧٨٢-١٧٨٣): عن السدي، عن عبد خيرٍ، عن عليٍ...».

قَالَ الْحَاكِمُ: وَالْجَمْعُ الثَّالِثُ هُوَ: تَرْتِيبُ السُّوَرِ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ لِعُثْمَانَ: أَدْرِكِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ فَأَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخْهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ؛ فَإِنَّمَا أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ(١). قَالَ زَيْدٌ: فَفَقَدْتُ آيَةً مِنَ الأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]... فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا بِالْمُصْحَفِ(٢).

هذه القصة -قصة جَمْعِ عثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للمصحف- فيها مسائلُ:

أَوَّلًا: كان سببُ جمع المصحف أن الناس من صحابة رسول الله ﷺ قد تَفَرَّقُوا في الأمصار، وكلٌّ منهم سَمِعَ من رسول الله ﷺ قرآنًا، يقول **عبدالله بن**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٨).

مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(لقد سمعتُ من فِي رسولِ الله ﷺ سبعينَ سورةً)**(١) أي: من القرآن في مصحفه الذي كان معه في الكوفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان ابنُ مسعود في الكوفة يُقْرِئُ أصحابَه على قراءته التي قرأها على رسول الله ﷺ، وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دمشق يُقْرِئُ أصحابَه على قراءته التي قرأ بها على رسول الله ﷺ، وكان الناس في حِمْصَ وفي البَصْرَةِ كذلك، وهكذا في كل مِصْرٍ من الأمصار تَفَرَّقَ الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيه كانوا يُقْرِئُونَ الناسَ بما قَرَءُوهُ على رسول الله ﷺ.

ومعلومٌ أن هناك قراءاتٍ كان يَقرأ بها رسولُ الله ﷺ نُسِخَتْ بِالْعَرْضَةِ الأخيرةِ؛ إذ كان جبريل عليه الصلاة والسلام يُعَارِضُ رسولَ الله ﷺ القرآنَ كلَّ سنةٍ في رمضانَ، فلما كانت السنةُ التي تُوُفِّيَ فيها رسولُ الله ﷺ عَارَضَهُ بالقرآنِ مرتينِ(٢)، ففي هذه الْعَرْضَةِ الأخيرةِ نُسِخَ شيءٌ من القراءة التي كان يقرأ بها رسولُ الله ﷺ وأقرأ بها أصحابَه، ومعلومٌ عندنا أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من أوائل مَنْ أَسْلَمَ في مكة، ومن أوائل مَنْ أَخَذَ القرآنَ عن رسول الله ﷺ، وتفرق ابن مسعود وغيرُه من الصحابة في الأمصار، فبعض الصحابة لم يَتَنَاهَ إلى عِلْمِهِمْ ما حَدَثَ في العرضة الأخيرة؛ لأن بين العرضة الأخيرة وبين وفاةِ رسولِ الله ﷺ أقلَّ من ستةِ أَشْهُرٍ، فبعض الصحابة لم يعرفوا على التمام ما كان من شأن العرضة الأخيرة، وما كان من القرآن الذي نُسِخَ، والقراءات التي نُسخت؛ لذلك

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٠٠) ومسلم (٢٤٦٢): عن شقيق بن سلمة، قال: خطبنا عبد الله بن مسعودٍ فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورةً، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم»، قال شقيقٌ: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادًا يقول غير ذلك.

(٢) متفق عليه، وتقدم تخريجه.

كان عند أكثر الصحابة من العلم ما لم يكن عند بعضهم، فاتفق الصحابةُ الذين كانوا موجودينَ في المدينة زمانَ عثمانَ رضي الله عنهم أجمعينَ، وكانوا زُهَاءَ اثني عشر ألفًا من الصحابة، اتَّفَقُوا مع عثمانَ ﵁ على أن يكتبوا المصحفَ الكتابةَ التي بَيْنَ أيدينا اليومَ، فهذه الكتابةُ التي نراها كُتِبَتْ في زمان عثمان بإجماع الصحابة الذين كانوا في المدينة وباتفاقهم، لم يَتَخَلَّفْ منهم أحدٌ، ولم يُنقل إلينا أنه اعْتَرَضَ أحدٌ من الصحابة ﵃ على ما حَدَثَ من جمع القرآن أيامَ عثمانَ.

لذا قال عَلِيٌّ ﵁ في ولايته: (**أَيَّ شيءٍ تَنْقِمُونَ على عثمانَ، واللهِ لو كنتُ مكانَه لصنعتُ ما صَنَعَ**)؛ لأن المنافقين والمرجفين ممن جاءوا وحاصروا عثمانَ ﵁ أيامَ الفتنةِ كان مما نَقَمُوا على عثمانَ أنه حَرَّقَ المصاحفَ بزعمهم، وما فَعَلَ عثمانُ ما فَعَلَهُ إلا بإشارةٍ وموافقةٍ من جميع الصحابة الذين كانوا في المدينة آنذاك، واللهُ تبارك وتعالى شَرَحَ صدورَهم جميعًا لهذا، فعثمانُ جَمَعَ الناسَ على ما ثبت عنده وعندهم من عَرْضَةِ القرآن الأخيرة التي عرضها جبريلُ مع رسول الله ﷺ، فَأَثْبَتُوا القرآنَ كذلك.

وأبو موسى الأشعري ﵁ كان يقرأ: (وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى)، وكان يُقْسِمُ بالله أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ مراتٍ وكرات يقرأها كذلك، ونحن نُصَدِّقُ أبا موسى وهو الصحابي الجليل، لكن نقول: كانت هذه الآية تقرأ هكذا: (وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى) في سورة الليل، ثم نُسِخَتْ بعد ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [اللَّيْل: ٣]، فليس هناك شيء في هذا ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البَقَرَة: ١٠٦]، وهكذا دواليك في كثيرٍ من الآيات التي كان عبد الله بن

مسعود وأبو موسى الأشعري رَضِيَالِلَّهُعَنْهُمَا وغيرهما من الصحابة يُصِرُّونَ على أنهم هكذا سَمِعُوهَا من رسول الله ﷺ، وهي تخالف ما في المصحف الإمام.

فقال لهم الصحابةُ: نَعَمْ. هكذا سَمِعْتُمُوهَا، لكن كان من شأن رسول الله ﷺ في أواخر حياته أنه كان يقرأها هكذا، أي: كما هو ثَابِتٌ عندنا في المصحف، وما اتفق عليه جمهورُ الصحابةِ أَوْلَى مما انفرد به فلانٌ وَفلانٌ ولو كان عبدَ الله ابنَ مسعود رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ مع مكانته الجليلة التي كان عليها؛ لذلك روي عن عبد الله بن مسعود أنه وَافَقَ على حَرْقِ مُصْحَفِهِ، وأيضًا أُبَيُّ بنُ كعبٍ حَرَقَ مصحفَه، وأبو موسى الأشعري أيضًا، كلهم اتفقوا مع اتفاق الصحابة على ما كان من شأن القرآن، والحمد لله.

فجمع عثمان الناس على ما ثَبَتَ عندَه أنه باق من الأحرف السبعة بعد العرضة الأخيرة: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»(١)، فلم يحذف عثمان شيئًا من الأحرف وليس له ذلك! ولا يستطيع هذا كائنٌ مَنْ كان مِنَ الناس، إنما يستطيع هذا النبيُّ ﷺ بإشارةٍ وَوَحْيٍ من الله تبارك وتعالى، لكن الشأنَ أن عثمان أَثْبَتَ هو والصحابة ما تَنَاهَى إلى علمِهم وتواتر لديهم أن هذا قرآن سمعوه من رسول الله ﷺ مع ما سَمِعُوهُ منه بعد العرضة الأخيرة، فهذا أمرٌ في غاية الأهمية.

ثانيًا: هل كل القراءات التي أُثْبِتَتْ في المصحف بَقِيَتْ إلى اليوم؟

الجواب: لا، لم تبقَ إلى اليوم، فالقراءاتُ التي بقيت هي التي كان يقرأها الأئمةُ العشرةُ بعد وفاة عثمان رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ بقرنين من الزمان، فقد بَرَزَ أئمةٌ من أئمة السلف كانوا يُقْرِئُونَ الناسَ القرآنَ؛ عَاصِمٌ – حَمْزَةُ – أَبُو جَعْفَرٍ، يَزِيدُ بْنُ

---

(١) سبق تخريجه.

الْقَعْقَاعِ(١)، وكان من التابعينَ... وبرز فلان وفلان من القُرَّاءِ، فكان عدتُهم بالمئاتِ، فاتفق علماء القرآن وعلماء هذا الشأن على أن يختاروا عشرةً من هؤلاء القُرَّاءِ ثَبَتَ أن القرآن بسندهم متواترٌ، فبقي شيءٌ من قراءات مصحف عثمان لا يُقْرأ فشذّ بعد ذلك.

وهنا ينبغي التفريق بينَ الكلماتِ المكتوبةِ وبينَ طريقةِ تَلَفُّظِهَا، فالكلمات المكتوبة لم تُغَيَّرْ وبقيت منذ عهدِ عثمانَ إلى يومِنا هذا، لكن طريقةَ تَلَفُّظِهَا بقي أكثريتها الكاثرة كما اتفق الصحابة على لفظه، وَشَذَّ منه أشياء انقطع سندُها، لم يَعُدْ أحدٌ يُقْرِئُ الناسَ بها، فالحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ(٢) أَخَذَ قراءاتٍ كثيرةً من الصحابة وكلها من مصحف عثمان، لكن شَذَّ عددٌ منها؛ لأنه لم يَبْقَ هناك أحدٌ يُقْرِئُ الناسَ بقراءة الحَسَنِ البصريِّ، وهكذا ممن شَذَّتْ قراءتُهم ولم تَصِلْ إلينا أو إلى العلماء قَبْلَنَا.

ثالثًا: إسراع حذيفةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ليُخْبِره بما حَدَثَ، يدُلُّنا -معشرَ المؤمنين- أن المؤمن المسلم إذا وجد شيئًا مُخَالِفًا لم يعهده ولم يعرفه مِنْ أَمْرٍ ليس فيه اجتهادٌ، بل هو مُنْكَرٌ محضٌ، أو هو معروف انقطع، فعليه أن يسرع إلى ذَوِي الشأنِ وإلى مَنْ بيده الأمرُ حتى يُوصِلَ إليهم ذلك المنكرَ، أو يوصل إليهم الرغبةَ في إحياء ذلك المعروف، هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون كما كان حذيفة، انتقل من أذربيجانَ(٣) إلى المدينة إلى عثمان وأخبره بما كان.

رابعًا: قول عثمان لمن كان مُكَلَّفًا بكتب المصاحف -وهم أربعة، ثلاثةٌ من

---

(١) سبق التعريف بهم جميعًا.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) انظر: معجم البلدان (١/ ١٢٨).

قريش، وزيدُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهم أجمعين-: (إِذَا اخْتَلَفْتُمْ) إذا اختلفتَ أنتَ يا زيدُ في شيء من القرآن مع الرهط القرشيين الثلاثة فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أُنْزِلَ بلغتهم، والقدماء كانوا يُطْلِقُونَ اللغةَ على اللهجةِ، فيقولون: لغة الحجازيين، ولغة التميميين، ولغة كذا، ولغة كذا. فإنما أُنْزِلَ القرآنُ بلغة قريش، أي: بلهجة قريش؛ لأَنَّ قُرَيْشًا كانت أفصحَ العرب، ولم يكن فيها شيءٌ من اللهجات الْمَرْذُولَةِ التي كانت بين الناس في الجزيرة وكانوا يَسْتَرْذِلُونَهَا، مثل كَسْكَسَةِ تميم وَكَشْكَشَتِهَا، وهي إلحاق الكاف سينًا، أو شينًا، وما زالت إلى اليوم موجودة، كقول بعض الناس في (كيف حالك): كيف حالش! وكان القرآنُ بادئ ذي بدء يُقْرَأُ كذلك: (وُهُزِّي إِلَيْشِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْشِ) قبل أن يُنسخ كل هذا بالعَرْضَةِ الأخيرةِ، فكانت قريش بمعزل عن تلك اللهجات المسترذلة، التي كان يسترذلها العرب، فكانت لهجتهم لهجةً جميلةً فصيحةً عربيةً، لا يشوبها شائبةٌ، وكان العرب يستحبون لهجةَ قريشٍ، فنزل القرآنُ بلغتهم في الأكثر الأغلب الأعم، وإلا ففي القرآن كلمات بلهجات كثير من القبائل العربية، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أي: ابْتَدَأْتُهَا**»[1]، يعني: أنا أوجدتُها؛ أي: حفرتُها وأظهرتُها، وأَبْرَزْتُهَا إلى الوجود، كذلك: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] أي: خَلَقَهُمَا بعد أن لم يكونا موجودين.

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم في فضائل القران (٣٤٥) والبيهقي في الشعب (٣/ ٢١٢) وابن جرير في التفسير (٩/ ١٧٥) وابن أبي حاتم في التفسير (١٠/ ٣١٧٠) والدولابي في الأسماء والكنى (١/ ٢٥٢): عن إبراهيم بن مهاجرٍ عن مجاهدٍ قال: «كان ابن عباسٍ لا يدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾...الحديث».

فإن قيل: لماذا لم يكن يعرف معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

فالجواب: لأن هذه الكلمة ما كانت تنطق بها قريش. وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ مع أبي هريرة ذاتَ يومٍ فقال له: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ نَاوِلْنِي السِّكِّينَ**» فلم يعرف أبو هريرة ما السكينُ، فقال: يا رسولَ الله آلْمُدْيَةَ تُرِيدُ؟[١]. فكانت بعضُ القبائل تنفرد ببعض الكلمات، وكانت قريشٌ قد نَزَلَ القرآنُ في أَغْلَبِهِ وفي معظمه بلهجتها، وإلا فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُف: ٢] أي: بلغة العرب ليس لغةَ قريش خاصةً، لكن الثابت أن أكثرَه بلغة قريش، لِمَا فيها من سهولة، ولما فيها من رصانةٍ وقوةٍ وجزالةٍ؛ لذا قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإذا اختلفتم أنتم وزيدٌ فاكتبوه بلسان قريشٍ؛ فإنما أنزل بلسانهم».

خامسًا: ومن حكمةِ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أَمَرَ بحرقِ المصاحفِ لا بدفنِها؛ لأنه لو دَفَنَهَا للجأ بعضُ الناس وأخرجوها، خاصةً في زمان الفتن التي جاءت على الصدر الأول، لأَخْرَجَهَا بعضُ الغوغاءِ وأحدثوا فِتَنًا بها بين الناس، فكان من حكمة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُحْرِقَ المصاحفَ الموجودةَ بين أيدي بعضِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك الزمان.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٧٦٩) ومسلم (١٧٢٠): عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب، فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى» قال: قال أبو هريرة: «والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذٍ، ما كنا نقول إلا المدية».

سادسًا: قال زيدٌ: (**فَفَقَدْتُ آيةً من الأحزاب حين نَسَخْنَا المصحفَ قد كنتُ أسمع رسولَ الله ﷺ يقرأ بها**)، فإنه بعد فراغِه من نَسْخِ المصحف فَقَدَ آياتٍ ثلاثًا، أَمَّا الآيتانِ فَهُمَا أواخرُ سورةِ التوبةِ، وأما الآية الثالثة فقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] في الأحزاب، كانت مقروءةً متواترةً عندَهم لا شك، لَكِنْ معنى الفقدِ أن زيدًا لم يكن يَقْبَلُ قرآنًا من أحدٍ حتى يأتِيَ به مكتوبًا وعليه شاهدان أَنَّ هذا كُتِبَ بين يَدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ، وهو مَنْهَجٌ سَدِيدٌ من زيد رضي الله عنه، فلم يكن يقبل من أحد قرآنًا حتى يأتي حاملُه بِشَاهِدَيْنِ وبشيء مكتوب بين يَدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ، فمعنى فَقَدْتُهَا: أي: لم أَجِدْهَا مكتوبةً.

وقد ساق الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رحمه الله في الفتح، في كتاب: (فضائل القرآن) باب: (كيفيةُ جَمْعِ القرآنِ) عددًا من الآثار، يَحْسُنُ الرجوعُ إليها في هذا الباب؛ لأنها توضح هذا الأثرَ وغيرَه من الآثار الواردة بمثل هذا المعنى(١).

قوله: **الْتَمَسْنَاهَا فوجدناها مع خُزَيْمَةَ بنِ ثابتٍ.**

فخزيمة بن ثابت(٢) من أصحاب النبي ﷺ وهو الذي جَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ شهادتَه بشهادةِ رَجُلَيْنِ، عندما شهد لرسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**وَمَا أَدْرَاكَ**»؟ قال: (إني أشهدُ وأُصدِّقُك في الخبر يأتيك من السماء فما أشهدُ لكَ بشيءٍ مثلِ هذا)، فَقَبِلَ رسولُ الله ﷺ شهادتَه وَجَعَلَهَا بمثابةِ رجلينِ من الناس(٣).

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ١١).

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري الخطمي، أبو عمارة المدني ذو الشهادتين. شهد بدرًا، وأحدًا، وما بعدهما من المشاهد، مع رسول الله ﷺ، وشهد الفتح وكان يحمل راية بني خطمة. توفي سنة (٣٧هـ). انظر: تهذيب الكمال (٨/ ٢٤٣)، معرفة الصحابة (٢/ ٩١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٠٧) والنسائي (٤٦٤٧) وفي الكبرى (٦١٩٨) وأحمد (٢١٨٨٣) والحاكم في =

فقوله: (**وَجَدْنَاهَا مع خزيمةَ بنِ ثابتٍ الأنصاريِّ**) ولأن شهادته بشهادة رجلين قبلت منه. وأواخر سورة التوبة وَجَدُوهَا مع أبي خزيمةَ، وليس خزيمةَ بنَ ثابتٍ، فليُنْتَبَهْ لذلك[(١)]. وقيل: إن اسم أبي خزيمة: أوسُ بنُ يزيدَ بنِ أصرم[(٢)]، وقيل: الحارثُ بنُ خزيمةَ. هذا الذي وَجَدُوا معه أواخرَ سورة التوبة، وهذا هو التوفيق بينَ الآثارِ التي وَرَدَتْ بأن: تارةً مع خزيمةَ بنِ ثابتٍ، وتارةً مع أبي خزيمةَ الأنصاريِّ، وتارةً جُعِلَتِ الآياتُ كلُّها مع خزيمةَ بنِ ثابتٍ كما وَرَدَ في البخاريِّ، وكما قال السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَجُعِلَتْ كأن هذه الآياتِ كلها مع خزيمة بن ثابت، وليست كذلك، بل الذي كان مع خزيمة بن ثابت آيةٌ في سورة الأحزاب، والذي كان مع أبي خزيمةَ -الحارثِ بنِ خزيمةَ، أو أوسِ بنِ يزيدَ بنِ أَصْرَمَ- الآيتانِ اللَّتَانِ في سورة التوبة[(٣)].

قوله: (فَأَلْحَقْنَاهَا في سورتِها بالمصحفِ) أي: أَلْحَقْنَاهَا في مكانِها من سورة

= المستدرك (٢/ ٢١): عن عمارة بن خزيمة، أن عمه حدثه -وهو من أصحاب النبي ﷺ- أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجالٌ يعترضون الأعرابي، فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس وإلا بعته؟ فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، فقال: «أو ليس قد ابتعته منك؟» فقال الأعرابي: لا، والله ما بعتكه، فقال النبي ﷺ: «بلى، قد ابتعته منك»، فطفق الأعرابي، يقول: هلم شهيدًا، فقال خزيمة بن ثابتٍ: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد؟»، فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين».

وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ورجاله باتفاق الشيخين ثقاتٌ ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ١٥).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٣٠٧).

(٣) وقد بين ذلك الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح (٩/ ١٥).

الأحزاب في المصحف.

فليس معنَى (فَقَدْنَاهَا): أي: من الذاكرة! فالقرآنُ لا يُؤْخَذُ إلا متواترًا، فالقرآنُ متواترٌ محفوظٌ، قرأ بها جَمْعٌ غفير من الصحابة ويعرفونَها، لكنهم فَقَدُوهَا مكتوبةً، فلم يَجِدُوهَا إلا مع هذا الرجلِ رضي الله عنهم أجمعينَ.



النوع السابع والتسعون: الأسماء[١]

قَالَ الْبُلْقِينِيُّ[٢]: فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ هُمْ مَشَاهِيرُهُمْ: آدَمُ. قَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ[٣]: عَاشَ تِسْعَمِائَةِ سَنَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ أَلْفٌ وَمِائَتَا سَنَةٍ.

سيأتِي الآنَ على أسماءٍ كثيرةٍ في هذا الباب والباب الذي بعدَه جُلُّهَا مُسْتَقَاةٌ من أخبار أهل الكتاب، ليس لنا -معشرَ المسلمين- في هذه الأشياء سَنَدٌ إلى رسول الله ﷺ فيها كُلِّهَا إلا شيءٌ يَسِيرٌ موقوفٌ على بعض الصحابة أو يُرْفَعُ إلى رسول الله ﷺ. قيل: لأن هذا القرآنَ العظيمَ أُنْزِلَ إلينا -معشرَ الأُمَّةِ المحمدية-؛ ليكونَ بيننا إلى قيام الساعة، وقد عَلِمَ اللهُ تبارك وتعالى بعلمه الذي أَحَاطَ بكل شيءٍ أنه سَيَمُرُّ على الناس زمانٌ لا يهتمونَ فيه بمثل هذه الأمورِ: لا يهتمونَ بِمَنْ كان بينَ نوحٍ وآدمَ، وبما كان بين صالح وهود، من السنوات، والأزمنة، والأسماء، ما هي أسماء طير إبراهيم عليه السلام؟ ما اسم أُمِّ موسى عليه السلام؟ ما اسم أخي يوسف عليه السلام؟ ونحو ذلك، سيأتي على الناس زمانٌ؛ الحضارةُ في أَوْجِهَا وَقِمَّتِهَا، والناسُ تهتم بالعلوم والفهوم أكثرَ من اهتمامها بمثل هذه الأمور التي يهتم بها الناسُ في زمان بني إسرائيل، وقبلَهم وبعدَهم أكثرَ من اهتمام الأمة المحمدية بها؛ لذلك كان -والله أعلم- إخفاء هذه الأسماء هو مقتضى الحكمة؛

(١) مواقع العلوم، للبلقيني (١٦٧).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) أحمد ابن أبي خيثمة زهير بن حرب بن شداد، أبو بكر النسائي ثم البغدادي الحافظ، صاحب التاريخ المشهور. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة عالمًا متقنًا حافظًا، بصيرًا بأيام الناس، راوية للأدب. وقال الدارقطني: ثقة مأمون. وقال ابن قانع: مات في جمادى الأولى سنة تسع وسبعين ومائتين. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٦/ ٤٨١).

لأن هذا القرآن العظيم باقٍ إلى يوم القيامة، وهو مخاطَب به الناسُ كلُّ الناس، في الشرق، وفي الغرب، مُسْلِمِهِمْ، وكافرِهم، مؤمنِهم ومنافقِهم، ومكذِبِهم، كلُّ الناسِ مخاطَبون بهذا القرآن العظيم.

فَنَاسَبَ الخطاب أن يكون -كما يُقال اليومَ- خطابًا حَضَارِيًّا لكل الناس بدون استثناء، أما أن نُوصِلَ إلى أذهان العلماء اليوم -علماءِ المادةِ، وعلماءِ الطبيعة- أسماء طَيْرِ إبراهيمَ، أو اسم أُمِّ موسى، واسم أخي يوسف، أو مثل هذه الْمُبْهَمَاتِ، فهذا لا يهم الناسَ في شيء، في قليل ولا كثير، إنما يهم بعضَ المؤرخين، وبعض النَّسَّابَةِ، وبعض من يتكلمون في شؤون التاريخ وأحواله وأموره، ولا يهم فئات عظيمةً من الناس؛ لذلك -والله أعلم- خلا القرآنُ من تعريف كثير من المبهمات، ولو كان في عِلْمِنَا لها خيرٌ لأَخْبَرَنَا بها الله تعالى، أو لأَخْبَرَنَا بها رسولُ الله ﷺ؛ لذلك ورَدَ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «**قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ**»(١)، وهذا حديثٌ في صحيح مسلم.

وهناك حديثٌ آخَرُ أعظمُ: عن أَبِي زَيْدٍ -يَعْنِي: عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ- قَالَ: «**صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا**

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٩١).

أَحْفَظُنَا»(١)، فرسولُ الله ﷺ كان حريصًا على أن يُخْبِرَ الصحابةَ بكلِّ شيءٍ، ما تَرَكَ ﷺ خيرًا قَطُّ إلا أخبرنا به، وما ترك ﷺ شَرًّا قَطُّ إلا وَنَهَانَا عنه.

فلو كان في هذه الأمور خيرٌ لنا لَعَرَّفَنَا بها رسولُ اللهِ ﷺ، وَلأَخْبَرَنَا اللهُ تعالى بها في القرآن العظيم، فلا أرى -والله أعلم- أن نذهب فنستقصي من أخبار أهل الكتاب ما اسمُ طيرِ إبراهيمَ عليه السلام التي قَسَّمَهَا؟ وما اسم أخي يوسف؟ وما اسم أُمِّ موسى؟... إلى آخر المبهماتِ الكثيرةِ التي وَرَدَتْ في القرآن.

بل أرى أن نكتفيَ بما عندنا من عِلْمٍ؛ لذلك كلُّ هذا الذي سيأتي عليه الآن أكثرُه وأغلبُه هو من أخبار بني إسرائيل التي تَلَقَّفَهَا بعضُ الصحابةِ عنهم، والتي كان بعض التابعين -مثل: وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ(٢) وَكَعْبِ الأَحْبَارِ(٣)- يتلقفونَها عن أهل الكتاب. يقول معاويةُ رضي الله عنه عن كعب الأحبار: «**إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُوا عَلَيْهِ الكَذِبَ**»(٤) أي: الكذبَ في اللهجةِ وحدوثَ الشيءِ بخلافِ ما أَخْبَرَ هو، وليس الكذبَ منه رحمه الله، فقد كان من ثقاتِ التابعينَ، لا كما ذَهَبَ بعضُ الْمُحْدَثِينَ مثل: أحمد أمين، بأنه كان كاذبًا يهوديًّا مُنْدَسًّا في صفوف المسلمين، ليس كذلك معاذَ الله، إنما كان رجلًا صالحًا، لكن معنى (**نبلوا عليه الكذبَ**): أي: إننا لنجد الأشياءَ التي أخبر عنها وَقَعَتْ بخلاف ما أخبر، وعليه فليست التبعةُ على كَعْبٍ؛ إِذِ التوراةُ مُحَرَّفَةٌ -كما هو معلوم- في أكثرها، وليست التبعة على وهب

(١) صحيح مسلم (٢٨٩٢).

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبد الله الأبناوي بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون. قال الحافظ: ثقة. توفي سنة (مائة وبضع عشرة). انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ١٤٠).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) صحيح البخاري (٧٣٦١).

بن منبه في هذا أيضًا، فكلاهما من ثقات المسلمين، والله أعلم.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: مَنْ أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: آدَمُ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: نُوحٌ وَبَيْنَهُمَا عَشَرَةُ قُرُونٍ[١].

وأخرج البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنه كان بينَ آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرون كلها على الفِطْرَةِ»[٢].

والقرنُ[٣] يُطْلَقُ على الجيلِ الموجودِ الذي يعيش في زمنٍ معينٍ، قيل: بأنه ثلاثون سنة، وقيل: بأنه سبعون سنة، وقيل: بأن القرن مائة سنة، فإن أردنا أن نصرف القرن إلى السنين فهو مائة، وإذا أردنا أن نصرفه إلى من يعيش فيه من الناس، من الأجيال، فهو جيلٌ واحدٌ يُقَدَّرُ بثلاثينَ، وَيُقَدِّرُهُ بعضُ الناسِ بسبعينَ؛ لأن ذلك الجيل يعيش ثلاثينَ سنةً أو يعيش سبعينَ سنةً في المتوسط -على تفاوت بين العلماء في تقدير المدة-؛ لذلك كان يقول بعضُ العلماء في حديث رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٤] على اختلافٍ هل هو مرتانِ أم ثلاث، فالقرنُ هنا يراد به جيلٌ من الناس، فخيرُ الناسِ الصحابةُ قَرْنِي، ثم الذين يَلُونَهُمْ تَابِعُونَ، ثم الذين يلونَهم تَابِعُو التابعينَ فقط، يعني: قُرَابَةَ مائتي سنة أو أقل، إن قلنا بأن القرنَ هو جيلٌ من الناس، وإن أَرَدْنَا أن نصرف القرنَ إلى المشهور فَهُمَا أهلُ القرون الثلاثة، أي:

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٧٧) وفي مسند الشاميين (٣/ ١٥٤)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٥٤)، بلفظ: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين، وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة».

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٣٤).

(٤) سبق تخريجه.

مَنْ كان يعيش في الثلاثمائة سنةٍ الأُولَى من الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

وَنُوحٌ وَإِدْرِيسُ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ أَيُّهُمَا أَوَّلُ؟ قَالَ الْحَاكِمُ[١]: وَأَكْثَرُ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ[٢].

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: هُوَ أَوَّلُ بَنِي آدَمَ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ.

وَهُوَ: أَخْنُوخُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَهْلَالِيلَ بْنِ قِينَانَ بْنِ نَاشِرِ بْنِ شَيْثَ بْنِ آدَمَ.

جُلُّ هذه الأسماء مأخوذةٌ أيضًا من أخبار أهل الكتاب، وهي مذكورةٌ في التواريخ عندَنا، مثل: تاريخ ابن كثير[٣]، وتاريخ ابن الأثير[٤]، وغيرِهما من التواريخ، لكن هذه الأسماء لِكَوْنِهَا أعجميةً، والعربُ يَتَلَفَّظُونَ بها، فَهي قَابِلَةٌ للتحريفِ وقابلةٌ للتغييرِ؛ لأن العربَ عَرَّبُوا هذه الأسماءَ كما هو معلومٌ، وكونُها أيضًا ليست ثابتةً عندَنا بِنَقْلٍ من رسول الله ﷺ صحيحٍ، وليست ثابتةً بِنَقْلٍ من الصحابة موقوفٍ عليهم أو مرفوعٍ إلى رسول الله ﷺ صحيحٍ، فَكَثُرَ الاختلافُ فيها؛ لذلك عندما كان ينسب النسابونَ رسولَ الله ﷺ إلى إسماعيلَ، فكان يقف عند عدنان، ثم يقول ﷺ: «**وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا**» يعني: النسابون ينسبون إلى عدنان ثم بعد ذلك يختلف أهل النسب اختلافًا بَيِّنًا كثيرًا حتى إنه ليس شيء ثابت إلا أنه من وَلَدِ إسماعيل، وهذا شيء مقطوعٌ به، لكن النسبَ وطبقاتِ النسب تختلف جِدًّا؛ لذلك كان يقول ﷺ: «**وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا**»، ما بَالُكَ

---

(١) سبق التعريف به. توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٠٥).

(٢) انظر: المستدرك (٢/ ٥٩٥).

(٣) وهو «البداية والنهاية».

(٤) وهو «الكامل في التاريخ».

بعد ذلك بما بين إسماعيل وبين آدم؟! قرونٌ كثيرةٌ جِدًّا![(١)].

وهنا سيحدد، يقول: بينَ آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ[(٢)]، ثم بينَ نوحٍ وإدريسَ كذا، ثم بينَ إدريسَ وإبراهيمَ، وإبراهيمَ وإسحاقَ، وإسحاقَ ويعقوبَ، ويعقوب ويوسفَ، ويوسفَ وموسى، ويحدد تحديدًا واضحًا؛ لأن في التوراة وفي الإنجيل الذي بين يَدَيِ النصارى واليهود اليومَ أن عُمْرَ الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ونيف، وكان كثيرٌ من أحبار ورهبان أهل الكتاب يُقَدِّرُونَ المددَ بين الأنبياء بالسنوات، فيقولون: بينَ آدمَ ونوحٍ كذا، وبين نوحٍ وَمَنْ بعدَه كذا... إلخ ذلك، لكي يوافقَ مُدَدُ الأنبياءِ ما عندهم من عُمْرِ الدنيا. وكانوا يقولون هذا هو قول الله، وهذا هو الصحيح، وعندهم في التوراة المحرَّفة في العهد القديم والعهد الجديد وهو الإنجيل: أن الأرض مركز الكون، وهذا خطأٌ عِلْمِيٌّ! وعندَهم من الأخطاء العلمية الشيءُ الكثيرُ، وكانوا يُجْبِرُونَ العلماء بعد أن اتضح الحقُّ عندَهم - أي: عند العلماء- على اتباع التوراة والإنجيل؛ لذلك أَلْحَدَ كثيرٌ من العلماء، وقالوا: إن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا، وكان مما قالوه: إنهم اكتشفوا أن عُمْرَ الدنيا يُقَدَّرُ بملايين السنين، فكيف تقول التوراةُ ويقول الإنجيلُ: عُمْرُ الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ أو تزيد قليلًا أو تنقص قليلًا كما حَصَلَ من اختلاف بين نُسَخِ التوراة والإنجيل؛ لذلك كَفَرَ كثيرٌ منهم بما في التوراة والإنجيل وَرَدُّوهُمَا جُمْلَةً، بينما نحن -معشرَ المسلمين- نقول: ليس هناك نصٌّ ثابتٌ عندَنا في عُمْرِ الدنيا، فكلُّ ما قيل في عمر الدنيا فهو من أخبار بني إسرائيل والله أعلم، فلا نعتمد على ذلك في شيء من شريعتنا، ولا نصدق بني

(١) انظر: صحيح البخاري، باب مبعث النبي ﷺ، ووقف فيه إلى [معد بن عدنان].

(٢) هذا التحديد ثابت بالسنة، كما مر.

إسرائيل في ذلك، خاصةً وأن العلماء الآن أَثْبَتُوا أن هذه الأرض قديمة في عُمْرِ خَلْقِهَا، ليست كما يقول أهلُ التوراةِ وأهلُ الإنجيلِ بأنها جديدةٌ سبعةُ آلافِ سنةٍ فقط، كذلك ليس عندنا نصٌّ في الشريعة نعتمد عليه في عُمْرِ الأرضِ، فلا نَتَّكِلُ على مثل هذه الأخبار، وأنا أعتقد -واللهُ أعلمُ- أن ترتيبَ هذه السنوات والقرون إنما هو لأَجْلِ أن يوافقَ عُمْرُ الأرض عندَهم بأنها سبعةُ آلافِ سنةٍ، وأنها ستنتهي كما هو في بعض النبوءات التي عندَهم -أي: عند بني إسرائيل- بعد سنواتٍ معدوداتٍ، لأن ذلك عندهم انتهاءُ هذه المدة، مدة سبعة آلاف سنة، والله أعلم.

وَقَالَ وَهْبٌ(١): (وَهْبٌ هو ابن مُنَبِّهٍ اليمانيُّ المشهورُ التابعيُّ الذي كان على عِلْمٍ بما عندَ أهلِ الكتابِ، وأسلم، وحدث المسلمين، وَعُدَّ من ثقاتهم لا شَكَّ).

هُوَ جَدُّ نُوحٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: أَخْنُوخُ، وَاخْتُلِفَ فِي ضَبْطِهِ - فَقِيلَ: بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَآخِرُهُ مُعْجَمَةٌ أَيْضًا -، وَقِيلَ: خَنُوخُ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَإِسْقَاطِ الْهَمْزَةِ، وَقِيلَ: بِإِهْمَالِ أَوَّلِهِ(٢).

قيل: كل ذلك؛ لأنه ليس هناك ضابطٌ عِلْمِيٌّ مُحَدَّدٌ في مسألة هذه الألقاب والأسماء.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ(٣): **وُلِدَ وَآدَمُ حَيٌّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبُعِثَ بَعْدَ مَوْتِهِ**

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) انظر: تاج العروس (٧/ ٢٤٦).

(٣) علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، العلامة عز الدين أبو الحسن ابن الأثير أبي الكرم الشيباني الجزري المؤرخ الحافظ، أخو اللغوي مجد الدين صاحب «النهاية» و«جامع الأصول»، والوزير ضياء الدين نصر الله، توفي سنة [٦٣٠ هـ]. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣/ ٩٢٥).

بِمِائَتَيْ سَنَةٍ، وَعَاشَ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ مِائَةً وَخَمْسَ سِنِينَ(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ بَيْنَ إِدْرِيسَ وَنُوحٍ أَلْفُ سَنَةٍ، وَبُعِثَ نُوحٌ لأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمَكَثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ سَنَةً - رَوَاهُ الْحَاكِمُ(٢).

لقول الله تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ بُعِثَ وهُوَ ابْنُ ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ(٤).

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: هُوَ نُوحُ بْنُ لَمْكَ بِفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَبِالْكَافِ. وَقِيلَ: مَلْكَانَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ اللَّامِ، وَابْنُ مُتَوَشْلَخَ -بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ التَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ، وَالْوَاوِ، وَسُكُونِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ، وَبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، كَذَا ضَبَطَهُ ابْنُ الأَثِيرِ- ابْنُ إِدْرِيسَ.

وَإِبْرَاهِيمُ وَهُوَ: ابْنُ آزَرَ -على خلافٍ، قيل: إنه عَمُّهُ، وقيل: إنه والدُه-.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ(٥): وُلِدَ عَلَى رَأْسِ أَلْفَيْ سَنَةٍ مِنْ آدَمَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ(٦): أَلْفٌ وَمِائَةٌ وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَعَاشَ مِائَةً وَخَمْسًا

---

(١) انظر: الكامل (١/ ٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٦٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥): عن علي بن زيدٍ، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٧٩).

(٥) هو: محمد بن إسحاق بن يسار، سبق التعريف به.

(٦) سبق التعريف به.

وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: مِائَتَيْ سَنَةٍ[(١)].

وَلَدُهُ: إِسْمَاعِيلُ.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: وَعَاشَ مِائَةً وَثَلاثِينَ، وَقِيلَ: وَسَبْعًا وَثَلاثِينَ، وَكَانَ لَهُ حِينَ مَاتَ أَبُوهُ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

وَأَخُوهُ: إِسْحَاقُ، وَوُلِدَ بَعْدَهُ بِأَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَعَاشَ مِائَةً وَثَمَانِينَ.

وَوَلَدُهُ: يَعْقُوبُ، وَعَاشَ مِائَةً وَسَبْعًا وَأَرْبَعِينَ.

وَوَلَدُهُ: يُوسُفُ. قَالَ الْبُلْقِينِيُّ[(٢)]: وَهُوَ مُرْسَلٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ[(٣)].

قُلْتُ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي فِي غَافِرٍ لَيْسَ هُوَ هُوَ، وَإِنَّمَا هُوَ حَفِيدُهُ يُوسُفُ بْنُ أَفْرَاثِيمَ، لَبِثَ فِيهِمْ نَبِيًّا عِشْرِينَ سَنَةً، وَعَاشَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ[(٤)].

كما ذكرنا: إن هذا الضبطَ ليس عندَنا، لذلك فيه اختلاف كثير، إنما هو مِنْ ضَبْطِ أهل الكتابِ.

وَلُوطٌ -وَهُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ- هَارَانُ بْنُ آزَرَ، وَقِيلَ: أَخُو سَارَّةَ[(٥)].

وفي **الإتقان** قال ابن إسحاق[(٦)]: هو لوط بن هاران بن آزر. وفي

---

(١) الكامل (١/ ١١١).

(٢) سبق التعريف به.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

(٤) انظر: الإتقان (٤/ ٧١).

(٥) تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير (١/ ٢٩٢).

(٦) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٧١).

المستدرك[١] عن ابن عباسٍ قال: لوطٌ ابن أخي إبراهيم.

وَهُودٌ، وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رِيَاحِ بْنِ جَارُودَ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصَ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامَ، وَقِيلَ: بْنُ شَالِخَ بْنِ أَرْفَخْشِدَ بْنِ سَامَ، كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ ثَمَانُمِائَةِ سَنَةٍ وَعَاشَ أَرْبَعَمِائَةٍ وَأَرْبَعًا وَسِتِّينَ.

وفي الإتقان: قال كعبٌ كان أشبه الناس بآدم[٢]، وقال ابن مسعودٍ كان رجلًا جلدًا[٣] أخرجهما في المستدرك[٤] وقال ابن هشامٍ[٥]: اسمه عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوحٍ، وقال غيره: الراجح في نسبه أنه هود بن عبد الله بن رباح بن حاوذ بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوحٍ[٦].

وَصَالِحٌ: وَهُوَ: ابْنُ عُبَيْدِ بْنِ أَسِفَ بْنِ مَاسِخَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ ثَمُودَ بْنِ عَوْصَ بْنِ عَادِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ هُودٍ مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَاشَ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ.

وفي الإتقان[٧]: صالحٌ، قال وهبٌ: هو ابن عبيد بن حاير بن ثمود بن حاير ابن سام بن نوحٍ بعث إلى قومه حين راهق الحلم، وكان رجلًا أحمر إلى

---

(١) المستدرك، للحاكم (٢/ ٦١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٦)، وقال الذهبي: إسناده واهٍ.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٤): وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) (٢/ ٦١٤-٦١٦).

(٥) عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد الذهلي، وقيل: الحميري المعافري البصري النحوي. نزيل مصر، ومهذب «السيرة النبوية». كان ابن هشام نحويًا أديبًا إخباريًا فاضلًا، رحمه الله. توفي سنة (٢١٨هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٥/ ٣٨٧)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٢١١).

(٦) الإتقان (٤/ ٧١).

(٧) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٧١).

البياض، سبط الشعر، فلبث فيهم أربعين عامًا(١).

وقال نوفٌ الشامي: «صالحٌ من العرب، لما أهلك الله عادًا عمرت ثمود بعدها، فبعث الله إليهم صالحًا غلامًا شابًا فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر، ولم يكن بين نوحٍ وإبراهيم نبيٌ إلا هودٌ وصالحٌ»(٢) أخرجهما في المستدرك.

وَشُعَيْبٌ(٣): وَهُوَ: ابْنُ صِيفُونَ، وَقِيلَ: ابْنُ مَلْكَاينَ(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود: ٩١] يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ شُعَيْبٌ أَعْمَى»(٥).

وَمُوسَى: وَهُوَ: ابْنُ عِمْرَانَ بْنِ فَاهِتَ بْنِ يَصْهَرَ بْنِ عَازِرَ بْنِ لاوَى بْنِ يَعْقُوبَ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٧) وقال الذهبي: عن وهب بإسناد واه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٦) وفيه نوفٌ الشامي، قال الحافظ: نوف-بفتح النون وسكون الواو- بن فضالة -بفتح الفاء والمعجمة- البكالي -بكسر الموحدة وتخفيف الكاف- ابن امرأة كعب، شامي مستور، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب. قلت: وهذا منه.

(٣) قال في الإتقان (٤/ ٧٢): قال ابن إسحاق: هو ابن ميكاييل- كذا بخط الذهبي في اختصار المستدرك- وقال غيره: ابن ملكاين. وقيل: ابن ميكيل بن يشجن بن لاوى بن يعقوب. ورأيت بخط النووي في تهذيبه ابن ميكيل بن يشجن بن مدين بن إبراهيم الخليل كان يقال له: خطيب الأنبياء، وبعث رسولًا إلى أمتين: مدين وأصحاب الأيكة، وكان كثير الصلاة، وعمي في آخر عمره. واختار جماعةٌ أن مدين وأصحاب الأيكة أمةٌ واحدةٌ: قال ابن كثيرٍ: ويدل لذلك أن كلا منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان فدل على أنهما واحد، واحتج الأول بما أخرجه عن السدي وعكرمة قالا: ما بعث الله نبيا مرتين إلا شعيبًا؛ مرةً إلى مدين، فأخذهم الله بالصيحة، ومرةً إلى أصحاب الأيكة، فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة. وأخرج ابن عساكر في تاريخه من حديث عبد الله بن عمرٍو مرفوعًا، أن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيبًا. قال ابن كثيرٍ: وهو غريبٌ، وفي رفعه نظرٌ. قال: ومنهم من زعم أنه بعث إلى ثلاث أممٍ، والثالثة أصحاب الرس.

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١/ ٨٨).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٠) عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ. ووافقه الذهبي.

بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ خَمْسُمِائَةٍ وَخَمْسٌ وَسِتُّونَ، وَقِيلَ: سَبْعُمِائَةٍ، وَعَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ، وَأَخُوهُ هَارُونُ[(١)].

وقال في الإتقان: هو ابن عمران يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام لا خلاف في نسبه، وهو اسمٌ سريانيٌّ.

وفي الصحيح وصفه أنه آدمٌ طوالٌ جعدٌ كأنه من رجال شنوءة[(٢)].

قال الثعلبي: عاش مائةً وعشرين سنةً[(٣)].

وَدَاوُدُ: وَهُوَ: ابْنُ إِيشَا بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ، وَبِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، ابْنُ عَوْبَدَ بْنُ بَاعِرَ بْنِ سَلْمُونَ بْنِ يَخْشُونَ بْنِ عُمَهْ بْنِ يَأْرُبَ بْنِ إِرَمَ بْنِ حَضْرُونَ بْنِ فَارِصَ بْنِ يَهُوذَ بْنِ يَعْقُوبَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى خَمْسُمِائَةٍ وَتِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَقِيلَ: تِسْعٌ وَسَبْعُونَ، وَعَاشَ مِائَةً[(٤)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان من دعاء داود يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي، وَمِنَ الْمَاءِ البَارِدِ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَعْبَدَ البَشَرِ[(٥)].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٤/ ٧٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٣٩) ومسلم (١٦٥): عن أبي العالية، حدثنا ابن عم نبيكم -يعني ابن عباسٍ رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت ليلة أسري بي موسى رجلًا...الحديث».

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٧٣).

(٤) انظر: تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير (١/ ٤٧٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٩٠) والحاكم في المستدرك (٣٦٢١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٦)، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ». وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: بل عبد الله بن يزيد الدمشقي هذا قال أحمد: أحاديثه موضوعة. وذكره العلامة الألباني في الصحيحة (٧٠٧).

وَوَلَدُهُ سُلَيْمَانُ: وَعَاشَ نَيِّفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا قِيلَ: نَحْوَ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ(١).

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وَأَيُّوبُ(٢): وَهُوَ: ابْنُ مُوصَ بْنِ رِعْوِيلَ بْنِ عِنْصُو بْنِ إِسْحَاقَ، عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ، وَقِيلَ: أَكْثَرَ، وَكَانَتْ مُدَّةُ بَلَائِهِ سَبْعَ سِنِينَ(٣).

الله سبحانه وتعالى ابتلى أيوبَ ببلاءٍ، وأَبْهَمَ هذا البلاءَ في القرآن العظيم، فليس لنا -معشرَ المسلمين- أن نبحث ونسأل ما هو هذا البلاء، وهل أَكَلَ الدودُ جسمَ أيوبَ عليه الصلاة والسلام؟ وهل قَذِرَهُ أهلُه؟ وغير ذلك من هذه الإسرائيليات التي أتى بها المفسرونَ في كتبهم، وأغرقوا فيها، ليس لنا أن نبحث عن ذلك، إنما المشهورُ لنا أن نعرف أن الله تبارك وتعالى ابتلاه بابتلاء عظيم فَصَبَرَ عليه -عليه أفضلُ الصلاة والسلام- صبرًا جميلًا، فعوضه الله تبارك وتعالى، وَأَرْجَعَ إليه أهلَه، ورضَّاهم عنه، ورضَّاه عنهم، وكان لمدة بلائه قَدْرٌ مُعَيَّنٌ أيضًا لا نَعْلَمُهُ على وجه التحقيق، فلنضرب صَفْحًا عَمَّا ورد في كتب التفسير من هذه الأمور. والله أعلم.

وَوَلَدُهُ ذُو الْكِفْلِ: فَرَوَى الْحَاكِمُ عَنْ وَهْبٍ: أَنَّ اللهَ بَعَثَ بَعْدَ أَيُّوبَ ابْنَهُ بِشْرَ

---

(١) قال في الإتقان (٤/ ٧٤): قال كعبٌ: كان أبيض جسيمًا وسيمًا وضيئًا جميلًا خاشعًا متواضعًا، وكان أبوه يشاوره في كثيرٍ من أموره مع صغر سنه؛ لوفور عقله وعلمه. وأخرج ابن جبيرٍ عن ابن عباسٍ قال: ملك الأرض مؤمنان: سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ وبخت نصر. قال أهل التاريخ: ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنةً، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين، ومات وله ثلاثٌ وخمسون سنةً.

(٢) قال في الإتقان (٤/ ٧٤): قال ابن إسحاق: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ولم يصح في نسبه شيءٌ إلا أن اسم أبيه أبيض.

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك (١/ ٣٢٢).

ابْنَ أَيُّوبَ نَبِيًّا، وَسَمَّاهُ: ذَا الْكِفْلِ، وَأَمَرَهُ بِالدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِهِ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالشَّامِ عُمْرَهُ حَتَّى مَاتَ، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً(١).

يعني: ابنَ أيوبَ، لكن المشكلة أن الحاكم أَوْرَدَ هذا عن وَهْبٍ، ووهبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ أحدُ التابعينَ الذين كانوا يَتَلَقَّوْنَ هذه الأخبارَ عن بني إسرائيل، فإن عددًا يَسِيرًا من الصحابة والتابعينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا مشهورينَ برواية مِثْلِ هذه الأخبار عن أهل الكتاب؛ لأن عبد الله بن عمرو بن العاص أَدْرَكَ في اليرموك حِمْلَيْ جَمَلَيْنِ مليئينِ بِكُتُبِ أهلِ الكتابِ القديمةِ، فأخذها وكان يُحَدِّثُ منها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك كعبُ الأحبار، وَوَهْبُ بن منبه، وكعب الأحبار كان يهوديًّا وَأَسْلَمَ، أما وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه يمنيُّ الأصلِ صنعانيٌّ لم يُدْرِكْ رسولَ الله ﷺ، وَأَخَذَ عن كبار الصحابة رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ، ووَهْبٌ ثقةٌ لا شَكَّ، وكعب ثقةٌ أيضًا، وسبق أن ذكرت أن بعض المعاصرين حَاوَلَ أن يطعن فيهما بغير حجة واضحة، وممن فعل ذلك أحمد أمين رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (ضُحَى الإسلام).

وَيُونُسُ: وَهُوَ ابْنُ مَتَّى، وَهِيَ أُمُّهُ. وهذا فيه حديثٌ عن رسول الله ﷺ، عندما لَقِيَ عداس في الطائف في بستان عُتْبَةَ وشيبةَ ابْنَيْ ربيعةَ فقال له: «**يُونُسُ بْنُ مَتَّى الرَّجُلُ الصَّالِحِ**»، فقال له: وما أدراك بابن مَتَّى؟ قال: «**هُوَ نَبِيٌّ وَأَنَا نَبِيٌّ**» أو كما قال ﷺ(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٣٦): عن عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن منبهٍ به. وقال الذهبي: في إسناده عبد المنعم بن إدريس وقد كذب.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ٧٣) (١٤/ ١٣٩) وفي الدعاء (٣١٥) والخطيب في الجامع (٢/ ٢٧٥) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٥): رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلسٌ ثقةٌ، وبقية رجاله ثقاتٌ. وهذه القصة مشهورة في كتب السيرة، وهي قصة عداس النصراني مع النبي ﷺ.
وانظر: السلسلة الضعيفة، للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٩٣٣).

وَإِلْيَاسُ: وَهُوَ ابْنُ يَاسِينَ بْنِ فِنْحَاصَ بْنِ الْعِيزَارِ بْنِ هَارُونَ أَخِي مُوسَى، وَقِيلَ: هُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ ضَعِيفٌ(١). قيل: إن إلياس هو إدريسُ، ولكن هذا ضعيفٌ، كما قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَالْيَسَعُ: وَهُوَ ابْنُ حَاطُورَ(٢). سَبَقَ أن ذكرتُ أن هذه الأسماء يصعب صعوبةً عظيمةً ضَبْطُهَا؛ لأن الذين أَوْرَدُوهَا في كتبهم اختلفوا في ضَبْطِهَا، تجد الضبطَ عند ابن جماعةَ مثلا يختلف عنه عند ابن الأثير، يختلف عنه عند السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعند ابن حجر، كُلُّ مَنْ أورد هذه الأسماءَ فقد اختلف فيها اختلافًا كبيرًا في الغالب؛ لأنها ليست أسماء عربية، فهي أسماء مُعَرَّبَةٌ، فكلٌّ يرى لها وجهًا في التعريب وفي النطق، فيكتبها بما يراها وجهًا لها، وبعضُ النُّسَّاخِ الذين ينقلون من كتب الأئمة يخطئون كثيرًا في نقل مثل هذا لعدم ضَبْطِ النقط والشَّكْلِ.

وَزَكَرِيَّا(٣)**: وَهُوَ ابْنُ أُذْنٍ، وَقِيلَ: ابْنُ حَيَا، وَوَلَدُهُ يَحْيَى، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ عِيسَى، قِيلَ: وُلِدَ بَعْدَهُ بِستَّةِ أَشْهُرٍ**(٤).

---

(١) قال في الإتقان (٤/ ٧٦): [وإلياس] بهمزة قطعٍ: اسمٌ عبرانيٌّ، وقد زيد في آخره ياءٌ ونونٌ في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ كما قالوا في إدريس: "إدراسين" ومن قرأ آل يس، فقيل: المراد آل محمدٍ.

(٢) قال في الإتقان (٤/ ٧٧): قال ابن جبيرٍ: هو ابن أخطوب بن العجوز قال: والعامة تقرؤه بلامٍ واحدةٍ مخففةٍ، وقرأ بعضهم: ﴿**والليسع**﴾ بلامين وبالتشديد، فعلى هذا هو عجمي، وكذا على الأولى، وقيل: عربيٌّ منقولٌ من الفعل من وسع يسع.

(٣) قال في الإتقان (٤/ ٧٧): كان من ذرية سليمان بن داود وقتل بعد قتل ولده، وكان له يوم بشر بولده اثنتان وتسعون سنةً، وقيل: تسعٌ وتسعون، وقيل: مائةٌ وعشرون. وزكريا اسمٌ أعجميٌّ وفيه خمس لغاتٍ: أشهرها المد، والثانية القصر، وقرئ بهما في السبع، وزكريا بتشديد الياء وتخفيفها، وزكر كقلمٍ.

(٤) قال في الإتقان (٤/ ٧٧): أول من سمي: يحيى بنص القرآن ولد قبل عيسى بستة أشهرٍ ونبئ صغيرًا، وقتل ظلمًا وسلط الله على قاتليه بخت نصر وجيوشه، ويحيى اسم عجمي، وقيل: عربيٌّ. قال الواحدي: وعلى القولين لا ينصرف. قال الكرماني: وعلى الثاني إنما سمي به؛ لأنه أحياه الله بالإيمان.
=

وقص الله تبارك وتعالى خبره في القرآن فقال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٣٨-٤٠].

وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَهِيَ: بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ نَاثَانَ، كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى أَلْفٌ وَتِسْعُمِائَةٍ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَبَيْنَ مَوْلِدِهِ وَالْهِجْرَةِ سِتُّمِائَةٍ وَثَلاثُونَ، وَرُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَلَهُ ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ سَنَةً(١).

لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وَمُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَقَدْ وُلِدَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعِ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيلِ، وَبُعِثَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ

= وقيل: لأنه حي به رحم أمه. وقيل: لأنه استشهد، والشهداء أحياءٌ. وقيل: معناه «يموت» كالمفازة للمهلكة والسليم للديغ.

(١) قال في الإتقان (٤/ ٧٧): خلقه الله بلا أبٍ وكانت مدة حمله ساعةً. وقيل: ثلاث ساعاتٍ. وقيل: ستة أشهرٍ. وقيل: ثمانية أشهرٍ. وقيل: تسعة، ولها عشر سنين. وقيل: خمس عشرة. ورفع وله ثلاثٌ وثلاثون سنةً. وفي أحاديث أنه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ويولد له ويحج ويمكث في الأرض سبع سنين، ويدفن عند النبي ﷺ، وفي الصحيح أنه ربعةٌ أحمر كأنما خرج من ديماسٍ؛ يعني: حمامًا. وعيسى اسمٌ عبرانيٌ أو سريانيٌ.

إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْهُ، وَقِيلَ: لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ(١).

القول بأنه تُوُفِّيَ ﷺ في الثاني عشر من ربيع كولادته هو المشهور، والله أعلم، وفيه أقوال كثيرة.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَلائِكَةِ:

جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَهَارُوتُ، وَمَارُوتُ، إِنْ صَحَّ أَنَّهُمَا مَلَكَانِ. هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْبُلْقِينِيُّ.

قوله: (**إِنْ صَحَّ أَنَّهُمَا مَلَكَانِ**)؛ أي: هاروت وماروت؛ لأن هناك كلامًا طويلًا في كونهما مَلَكَيْنِ، أو أن في كلام الله تبارك وتعالى تقديمًا وتأخيرًا ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢] قيل: هنا تقديمٌ وتأخيرٌ، أي: لم يُنْزَلْ على الملكينِ شيءٌ من السحر، وقيل: بأن هاروتَ وماروتَ رجلانِ من عامة الناس ببابل، وقيل: غير ذلك من الأقوال الكثيرة (٢).

قُلْتُ: وَالرَّعْدُ، فَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ، فَقَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ»(٣).

---

(١) انظر: الإتقان (٤/ ٧٧-٧٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٥١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١١٧) والنسائي في الكبرى (٩٠٢٤) وغيرهم: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباسٍ، قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملكٌ من الملائكة موكلٌ بالسحاب معه مخاريق من نارٍ يسوق بها السحاب حيث شاء الله» فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «زجرةٌ بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر» قالوا: صدقت. فقالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها» قالوا: صدقت. وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ». السلسلة =

الحديث طويل. أخرجه الترمذي[(١)] وأحمد[(٢)] والنسائي[(٣)]، وفيه يقول الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. أي: حسن من وجه عند قومٍ، وصحيح من وجه آخر عند آخرينَ، وقيل: هو مرتبةٌ أعلى من الصحيح، فهو حسن صحيح، ليس صحيحًا فقط، وقيل: هو في مرتبةٍ بينَ الحَسَنِ وبينَ الصحيحِ، ليس في مرتبة الحسن لكنه دون الصحيح. والله أعلم.

مثلُ هذه الأخبار: (الرَّعْدُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ) الذي نعرفه الآنَ من العلم الحديث أنها شُحْنَاتٌ كهربائيةٌ تُفَرَّغُ في السماء، مقابلة السالب مع الموجب فيحدث ذلك الصوتُ الذي يقال له: رعد، ويحدث ذلك البرق الذي نراه، هذا الذي يعرفه العلم الحديث، لكن إن صح هذا الخبر فهو مُقَدَّمٌ على كل العلوم، كما قلتُ في المقدمة: إنه يستحيل في العقل أن يتضارب خبرانِ: قطعيُّ الثبوتِ مع أَمْرٍ عقلي قطعي الثبوت أيضًا. ويستحيل أن يتضارب أمر قطعي الدلالة مع أمر عقلي قطعي الثبوت والدلالة أيضًا، يعني: هناك أخبار قطعية الثبوت، قطعية الدلالة، قطعية الثبوت ظنية الدلالة، وهذه كلها في القرآن العظيم وفي الخبر المتواتر، أما باقي الأخبار فهي أخبارُ آحادٍ، سواء كان من الغريب أو العزيز أو المشهور والمستفيض، فهو من أخبار الآحاد، فخبر الآحاد ظَنِّيُّ الثبوت قطعيُّ الدلالةِ، وظني الثبوت ظني الدلالة أيضًا.

أما الأخبار العِلْمِيَّةُ والتي هي موجودة اليوم المادية الطبيعية التي خلقها الله

= الصحيحة للعلامة الألباني (١٨٧٢).

(١) (٣١١٧).

(٢) مسند أحمد (١/ ٢٧٤)، رقم (٢٤٨٣).

(٣) السنن الكبرى (٩٠٢٤).

تبارك وتعالى فيها من الغموض الذي لم يدركه العلماءُ بعدُ الشيءُ الكثيرُ، وفيها مما كشفه اللهُ تبارك وتعالى للعلماء الشيء الكثير أيضًا، فما انكشف للعلماء وكان أمرًا قطعيَّ الثبوت ليست نظريةً، فهي حقيقةٌ وقعت وتحققت في الواقع بل وَصُوِّرَتْ، كما أن الأرض كروية، فلا يستقيم اليوم أن يناقش الناسُ هل الأرض كروية أو لا؟ لأنها قد صُوِّرَتْ من الخارج فظهرت كرويةً، وعلماء المسلمين منذ أَمَدٍ بعيد يقولون بأنها كروية، منذ الإدريسي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي صَنَعَ كُرَةً ووضع عليها الأماكنَ، ومن جاء بعده من علماء المسلمين الذين قالوا: هي كرة، أو هي أقربُ إلى الكرة.

وقد سمعتُ بعض الناس يجادل في هذا، بأن الأرض ليست بكروية، فيقال له: يا أخي، أصبح هذا الأمرُ حقيقةً واقعةً، لا يَكْبُرُ عليك الأمرُ؛ لأن الكفار اليوم هم الذين يَتَبَنَّوْنَ العلمَ الطبيعيَّ، والعلم الطبيعي هو الذي خلقه الله تعالى، والله تبارك وتعالى خَالِقُ العلمِ وخالقُ الطبيعةِ، وخالق هذه الموادِّ جميعًا، والله تبارك وتعالى هو الذي يفتح على مَن شاء من عبيده فَيُعَلِّمُهُمْ ما شاء سبحانه وتعالى في الوقت الذي يشاء، فلا يَكْبُرَنَّ عليكَ أن القائل بهذا عالِم غربي، فإن الفاتح عليه فيه هو الله تبارك وتعالى، ومُعَلِّمُهُ ذلك هو الله على الحقيقة وعلى التأكيد، فهذا ليس فيه مِراءٌ وليس فيه شَكٌّ، فهناك حقائقُ أصبحت من الْمُسَلَّمَاتِ لا يسوغ الكلام فيها، ولا تسوغ محاولاتُ إنكارِها، ومن ذلك (الرعد) فأصبح عند العلماء من الحقائق أنه شُحنات كهربائية تُفَرَّغُ في السماء بالتقاء السالب مع الموجب فَتُحْدِثُ فرقعةً يقال لها: الرعد، وَتُحْدِثُ نورًا يقال له: البرقُ.

فإن صح الحديث سَنَدًا وَمَتْنًا -وليس في متنه نكارةٌ، وليس في متنه غرابة يُرَدُّ بها- فيمكن أن يُكَلِّفَ اللهُ تبارك وتعالى مَلَكًا من الملائكة بإحداث ذلك في السماء، فيسقي من الأرض ما شاء، ويصرف الرعد إلى من شاء بأمر الله تبارك وتعالى، فليس في ذلك غرابةٌ أن يطلق الأمر القريب على الشحنات التي تُفَرَّغُ، أو تتفرغ في الجو، ويطلق الأمر البعيد على مَلَكٍ من الملائكة يأمرُه الله تبارك وتعالى بأن يُحْدِثَ ما شاء من أمرِه في السماء، والله أعلم.

وَمَالِكٌ: خَازِنُ جَهَنَّمَ. قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

وَقَعِيدٌ: فَقَدْ ذَكَرَهُ مُجَاهِدٌ[١]: أَنَّهُ اسْمُ كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ. و﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]. قيل: إن رقيبًا هو كاتب، وعتيدًا هو الكاتب الآخر.

وَالسِّجِلُّ: فَقَدْ قَالَ السُّهَيْلِيُّ[٢] وَتَابَعُوهُ: هُوَ مَلَكٌ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْحَفَظَةُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، وَقِيلَ: كَانَ كَاتِبًا لِلنَّبِيِّ ﷺ[٣]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

---

(١) هو ابن جبر، سبقت ترجمته.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. صاحب «الروض الأنف» توفي سنة (٥٨١هـ). تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ١٣٤٨) الأعلام، للزركلي (٣/ ٣١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٩٣٥) والنسائي في الكبرى (١١٢٧٢) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢١٤) رقم (٢٠٤٠٢) وغيرهم: عن أبي الجوزاء، عن ابن عباسٍ، قال: «السجل كاتبٌ كان للنبي ﷺ». قال العلامة الألباني في «ضعيف أبي داود» (٥١١): إسناده ضعيف؛ لجهالة يزيد. ومتنه منكر جدًا. بل حكم بوضعه الحافظ المزي وابن تيمية وابن القيم والذهبي والشوكاني.

هـذا السـجل: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، يقول السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أبا داود والنسائي أخرجا حديثًا أنه كان كاتبًا لرسول الله ﷺ، وابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح يقول: لم يَثْبُتْ هذا، وأبو القاسم السُّهَيْلِيُّ والثعلبي يُنْكِرَانِ ذلك أن يكون كاتبًا لرسول الله ﷺ رجلٌ يُسَمَّى: السجلَّ، لا يُعرف ذلك من كَتَبَةِ رسول الله ﷺ، ولا يُعرف من الصحابة رجلٌ يدعى: السجل، لكن ابن منده[1] الحافظ الكبير المعروف، والحافظ أبو نُعيم الأصبهاني[2] أيضًا أَوْرَدَا السجلَّ هذا في أسماء الصحابة كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[3].

لكن ابن جماعة يقول في «غُرَر التبيانِ في بيانِ ما لم يُسَمَّ من القرآن»: إن مثلَ هذا الخبر لا يُعرف أصلُه ولا يثبت مثلُه. لأنه لا يُعرف عند المسلمين رجلٌ يُسَمَّى: السِّجِلَّ كان كاتبًا لرسول الله ﷺ، أو كان من صحابة رسول الله ﷺ، وقيل: بأنه مَلَكٌ في السماء الثالثة أو الثانية، والأكثرُ على أنها الثالثةُ تُرْفَعُ إليه أعمالُ العبادِ لِيُسَجِّلَهَا، وليس فيه سندٌ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ، فالله أعلم به.

وذكر الحافظ ابن حجر أن الحافظ ابن مِرْدَوَيْهِ هو الذي أخرج هذا الحديثَ عن رسول الله ﷺ، وكتاب ابن مِرْدَوَيْهِ لا يوجد منه اليوم إلا جزء يسير، أما

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني الصوفي الأحول، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء. كان أحد الأعلام، ومن جمع الله له بين العلو في الرواية والمعرفة التامة والدراية، رحل الحفاظ إليه من الأقطار، وألحق الصغار بالكبار. توفي سنة (٤٣٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٩/ ٤٦٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٤٣٧).

الكتاب الأصلي فقد فُقِدَ أكثرُه، فالله أعلم.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ: زَيْدٌ، وَهُوَ ابْنُ حَارِثَةَ لَا غَيْرُ.

ذكر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قُلْتُ: وَالسِّجِلُّ عَلَى الْقَوْلِ السَّابِقِ. يعني: إنْ صَحَّ.

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ: عِمْرَانُ أَبُو مَرْيَمَ، وَأَخُوها هَارُونَ، وَلَيْسَ بِأَخِي مُوسَى.

قوله: (**عِمْرَانُ أَبُو مَرْيَمَ**) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢].

قوله: (**وَأَخُوها هَارُونَ، وَلَيْسَ بِأَخِي مُوسَى**) قيل بأن معنى: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾؛ أي: يا أيتها الأخت الصالحة التي كان من أجدادكِ هارونُ أخو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما يقول العرب: يا أخا جهينة مثلًا، أو يا أخا تميم... إلخ. وهذا القول -أن المراد بالإشارة إلى هارون المتقدم أخي موسى عليهما الصلاة والسلام- هو الأقوى وهو موجود في كتب التفاسير، لكن على أن لعمرانَ ولدًا يُدْعَى: هارونَ أيضًا فَلَعَلَّهُ كما قال الشيخ هنا: عمرانُ أبو مريم وأخوها هارون، لكن الذي وجدتُه مستفيضًا في كتب التفاسير الإشارةُ إلى هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام.

وعزيز، وتبع -وكان رجلا صالحا- كما أخرج الحاكم[1]، وقيل: نبي حكاه الكرماني في عجائبه.

---

(١) انظر: المستدرك (٣٦٨١).

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الآخَرُ: «فَمَا أَدْرِي أَكَانَ تُبَّعٌ لَعِينًا أَمْ لا؟»(١) فَأُجِيبَ عَنْهُ: بِأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ آمَنَ. وفي رواية أحفظُها الآنَ ولا أدري أين هي: «فَمَا أَدْرِي أَكَانَ تُبَّعٌ نَبِيًّا أَمْ لا؟»(٢).

وَلُقْمَانُ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ نَبِيًّا، وَالأَكْثَرُ عَلَى خِلافِهِ.

وقد جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا(٣).

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ النِّسَاءِ: مَرْيَمُ: قَالَ السُّهَيْلِيُّ(٤): وَقَدْ تَكَرَّرَ اسْمُهَا فِي نَحْوِ ثَلاثِينَ مَوْضِعًا لِحِكْمَةٍ؛ وَهُوَ أَنَّ الْمُلُوكَ وَالأَشْرَافَ لا يَذْكُرُونَ حَرَائِرَهُمْ فِي مَلأٍ، وَلا يَتَبَذَّلُونَ أَسْمَاءَهُنَّ، بَلْ يَكْنُونَ عَنِ الزَّوْجَةِ بِالْعُرْسِ وَالْعِيَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِذَا ذَكَرُوا الإِمَاءَ لَمْ يَكْنُوا عَنْهُنَّ، وَلَمْ يَصُونُوا أَسْمَاءَهُنَّ عَنِ الذِّكْرِ، فَلَمَّا قَالَتِ النَّصَارَى فِي مَرْيَمَ مَا قَالُوا، صَرَّحَ اللهُ بِاسْمِهَا وَلَمْ يَكْنِ تَأْكِيدًا لِلْعُبُودِيَّةِ الَّتِي هِيَ صِفَةٌ لَهَا، وَتَأْكِيدًا لأَنَّ عِيسَى لا أَبَ لَهُ، وَإِلَّا لَنُسِبَ إِلَيْهِ.

كلامُ الحافظِ الكبيرِ أبي القاسم السهيليِّ يحتمل المناقشةَ؛ لأنه كان مشهورًا في زمان رسول الله ﷺ عددٌ كبيرٌ من أسماء النساء، فعندما جاءت زينبُ امرأة عبد الله بن مسعود، فسأل رسولُ الله ﷺ بلالًا: مَنِ الطَّارِقُ، فقال: زينبُ، فقال: «أَيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟»(٥)، وكان مشهورًا بين الصحابة اسمُ عائشةَ، وأسماء

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٠/ ٣٢٨٩) والثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٢٧٠): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدري تبعٌ نبيًا كان أم غير نبي».

(٢) انظر: المستدرك (١٠٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٨/ ٥٤٧): عن عكرمة، عن ابن عباسٍ، قال: «كان لقمان عبدًا حبشيًا».

(٤) سبق التعريف به.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٦٦) ومسلم (١٠٠٠): عن عمرو بن الحارث، عن زينب، امرأة عبدالله قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن، يا معشر النساء، ولو من حليكن...».

زوجات رسول الله ﷺ، ونادى عمرُ ﵁ سودةَ ﵂ وهو بينَ مَلأٍ، قال: «يا سودةُ، ارجِعي فقد عَرَفْنَاكِ»[(١)]، فكان العرب ينادونَ النساءَ بأسمائهن في المجامع والأسواق، وليس في ذلك حرجٌ فيما أعرفه من حال الصحابة وَمَنْ بَعْدَهُمْ، والله أعلم.

واسم الكتاب الذي قال فيه السهيلي هذا: «الرَّوْضُ الأُنُفُ»، وهو كتاب في شرحِ سيرة ابن هشام، وهو كتابٌ جَلِيلٌ في معناه وفي مَبْنَاهُ. والأُنُفُ: هو الأمر المبتدأ، يعني: كأن هذا رَوْضٌ لم يُرْعَ بعدُ، فهو قد أنشأ روضةً جميلةً ما أنشأ أحدٌ مِثْلَهَا قبلَه. والله أعلم.

وللسهيلي كتاب اسمه: «التعريف والإعلام فيما أُبْهِمَ في القرآن من أسماء الأعلام»، فينبغي ألا تَخْفَى على أي طالب عِلْم أسماء هذه الكتب؛ لأن هناك أسماء لكتب مشهورة في كل فرع من علوم الشريعة؛ في الفقه والأصول والحديث، وفي علوم القرآن، واللغة العربية؛ نَحْوِهَا وَصَرْفِهَا، وآدابها ومعاجمها... إلخ، فلا يَخْفَى على طالب العلم أسماء هذه الكتب أو أسماءُ شروحِ الْمُهِمِّ منها وأسماء مؤلفيها، فهذه من أولويات طالب العلم.

[أسماء الكفار][(٢)]:

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْكُفَّارِ: إِبْلِيسُ، وَكَانَ اسْمُهُ: عَزَازِيرُ. والذي أحفظه أنه باللام: (عَزَازِيلُ)، الله أعلم، وكثير من هذه الأسماء مكررة في كثير من الكتب على هيئات كثيرة متقاربة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) إضافة توضيحية من الإتقان (٤/ ٨٢).

وَمَعْنَاهُ: الْحَارِثُ، وَكُنْيَتُهُ: أَبُو مُرَّةَ، وَقِيلَ: أَبُو كُرْدُوسَ، وَقَارُونُ، وَجَالُوتُ، وَهَامَانُ، وَبُشْرَى الَّذِي نَادَاهُ الْوَارِدُ الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ [يُوسُف: ١٩] فِي قَوْلٍ.

أي: في قولٍ على أن (بُشْرَى) هذا رجلٌ، ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ وفي قراءة: (يا بشراي هذا غلام) كأن هذه القراءة تُفهِم أن المراد هو البشرى المعروفة وليس رجلًا، أي: يا هَنَائِي بأن هذا غلامٌ سَأَبِيعُهُ في مصر.

وَآزَرُ: أَبُو إِبْرَاهِيمَ، وَقِيلَ: اسْمُهُ تَارِخُ، وَآزَرُ لَقَبٌ(١).

وقيل: بأنه ليس بِأَبِي إبراهيم بل هو عَمُّهُ، وقيل: غير ذلك من الأقوال(٢).

[أسماء القبائل]:

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْقَبَائِلِ: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَعَادٌ، وَثَمُودُ، وَمَدْيَنُ، وَقُرَيْشٌ، وَالرُّومُ.

[أسماء الأقوام بالإضافة](٣):

وَفِيهِ مِنَ الأَقْوَامِ بِالإِضَافَةِ: قَوْمُ نُوحٍ، وَقَوْمُ لُوطٍ، وَأَصْحَابُ الرَّسِّ، وَهُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ ثَمُودَ. وَالرَّسُّ: قَرْيَتُهُمْ بِالْيَمَامَةِ، وَقِيلَ: بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَوَادِي الْقُرَى، وَقِيلَ: بِئْرٌ بِأَنْطَاكِيةَ، وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ، وَقَوْمُ تُبَّعٍ.

وادي القرى: هو بين المدينة وبين الشام، وعلى التحديد أكثر: بين تَيْمَاءَ

---

(١) قال ابن كثير في التفسير (٣/ ٢٨٩): قال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آزر. ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارح، ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان، كما لكثيرٍ من الناس، أو يكون أحدهما لقبًا، وهذا الذي قاله جيدٌ قوي، والله أعلم.

(٢) زاد في الإتقان (٤/ ٨٢): ومنها النسيء؛ أخرج ابن أبي حاتمٍ عن أبي وائلٍ قال: كان رجل يسمى: النسئ من بني كنانة كان يجعل المحرم صفرًا يستحل به الغنائم.

(٣) زيادة من الإتقان للتوضيح (٤/ ٨٣).

وبين خَيْبَرَ، وتيماء وَخَيْبَرُ مشهورة إلى الآن في طريق الشام. وَسُمِّيَ بوادي القرى لأنه مَلِيءٌ بالقُرَى على ضِفَّتَي الوادي، فيه قرًى كثيرةٌ من أول الوادي إلى آخِرِهِ، وكان قديمًا منازلَ ثمودَ، وقيل: منازلَ عادٍ الأولى؛ فهناك عادٌ المتأخرة، وعادٌ الأولى منازلُهم في الأحقاف، قيل بأن منازلَها هنالك في وادي القرى، وهو إلى اليوم موجودٌ لكنه صار خرابًا من مئات السنين، ولا أعلم حالَها اليومَ كيف هو؛ أَعَادَتِ قُرًى مأهولةً أم لا؟ خاصةً أن ياقوتَ رَحِمَهُ اللَّهُ في «معجم البلدان» يقول: هي منازلُ جُهَيْنَةَ وَقُضَاعَةَ وَبَلِيّ، فلا أَدْرِي أعادوا إليها اليوم أو لا؟ أما بين خيبرَ وتيماءَ اليومَ فصحراء قاحلة(١).

[أسماء البلاد والأمكنة](٢):

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْبِلَادِ وَالأَمْكِنَةِ وَالْجِبَالِ: بَكّةُ(٣)، - وهي اسم مشهور لمكة- **وَالْمَدِينَةُ(٤)، وَهِيَ يَثْرِبُ فِي الأَحْزَابِ(٥)، وَبَدْرٌ، وَحُنَيْنٌ، وَمِصْرُ، وَبَابِلُ،**

---

(١) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٤/ ٣٣٨).

(٢) زيادة للتوضيح «الإتقان» (٤/ ٨٥).

(٣) قال في الإتقان (٤/ ٨٥): اسمٌ لمكة، فقيل: الباء بدل من الميم ومأخذه من تمككت العظم؛ أي: اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الأقوات. وقيل: لأنها تمك الذنوب؛ أي: تذهبها. وقيل: لقلة مائها. وقيل: لأنها في بطن وادٍ تمكك الماء من جبالها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيول. وقيل: الباء أصلٌ، ومأخذه من البك؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة. أي: تكسرهم، فيذلون لها ويخضعون. وقيل: من التباك؛ وهو الازدحام؛ لازدحام الناس فيها في الطواف. وقيل: مكة الحرم، وبكة المسجد خاصةً. وقيل: مكة البلد، وبكة البيت وموضع الطواف. وقيل: البيت خاصةً.

(٤) والمدينة سميت في الأحزاب بيثرب حكايةً عن المنافقين، وكان اسمها في الجاهلية، فقيل: لأنه اسم أرضٍ في ناحيتها. وقيل: سميت بيثرب بن وائلٍ من بني إرم بن سام بن نوحٍ؛ لأنه أول من نزلها. وقد صح النهي عن تسميتها به عنه ﷺ؛ لأنه كان يكره الاسم الخبيث وهو يشعر بالثرب وهو الفساد، أو التثريب وهو التوبيخ. الإتقان (٤/ ٨٥).

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب: ١٣].

وَطُورُ سِينَاءَ جَبَلٌ، وَالْجُودِيُّ، وَهُوَ جَبَلٌ بِالْجَزِيرَةِ، وَطُوًى، وَهُوَ بَيْنَ مِصْرَ وَمَدْيَنَ، وَالأَيْكَةُ وَلَيْكَةُ بِفَتْحِ اللَّامِ بَلَدُ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَالثَّانِي: اسْمُ الْبَلْدَةِ، وَالأَوَّلُ: اسْمُ الْكُورَةِ.

وَجَمْعُهَا كُوَرٍ هو: الأمكنة، والمدن، وقد تَكُونُ الكورةُ أعمَّ من المدينة، وقد تطلق الكورة على موضع وبلد من مدينة كبيرة.

وَالْمُؤْتَفِكَاتُ، وَهِيَ: بِلَادُ قَوْمِ لُوطٍ، وَالْكَهْفُ، وَهُوَ الْغَارُ لِجَبَلٍ بِقُرْبِ طَرْسُوسَ.

هناك رجلٌ أَخْرَجَ كتابًا سماه: «معجزة القرن العشرين» ادعى فيه أنه اكتشفَ مكانَ أصحابِ الكهفِ في مكان في بلاد الأردن بينَ مَعان وَعَمَّانَ، وَصَوَّرَ المكانَ، وأتى بمجموعة من العلماء ووزير الأوقاف، وكان هذا قبل حوالي ثلاثين سنة، والكتابُ طُبِعَ ومشهورٌ، وَوُزِّعَ بكميات كبيرة، وَصُوِّرَ الكهفُ، وصور القبور الستة، وصور مكان الكلب الذي كان يجلس في مدخل الغار، وَصُوِّرَ قبر الكلب، ومكتوب كتابات عجيبة في ذلك الغار، فليرجع إلى كتابه من أراد فهو موجود، فقد طُبع في منتصف التسعينيات الهجرية.

وَقِيلَ: بَيْنَ أَيْلَةَ وَعَمَّانَ دُونَ فِلَسْطِينَ.

أيلةُ: التي تُدْعَى اليوم: إيلاتُ والتي –للأسف– بين يَدَيِ اليهود عليهم لعائن الله، وهي ميناء على العقبة. والله أعلم.

وَالرَّقِيمُ: وَادٍ هُنَاكَ، وَقِيلَ: اسْمٌ لِكَلْبِهِمْ.

وقيل أيضًا: هو اسمُ اللوح الذي رُقِمَ عليه، أي: كُتِبَ عليه تاريخُ هؤلاء الفتية، فالرقيمُ هنا بمعنى: المرقوم، وفعيلٌ تأتي بمعنى فاعل، وتأتي بمعنى

مفعول، مثل قتيل بمعنى: مقتول، وذبيح بمعنى: مذبوح. وقيل: اسمُ كلبِهم كما قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقيل بأنه اسمُ الوادي، والذي يقول هذا هو ظِبْيَانُ الكيلانيُّ المؤلف، ويقول: إن الوادي اسمُه الرقيمُ أيضًا، ومشهورٌ بينَ العشائرِ هناك بأن اسم الوادي: الرقيم.

وَالأَحْقَافُ، وَهِيَ جِبَالُ الرَّمْلِ بَيْنَ عُمَانَ وَحَضْرَمَوْتَ.

في جنوب الربع الخالي، آلافُ الكيلومترات المربعة من الرمال.

[أسماء الأماكن الأخروية][١]:

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الأَمَاكِنِ الأُخْرَوِيَّةِ: الْفِرْدَوْسُ، وَهُوَ أَعْلَى مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ.

وهو الذي نصح رسولُ الله ﷺ الأمةَ وأشار إليهم: إنْ طلبوا الجنةَ فليطلبوا الْفِرْدَوْسَ؛ فسقفُه عرشُ الرحمنِ، ومنه تَنْبُعُ أنهارُ الجنةِ كما أخبر رسولُ اللهِ ﷺ[٢].

وَعِلِّيُّونَ: قِيلَ: أَعْلَى مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: اسْمٌ لِمَا دُوِّنَ فِيهِ أَعْمَالُ صُلَحَاءِ الثَّقَلَيْنِ.

الثَّقَلَانِ: الإنسُ والجنُّ. سُمُّوا بالثقلينِ؛ لأن الإنس والجنّ لهم ثِقَلٌ على الأرض.

---

(١) زيادة للتوضيح «الإتقان» (٤/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجةٍ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

وَالْكَوْثَرُ، وَهُوَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفِي الْمَوْقِفِ أَيْضًا، وَاسْتِمْدَادُهُ مِنَ الأَوَّلِ.

الكوثرُ: الحوض، ويقال أيضًا: نهر في الجنة؛ لأن الرسول ﷺ وَصَفَهُ بأن: «حَصْبَاءَهُ الياقوتُ واللؤلؤُ، وَطِينُهُ الزَّعْفَرَانُ»[1] كما أخبر ﷺ، يقول: (وَاسْتِمْدَادُه من الأول)، أي: استمدادُ النهر الذي في الموقف، أو الحوض الذي في الموقف، يَسْتَمِدُّ من نهر الجنة.

وَسِجِّينٌ: اسْمٌ لِمَكَانِ أَرْوَاحِ الْكُفَّارِ.

وَغَيٌّ، وَهُوَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[2].

يشير إلى الحديث الذي رواه ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مَرْيَم: ٥٩] قَالَ: «نَهَرٌ فِي جَهَنَّمَ بَعِيدُ الْقَعْرِ خَبِيثُ الطَّعْمِ»[3].

وَالصَّعُودُ: جَبَلٌ فِيهَا، كَمَا فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

رواه أَبو سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يَتَصَعَّدُ فِيهِ الكَافِرُ سَبْعِينَ خَرِيفًا وَيَهْوِي فِيهِ كَذَلِكَ مِنْه أَبَدًا»[4].

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (٢٨٦٣) وأحمد (٩٧٤٤) وغيرهم، عن أبي هريرة، يقول: قلنا: يا رسول الله، الجنة ما بناؤها؟

(٢) انظر: الإتقان (٤/ ٨٨).

(٣) أخرجه المعافي في الزهد (٢٨١) وأسد بن موسى في الزهد (٢٢) وفي الزهد، لهناد (١/ ١٨٣) وابن أبي الدنيا في صفة النار (٤١) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١١٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٦)، وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٧٦) (٣٣٢٦) وأبو يعلى في المسند (٢/ ٥٢٣) وقال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة». وقال في موضع آخر: وقد روي شيءٌ من هذا عن عطية، عن أبي سعيدٍ، موقوفًا. أخرجه البغوي في شرح السنة (١٥/ ٢٤٨): عن عطية العوفي، عن أبي سعيدٍ الخدري، قال: «إن الصعود صخرةٌ في جهنم إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت، وإذا رفعوها عادت، اقتحامها: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣ - ١٤]».

وَوَيْلٌ: وَادٍ فِيهَا، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا[١].

وَيْلٌ تقال: للزجر أو للتوعد أو للتنبيه، أو لأي مَعْنًى آخرَ، فهي أعمُّ من أن يكون واديًا في جهنم، ويحتمل أن يكون الويلُ الواردُ في القرآن واديًا في جهنم.

وَيَحْمُومٌ: جَبَلٌ فِيهَا، حَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ[٢].

قال القرطبي: أَيْ: يَفْزَعُونَ مِنَ السَّمُومِ إِلَى الظِّلِّ كَمَا يَفْزَعُ أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَجِدُونَهُ ظِلًّا مِنْ يَحْمُومٍ، أَيْ: مِنْ دُخَانِ جَهَنَّمَ أَسْوَدَ شَدِيدِ السَّوَادِ[٣].

وَمَوْبِقٌ: قَالَ مُجَاهِدٌ: وَادٍ فِيهَا[٤]، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: نَهْرٌ فِيهَا[٥].

في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف: ٥٢].

وَالْفَلَقُ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى أَنَّهُ جَهَنَّمُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ، وَقَالَ كَعْبٌ: بَيْتٌ فِيهَا[٦].

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨٣): حدثنا ابن لهيعة، عن دراجٍ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ، عن النبي ﷺ قال: «الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره». وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) قال القرطبي في التفسير (١٧/ ٢١٣): قال ابن زيدٍ: اليحموم جبلٌ في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٢١٣).

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٥/ ٢٩٧): عن مجاهدٍ، قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف: ٥٢] قال: «واديًا في جهنم».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٧/ ٢٣٦٨): قال: هو نهر في النار يسيل نارًا، على حافتيه حيات أمثال البغال الدهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم، استغاثوا بالاقتحام في النار منها.

(٦) انظر: الدر المنثور (٨/ ٦٨٨).

وَأَثَامٌ: وَادٍ فِيهَا. حَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ(١).

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

[أسماء الأصنام](٢):

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الأَصْنَامِ: وَدٌّ، وَسُوَاعُ، وَيَغُوثُ، وَيَعُوقُ، وَنَسْرٌ. وَهِيَ أَصْنَامُ قَوْمِ نُوحٍ، وَكَانَتْ أَسْمَاءَ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِخَ [الْقَلَمُ](٣)، وَاللَّاتُ، وَالْعُزَّى، وَمَنَاةُ، وَهِيَ: أَصْنَامُ قُرَيْشٍ، وَبَعْلٌ: وَهُوَ صَنَمُ قَوْمِ إِلْيَاسَ(٤).

في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

وَفِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالطَّارِقُ وَالشِّعْرَى(٥).



(١) قال القرطبي في التفسير (١٣/ ٧٦): قال عبد الله بن عمرٍو وعكرمة ومجاهدٌ: إن «أثامًا» وادٍ في جهنم جعله الله عقابًا للكفرة.

(٢) زيادة للتوضيح. الإتقان (٤/ ٨٤).

(٣) في الإتقان (٤/ ٧٤): وتنسخ العلم عبدت، وهو الصواب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) انظر: الإتقان (٤/ ٨٩).

النوع الثامن والتسعون، والتاسع والتسعون
الكنى والألقاب[١]

أَمَّا الْكُنَى: فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مِنْهَا غَيْرُ: أَبِي لَهَبٍ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْعُزَّى، وَلِذَلِكَ لَمْ يُذْكَرْ بِاسْمِهِ؛ لأَنَّهُ حَرَامٌ شَرْعًا.

هذه من التأويلات، لِمَ لَمْ يُذْكَرْ أبو لهب عليه لعنة الله باسمه عبد العزى؟ قيل: بأن هذا الاسم حرام شرعًا، لا يجوز بأن يُسَمَّى إنسان به.

وَقِيلَ: لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ جَهَنَّمِيٌّ.

أي: الإشارة بأن مَآلَهُ سيكون جهنم، ولأنه كان يُكَنَّى بين قريش بأبي لهب، قيل: لِوَضَاءَتِهِ، فكأن خَدَّيْهِ يجري فيهما اللهبُ، لَوْنُ خَدَّيْهِ يميل إلى الحمرة، فكان -لعنه الله- رجلًا وضيئًا، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ كان يذهب إلى القبائل يدعوهم ووراءه رَجُلٌ وَضِيءٌ ذُو غَدِيرَتَيْنِ، أي: ذو ضفيرتين، أحولُ، يقول: لا تُصَدِّقُوهُ فإنه كذاب![٢].

وَأَمَّا الأَلْقَابُ فَمِنْهَا: إِسْرَائِيلُ لِيَعْقُوبَ، وَمَعْنَاهُ: عَبْدُ اللهِ، وَقِيلَ: صَفْوَةُ اللهِ، وَقِيلَ: سَرِيُّ اللهِ؛ لأَنَّهُ أَسْرَى لَمَّا هَاجَرَ.

وَمِنْهَا: الْمَسِيحُ لِعِيسَى، وَفِي مَعْنَاهُ أَوْجُهٌ كَثِيرَةٌ ذَكَرْتُهَا فِي شَرْحِ الأَسْمَاءِ النَّبَوِيَّةِ.

---

(١) انظر: الإتقان (٤/ ٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠٢٣) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٩٦٤) والطبراني في الكبير (٥/ ٦١-٦٣) والحاكم في المستدرك (١/ ٦١): قال ربيعة بن عبادٍ الدؤلي: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»... الحديث. وحسنه شعيب الأرناءوط.

شرح الأسماء النبوية محققٌ مطبوعٌ.

وَنُوحٌ، فَإِنَّ اسْمَهُ عَبْدُ الْغَفَّارِ، وَلُقِّبَ بِهِ؛ لِكَثْرَةِ نَوْحِهِ عَلَى نَفْسِهِ.

نوح كان ينوح على نفسه كثيرًا فسمي: نوحًا؛ لذلك عبد الله بن سلام عندما رُجِمَ عثمانُ وهو على المنبر أيامَ الفتنة، فقال: (لقد صَنَعْتُمْ أمرًا عظيمًا بالخليفة بعد نُوحٍ)[1]، هذه الكلمة قد تُشْكِلُ في كتب التاريخ، فعمر رضي الله عنه كان يُسَمَّى: نوحًا أيضًا؛ لكثرة بكائه، وكثرة نَوْحِهِ رضي الله عنه، فإذا جاءت في كتب التاريخ في هذا السياق فإن نُوحًا هذا المراد به عُمَرُ رضي الله عنه؛ لأنه كان ينوح على نفسه كثيرًا.

وَذُو النُّونِ: وَهُوَ يُونُسُ.

وَذُو الْكِفْلِ: إِنْ صَحَّ أَنَّهُ بِشْرُ بْنُ أَيُّوبَ. كما ذَكَرَ ذلك قبل قليل.

وَالرُّوحُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ، وَالأَمِينُ، أَلْقَابٌ لِلْمَلَكِ الْكَرِيمِ جِبْرِيلَ عليه السلام.

وَذُو الْقَرْنَيْنِ: وَاسْمُهُ: الإِسْكَنْدَرُ، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا. قِيلَ: كَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَقِيلَ: اسْمُهُ هَرْمَسُ، وَقِيلَ: هَرْدِيسُ، وَقِيلَ: مَرْزِبَانُ بْنُ مَرْدِبَّةَ، وَقِيلَ: هُوَ الصَّعْبُ بْنُ ذِي يَزَنَ الْحِمْيَرِيُّ.

أحد أقيال اليمن. والقَيْل هو السيد الكبير.

وَقِيلَ: هُوَ يُونَانِيٌّ، وَسُمِّيَ: ذَا الْقَرْنَيْنِ لأَنَّهُ مَلَكَ فَارِسَ وَالرُّومَ، أَوْ دَخَلَ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ. هذا أيضًا من ظَنِّ القدماء أن هناك منطقة في الأرض، منطقة الظلمة مَنْ دَخَلَهَا لا يرجع، والله أعلم أنهم كانوا يطلقونها على ما يُعرف اليوم بالمحيط

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول السنة (٨/ ١٤٤٠): عن عبد الله بن سلام، قال: «بينما أمير المؤمنين عثمان يخطب ذات يوم، فقام رجلٌ فنال منه، فوذأه الناس فاتذأ، فقال رجلٌ: لا يمنعك مكان ابن سلامٍ أن تسب نعثلًا؛ فإنه من شيعة عثمان، فقلت له: لقد قلت القول العظيم في يوم القيامة، في الخليفة من بعد نوحٍ».

الأطلسي، وعُقْبَةَ بنَ نافع رضي الله عنه عندما غزا المغربَ فتقدم حتى وصل إلى ديار المغرب الأقصى اليوم، ووضع قوائمَ فرسه في الماء، وقال: (يا رب، لو أني أعلم أن هناك بلادًا بعد ذلك لخضتُ البحرَ إليها)، فكانوا يطلقون على المحيط الأطلسي بحرَ الظلمات؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون أن وراءه بلادًا، وهي اليوم: الأمريكتانِ، بل كانوا يظنون بأنه هو بحر الظلمة، مَنْ ذَهَبَ إليه فإنه لا يرجع، والله أعلم.

أَوْ كَانَ بِرَأْسِهِ شِبْهُ الْقَرْنَيْنِ، أَوْ كَانَ لَهُ ذُؤَابَتَانِ، أَوْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ أَخَذَ بِقَرْنَيِ الشَّمْسِ... أَقْوَالٌ[1].

وَالْعَزِيزُ، وَاسْمُهُ: قِطْفِيرُ، أَوْ إِطْفِيرُ[2].

عزيز مصر الذي اشترى يوسف عليه الصلاة والسلام.

وَطَالُوتُ: لُقِّبَ بِهِ لِفَرْطِ طُولِهِ، وَاسْمُهُ: شَاوُلُ بْنُ أَنْبَارِ بْنِ ضِرَارٍ.

وَفِرْعَوْنُ: وَاسْمُهُ: الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ الرَّيَّانِ، وَكُنْيَتُهُ: أَبُو مُرَّةَ، وَقِيلَ: أَبُو الْعَبَّاسِ، وَهُوَ فِرْعَوْنُ الثَّانِي الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِ مُوسَى، وَكَانَ قَبْلَهُ فِرْعَوْنٌ آخَرُ وَهُوَ أَخُوهُ[3].

قَالُوصُ بْنُ مُصْعَبٍ: مَلِكُ الْعَمَالِقَةِ، وَلَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ.

لا أدري وجهَ ذِكْرِهِ هنا، لكن يبدو أنه ذكره استطرادًا فكلاهما ابن مصعب، فالعمالقة ليس لهم علاقة بالفراعنة، العمالقة هم الذين كانوا في بيت المقدس، وأُمِرَ بنو إسرائيل بأن يذهبوا ويدخلوا عليهم الباب، ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا

(١) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١/ ١٥٩ وما بعدها).

(٢) في الإتقان: قطيفير، أو أطيفير.

(٣) قال في الإتقان (٤/ ٩٢): وقيل: إن فرعون لقبٌ لكل من ملك مصر.

دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٣]. وكان بنو إسرائيل خائفين منهم، فلم يريدوا أن يدخلوا بيتَ المقدس لوجود العمالقة فيه، فليس بين العمالقة والفراعنة اتصال ظاهر فيما أعلم، والله أعلم.



النوع المائة[١]: المبهمات[٢]

المبهمات هي مسميات لم يذكر اللهُ تبارك وتعالى لنا أسماءها، سواء كان ذلك المسمى رجلًا أو امرأة أو طيرًا أو حيوانًا أو كوكبًا، أو أي شيء كان، كأن ذلك هو الأقرب إلى تعريف المبهم: شيء مسمًّى لم يُخْبِرِ اللهُ تبارك وتعالى الناس باسمه في القرآن، ولم يخبر اللهُ تبارك وتعالى باسمه عن طريق رسوله ﷺ أيضًا، وكثيرًا مما أتى به هنا من أخبار أهل الكتاب.

هَـذَا النَّوْعُ مُهِمٌّ، وَذَكَرَ الْبُلْقِينِيُّ[٣] مِنْهُ أَمْثِلَةً، وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَصَانِيفُ مِنْهَا: «التَّعْرِيفُ وَالإِعْلامُ» لِلسُّهَيْلِيِّ.

«التعريف والإعلام لما أُبْهِمَ في القرآن من الأسماء والأعلام» للسهيلي الحافظ الكبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤].

وَ«التِّبْيَانُ» لِقَاضِي الْقُضَاةِ: بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جمَاعَةَ[٥].

يقول المحقق: له أيضًا «غُرَرُ البيانِ لِمُبْهَمَاتِ القرآنِ» وهو نفس الكتاب الذي ذكره السيوطي في المتن هو الكتاب الذي في الهامش وهو: «غرر التبيان فيما لم يسمَّ في القرآن» حققه الدكتور: عبد الجواد خلف، وَطُبِعَ في كراتشي في باكستان، والكتاب معروف منذ ست سنوات، وهو كتاب جيد والتحقيق جيد، تَعِبَ عليه ذلك المحقق الفاضل حفظه الله.

---

(١) في الإتقان (٤/ ٩٣): النوع السبعون.

(٢) مواقع العلوم، للبلقيني (١٧١).

(٣) سبق التعريف به.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) سبق التعريف به.

وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى مُخْتَصَرِ التَّعْرِيفِ لِبَعْضِ الْفُضَلاءِ وَفِيهِ زِيَادَاتٌ عَلَيْهِ. لو أردنا أن نعرف اسم هذا الكتاب «مختصر التعريف»، من الذي اختصر التعريف، وما اسم هذا المختصر فإننا نرجع إلى «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وطالب العلم لا بد له من هذا الكتاب.

وَقَدْ حَرَّرْتُهَا فِي فُصُولٍ:

الأَوَّلُ: فِيمَا أُبْهِمَ مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ مُثَنًّى، أَوْ مَجْمُوعٍ عُرِفَ أَسْمَاءُ كُلِّهِمْ، أي: مُجْمُوعٍ أُبْهِمَ ولكن عُرِفَ أسماء كل ذلك المجموع، **أَوْ مَنْ،** مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٤] فـ(مَنْ) مُبْهَمٌ، أي: ومن أظلم من الذي منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، و(مَنْ) اسم موصول بمعنى الذي. **أَوِ الَّذِي إِذَا كَانَ نَصًّا لِلْوَاحِدِ،** يعني: لم يُرَدْ به العمومُ.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: ٣٠] هُوَ آدَمُ، بدأ الآن يأتي بالمبهمات المفردة من سورة البقرة إلى سورة الناس، **وَزَوْجُهُ هِيَ: حَوَّاءُ بِالْمَدِّ وَقَدْ تَكَرَّرَتْ،** أي: وقد أَتَتْ قبل ذلك في الكتاب.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البَقَرَة: ٧٢] اسْمُهُ: قَابِيلُ[2]، المصادرُ التي تكلمت عليه سَمَّتْهُ: عَامِيلَ؛ لأن قابيل وهابيل ابنا آدمَ.

---

(١) مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي الشهير بكاتب جلبي، وبحاجي خليفة، صاحب كشف الظنون. م سنة ١٠٦٧ هـ. له: سلم الوصول إلى طبقات الفحول. انظر: طبقات النسابين، للعلامة بكر أبي زيد (١٦٧).

(٢) في الإتقان (٤/ ٩٦): اسمه عاميل.

﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٦] هُوَ شَمْوِيلُ بْنُ يَالَ بْنِ عَلْقَمَةَ، يُعْرَفُ بِابْنِ الْعَجُوزِ، وَقِيلَ فِيهِ: شَمْعُونُ، وَقِيلَ: هُوَ يُوشَعُ، وَهُوَ بَعِيدٌ جِدًّا. لأن يُوشَعَ فتى موسى عليه الصلاة والسلام، وهو بعيد جدًّا.

وكما سبق أن ذكرتُ مرارًا أن هذه الأسماء تفتقر إلى ضبط صحيح؛ لأنها ليست أسماء عربيةً، إنما هي أسماء أعجمية يدخلها الخطأ والتحريف والتصحيف حالَ نَقْلِهَا إلى العربية، فيصعب ضبطُها على التحقيق.

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨] هُوَ النَّمْرُودُ بْنُ كَوْشَ بْنِ كَنْعَانَ بْنِ حَامَ بْنِ نُوحٍ(١).

﴿كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩] هُوَ: عُزَيْرٌ، أَوْ إِرْمِيَا، أَوْ شِعْيَا... أَقْوَالٌ.

﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٣٥] حَنَّةُ -بِالنُّونِ- بِنْتُ فَاقُوذَ، امْرَأَةُ زَكَرِيَّا أَشْيَاعُ بِنْتُ فَاقُوذَ؛ فَهِيَ خَالَةُ مَرْيَمَ.

﴿مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٩٣] هُوَ النَّبِيُّ ﷺ.

﴿بِٱلْجِبْتِ﴾ [النِّسَاء: ٥١] هُوَ: حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَقِيلَ: اسْمُ شَيْطَانٍ.

﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النِّسَاء: ٥١] هُوَ: كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ.

وعلى التحقيق أن الجبتَ والطاغوتَ هو: كل ما عُبِدَ من دون الله تبارك وتعالى، وقد يكون نَزَلَ في هذين الرجلين بالذات: حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ اليهوديين، لكنه على الأصح -إن شاء الله تعالى- عامٌّ في كل ما عُبِدَ من دون الله تبارك وتعالى(٢).

(١) في تاريخ الطبري (١/ ٣٣٣): ابن سام بن نوح.

(٢) قال العلامة ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٤٠): والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ =

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١٠٠] هُوَ وَإِنْ كَانَ عَامًّا، لَكِنْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ لِمَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: طَلَبْتُ اسْمَ هَذَا الرَّجُلِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى وَجَدْتُهُ، وَهُوَ: حَمْزَةُ بْنُ الْعَيْصِ، وَيُقَالُ فِيهِ: ضَمُرَةُ، وَقِيلَ: هُوَ جُنْدُبُ بْنُ ضَمُرَةَ، وَقِيلَ: خَالِدُ بْنُ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ(١).

هذا الرجل الذي خرج من بيته ثم أدركه الموتُ فمات قبل أن يبلغ مُهَاجَرَهُ، فهو -إن شاء الله تعالى- من أهل الإسلام، ومن أهل الصلاح.

﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [الْمَائِدَة: ١٢] هُمْ: شَمُوعُ بْنُ زَكُورَ مِنْ سَبْطِ رُوبِيلَ، وَشَوْقَطُ بْنُ حُورَى مِنْ سَبْطِ شَمْعُونَ، وَكَالِبُ بْنُ يُوقِنَا مِنْ سَبْطِ يَهُوذَا، وَيُفَوْرَكُ ابْنُ يُوسُفَ مِنْ سَبْطِ أَشَاجُوهَ، وَيُوشَعُ بْنُ نُونٍ مِنْ سَبْطِ أَفْرَاثِيمَ بْنِ يُوسُفَ، وَبَلْطِيُّ بْنُ رَوْقَوَا مِنْ سَبْطِ بِنْيَامِينَ، وَكَرَابِيلُ بْنُ سُورَى مِنْ سَبْطِ زَبَالُونَ، وَكَذَا بْنُ شُونَا مِنْ سَبْطِ مَنْشَا بْنِ يُوسُفَ، وَعَمَائِيلُ بْنُ كَنْسَلَ مِنْ سَبْطِ دَانَ، وَسَتُورُ بْنُ مِيخَائِيلَ مِنْ سَبْطِ أَشِيرَ، وَيُوحَنَّا بْنُ وَقُوسَ مِنْ سِبْطِ نِفْتَالَ، وَآلُ بْنُ مُوخَا مِنْ سَبْطِ كَاذْلُوَا(٢). هذه الأسماء طريقة كتابتها في كتب الإسلام مختلفة من كتاب

=

أو متبوعٍ أو مطاع.

(١) انظر: الإتقان (٤/ ٩٨).

(٢) قال ابن جرير في التفسير (٨/ ٢٣٨): وهذه أسماء الرهط الذين بعث الله من بني إسرائيل إلى أرض الشام، فيما يذكر أهل التوراة؛ ليجوسوها لبني إسرائيل: من سبط روبيل: شامون بن ركون، ومن سبط شمعون سافاط بن حربي، ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا، ومن سبط كاذ ميخائيل بن يوسف، ومن سبط يوسف وهو سبط إفرائيم يوشع بن نونٍ، ومن سبط بنيامين فلط بن ذنون، ومن سبط ربالون كرابيل بن سودي، ومن سبط منشا بن يوسف حدي بن سوشا، ومن سبط دان حملائل بن حملٍ، ومن سبط أشار سابور بن ملكيل، ومن سبط نفتالي محر بن وقسي، ومن سبط يساخر حولايل بن منكد. فهذه أسماء الذين بعثهم موسى يتجسسون له الأرض.

لآخر، فيصعب ضبطُها.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٣] هُمَا: يُوشَعُ، وَكَالِبُ.

﴿ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٧] هُمَا: قَابِيلُ وَهَابِيلُ وَهُوَ الْمَقْتُولُ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُمَا لَيْسَا لِصُلْبِهِ بَلْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَاطِلٌ.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا ﴾ [الْمَائِدَة: ١٠٦] قَالَ أَصْحَابُ الْمُبْهَمَاتِ: الضَّمِيرُ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ النَّازِلِ فِيهِمَا الآيَةُ[١]. عَدِيُّ بْنُ بَدَّاءٍ، وَتَمِيمٌ الدَّارِيُّ كلاهما كان من نَصَارَى الشامِ من لخم، أما تميم الداريُّ فقد وَفَدَ على رسول الله ﷺ سنةَ تسعٍ وَأَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله حديثٌ في منتهى العَجَبِ في أمر الجساسة في صحيح مسلم[٢]، وتميم الداري نسبةً إلى الدارِ بْنِ هَانِئِ بن لَخْمٍ.

أما عدي بنُ بَدَّاءٍ فإنَّه مات نصرانيًّا ولم يُسْلِمْ، وقصتُهما موجودةٌ في كتب التفاسير.

قُلْتُ: الأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: هُوَ رَاجِعٌ لاثْنَيْنِ فِي أَوَّلِ الآيَةِ، وَهِيَ عَامَّةٌ وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا قِصَّتَهُمَا. لأن المعروف أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن نزلت آيةٌ في سبب معين فإن العبرة من هذه الآية بعموم لفظها لا بخصوص سببها، بمعنى أن العبرة تتعدى مَنْ نزلت فيه الآيةُ إلى سائر الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٠): عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: خرج رجلٌ من بني سهمٍ مع تميمٍ الداري، وعدي بن بداءٍ، فمات السهمي بأرضٍ ليس بها مسلمٌ، فلما قدما بتركته، فقدوا جامًا من فضةٍ مخوصًا من ذهبٍ، «فأحلفهما رسول الله ﷺ»، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميمٍ وعديٍ، فقام رجلان من أوليائه، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

(٢) صحيح مسلم (٢٩٤٢).

وَمَنْ تَبِعَهُمْ إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة، ومن قال: إن العبرة بخصوص السبب، قال: إن تعميم حُكْمِ الآية إنما يأتي من حُكْمٍ آخرَ، أو من حديث آخر، لا يُستفاد من لفظ الآية، لَكِنَّ الأصحَّ -إن شاء الله تعالى- أن العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] هُوَ: بَلْعُمُ بْنُ بَاعُورَا، وَيُقَالُ فِيهِ: بِلْعَامُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ مَعَ الْجَبَّارِينَ.

﴿وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٨] عَنَى: سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ سَيِّدَ بَنِي مُدْلِجٍ؛ لأَنَّهُ أَتَى فِي صُورَتِهِ. جاء إبليس في صورة سراقة في غزوة بدر(١).

﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ [التوبة: ٤٠] هُوَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ [التوبة: ٤٩] هُوَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ. في غزوة تبوك عندما أُمِرَ أن يخرج كسائر مَنْ أُمِرَ، فقال: ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي نفاقًا منه، فإن المؤرخين يصححون أنه قد مَاتَ منافقًا، والله أعلم بحاله(٢).

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] هُوَ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥/ ١٧١٥) وابن جرير في التفسير (١١/ ٢٢١): عن ابن عباسٍ قال: جاء إبليس في جندٍ من الشياطين ومعه رايةٌ في صور رجالٍ من بني مدلجٍ، والشيطان في صورة سراقة ابن مالك بن جعشمٍ، فقال الشيطان: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم. وأقبل جبريل عليه الصلاة والسلام على إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين، انتزع إبليس يده وولى مدبرًا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة، أتزعم أنك لنا جارٌ؟ فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٦/ ١٨٠٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٦٤٤) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٢) وفي الأوسط (٥/ ٣٧٥) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيفٌ.

هو صحابي يقينًا، ثم قد فتن بالمال ولا ندري اسمه تحديدًا؛ لأن هناك بعض المؤرخين ينفون نسبة تلك الحادثة إلى ثعلبة.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٧] هُوَ أَبُو حَنْظَلَةَ الرَّاهِبُ(١).

هو أبو حنظلة الفاسق الذي كان يُسَمَّى: الراهبَ، ثم لَقَّبَهُ المسلمون بالفاسق، وهو الذي حَفَرَ الحفرةَ لرسول الله ﷺ في يوم أُحُدٍ، وسقط فيها رسولُ الله ﷺ، وهو صاحبُ مسجدِ الضِّرَارِ، الذي كان قد ذَهَبَ إلى الروم واتفق مع بعض المنافقين بأن يَبْنُوا مسجدًا ليصلي فيه رسولُ الله ﷺ فيعطيه مشروعيةً، ثم يكون وَكْرًا من أوكارهم، فَأَعْلَمَهُ اللهُ تعالى، فأرسل رسولُ الله ﷺ من يَحْرِقُ ذلك المسجدَ، وكان في ذلك الوقت عند ملك الروم.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التَّوْبَة: ١١٨] كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ(٢).

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هُود: ١٧] قِيلَ: هُوَ جِبْرِيلُ.

ليس المراد بالتلاوة في الآية: القراءة، وإنما المراد (التُّلُوُّ) وهو الإتباع؛ أي: (يَتْبَعُهُ شاهدٌ منه)، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ من أهل الكتابين؛ أي: يتلو تلك البينةَ شاهدٌ وهو القرآنُ العظيمُ؛ لأن القرآن العظيم شاهدٌ على ما قَبْلَهُ من الكتب وحاكمٌ عليها، ومهيمن ورقيبٌ عليها كما وصفه الله تبارك وتعالى، فهو لا شَكَّ أنه شاهدٌ على ما قَبْلَهُ من الكتب، وشاهدٌ بِصِحَّتِهَا قبل التحريف،

(١) في الإتقان (٤/ ١٠٠) أبو عامر الراهب، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٠): عن عروة بن الزبير: «وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل» أبو عامرٍ الراهب، انطلق إلى الشام، فقال الذين بنوا مسجد الضرار: إنما بنيناه ليصلي فيه أبو عامرٍ. وابن جرير (١١/ ٦٧٨): عن عروة، عن عائشة به مثله.

(٢) والحديث في ذلك سبق تخريجه.

وشاهد بما كان عليه أَهْلُهَا قبل التحريف.

وقيل: هو جبريلُ، على أن المعنى: وجاءه شاهدٌ منه، أي: وجاءه جبريلُ شاهدًا على أن هذا القرآن من الله تعالى، وقيل في التفسير: وجاءه وحيٌ مُوحًى إليه كما أُوحِيَ إلى سائر الأنبياء شاهدًا على صحة كُتُبِهِمْ قبل التحريف؛ فـ(يتلوه) على هذا المعنى المراد به التلاوة.

وقيل: (منه) بأن المراد به الإعجاز القرآني فهو شاهدٌ من نفسه ومن الآيات القرآنية ذاتها؛ لأن الكتب السماوية أتى الأنبياء فيها بدليل ومدلول، أي: أتوا بدليل ودالٍّ على صحة ما جاءوا به، فمثلا موسى عليه الصلاة والسلام أتى بالتوراة وهي مدلول، وأتى بدليل على التوراة وهو العصا واليد في تسع آيات بينات، أما رسولُ الله ﷺ فقد جَمَعَ اللهُ له في القرآن العظيم بين الدليلِ وبينَ المدلولِ معًا، فالقرآن العظيم دليلٌ ومدلولٌ سواء، لا يحتاج القرآن إلى دليل خارجي عليه، بل دليلُه من ذاته، فهو دليلُ الرسالة، وهو دلالةُ صِدْقِ رسولِ الله ﷺ أيضًا. والله أعلم.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢] هُوَ: كَنْعَانُ بْنُ حَامَ، وَقِيلَ: يَامَ.

قال عَلِيٌّ رضي الله عنه: هو ابن زوجه وَلَيْس ابنَه الابنَ الصُّلْبِيَّ(١)؛ لذلك كان يقرأ: (ونَادَى نوح ابنَها) وكان في معزل، وهي قراءةٌ شَاذَّةٌ فجماهير المسلمين كانوا يقرءون: (ونادى نوحٌ ابنَه).

(امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ) سَارَّةُ.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٤) وابن جرير (١٢/ ٤٢٦).

وَالْغُلَامُ الَّذِي بُشِّرَتْ بِهِ فِي الذَّارِيَاتِ[(١)]: إِسْحَاقُ بِلا خِلافٍ؛ إِذْ لَمْ تَلِدْ غَيْرَهُ.
(بَنَاتُ لُوطٍ): رَيْثَا وَرَغُوثَا.

في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [هود:٧٨].

امْرَأَتُهُ: وَالِهَة، وَقِيلَ: وَاعِلَة.

﴿إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: ٥٨] أَحَدَ عَشَرَ: يَهُوذَا، وَشَمْعُونُ، وَلاوَى، وَرُوبِيلُ، وَتِفْتَالُ، وَكَاذْلُوَا، وَثِيرُ، وَدَانُ، وَقِبَابُ، وَبِنْيَامِينُ وَهُوَ شَقِيقُهُ الْمُرَادُ حَيْثُ ذُكِرَ فِي السُّورَةِ. وَكَبِيرُهُمْ: رُوبِيلُ لأَنَّهُ أَسَنُّهُمْ، وَقِيلَ: شَمْعُونُ، أَيْ: رَئِيسُهُمْ، وَقِيلَ: يَهُوذَا أَيْ: صَاحِبُ رَأْيِهِمْ، وَهُوَ الْقَائِلُ الَّذِي قَالَ: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ [القَصَص: ٩] وَهُوَ الْبَشِيرُ.

﴿فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾ [يُوسُف: ١٩] هُوَ مَالِكُ بْنُ دَعْرَ.

﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [يُوسُف: ٣٠] رَاعِيلُ، وَقِيلَ: زُلَيْخَا.

﴿ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ [يُوسُف: ٢١] الْعَزِيزُ.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [يُوسُف: ٢٦] كَانَ ابْنَ عَمِّهَا، وَقِيلَ ابْنَ خَالِهَا، وَلَمْ يُسَمَّ. يعني: لم يُعْثَرْ على اسمه فيما بَحَثَ فيه من المصادر. وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّهُ كَانَ طِفْلًا فِي الْمَهْدِ. الحديث: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(٢)].

---

(١) الذاريات: ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٢١) والطبراني في الكبير (١٢٢٨٠): عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما به. وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٧٢).

وفي حديثٍ: «تَكَلَّمَ ثَلاثَةٌ فِي الْمَهْدِ»(١).

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ [يُوسُف: ٣٦] هُمَا: شَرَّهُمُ وَسَرَّهُمْ وَهُوَ النَّاجِي.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [يُوسُف: ٤٣] هُوَ الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَرَاشَهْ يَجْتَمِعُ مَعَ فِرْعَوْنَ فِي أَرَاشَهْ.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يُوسُف: ١٠٠] هُمَا: أَبُوهُ وَخَالَتُهُ لَيَّا، وَإِنْ كَانَتْ أُمَّهُ فَاسْمُهَا: رَاحِيلُ.

قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [إبراهيم: ٤١] أَبُوهُ فِي الْقُرْآنِ، وَأُمُّهُ: نُوفَا، وَقِيلَ: لِيُوشَا بِنْتُ كَرِينَا، وَكَانَتْ مُؤْمِنَةً.

هناك رأيٌ آخَرُ بأن آزرَ هذا عَمُّهُ؛ لأن العَمَّ أَبٌ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [الأنعام: ٧٤] ولم يقل: لوالده آزر، فلو قال: (وإذ قال إبراهيم لوالده آزر) لكان والدَه باتفاق، لكن الله قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾، فقال المفسرون: إن الأب هنا المراد به العَمّ، والعم أبٌ لا شك، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [البَقَرَة: ١٣٣] فإسماعيل أخو إسحاق، وليس إسماعيلُ والدًا ليعقوب، إنما والد يعقوب إسحاق، فَأَدْخَلَ اللهُ تعالى هنا العَمَّ في قوله: (آبائك).

﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ [النَّحْل: ٩٢] رَيْطَةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٩٥) وقال العلامة الألباني في الضعيفة (٨٨٠): باطل بهذا اللفظ.

هذه امرأةٌ ليست عاقلةً، فكانت كُلَّمَا تَغْزِلُ الغزلَ وتنسجه تنقضه من جديد، فَضُرِبَ بها المثلُ.

﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النَّحل: ١٠٣] هُوَ جَبْرٌ غُلامُ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ. وجبرٌ هذا أعجميٌّ رُومِيُّ اللسان، وهم يقولون إن رسول الله ﷺ تَعَلَّمَ منه، وحاشاه ﷺ، ذاك لسانه رُوميٌّ ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النَّحل: ١٠٣] فكيف يتفق ذلك. وَقِيلَ: مَوْلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَقِيلَ: غَيْرُ ذَلِكَ.

﴿أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ [الكَهْف: ٩] تَمْلِيخَا وَهُوَ رَئِيسُهُمْ وَالْقَائِلُ: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكَهْف: ١٦]، وَالْقَائِلُ: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكَهْف: ١٩][1].

وَمِكْسِلْمِينَا وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكَهْف: ١٩] وَمَرْطُوشُ، وَيَرَانِيقُ، وَأَيُوقِسُ، وَإِرِيسْطَانِسُ، وَسَلْطَطْيُوسْ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكَهْف: ٣٢] هُمَا: فُوطَسُ وَتَمْلِيخَا وَهُوَ الْخَيِّرُ.

(فَتَى مُوسَى): يُوشَعُ.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ [الكَهْف: ٦٥] هُوَ الْخَضِرُ وَاسْمُهُ: بَلْيَا بْنُ مَلْكَانَ بْنِ فَالِغَ بْنِ شَالِخَ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَرْمِيَا، وَقِيلَ: الْيَسَعُ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكَهْف: ٧٩] هُوَ جِيسُورُ، وَفِي رِوَايَةٍ حِيسُورُ بِالْحَاءِ، وَقِيلَ: جِينُورُ، وَقِيلَ: هُدَدُ بْنُ بُدَدَ.

﴿لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ [الكَهْف: ٧٤] قَالَ فِي التِّبْيَانِ: اسْمُهُ: حَشْ مُودْ، وَمَعْنَاهُ بِالْفَارِسِيِّ:

---

(١) قال القرطبي في التفسير (١٠/ ٣٦٠): وأما أسماء أهل الكهف فأعجميةٌ، والسند في معرفتها واهٍ.

طَيِّبٌ.

﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ﴾ [الْكَهْف: ٨٠] الأَبُ: كَازِيرَا، وَالأُمُّ: سَهْوَى.

﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ [الْكَهْف: ٨٢] هُمَا: أَصْرَمُ وَصُرَيْمُ، ابْنَا كَاشِحَ، وَأُمُّهُمَا: دُنْيَا.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [مَرْيَم: ٦٦] أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [مَرْيَم: ٧٧] هُوَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ.

﴿ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: ٨٥] مُوسَى بْنُ ظُفْرٍ.

﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ [طه: ١٠٨] فِي طه وَالْقَمَرِ، وَ﴿ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] فِي ق: إِسْرَافِيلُ.

﴿أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [الْقَصَص: ٧] يُحَانِذُ بِنْتُ يَصْهُرَ بْنِ لاوَى، وَقِيلَ: يَاؤُخَا وَبِهِ جَزَمَ السُّهَيْلِيُّ.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ [الْقَصَص: ١١] مَرْيَمَ، وَقِيلَ: كُلْثُومُ.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ [طه: ٤٠] هُوَ الْقِبْطِيُّ وَاسْمُهُ: قَانُونُ.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الْحَجّ: ١٩] هُمَا: خَصْمُ الْمُؤْمِنِينَ: عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَخَصْمُ الْكُفَّارِ: عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ.

وفي الصحيح عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] «إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ»(١).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٩٦٨) ومسلم (٣٠٣٣).

﴿ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ [النُّور: ١١] عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَمِسْطَحُ، وَاسْمُهُ: عَوْفُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ.

والقصة مشهورة[1].

﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ [الفُرْقَان: ٢٧] هُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ.

﴿لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ [الفُرْقَان: ٢٨] هُوَ صَدِيقُهُ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، أَوْ أَخُوهُ: أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ [النَّمْل: ٢٣] هِيَ بِلْقِيسُ بِنْتُ هَدَادَ بْنِ شُرَحْبِيلَ، وَقِيلَ: دُلْقَمَةُ بِنْتُ أَبِي شَرْحِ بْنِ أَبِي حَدَثَ.

﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [النَّمْل: ٣٩] هُوَ: كَوْدَنُ، وَقِيلَ: ذَكْوَانُ.

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النَّمْل: ٤٠] هُوَ آصِفُ بْنُ بَرْخِيَا وَزِيرُ سُلَيْمَانَ وَكَاتِبُهُ وَابْنُ خَالَتِهِ، وَقِيلَ: اسْمُهُ: أَسْطُومُ، وَقِيلَ: هُوَ ضَبَّةُ بْنُ أَدَا بْنِ طَامِحَةَ، وَقِيلَ: جِبْرِيلُ، وَقِيلَ: سُلَيْمَانُ نَفْسُهُ، وَالْكُلُّ ضَعِيفٌ أَوْ بَاطِلٌ[2]. يعني -والله أعلم- عدا كونه آصف؛ لأن آصف هو الذي اتفقت عليه كتب المفسرين، كأنه يقصد الكل ضعيف وباطل عدا الأولِ. والله أعلم[3].

﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾ [النَّمل: ٤٨] هُمْ: مَصْدَعُ بْنُ دَهْرٍ، وَقِيلَ: دَهْمٍ، وَقُذَارُ بْنُ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال في الإتقان (٤/ ١٠٤): هو آصف بن برخيا كاتبه. وقيل: رجلٌ يقال له: ذو النور، وقيل: أسطوم، وقيل: مليخا، وقيل: بلخ، وقيل: هو ضبة أبو القبيلة، وقيل: جبريل، وقيل: ملكٌ آخر، وقيل: الخضر.

(٣) قال القرطبي (١٣/ ٢٠٤): أكثر المفسرين على أن الذي عنده علمٌ من الكتاب آصف بن برخيا، وهو من بني إسرائيل.

سَالِفٍ، وَهُدَيْمُ، وَصُوَابُ، وَرِئَابُ، وَدَأْبٌ، وَهَرْمِي، وَدُعَيْرُ بْنُ عَمْرٍو.

المشهور في كتب الحديث قدار بن سالف؛ بدون نقطة للدال.

﴿ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الْقَصَص: ٩] آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ. قِيلَ: بِنْتُ عَمِّهِ، وَقِيلَ: عَمَّةُ مُوسَى.

نُكْتَةٌ: رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَشْعَرْتِ -أَعَلِمْتِ- أَنَّ اللهَ زَوَّجَنِي مَعَكِ فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ، وَكُلْثُومَ أُخْتَ مُوسَى، وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ»(١).

الزبير بن بكار له كتاب اسمه: «نَسَبُ قُرَيْشٍ».

﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الْقَصَص: ٨] اسْمُ الْمُلْتَقِطِ لَهُ: طَابُوثُ، وَقِيلَ: هِيَ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَقِيلَ: ابْنَتُهُ.

﴿رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ [الْقَصَص: ١٥] الإِسْرَائِيلِيُّ قِيلَ هُوَ: السَّامِرِيُّ.

الذي أنشأ لهم العِجْلَ بعد ذلك.

وَالْقِبْطِيُّ: تَقَدَّمَ اسْمُهُ.

﴿رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الْقَصَص: ٢٠] قِيلَ: طَابُوثُ، وَقِيلَ: مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَسَيَأْتِي.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٥١) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٢٠٦): عن يعلى بن المغيرة، عن ابن أبي رواد، قال: دخل رسول الله ﷺ على خديجة، وهي في مرضها الذي توفيت فيه، فقال لها: «بالكره مني ما الذي أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرًا كثيرًا...». وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢١٨): رواه الطبراني منقطع الإسناد، وفيه محمد بن الحسن بن زبالة، وهو ضعيفٌ.

﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القَصَص: ٢٣] هُمَا: لَيَّا، وَصَفُورْيَا ابْنَتَا شُعَيْبٍ عِنْدَ الأَكْثَرِ، وَقِيلَ: ابْنَتَا تِيرُولَ[1] بْنِ أَخِي شُعَيْبٍ، هناك خلافٌ، هل شعيبٌ الذي قابله موسى هو شعيب صاحب الأيكة المذكور في القرآن أم أنه شعيبٌ آخر غيره؟

وَالَّتِي نَكَحَهَا هِيَ صَفُورْيَا وَهِيَ الصُّغْرَى كَمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ وَالصَّغِيرِ[2].

وفي مستدرك الحاكم: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥] قَالَ: «كَانَتْ تَجِيءُ وَهِيَ خَرَّاجَةٌ وَلَّاجَةٌ وَاضِعَةٌ يَدَهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَقَامَ مَعَهَا مُوسَى وَقَالَ لَهَا: امْشِي خَلْفِي وَانْعَتِي لِيَ الطَّرِيقَ وَأَنَا أَمْشِي أَمَامَكَ، فَإِنَّا لَا نَنْظُرُ فِي أَدْبَارِ النِّسَاءِ، ثُمَّ قَالَتْ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] لِمَا رَأَتْهُ مِنْ قُوَّتِهِ، وَلِقَوْلِهِ لَهَا مَا قَالَ فَزَادَهُ ذَلِكَ فِيهِ رَغْبَةً، فَقَالَ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] أَيْ: فِي حُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْوَفَاءِ بِمَا قُلْتُ. قَالَ

---

(١) في الإتقان (٤/ ١٠٥): وقيل: يثرون ابن أخي شعيب.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢١) والصغير (٢/ ٧٩) عن أبي ذرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سئلت: أي الأجلين قضى موسى؟ فقل: خيرهما وأوفرهما، وإن سئلت: أي المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت، فقالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦]. قال: ما رأيت من قوته؟ قالت: أخذ حجرًا ثقيلًا فألقاه». وقال: لم يرو هذا الحديث عن أبي عمران إلا ابنه عوبدٌ، ولا يروى عن أبي ذرٍ إلا بهذا الإسناد. قلت: فيه عوبد بن أبي عمران الجوني البصري. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك. وقال أبو نعيم الأصبهاني: روى عنه أبيه أحاديث منكرة، وهذا منها.

مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨] قَالَ: نَعَمْ. قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ. فَزَوَّجَهُ وَأَقَامَ مَعَهُ يَكْفِيهِ وَيَعْمَلُ لَهُ فِي رِعَايَةِ غَنَمِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَزَوَّجَهُ صَفُورَةَ أَوْ أُخْتَهَا شَرْقَاءَ وَهُمَا اللَّتَانِ كَانَتَا تَذُودَانِ»[1].

(ابْنُ لُقْمَانَ) ثَارَانُ، وَقِيلَ: أَنْعَمُ، وَقِيلَ: بَشْكَمُ.

(مَلَكُ الْمَوْتِ) ذَكَرَ ابْنُ جَمَاعَةَ فِي التِّبْيَانِ أَنَّ اسْمَهُ: عِزْرَائِيلُ، وَكَذَا رَأَيْتُهُ بِخَطِّ الشَّيْخِ (وَلِيِّ الدِّينِ الْعِرَاقِيِّ) فِي تَذْكِرَتِهِ، وَرَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ بْنِ حَبَّانَ فِي الْعِظَةِ عَنْ وَهْبٍ[2]، وَذَكَرَ الْكِرْمَانِيُّ فِي مُخْتَصَرِ الْمَسَالِكِ أَنَّ كُنْيَةَ مَلَكِ الْمَوْتِ: أَبُو يَحْيَى.

الواجب في ذلك اتباع ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، فقد سماه الله جل وعلا في القرآن ملك الموت فقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] أَمَّا أَزْوَاجُهُ اللَّاتِي اجْتَمَعْنَ عِنْدَهُ وَمَاتَ عَنْهُنَّ فَتِسْعٌ: عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ وَاسْمُهَا هِنْدٌ، وَمَيْمُونَةُ، وَسَوْدَةُ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ، وَصَفِيَّةُ، وَجُوَيْرِيَةُ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ.

وَبَنَاتُهُ: فَاطِمَةُ، وَزَيْنَبُ زَوْجَةُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ. وَرُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ زَوْجَتَا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤١) والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٩٣): عن عمرو بن ميمونٍ، عن عمر رضي الله عنه به. وقال الحاكم: «صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٤٧-٨٩٩-٩٠٨) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٠٦): وأما ملك الموت فليس بمصرحٍ باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، والله أعلم.

عُثْمَانَ.

﴿لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾ [الأَحْزَاب: ٣٧] هُوَ: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ [الأَحْزَاب: ٣٧] هِيَ: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ.

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٣] هُمْ: شَلُومُ، وَصَادِقٌ، وَصَدُوقٌ، وَقِيلَ بَدَلَهُمَا: شَمْعُونُ، وَيَحْيَى.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ﴾ [يس: ٢٠] هُوَ: حَبِيبُ بْنُ مُوسَى النَّجَّارُ.

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [يس: ٧٧] هُوَ: أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَأَخُوهُ أُمَيَّةُ، أَوِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾ [الصَّافَّات: ٥١] هُمَا: الرَّجُلانِ فِي الْكَهْفِ.

﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الصَّافَّات: ٧٧] هُمْ: سَامُ وَحَامُ وَيَافِثُ.

(الذَّبِيحُ) إِسْمَاعِيلُ عَلَى الأَصَحِّ. وَقِيلَ: إِسْحَاقُ. وَبِهِ جَزَمَ السُّهَيْلِيُّ، وَأَنَا الآنَ أَمِيلُ إِلَيْهِ.

تَرَدَّدَ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في مسألة الذبيح، ثم قال: أميلُ إلى كونه إسحاقَ، وفي كتابه: «القولُ الفصيحُ في تعيينِ الذبيحِ» وهي رسالةٌ صغيرةٌ مطبوعةٌ ضمن (الحاوي) في فتاوى السيوطي رجح أيضًا كونه إسحاق عليه الصلاة والسلام، وجماهير المفسرين سَلَفًا وَخَلَفًا على أن الذبيح هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام. وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره[1]: إن اليهود أَدْخَلُوا في التوراة زورًا وبهتانًا بأن إسحاق هو الذبيح، ففي التوراةُ: اذْبَحِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ. فحذفوا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧).

(وحيدَك)؛ ليصحَّ لهم كونُه إسحاق أو شيء مثل هذا، جزم بذلك ابنُ كثير، وجزم أنه مِنْ وضع اليهود، وأن الصحيح الذي عليه جماهير المفسرين هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وهذ هو الراجح، وإنما اليهود -عليهم لعائنُ اللهِ المتتابعةُ- كانوا يُغَيِّرُونَ في كتبهم، وكان مما غَيَّرُوهُ كون الذبيح إسماعيل فجعلوه إسحاقَ لأَجْلِ غايةٍ في نفوسهم؛ لأن إسماعيل عليه الصلاة والسلام شُرِّفَ بكونه الذبيحَ، وبكونه افْتُدِيَ من قِبَلِ الله تبارك وتعالى بِذِبْحٍ عظيم، وبَخَسَ اليهودُ -عليهم لعائنُ اللهِ المتتابعةُ- المسلمينَ ذلك الشرفَ، وَادَّعَوْهُ لأنفسهم؛ لأن إسماعيل أبو العرب كما هو معلومٌ، وإسحاق عليه الصلاة والسلام أبو اليهود، فَادَّعَوْا أن الذبيح هو إسحاق ليكمل لهم الشرف، وليجَرِّدُوا إسماعيلَ عليه الصلاة والسلام -لكونه أبَا العرب- من كل فخر يمكن أن يُنسب إليه، وهذه عادةٌ من عوائد اليهود.

فغريب من السيوطي الحافظ الإمام أن يرجح بأنه إسحاق، لكن كان عمره عندما أَلَّفَ ذلك الكتابَ ثلاثًا وعشرين سنةً، أي: في بداية حياته العلمية، لكن «القول الفصيح في تعيين الذبيح» رَجَّحَ فيه أيضًا أنه إسحاق، مع أن جماهير المسلمين من مفسرين وفقهاء وعلماء يجزمون بأنه إسماعيل، وهناك أَثَرٌ عن رسول الله ﷺ قال به بعضُ المفسرين واستندوا به إلى أن الذبيح هو إسحاق، لكنه لم يَصِحَّ عن رسول الله ﷺ، ومن أراد الآثار فليرجع إليها في تفسير ابن كثير(١).

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في التفسير (٧/ ٢٧): وقد ذهب جماعةٌ من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفةٍ من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضًا، وليس ذلك في كتابٍ ولا سنةٍ، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلمًا من غير حجةٍ. وهذا كتاب الله شاهدٌ =

﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ.

أَتَوْا على هيئة رجالٍ وتسوروا المحراب، لماذا قال الخصم وهما اثنان؟ قيل: جاء معهم جماعة من الناس، وقيل غيرُ ذلك.

﴿عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] قِيلَ: شَيْطَانٌ اسْمُهُ: صَخْرٌ، وَقِيلَ: آصِفُ.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [غَافِر: ٢٨] هُوَ: سَمْعَانُ، جَزَمَ بِهِ السُّهَيْلِيُّ وَابْنُ جماعَةَ، وَقِيلَ: حِزْقِيلُ، جَزَمَ بِهِ الْبُلْقِينِيُّ، وَقِيلَ جَبْرٌ، وَقِيلَ: حَبِيبٌ.

﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٩] هُمَا: إِبْلِيسُ وَقَابِيلُ.

وإنما جَعَلَ المفسرون اللذين أضلانا: إبليس وقابيل؛ لأن إبليس وقابيل اجْتَمَعَا في جِنْسَيْنِ، جنس البشر، وجنس الجن اللذين يُضِلَّانِ، فإبليس أول مَنْ عَاهَدَ اللهَ تبارك وتعالى إن أبقاه إلى يوم القيامة لَيُغْوِيَنَّ خَلْقَهُ، واجتمع قابيلُ معه أيضًا من البشر الذي كان أول من سَنَّ القتلَ وأول من سَنَّ الضلالَ لبني آدم.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزُّخْرُف: ٣١] عَنَوْا: الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ مِنْ مَكَّةَ، وَعُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ مِنَ الطَّائِفِ.

عروةُ بن مسعود قبل أن يُسْلِمَ، وإلا فإنه قد أَسْلَمَ رضي الله عنه.

= ومرشدٌ إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣]. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١]؛ أي: يولد له في حياتهما ولدٌ يسمى: يعقوب، فيكون من ذريته عقبٌ ونسلٌ. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغيرٌ؛ لأن الله [تعالى] قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسلٌ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرًا، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسبٌ لهذا المقام.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأَحْقَاف: ١٠] قِيلَ: مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَقِيلَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ.

قيل: موسى عليه السلام عندما شَهِدَ في معراج رسول الله ﷺ، وقيل: هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وهذا الذي عليه أكثرُ علماء المسلمين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأَحْقَاف: ١٥] هُوَ: أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه. وَأَبُوهُ أَبُو قُحَافَةَ عُثْمَانُ بْنُ عَامِرٍ، وَأُمُّهُ: أُمُّ الْخَيْرِ سَلْمَى بِنْتُ صَخْرٍ، وَذُرِّيَّتُهُ: عَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَسْمَاءُ، وَعَائِشَةُ.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ [الأَحْقَاف: ١٧] قِيلَ: وَلَدُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَنْكَرَتْهُ عَائِشَةُ.

كان مروان بن الحكم أميرَ المدينة يقول: الذي قال لوالديه أفٍّ لكما هو: عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، فَأَنْكَرَتْ ذلك عائشةُ، وقالت: كذب مروانُ؛ إنه ليس بعبد الرحمن، إنما كان قبل إسلام عبد الرحمن؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه حاول جَاهِدًا أن يقتل ابنَه عبد الرحمن في معركة بدر فلم يَتَسَنَّ له، ثم أسلم عبدُ الرحمنِ بعد ذلك وَحَسُنَ إسلامُه، فردت عائشة على مروان ذلك، وأنكرت أن يكون عبد الرحمن، ومن قال من المفسرين: إنه عبد الرحمن، فهذا قَبْلَ أن يُسْلِمَ، والله أعلم[1].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٢٧) والحاكم في المستدرك (٨٤٨٣) عن محمد بن زيادٍ، قال: لما بايع معاوية لابنه، قال مروان: سنة أبي بكرٍ وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكرٍ: سنة هرقل وقيصر. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧] الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: «كذب والله، ما هو به، وإن شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان، ومروان في صلبه، فمروان فضضٌ من لعنة الله». وقال الحاكم: «هذا حديثٌ =

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ [النَّجْم: ٣٣] هُوَ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ [الْقَمَر: ٢٩] هُوَ: قُدَارُ. قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ.

﴿ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [الْمُجَادَلَة: ١] خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، وَقِيلَ: جَمِيلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَزَوْجُهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ.

﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التَّحْرِيم: ١] سُرِّيَّتُهُ مَارِيَةُ.

﴿أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التَّحْرِيم: ٣] هِيَ: حَفْصَةُ.

﴿إِن تَتُوبَآ﴾ [التَّحْرِيم: ٤] هُمَا: حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ.

﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التَّحْرِيم: ٤] أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ كَمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ(١).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ فُرَاتُ بْنُ السَّائِبِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ(٢). والخبرُ ساقطٌ. فليس أبا بكر وعمر إنما هو عامٌّ.

= صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» وقال الذهبي: فيه انقطاع. وقال البوصيري في الإتحاف (١٧/ ٥٢٢): قال الذهبي: محمد بن زياد لم يدرك عائشة، فهو منقطع.

(١) الأوسط، للطبراني (١/ ٢٥٠): عن ميمون بن مهران، عن ابن عمر، وابن عباسٍ، في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤] قال: «نزلت في أبي بكرٍ وعمر». وابن الأعرابي في المعجم (٢/ ٧٣٢) من قول ميمون بن مهران بإسناده. لم يرو هذا الحديث عن ميمون بن مهران إلا فرات بن السائب. قلت: قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن معينٍ: ليس بشيءٍ. وقال الدارقطني، وغيره: متروكٌ. وقال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، لا تجوز الرواية عنه. وله شاهد من حديث ابن مسعود قال فيه الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحيم بن زيدٍ العمي وهو متروكٌ. مجمع الزوائد (٧/ ١٢٧).

(٢) انظر: مجمع الزوائد (٩/ ٥٢).

﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ [التَّحْرِيم: ١٠] وَالِعَةُ.

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [الْمَعَارِج: ١] هُوَ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ.

قَوْلُ نُوحٍ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نُوح: ٢٨] أَبُوهُ: لَمْكُ بْنُ مُتَوَشْلِخَ، وَأُمُّهُ شَمْخَا بِنْتُ أَنُوشَ، وَكَانَا مُؤْمِنَيْنِ.

﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ [الْجِنّ: ٤] هُوَ: إِبْلِيسُ.

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [الْمُدَّثِّر: ١١] هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [الْقِيَامَة: ٣١] هُوَ: عَدِيُّ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَقِيلَ: أَبُو جَهْلٍ.

والذي جاء في كتب التفسير مما رأيتُه منها هو: أبو جهل، عَمْرُو بن هشام.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإِنْسَان: ١] هُوَ: آدَمُ.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ [النَّبَأ: ٣٨] قِيلَ: هُوَ مَلَكٌ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ بَعْدَ الْعَرْشِ أَعْظَمَ مِنْهُ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقِيلَ: جِبْرِيلُ[(١)].

المشهور أن الروح جبريل، ولأن جبريل من الملائكة فهذا مِنْ عَطْفِ العامِّ على الخاصِّ فذكر جبريل ثم ذُكِرَتِ الملائكةُ. ويُعطف العامُّ على الخاصِّ، أو يعطف الخاصُّ على العامِّ إظهارًا للشرف والاهتمام بذكر ذلك الملك العظيم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ هو أعظمُ الملائكة وأفضلهم وأقربهم إلى الله تبارك وتعالى.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عَبَسَ: ٢] هُوَ: ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، عَبْدُ اللهِ بْنُ شُرَيْحِ بْنِ مَالِكٍ، وَقِيلَ: اسْمُهُ: عَمْرٌو.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٤/ ٤٧): عن علي، عن ابن عباسٍ، قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النبأ: ٣٨] قال: هو ملكٌ أعظم الملائكة خلقًا.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الْحَاقَّة: ٤٠] جِبْرِيلُ، أَوِ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلانِ، وَسِيَاقُ الآيَةِ يُرَجِّحُ الأَوَّلَ..

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ [الْبَلَد: ٣] هُوَ: آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [الْبَلَد: ٤] هُوَ: أَبُو الأَسْوَدِ كِلْدة بْنُ أُسَيْدٍ. السياق عامٌّ، والسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الدر المنثور» لم يذكر هذا القولَ، وإنما عَمَّمَ وأتى بآثار كثيرة، والمعنى: لقد خلقنا الإنسان في شدة وعسر يتقلب من شدة إلى مثلها كما هو معلوم.

﴿ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [الشَّمْس: ١٢] هُوَ: قُدَارُ.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الشَّمْس: ١٣] هُوَ: صَالِحٌ.

﴿ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا﴾ [الْعَلَق: ٩-١٠] هُوَ: أَبُو جَهْلٍ، وَالْعَبْدُ: النَّبِيُّ ﷺ.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ [الْكَوْثَر: ٣] هُوَ: الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ، وَقِيلَ: أَبُو جَهْلٍ.

(امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ) أُمُّ جَمِيلٍ الْعَوْرَاءُ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ عَمَّةُ مُعَاوِيَةَ. انْتَهَى.

الْفَصْلُ الثَّانِي: فِي مُبْهَمَاتِ الْجُمُوعِ[1]:

الَّذِينَ سُمِّيَ بَعْضُهُمْ أَوْ عُرِفَ عَدَدُهُمْ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ ضَابِطٍ وَلَهُ أَمْثِلَةٌ:

أَحَدُهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [الْبَقَرَة: ٤]، وَالآيَاتُ الَّتِي فِي مَعْنَاهَا فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ، وَالنَّجَاشِيُّ وَأَصْحَابُهُمَا. وَسُمِّيَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ سَلامٍ: أَسَدٌ، وَأُسَيْدٌ، وَثَعْلَبَةُ.

---

(١) انظر: الإتقان (٤/ ١١٠).

الثَّانِي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الْبَقَرَة: ٦] الآيَةَ. وَمَا فِي مَعْنَاهَا فِيمَنْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَأَنَّهُ لا يُؤْمَنُ، مِنْهُمْ: أَبُو جَهْلٍ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ.

وَرَدَ لسببٍ أنهم هؤلاء، لكن الآيةَ عامةٌ.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٧٥] كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ، وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَابْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ.

الثَّالِثُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [الْبَقَرَة: ٨] الآيَةَ. فِي الْمُنَافِقِينَ وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَآيَاتِ بَرَاءَةَ وَسُورَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ ثَلاثَمِائَةِ رَجُلٍ وَمِائَةً وَسَبْعِينَ امْرَأَةً، أَكْثَرُهُمْ يَهُود، وَمِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ٧]، وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَمُعْتِبُ بْنُ قُشَيْرِ بْنِ عُلَيْكَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٥٤]، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التَّوْبَة: ٦٥]، وَنَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ [التَّوْبَة: ٦١]، وَالْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الطَّائِيُّ، وَأَوْسُ ابْنُ قَيْظِيٍّ وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأَحْزَاب: ١٣]، وَالْجُلاسُ بْنُ سُوَيدِ بْنِ الصَّامِتِ، وَسَعْدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَسُوَيْسُ، وَرَاعِشُ، وَقَيْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ فِهْرٍ، وَزَيْدُ بْنُ اللُّصَيْبِ، وَسَالِبُ بْنُ الْحَمَامِ.

الرَّابِعُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ حَيْثُ وَقَعَ فَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ.

إلا قولَ الله تبارك وتعالى في البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الْبَقَرَة: ٢١] فَإِنَّهُمْ ليسوا أهل مكة، إنما كان خطابه عامًّا.

الْخَامِسُ: الأَسْبَاطُ هُمْ: ذُرِّيَّةُ يَعْقُوبَ كَالْقَبَائِلِ فِي الْعَرَبِ.

قولـه: ذُرِّيَّـةُ يعقـوبَ عليـه الـصلاة والـسلام كالقبائـل في العـرب؛ لأن بنـي إسرائيل ليس عندهم قبائل، وإنما عندهم فروعٌ تلتقي عند يعقوب الذي هو إسرائيل بنصِّ القرآن العظيم.

وَمِنْهُ مَا لَيْسَ لَهُ ضَابِطٌ، وَهُوَ كَثِيرٌ:

الأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ:

قوله: ومنه ما ليس لـه ضـابطٌ، يعني: مـن الْمُبْهَمَـاتِ لـيس لـه ضـابطٌ ينـدرج تحتَه، وليس من المبهمات المفردةِ أو مِنْ مبهمات الجموع، إنما يندرج تحت عمومـاتٍ، هـذه منهـا، أَوَّلًا: الأنبياء والمرسـلون، ثـم أتـى بحـديثٍ عـن الأنبيـاء والمرسلين فقال:

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَـةَ مَرْفُوعًـا: «الأَنْبِيَـاءُ مِائَـةُ أَلْـفٍ وَأَرْبَعَـةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَالرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ: ثَلاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ»(١).

وَمِنَ الأَنْبِيَاءِ مَنْ لَمْ يُسَمَّ فِي الْقُرْآنِ: يُوشَعُ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ نَبِيُّ أَصْحَابِ الرَّسِّ، وَحِزْقِيلُ، وَخَالِدُ بْنُ سِنَانَ، وَأَرْمِيَا، وَشِعْيَا، وَشَمْوِيلُ.

وَالْمَلائِكَةُ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَمِمَّـنْ سُـمِّيَ مِـنْهُمْ وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ: إِسْمَاعِيلُ صَاحِبُ سَمَاءِ الدُّنْيَا.

وَرِيَاقِيل الَّذِي يَطْوِي الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(أَوْلادُ إِبْـرَاهِيمَ): سُـمِّيَ مِـنْهُمْ: إِسْـمَاعِيلُ، وَإِسْـحَاقُ، وَمَـدْيَنُ، وَزَمْـرَانُ، وَسَرَحُ، وَنَغَسُ، وَنَغْسَانُ، وَكِيسَانُ، وَسَوْرَحُ، وَأُمَيْمُ، وَلُوطَانُ، وَنَافِشُ.

---

(١) مسند أحمد (٢٢٢٨٨) والطبراني في الكبير (٧٨٧١): عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة ﷺ في حديث طويل. وانظر: تحقيق المسند، لشعيب الأرناؤوط ومن معه.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البَقَرَة: ١١١] الآيَةَ. قَالَهُ يَهُودُ الْمَدِينَةِ وَنَصَارَى نَجْرَانَ، وَكَانُوا سِتِّينَ، وَسُمِّيَ مِنْهُمْ: السَّيِّدُ، وَالْعَاقِبُ، وَأَوْسُ بْنُ الْحَارِثِ، وَخَلَفٌ، وَخُوَيْلَةُ، وَيُومَتَّا، وَهُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي صَدْرِ آلِ عِمْرَانَ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩] سُمِّيَ مِنْهُمْ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ غَنْمٍ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٥] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عُمَرُ، وَمُعَاذٌ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢] سُمِّيَ مِنْهُمْ: أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ.

﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٣] قِيلَ: ثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَقِيلَ: سَبْعُونَ، وَقِيلَ: ثَمَانُمِائَةٍ.

القول بأنهم ثمانمائة أظنه قولًا ضعيفًا؛ لقول الله: ﴿أُلُوفٌ﴾، إلا إن كان مراده سبعين ألفًا وثمانمائة ألف، وهو بعيد، فالله أعلم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩] قِيلَ: كَانُوا سَبْعِينَ أَلْفًا، وَالَّذِينَ لَمْ يَشْرَبُوا وَجَاوَزُوا مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَهُمْ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرٍ.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣] سَمَّى أَصْحَابُ الْمُبْهَمَاتِ مِمَّنْ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى لا غَيْرُ.

قوله: (أصحاب المبهمات)، أي: الذين كتبوا في المبهمات، منهم:

السهيلي[١]، والزركشي[٢].

قُلْت: وَمِنْهُمْ آدَمُ كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ.

ثبت في الحديث أن آدم كلمه الله: «**عِنْدَمَا عَطَسَ آدَمُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ اللهُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ يَا آدَمُ**»[٣] الله تعالى خَلَقَهُ بيده ونفخ فيه من روحه، فعطس كما في الحديث، فكلَّمه الله تعالى آنذاك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٢٣] الآيَةَ، سُمِّيَ مِنْهُمْ: النُّعْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟﴾ [آل عِمْرَانَ: ٧٢] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ الصَّيْفِ، وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٨٦] سُمِّيَ مِنْهُمْ: الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.

﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٠] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عَمْرُو ابْنُ شَاسَ، وَأَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٢٢] هُمَا: بَنُو حَارِثَةَ مِنَ الأَوْسِ، وَبَنُو سَلِمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ.

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) بدر الدين صاحب «البرهان» سبق التعريف به.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦١٦٥) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٢): عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه مرفوعًا به. وأما رواية الحاكم فهي موقوفة، وقال: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط مسلمٍ وإن كان موقوفًا فإن إسناده صحيحٌ بمرة». وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٢١٥٩).

ذكرنا أنه ليس في العرب بنو سلِمة -بكسر اللام- غير هؤلاء بطن من الخزرج، وهناك حديث في شأنهم: «**بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ**»[1] حين طَلَبَ منهم رسولُ الله ﷺ أن يَمْكُثُوا في منازلهم ولا يتحولوا إلى القرب من المسجد؛ لأنه قد فرغ قرب المسجد الشريف مسجد رسول الله ﷺ مكان، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا من أَمْكِنَتِهِمْ إلى القربِ من المسجد الشريف ليكونوا أقربَ إلى رسول الله ﷺ وأقربَ إلى المسجد، فَحَضَّهُمْ رسولُ الله ﷺ على المكوث لما يُكْتَبُ من آثارهم في الصحائف، عندما تطول المسافة تُكتب الحسناتُ أكثرَ وأكثرَ بما قَطَعُوا من مسافة.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٥٢] **هُمُ الَّذِينَ فَرُّوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانُوا سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا.**

هم لم يفرُّوا من المشركين والله أعلم، وإنما هم الرماة الذين تَرَكُوا أماكنَهم، وقد ثَبَتُوا حتى قُتِلُوا عن آخرهم لَمَّا علموا بأن خالدًا قد التف حَوْلَهُمْ كما جاء في السيرة، وقد تركوا المكان ونزلوا من أَجْلِ الغنيمة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٥٢] **الَّذِينَ ثَبَتُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ.** هو الذي قُتِلَ رضي الله عنه ومن معه عن بَكْرَةِ أبيهم، وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لم أَكُنْ أعلم أن مِنَّا من يريد الدنيا، ومنا من يريد الآخرةَ حتى نَزَلَتْ)[2]،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٦٥): عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا به.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢٨٤) وابن جرير في التفسير (٦/ ١٤١) وابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ٧٨٨) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٢٨) وابن أبي عاصم في الزهد (١٠٢) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٨): رواه الطبراني في الأوسط، وأحمد في حديثٍ طويلٍ - تقدم في وقعة أحدٍ - ورجال الطبراني ثقاتٌ.

يظن أن الناس كلهم صَفٌّ واحدٌ لا يتأثرون، هذا كلامٌ غيرُ مطابق لوقائع التاريخ؛ لأن الناس يتأثرون، فهم بَشَرٌ، والصحابةُ ﭬ هم صفوةُ البشرِ، لكنهم لا يزالون بَشَرًا؛ يتأثرون مما يتأثر به البشر.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٥٤] هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٧٢] هُمُ الْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ ثَانِيًا بَعْدَ أُحُدٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ. هم طائفة من المسلمين نُدِبُوا لاتباع أبي سفيان؛ لأنه لم يكن قد دخل في الإسلام بعدُ، فَنُدِبُوا بعدَ المعركة أن يَتْبَعُوا أبا سفيانَ ثانيَ يومِ الوقعةِ وفيهم جِرَاحَاتٌ.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٨١] مِنْهُمْ: فِنْحَاصُ الْيَهُودِيُّ. وصلوا إلى الدركِ الأسفل من القبائح والمجاوزة للحَدِّ بقولهم هذا في تسفيه مُنَزِّلِ شرائعهم سبحانه وتعالى، في سَبِّهِ وشَتْمِهِ، وهم اليهود عليهم لعائنُ الله المتتابعةُ إلى يوم القيامة.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٨٣] مِنْهُمْ: كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ، وَفِنْحَاصُ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ [النِّسَاء: ٧٧] سُمِّيَ مِنْهُمْ: طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ﴾ [النِّسَاء: ٩٠] هُمْ بَنُو مُدْلِجٍ دَخَلُوا فِي صُلْحِ خُزَاعَةَ. وخزاعة كانت مع النبي ﷺ.

﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النِّسَاء: ٩٠] هِلَالُ بْنُ عُوَيْمِرٍ الأَسْلَمِيُّ،

وَقَوْمُهُ.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ [النِّساء: ٩١] هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَسَدٍ وَغَطَفَانَ.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النِّساء: ٩٨] سُمِّيَ مِنْهُمْ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْفَضْلِ لُبَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلالِيَّةُ أُخْتُ مَيْمُونَةَ. وميمونة هي زوج النبي ﷺ، أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النِّساء: ١٠٧] هُمْ: طُعْمَةُ بْنُ أُبَيْرِقٍ وَأَقَارِبُهُ، مِنْهُمْ إِخْوَتُهُ: بِشْرٌ وَبُشَيْرٌ وَمُبَشِّرٌ، وَابْنُ عَمِّهِمْ: أُشَيْرُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ أُبَيْرِقٍ.

والقصةُ معروفةٌ، طعمةُ بن أُبَيْرِقٍ الذي سرق درعًا من رفاعةَ بن زيد، وَأُلْصِقَتِ التهمةُ بلبيد بن سهل اليهودي، ونزلت فيه آياتٌ، وهي من أعظم الدلائل على عدل الإسلام، هذا اليهودي أُلْصِقَتْ فيه التهمةُ، وهو يهوديٌّ عَدُوٌّ لله وَعَدُوٌّ لرسوله ﷺ، وهم من أهل الخسةِ والدناءةِ لم تظهر براءتُه إلا بالوحي، ينزل قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة يُبَرِّئُ جماعةً من اليهود، فهذه قمةُ العدلِ الإسلاميِّ![(١)].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النِّساء: ١٢٧] سُمِّيَ مِنَ الْمُسْتَفْتِينَ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ سَأَلَتْ عَنْ بَنَاتِ أَخِيهَا. أي: حينما مَنَعَ عَمُّهُنَّ ميراثَهن عنهن، جاءت تستفتي رسولَ الله ﷺ.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النِّساء: ١٧٦] سُمِّيَ مِنْهُمْ: جَابِرُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٣٦) وابن أبي حاتم في التفسير (٤/ ١٠٦٠) والطبراني في الكبير (١٩/ ٩) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٦) عن قتادة بن النعمان. وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرجاه».

ابْنُ عَبْدِ اللهِ. أي: حين عَادَهُ رسولُ الله ﷺ فسأله عن ميراثه. والكلالةُ: أي: ليس له فرعٌ وارثٌ، وليس له أصلٌ وارثٌ يرثه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [الْمَائِدَة: ٤] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ.

﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ﴾ [الْمَائِدَة: ١١] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ الْيَهُودِيُّ.

﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٢] هُمُ الْعَمَالِقَةُ. الذين كانوا يسكنونَ بيت المقدس؛ فكان بنو إسرائيل خائفينَ من دخول بيت المقدس على هؤلاء العمالقة؛ لشدتهم وقوتهم، مع أنه قد قال لهم رجلان -قيل: من العمالقة، وقيل: من غير العمالقة-: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الْمَائِدَة: ٢٣].

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الْمَائِدَة: ٣٣] هُمُ الْعُرَنِيُّونَ وَكَانُوا ثَمَانِيَةً. قصتهم مشهورة، ونزلت فيهم هذه الآيةُ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [الْمَائِدَة: ٣٣] وقتلهم رسولُ الله ﷺ أشنعَ قِتلةٍ؛ لأنهم كانوا أهلَ خِسَّةٍ ودناءةٍ، استضافهم المسلمون فقتلوا الراعيَ، وأخذوا الغنمَ وهربوا، فَجُوزُوا بما كانوا عليه من الخسة والدناءة، والرسول ﷺ قَطَّعَ أيديَهم وأرجلَهم من خلافٍ، وَسَمَلَ أعينَهم، ورماهم في الحَرَّةِ حتى ماتوا عطشًا وجوعًا وتعذيبًا منه ﷺ لهم بما فعلوه من خسة ودناءة بعد إكرام رسول الله ﷺ لهم؛ لأنه أمرهم أن يشربوا من ألبان الإبل وأبوالها حتى استقامت أجسادُهم، وكانوا قد جاءوا مَرْضَى إلى

رسول الله ﷺ، ولما استقامت أجسادُهم فعلوا ما فعلوا(١).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ﴾ [المَائِدَة: ٤١] **هُمْ: بَنُو قَيْنُقَاعَ، وَقِيلَ: قُرَيْظَةُ.**

﴿لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [المَائِدَة: ٤١] **هُمْ أَهْلُ خَيْبَرَ.** كانوا يسمعون من أهل خيبرَ الدعاوى تِلْوَ الدعاوى تِلْوَ الدعاوى بأن يَثُورُوا على رسول الله ﷺ وعلى الصحابة.

﴿بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائِدَة: ٥٤] **فَسَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْمِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ**(٢). ورجح ذلك الطبريُّ أيضًا بأن هؤلاء القومَ الذين يحبهم ويحبونَه هم أهلُ اليمنِ أهلُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ لأن وفد الأشعريين أتى إلى رسول الله ﷺ مجيئًا واحدًا، وسمعوا القرآنَ فصاروا يتساقطون من البكاء رضي الله عنهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (هكذا كُنَّا قَبْلَ أن تَقْسُوَ القلوبُ)(٣)، والذي يقول ذلك البَكَّاءُ المشهورُ أبو بكر رضي الله عنه.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [المَائِدَة: ٨٣] **هُمْ وَفْدُ الْحَبَشَةِ وَكَانُوا سَبْعِينَ،**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المسند (٢/ ١٧٩) وفي المصنف (١٢/ ١٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢) وتمام في الفوائد (٢/ ٤٩)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٧١) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٤٦٠): عن سماك بن حربٍ، قال: سمعت عياضًا الأشعري يقول: لما نزلت: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله ﷺ: «هم قومك يا أبا موسى، وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري». وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرجاه..

(٣) سبق تخريجه.

وَسُمِّيَ مِنْهُمْ: إِبْرَاهِيمُ، وَإِدْرِيسُ، وَأَبُو خُزَاعَةَ، وَالأَشْرَفُ، وَالسّمنُ، وَتَمِيمٌ، وَتَمَامٌ، وَدُرَيْدٌ. قيل بأنهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم شيئًا من سورة يس أو السورة كلها، وقيل بأن جَعْفَرًا الطيار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما كان في الحبشة، أتى عمرو بنُ العاصِ هو ورفيقه يطلبون الصحابة من النجاشي، في كلام طويل، وقرأ جعفرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صدرًا من سورة مريم على النجاشي وبطارقته فصاروا يبكون حتى اخْضَلَّتْ لحاهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم عَلِمُوا عظمةَ القرآن، وعلموا أن هذا لا بد أن يكون من عند الله تبارك وتعالى، وصدرُ سورةِ مريمَ فيه كلامٌ عن زكريا وعن عيسى وعن يحيى، كالذي يعرفه النصارى تمامًا؛ لذلك كان هذا ذكاءً من جعفر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الْمَائِدَة: ١١٠] أَخْرَجَ: سَامَ بْنَ نُوحٍ، وَرَجُلَيْنِ، وَامْرَأَةً، وَجَارِيَةً. كانت في مناسبات عدة، فقد طُلب منه عليه الصلاة والسلام إثباتاتٌ على نبوته ومعجزات، فأخرج سامَ بنَ نوحٍ، وصار يُكَلِّمُهُ، وقيل: بأنه أخبره عن عَرْضِ السفينة -سفينةِ أبيه نوحٍ عليهما الصلاة والسلام- وَطُولِهَا وَمَنْ فيها، قيل ذلك والله أعلم، وأيضًا أَحْيَا رجلينِ وامرأةً وجاريةً، وهذا معروفٌ عندَهم في التوراة مشهورٌ.

﴿ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [الْمَائِدَة: ١١١] سُمِّيَ مِنْهُمْ: بُطْرُسُ، وَبُولُسُ، وَأَنْدَارُسُ، وَطِنْسُ، وَبُوطَا، وَرَدِيبُ بْنُ ثَمْلا، وَفُلَّيْسُ، وَيَعْقُوَيْسُ، وَمُومَاسُ، وَإِسْرَئِلِمْهَا، وَيَهُودَا. هذه الأسماء صعبٌ ضَبْطُهَا؛ لأنها أسماء أعجمية، وكل كتابٍ تَجِدُ فيه

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠) وابن خزيمة في صحيحه (٢٢٦٠) وابن راهويه في المسند (٤/ ٧١): عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة، زوج النبي ﷺ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة...». وإسناده حسن.

اختلافًا عن الآخَرِ في ضبط هذه الأسماء.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥] يُسَمَّى مِنْ قَائِلِي ذَلِكَ: النَّضِرُ بْنُ الْحَارِثِ. النضر بن الحارث بن كلدة العبدري، نسبة إلى عبد الدار، قد قرأ كتبًا كثيرةً عن الرحلات وعن المعارك القديمة بين فارس والروم، فكان إذا اجتمع رسول الله ﷺ بقوم كان يأتي ويقول: دَعوكُمْ من هذا وَتعَالَوْا أُحَدِّثْكُمْ عن كذا وعن كذا، كان من أشد الخصوم لرسول الله ﷺ! وكان يقول دائمًا: إن هذا إلا أساطير الأولين(١).

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال: ٣٢] يعني سُمِّيَ ممن قال ذلك: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ.

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ أيضًا.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٥٢] وَنَحْوِهَا فِي الْكَهْفِ، سُمِّيَ مِنْهُمْ: بِلالٌ، وَعَمَّارٌ. جاء الكفار إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن هؤلاء قد آذَانَا رِيحُهُمْ، فاصرفهم عنك حتى نجتمع إليك، فَهَمَّ رسولُ الله ﷺ أن يفعلَ، ليس رغبةً عنهم، وإنما لتأليف قلوب المشركين حتى يسلموا، لكن الله تعالى له ميزانٌ عظيمٌ لا يتغير ولا يَتبَدَّلُ ولا يَتحَوَّلُ. تمامًا كقصة عبد الله بن أُمِّ مكتوم رضي الله عنه.

﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ﴾ [الأنعام: ٩١] سُمِّيَ مِنْهُمْ: مَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ الْيَهُودِيُّ. وإنما قال هذا وَهو حَبْرٌ يهوديٌّ مشهورٌ عندما جَاءَ يُخَاصِمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى أَمَا تَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ

(١) انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٥/ ٢٦٩٦).

اللهَ يُبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينَ؟» وَكَانَ حَبْرًا سَمِينًا. فَغَضِبَ وَقَالَ: وَاللهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ على بشر من شي. فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ: وَيْحَكَ! وَلَا عَلَى مُوسَى؟ فَقَالَ وَاللهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ على بشر من شي، فَنَزَلَتِ الآيَةُ(١).

﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٤] سُمِّيَ مِنْهُمْ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلٍ.

(الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ صَالِحٍ) مِائَةٌ وَعَشَرَةٌ.

(السَّحَرَةُ) قِيلَ: خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَقِيلَ: أَرْبَعُمِائَةٍ، وَقِيلَ: تِسْعُمِائَةٍ، وَرُؤَسَاؤُهُمْ أَرْبَعَةٌ: عَادُورُ، وَسَاتُورُ، وَحَطَطُ، وَالْمُصَفَّى.

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٣٨] هُمْ مِنْ كَنْعَانَ، وَقِيلَ: مِنْ لَخْمٍ. استبعد ذلك الزركشيُّ؛ قال: لأنهم بعد موسى عليه السلام بكثير، ولَخْمٌ قومٌ من العرب كانوا مجاورينَ للنصارى، فهم بعدَ موسى عليه الصلاة والسلام بكثيرٍ، فهم من كنعان، هذا هو الصحيح.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٨١] هِيَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ [الأَنْفَال: ١] سُمِّيَ مِنْهُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ [الأَنْفَال: ٧٠] كَانُوا سَبْعِينَ، مِنْهُمْ: الْعَبَّاسُ، وَعَقِيلٌ، وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ. عقيل ونوفل ابنا أخي العباس؛ لأنه قد فَدَى نفسَه، وفدى ابْنَيْ أخيه عقيلًا ونوفلًا ابني الحارث بن عبد المطلب.

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٩/ ٣٩٣): عن سعيد بن جبيرٍ، قال: «جاء رجلٌ من اليهود يقال له: مالك ابن الصيف...» فذكره.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التَّوْبَة: ٤] بَنُو كِنَانَةَ، وَبَنُو ضَمْرَةَ، وَبَنُو مُدْلِجٍ، وَبَنُو الدَّيْلِ. بنو الديل قبيلة من العرب مشهورة، منهم: أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ صاحب النحو المشهورُ[١]، يقال: الدؤلي، ويقال: الدَّيْلِيُّ نسبةً إلى الديل.

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ [التَّوْبَة: ١٥] مِنْهُمْ: أَبُو سُفْيَانَ، وَمُعَاوِيَةُ، وَعِكْرِمَةُ ابْنُ أَبِي جَهْلٍ. تاب الله عليهم، كلهم دخلوا معاركَ ضد المسلمين، ابتداءً من بدر، ثم أُحُدٍ، ثم المشاهد التي شهدوها ضدَّ المسلمين، لكن الله أراد شيئًا آخَرَ! أراد أن يؤمن هؤلاء، ويموت آخرون كُفَّارًا؛ نعمةً من الله تعالى عظيمة عليهم، وكلهم قد حَسُنَ إسلامُهم، وصاروا من أحسن الصحابة إسلامًا، خاصةً في المعارك، فأبو سفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدَ إحدى عَيْنَيْهِ في اليرموكِ، وَسُمِعَ صوتُه يُكَبِّرُ وَيُهَلِّلُ ويحثُّ الصحابةَ على القتال، وأن هذا يومٌ من أيام الله، وَحَثَّهُمْ حَثًّا عظيمًا على القتال، فَحَسُنَ إسلامُه جِدًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاويةُ معروفٌ، إمام المسلمين وخليفتُهم، أعدلُ مَلِكٍ من ملوك المسلمين، وعكرمةُ بن أبي جهل كان في اليرموك أيضًا على ميمنة أو ميسرة المسلمين، وأبلى بلاء عظيمًا في فتوح الشام، ومات شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أحد الذين كانوا يدورون عليهم بالسقي حتى ماتوا جميعًا.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ [التَّوْبَة: ٩٢] مِنْهُمْ: بَنُو مُقَرِّنٍ الْمُزَنِيُّ. هؤلاء قومٌ جاءوا إلى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليس عندهم ما يحملهم عليه ﷺ،

(١) سبق التعريف به.

فطلبوا منه فاعتذرَ؛ لأنه ليس عنده ما يحملهم عليه، فالغزوة طويلة بعيدة؛ فلذلك رجعوا يبكون حسرةً على ما فاتهم من أمر الغزو مع رسول الله ﷺ.

قِيلَ: كَانُوا سَبْعَةً: عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ الْمُغَفَّلِ، وَالْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو، وَسَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمَعْقِلٌ، وَعَائِذُ بْنُ عَمْرٍو.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التَّوْبَة: ٦٠] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ يَرْبُوعٍ، وَعَمْرُو بْنُ مِرْدَاسَ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسَ، وَعَلاءُ بْنُ الْحَارِثَةِ، وَقَيْسُ بْنُ عَدِيٍّ.

المؤلفة قلوبهم كثير، كان منهم: معاويةُ وأبو سفيان، وصفوان بن وهب... وغيرهم كثير، ولكن المفسرين سَمَّوْا منهم فلانًا وفلانًا وفلانًا. وهذا حسب الآثار التي وردت إلى السيوطي. ولكن من ناحية السيرة النبوية فهم عشرات من المؤلفة قلوبهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ [التَّوْبَة: ٩٨] هُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَتَمِيمٍ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ﴾ [التَّوْبَة: ٩٩] هُمْ: بَنُو مُقَرِّنٍ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٠] قِيلَ: مَنْ صَلَّى إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَقِيلَ: أَهْلُ بَدْرٍ، وَقِيلَ: الْبَيْعَةِ: بيعة العقبة، بيعة الرضوان فيها حديث مشهور قال ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(١) وهذه فضيلة كبيرة جِدًّا لهم، أما البيعة المشهورة المذكورة هنا فهي بيعة العقبة، ولكن – والله أعلم- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أقربُ لها أهل بدر؛ لأن عمر رضي الله عنه لما تولى الخلافة بعد أبي بكر، كان أبو بكر رضي الله عنه يَقْسِمُ للصحابة سواء إناثهم وذكورهم، مقدمهم

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣) والترمذي (٣٨٦٠) و(٣٨٦٣): عن أبي الزبير، عن جابرٍ رضي الله عنه به.

ومؤخرهم، سابقهم ولاحقهم، آل بيت رسول الله ﷺ وغيرهم، فلما جاء عمرُ رضي الله عنه صار يفرض لهم حسبَ مكانهم في الإسلام، فيقول: (لا أُسَاوِي بينَ من لم يُسَوِّ الله بينهم) ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، ولا شك أن الذي أَسْلَمَ قبل الفتح أعظمُ بكثيرٍ من الذي أَسْلَمَ بعد الفتح، فكان عمرُ رضي الله عنه يَقْسِمُ بينَهم على مكانتهم في الإسلام، وعلى قُرْبِهِمْ من رسول الله ﷺ، فكان يعطي أسامةَ أكثرَ مما يعطي ابنَه عبدَ اللهِ بنَ عمرَ بنِ الخَطَّابِ، فقال له: يا أبتِ، لِمَ؟ فقال له: (يا بُنَيَّ، إِنَّ أباه كان أحبَّ إلى رسول الله من أبيكَ، وهو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ منكَ)(١) فكان يعطيهِ خمسَمائة من الدراهم زيادةً على ما يعطي عبدَ الله بنَ عمر، وكان يقسم لزوجاتِ رسول الله ﷺ غيرَ ما يقسم لباقي زوجات المؤمنين، وكان يعطي آلَ بيتِ رسول الله ﷺ غيرَ ما يعطي باقيَ الصحابة، فكان له ميزانٌ رضي الله عنه في العطاء، والشاهدُ أنه كان يعطي أهلَ بدرٍ غيرَ ما يعطي باقيَ الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا﴾ [التوبة: ١٠٢] هُمْ سَبْعَةٌ مِنْهُمْ: أَبُو لُبَابَةَ، وَأَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَوَدِيعَةُ بْنُ حَرَامٍ.

أبو لبابةَ قصتُه مشهورة، وأسطوانته ما زالت موجودة في المسجد النبوي إلى الآن، عندما رجع إلى المدينة وربط نفسَه بالأسطوانة المعروفة، وما زالت إلى اليوم أسطوانة معروفة بأسطوانة أبي لبابةَ، وقد تُسَمَّى بأسطوانة التوبة، التي كان

(١) أخرجه الترمذي (٣٨١٣)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٥٦)، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه به. وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

يجلس عندها بعضُ السلف، منهم: عطاء بن رباح وغيرهم[(١)].

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٦] هُمُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا.

﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٨] بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مِنَ الأَوْسِ.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هُود: ٤٠] قِيلَ: ثَمَانُونَ: نِصْفُهُمْ رِجَالٌ، وَنِصْفُهُمْ نِسَاءٌ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةٌ وَسَبْعُونَ، وَقِيلَ: عَشَرَةٌ.

﴿جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هُود: ٦٩] هُمْ: اثْنَا عَشَرَ مَلَكًا، مِنْهُمْ: جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ، وَهُمُ الَّذِينَ فِي الْعَنْكَبُوتِ وَالذَّارِيَاتِ وَالْحِجْرِ.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [يُوسُف: ٣٠] هُمْ خَمْسَةٌ: امْرَأَةُ السَّاقِي، وَالْحَاجِبِ، وَالْخَبَّازِ، وَالسَّجَّانِ، وَصَاحِبِ الدَّوَابِّ.

﴿كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الْحِجْر: ٩٥] هُمُ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصُ، وَالأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَالأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَعَدِيُّ بْنُ قَيْسٍ. كلهم عن بَكْرَةِ أبيهم قَتَلَهُمُ اللهُ، كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ، إذا قام صَفَّرُوا وصفقوا واستهزءوا، والأسود بن المطلب هذا كان من أصعب الكفار وهو أبو زَمْعَةَ، وفيه حديثٌ مشهورٌ، قال رسول الله ﷺ: «هُوَ رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ». وهو تفسيرُ قولِهِ تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ [الشَّمْس: ١٢] قال: «انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي قَوْمِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ» كان رجلًا عارمًا، أي: شديدَ الشرِّ، وشديدَ الخصومةِ لرسول الله ﷺ كثيرَ الاستهزاء به، فإن الله تعالى أماتَه أعمى؛ لأن

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١١/ ٦٥٧) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٧١) وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٧٨).

رسول الله ﷺ دعا عليه بالعمى[١]. ذات مرة جلس في ظل شجرة، فجعل جبريل عليه السلام يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها خضراء، وبشوك من شوكها حتى عمي، ثم مات كافرًا، هو والوليد، والعاص.

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ [النَّحل: ١١٠] **سُمِّيَ مِنْهُمْ: أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْبَيْضَاءِ**. سهيل بن عمرو المشهور الذي كان له موقف في الحديبية، عندما تكلم مع رسول الله ﷺ، فأراد عمرُ أن يخاصمه، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا عُمَرُ، لَعَلَّ سُهَيْلًا يَقِفُ غَدًا مَوْقِفًا يَسُرُّكَ»، فَلَمَّا توفي رسولُ الله ﷺ هَمَّ بعضُ أهل مكة بالردة فوقف فيهم سهيلُ بنُ عمرو خطيبًا، وكان خطيبًا مُفَوَّهًا من خطباء العرب الكبار، وهددهم بالقتل إن ارتدوا، فسكنوا، فهذا هو الموقف الذي أخبر به رسولُ الله ﷺ.

﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ﴾ [الإِسْرَاء: ٥] **هُمْ أَهْلُ بَابِلَ وَعَلَيْهِمْ بُخْتُنَصَّرُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى**. أي: في الأخذة الأولى.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ ﴾ [الكَهْف: ٢٢] **هُوَ والَّذِي بَعْدَهُ لِنَصَارَى نَجْرَانَ، وَالثَّالِثُ لِلْمُسْلِمِينَ**. هنا فيه إجمالٌ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ ﴾ [الكَهْف: ٢٢] الأولُ والثاني من القولين للنصارى، والثالث للمسلمين، يعني: النصارى قالوا: ثلاثةٌ ورابعُهم كلبُهم، أو خمسةٌ وسادسُهم كلبهم. والمسلمون كان ابن عباس يقول: سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم؛ لذلك يقول السيوطي: **هو والذي بَعْدَهُ**؛ أي: هذا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٤٣) والنسائي في الكبرى (١١٦١١) وابن حبان (٥٧٩٤): عن عبد الله بن زمعة، قال: سمعت النبي ﷺ يومًا يذكر الناقة والذي عقرها فقال... فذكره.

القول والذي بعدَه -ثلاثةٌ وخمسة- **لنصارى نجرانَ، والثالث للمسلمين**؛ أي: سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم، يعني: القول الثالث من تفسير عددهم.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الْكَهْف: ٥٠] **سُمِّيَ مِنْ أَوْلادِ إِبْلِيسَ: الأَبْيَضُ وَهَامَةُ بْنُ الأَبْيَضِ، وَبِلْذَوْنُ الْمُوَكَّلُ بِالأَسْوَاقِ.**

﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الْكَهْف: ٧٩] **قِيلَ: سَبْعَةٌ، وَقِيلَ: عَشَرَةٌ.**

﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الْكَهْف: ٩٠] **هُمْ أَهْلُ جَابَرْسَ مِنْ نَسْلِ مُؤْمِنِي ثَمُودَ.** (جَابَرْسُ) قيل: إنها مدينةٌ في أقصى المشرق، اللهُ أعلمُ بها، تكلم عليها ياقوتٌ في «معجم البلدان».

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الْكَهْف: ٨٦] **هُمْ أَهْلُ جَابَلْقَ مِنْ نَسْلِ مُؤْمِنِي عَادٍ، وَقِيلَ: هُمُ الزَّنْجُ.** والزنج كانوا عبيدًا في البصرة، وكان هناك فتنةٌ هائلةٌ في أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع، مجموعة كانت تغازيهم القرامطة عبيد وموالٍ وخدم وطبقة سفلى في المجتمع، فقاموا بثورة هائلة أظنها مكثت ثلاثة عشر عامًا، وَقُتِلَ فيها كثيرٌ جِدًّا من المسلمين. فالمقصود عادةً بالزنج: هم الطبقات السفلى من المجتمع؛ العبيد والموالي والأَرِقَّاء والخدم، والذين يَسُوقُونَ الدوابَّ ويطعمونها... إلخ، وليسوا هم زنوج اليوم وإن كان بعضهم منهم.

﴿يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الْحَجّ: ٧٥] **قَالَ فِي التِّبْيَانِ** -«غُرَر التبيان في مَنْ لم يُسَمَّ في القرآن» للزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]- **كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّسُلِ الْمُتَصَرِّفُونَ فِي أُمُورِ اللهِ، لا الْمُرْسَلُونَ إِلَى الأَنْبِيَاءِ خَاصَّةً.**

---

(١) سبق التعريف به.

الله سبحانه يُوكِلُ بعضَهم بفعل كذا، وَيُوكِلُ آخرينَ بفعل كذا، ويوكل ثالثًا بفعل كذا، فالملائكة لهم وظائفُ معروفة، فميكائيل الذي ينزل بالقطر والغيث، وجبريل الذي ينزل بالوحي وينزل أيضًا بالزلازل والبراكين، وإسرافيل له وظيفة مشهورة، ولهم وظائف لا نعرفها نحن.

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفُرْقَان: ٤] عَنَوْا بَشَّارًا مَوْلَى الْعَلاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَجَبْرًا، وَعَدَّاسًا مَوْلَى حُوَيْطِبٍ. يقولون: هذا القرآن افتراه ﷺ وحاشاه من ذلك، ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفُرْقَان: ٤-٥].

﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٤] قِيلَ: سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَقَلَّلَهُمْ بِاعْتِبَارِ جُنْدِهِ فَقَدْ كَانُوا أَلْفَ أَلْفٍ وَخَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ [النمل: ٣٢] قِيلَ: كَانَ أَهْلُ مَشُورَتِهَا ثَلاثَمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟﴾ [الْعَنْكَبُوت: ٢] هُمُ الْمُؤْذَوْنَ عَلَى الإِسْلامِ، مِنْهُمْ: عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأَبُوهُ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لُقْمَان: ٦] سُمِّيَ مِنْهُمْ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ. هو ابن كِلْدَةَ.

﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الأَحْزَاب: ٩] هُمُ الأَحْزَابُ: قُرَيْشٌ وَقَائِدُهُمْ، وَالنَّضِيرُ.

﴿مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأَحْزَاب: ٢٣] سُمِّيَ مِنْهُمْ: حَمْزَةُ، وَمُصْعَبٌ، وَأَنَسُ بْنُ النَّضْرِ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأَحْزَاب: ٢٣] سُمِّيَ مِنْهُمْ: عُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعِيدٌ.

سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أحدُ الْمُبَشَّرِينَ بالجنة[١]، أبوه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان أيضًا مُوَحِّدًا من موحدي الجاهلية، هو وورقةُ بنُ نوفلٍ؛ لأن ورقةَ وزيدًا من الموحدين الناجين الذين كانوا في الجاهلية، فَزَيْدٌ لم يدرك البعثَ، وورقةُ أَدْرَكَهُ لكن النبي ﷺ كان مُسْتَضْعَفًا في ذلك الزمان، وقيل بأنه لم يدرك إلا حديثًا يسيرًا بعد حديث خديجة له رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقيل: إنه مكث إلى سنة ثلاث من البعثة، وقيل غير ذلك[٢].

﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم﴾ [الأَحْزَاب: ٢٦] قُرَيْظَةُ.

﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ﴾ [الأَحْزَاب: ٥٠] هِيَ عَامَّةٌ؛ لأَنَّهَا نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ، (إن) هذه شرطية، والنكرة عندما تأتي في سياق الشرط تُفيد العمومَ، أي: أي امرأة وَهَبَتْ نفسَها للنبي ﷺ إن أراد النبي أن يستنكحها، وهذه القاعدة الشرعية ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، من خصائصه ﷺ أن النساء قد يَهَبْنَ أنفسَهن له ﷺ، وله ﷺ إن أراد أن يَقْبَلَهُنَّ بدونِ مَهْرٍ ولا عقدٍ، ولا وَلِيٍّ، ولا شهودٍ، له ﷺ خاصةً من دون المؤمنين.

وَسُمِّيَ مِنَ الْوَاهِبَاتِ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، وَأُمُّ شَرَيْكٍ الْعَامِرِيَّةُ.

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٦] سُمِّيَ مِنْهُمْ: الْوَلِيدُ، وَالْعَاصُ، وَأَبُو جَهْلٍ، وَالنَّضْرُ، وَشَيْبَةُ، وَأَخُوهُ عُتْبَةُ، وَابْنُهُ الْوَلِيدُ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ، وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وهو

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٤).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٤).

الذي أَجَارَ رسولَ الله ﷺ حين نَزَلَ من الطائف؛ لذلك قال ﷺ: «**لَوْ كَانَ مُطْعَمُ ابْنُ عَدِيٍّ حَيًّا وَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ النَّتْنَى** - يعني: أسارى بدر - **لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**»[1].

وَمَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَهِشَامُ بْنُ عَمْرٍو، وَرَبِيعَةُ بْنُ الأَسْوَدِ، وَعَدِيُّ بْنُ قَيْسٍ، وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَامِرُ بْنُ خَالِدٍ، وَالأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُمَيَّةَ، وَنَبِيهُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَأَخُوهُ مُنَبِّهٌ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَقُرْطُ بْنُ عَمْرٍو، وَعُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ. أكثرُهم مات كافرًا، وبعضُهم مات على الإسلام.

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النَّمْل: ٨٧] **فِي النَّمْلِ وَالزُّمَرِ، قِيلَ: جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ، وَقِيلَ: هُمْ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ الثَّمَانِيَةُ، وَقِيلَ: رِضْوَانُ، وَالْحُورُ، وَمَالِكٌ، وَالزَّبَانِيَةُ، وَقِيلَ: الشُّهَدَاءُ، وَقِيلَ: الْمُسْتَثْنَى فِي الْفَزَعِ: الشُّهَدَاءُ، وَفِي الصَّعْقِ: الْمَلَائِكَةُ الْمَذْكُورُونَ.** المستثنى من الموت فيها الشهداء، ثم نفخة الصعق يموتُ كلُّ الناس إلا مَنْ شاء الله سبحانه وتعالى أن يَبْقَى كما سيأتِي في آخِرِ الكتابِ إن شاء الله.

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا ﴾ [الزُّخْرُف: ٥٨] **سُمِّيَ مِنْهُمْ: ابْنُ الزِّبَعْرَى.**

هذا أيضًا كان شديدًا على رسول الله ﷺ.

﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأَحْقَاف: ٢٩] **هُمْ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ** (في شمال سوريا) **أَوِ الْجَزِيرَةِ: سَبْعَةٌ، وَقِيلَ: تِسْعَةٌ مِنْهُمْ: زُوبَعَةُ، وَسُرَّقُ، وَعَمْرُو بْنُ جَابِرٍ، وَشَاصِرُ، وَمَاصِرُ، وَمَنْشِي، وَمَاشِي، وَالأَخَفُّ.**

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٩): محمد بن جبير بن مطعمٍ، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأَحْقَاف: ٣٥] هُمْ: مُحَمَّدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَنُوحٌ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَقِيلَ: الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ فِي الأَنْعَامِ، الذين ذكروا في ثلاث آيات متتابعات في سورة الأنعام، وَقِيلَ: أَرْبَعَةٌ: إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَدَاوُدُ وَعِيسَى. الغريبُ أنه لم يَضَعْ معهم رسول الله ﷺ، كأنه يقول: إن له مكانة غير مكانة هؤلاء الأنبياء؛ لأنه لا يصح أن يُخْرَجَ رسولُ الله ﷺ من أُولِي العزم. وَقِيلَ: نُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ وَلُوطٌ وَشُعَيْبٌ وَمُوسَى، وَقِيلَ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَيُوسُفُ وَأَيُّوبُ.

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فُسِّرُوا فِي حَدِيثٍ بِقَوْمِ سَلْمَانَ. يعني: بفَارِسَ، «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ فِي الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمِ سَلْمَانَ» أو كما قال ﷺ(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الْحُجُرَات: ٤] هُمْ أَعْرَابٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْهُمْ: الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَالزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَعَمْرُو بْنُ الأَهْتَمِ، وَخَالِدُ بْنُ مَالِكٍ، وَقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبَدٍ.

وهؤلاء قومٌ من الأعراب أكثرُهم من أهل نَجْدٍ أتوا إلى رسول الله ﷺ، ولم يكونوا معتادينَ على طريقة مخاطبة الصحابة لرسول الله ﷺ، فنهاهم الله سبحانه وتعالى أن يُسَمُّوا رسولَ الله باسمه، أي: يقولوا: يا محمدُ، لكن الأعراب ما كانوا يعلمونَ عن هذه القواعد الأدبية في معاملة رسول الله ﷺ؛ لِبُعْدِهِمْ عن المدينة، فلما جاءوا إلى رسول الله ﷺ كانوا ينادونَ من وراء الحجرات وهو نائمٌ ﷺ: يا محمدُ، اخْرُجْ لنا، فإن رضانا زَيْنٌ، وَغَضَبَنَا شَيْنٌ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٦): عن أبي هريرة رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ به.

فأنزل الله سبحانه وتعالى تلك السورةَ العظيمةَ يُبَيِّنُ للمؤمنين كيف يُخَاطِبُونَ رسولَ الله ﷺ(١).

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الْحُجُرَات: ١٤] هُمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الْحَشْر: ٢] هُمْ: بَنُو النَّضِيرِ.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠] هُمْ قَوْمٌ مِنَ الْيَمَنِ إِخْوَةٌ.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [الْبُرُوج: ٤] هُمْ: ذُو نُواسٍ زُرْعَةُ بْنُ أَسْعَدَ الْحِمْيَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ.

﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الْفِيل: ١] هُمُ الْحَبَشَةُ، قَائِدُهُمْ: أَبْرَهَةُ الأَشْرَمُ، وَدَلِيلُهُمْ: أَبُو رُغَالٍ الثَّقَفِيُّ. أبو رغال هذا الذي دَلَّ أبرهةَ على المكان؛ لأنه جاء من جهة الطائف، وكان لا يعرف الطريقَ، فَدَلَّهُمْ أبو رُغال على الكعبة؛ لذلك لما مات أبو رغال كانت العرب تَرْجُمُ قبرَه كلَّ سنةٍ عندما تحج، وكان ذلك من مناسك الحج(٢).

وعمر رضي الله عنه لما شعر أحد الصحابة بِدُنُوِّ أَجَلِهِ فَطَلَّقَ نسوتَه الأربعةَ حتى لا يَرِثْنَ منه شيئًا، فقال له: (لَتُرْجِعُهُنَّ في عصمتك أو لأُوَرِّثُهُنَّ منكَ، وَلآمُرَنَّ بقبرك فيرُجم كما يُرجم قبرُ أبي رغال!)(٣).

---

(١) أخرج الترمذي (٣٢٦٧) والنسائي في الكبرى (١١٤٥١) والروياني في مسنده (١/ ٢٢٣) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢٦٦): عن البراء بن عازبٍ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] قال: قام رجلٌ فقال: يا رسول الله، إن حمدي زينٌ، وإن ذمي شينٌ، فقال النبي ﷺ: «ذاك الله عز وجل». قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

(٢) انظر: السير والمغازي، لابن إسحاق (٦٢).

(٣) أخرجه الترمذي (١١٢٨)، وابن ماجه (١٩٥٣)، وابن حبان (٤١٥٦)، وأبو يعلى في مسنده =

قوله: (أبو رغال الثقفيُّ)، والتحقيق أن أبا رغال من بقايا قوم ثمود على الصحيح. فهو ليس من ثقيف لكنه كان يعيش في تلك المناطق فَنُسِبَ إلى ثقيف؛ لأن أبرهةَ جاء من جهة جنوب الطائف، وهناك منازل ثقيف؛ لذلك نُسِبَ إليهم وهو ليس منهم. والله أعلم به.

***

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي الْمُبْهَمِ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَيَوَانَاتِ وَالأَمْكِنَةِ وَالنُّجُومِ وَنَحْوِهَا:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الْبَقَرَة: ٥٠] هُوَ الْقُلْزُمُ، وَكُنْيَتُهُ: أَبُو خَالِدٍ. وسُمِّيَ: أبا خالدٍ؛ لخلوده، وطولِ مُكْثِهِ أمامَ أَعْيُنِ الناظرينَ. والقلزم: هو اسمُ مدينةٍ قديمةٍ قُرْبَ أقصى نقطةٍ في البحر الأحمر في اتجاهِ مصرَ، فَسُمِّيَ: بحرُ القلزمِ باسم تلك المدينة(١).

﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [الْبَقَرَة: ٥٨] هِيَ: أَرِيحَا، وَقِيلَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: الْبَلْقَاءُ، وَقِيلَ: الرَّمْلَةُ وَفِلَسْطِينُ.

﴿مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٤٩] هُوَ نَهْرُ فِلَسْطِينَ أَوِ الأُرْدُنِّ.

(أَوْ) هنا ليست للتخيير، وإنما للتنويع، اسم النهر الواحد، ليس هناك غيره، ويقال له الآنَ: البحر الميت.

﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٩] هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ.

﴿أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٦٠] طَاوُوسٌ، وَحَمَامَةٌ، وَغُرَابٌ، وَدِيكٌ - وَقِيلَ:

=

(٩/ ٣٢٥) وغيرهم، عن سالمٍ، عن أبيه، أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوةٍ، فقال له رسول الله ﷺ: «اختر منهن أربعًا...».

(١) انظر: معجم البلدان (١/ ٨٠).

بَطَّةٌ وَنَسْرٌ بَدَلَ الأَوَّلَيْنِ. بدلَ الطاووسِ والحمامةِ.

﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ٤٩] **هُوَ الْخُفَّاشُ.**

﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النِّسَاء: ٧٥] **مَكَّةُ.**

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [الْمَائِدَة: ٢١] **هِيَ إِيلْيَا، وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: أَرِيحَا، وَقِيلَ: فِلَسْطِينُ، وَقِيلَ: دِمَشْقُ.** الأقربُ هي إيليا، أما القول بأنها دمشق فهو بعيد جِدًّا.

﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأَنْعَام: ٧٦] **هِيَ الزُّهْرَةُ، وَقِيلَ: الْمُشْتَرَى.**

﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ سُورٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وقيل: بأن أهل الأعراف هم الناس الذين عملوا عملًا صالحًا وآخرَ سَيِّئًا، فاستوت حسناتُهم وسيئاتُهم، فليسوا من أهل النار، وليسوا من أهل الجنة ابتداءً، فينتظرون على ذلك السور حتى يقضي اللهُ بين الناس، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، وإذا رأوا أصحاب الجنة تمنَّوْا أن يكونوا معهم. وقيل: هم قومٌ من الشهداء والصالحين لكنهم كانوا عَقَقَةً، غيرَ بَرَرَةٍ بآبائهم وأمهاتهم، فأعمالهم الصالحة يمكن بها أن يدخلوا الجنة، لكن عقوقهم حَبَسَهُمْ عن دخولها، والله أعلم.

﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٤٥] **قِيلَ: دِيَارُ عَادٍ وَثَمُودَ، وَقِيلَ: جَهَنَّمُ، وَقِيلَ: مِصْرُ دَارُ فِرْعَوْنَ، وَقِيلَ: إِنَّ قَائِلَهُ إِنَّمَا قَالَ: أَيْ مَصِيرَهُمْ فَتَصَحَّفَتْ بِمِصْرَ حَتَّى اسْتَعْظَمَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ. قُلْتُ: وَمَا فِي هَذَا مِمَّا يُسْتَعْظَمُ؟**

أي: أن أحدَ العلماءِ فسر الآية ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: سأريكم

مصيرَ الفاسقين، فَتَصَحَّفَتْ مصير إلى مصر؛ لذلك قالوا: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ هي مصر. ويقول السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استعظم ذلك بعضُهم، أي: استعظم أن تُحَرَّفَ هذا التحريفَ، وتُنقل هذا النقل، قلتُ -أَي: السُّيُوطِيُّ-: وما في هذا مما يُستعظم؟ فمصير قريبة من مصر جِدًّا، فتُحَرّف، ومصر في ذلك الزمان كانت دارَ فاسقين؛ لأن فرعونَ كان يحكمها، وكان الكثرة الكاثرة منها من جند فرعون كفرةً فسقةً فيصحُّ أيضًا، لكن السيوطي يميل إلى أنه تحريف.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٣] هِيَ: أَيْلَةُ (التي تُسَمَّى: إيلاتُ)، وهي عند العدو قَاتَلَهُ اللهُ، ونسأل الله أن ترجع إلينا مرةً أخرى، وهي على طرف البحر الأحمر الآخَرِ، طرف يدخل إلى السويس، وطرف يدخل إلى العقبة، والطرف الذي إلى العقبة الذي ابتداؤه أيلة أو إيلات، أو إيلوت كما ينطقونها عليهم لعنة الله.

وَقِيلَ: هِيَ طَبَرِيَّةُ فَيَكُونُ الْبَحْرُ نَهْرَ الْأُرْدُنِّ. فلو كانت أيلة فيكون البحر هو البحر الأحمر القلزم، ولو كانت طبرية فهو نهر الأردن المشهور.

﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأَعْرَاف: ١٤٣] هُوَ الطُّورُ، وَكَذَا ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٧١]. وكذا: أي يكون هو جبل الطور أيضًا، اقتلعه الله تعالى ورفعه فوق رؤوس اليهود لَمَّا رفضوا أن يأخذوا ألواحَ التوراة، فخافوا وأخذوها بالقوة؛ لذلك كان فَرْقٌ بينَ بني إسرائيل وبين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم أحسنوا تَقَبُّلَ القرآنِ، وأحسنوا تدبرَه، وأحسنوا متابعتَه والاستجابةَ له أيما إحسانٍ، كما هو مشهور معروفٌ، بينما بنو إسرائيل لم يَقْبَلُوا التوراة في بدايتها حتى نَتَقَ اللهُ الجبلَ فوقهم، فأخذوها ساعةَ إذٍ.

﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التَّوْبَة: ٤٠] هُوَ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ.

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التَّوبَة: ١٠٨] هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقِيلَ: مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ. والأصحُّ الأولُ ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أي: من أول يوم من تأسيسه كان على التقوى، وكان أول مسجد أسسه رسولُ الله ﷺ في المدينة باتفاقِ أهلِ السِّيَرِ هو مسجد قباء، ثم أَسَّسَ بعدَ ذلك المسجدَ النبويَّ المعروفَ عندما اشترى أرضَه من يَتِيمَيْنِ من الأنصار.

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يُوسُف: ٤] تَفْسِيرُهَا فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ فِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ وَالطَّبَرَانِيِّ. كأنه الطبري لأن أحد المحققين يقول: ليس هذا الحديث في الطبراني إنما هو في الطبري، فلعلها تصحفت. يقول الْهَيْثَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا الحديثُ فيه الحَكَمُ بْنُ ظَهِيرٍ، والحكم بن ظهير متروكٌ، والحديثُ الذي يقال فيه: متروكٌ شديدُ الضعفِ)(١).

وَقَدْ كُنْتُ تَوَقَّفْتُ فِيهَا إِذْ لَمْ أَجِدْهَا مَضْبُوطَةً وَلَا فِي خَطِّ الْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ الْهَيْثَمِيِّ، وَشَيْخِ الْحُفَّاظِ أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ حَجَرٍ، وَسَأَلْتُ عَنْهَا أَهْلَ الْمِيقَاتِ فَلَمْ يَعْرِفُوا مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلَ حَتَّى رَأَيْتُهَا مَضْبُوطَةً بِخَطِّ مُخْتَصِرِ التَّعْرِيفِ.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير (٥/ ٣٧٧) قد أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٥٩). ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٥ - ١٤٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٧): عن جابرٍ - يعني: ابن عبد الله - قال: «جاء بشنان اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن أسماء النجوم التي رآها يوسف تسجد له؟ قال: «الخرتان وطارقٌ والذيال وقابسٌ والمصح والصروح وذو الكنفين وذو الفرغ والفيلق ووثابٌ والعمودان رآها يوسف تسجد له، فقصها على أبيه». فقال: هذا أمرٌ متفرقٌ، ولعل الله يجمعه بعد». وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٩). رواه البزار، وفيه الحكم ابن ظهيرٍ وهو متروكٌ.

قوله: (مُخْتَصِرِ التَّعْرِيفِ) هو: الإمام أبي القاسم السهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ[١] وكتابه «التعريفُ والإبهامُ لِمَا في القرآن من الأسماء والأعلام»، وذكرنا أن أحدَ العلماء اختصر ذلك الكتابَ، في «مختصر التعريف».

وَهِيَ: الْخَرْتَانُ، وَطَارِقٌ، وَالدِّيَالُ، وَقَابِسٌ، وَالنَّطْحُ، وَالضُّرُوحُ، وَذُو الْكَنَفَيْنِ، وَذُو الْفَرْعِ، وَالْفَيْلَقُ، وَوَثَّابٌ، وَالْعَمُودَانِ[٢]. والله أعلم بأسماء هذه الكواكب.

﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يُوسُف: ١٠] هُوَ جُبٌّ فِي الْأُرْدُنِّ، وَقِيلَ: فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

حيث كان يعيش يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنوه في فلسطين.

﴿جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ [الْحِجْر: ١٦] هِيَ: اثْنَا عَشَرَ: الْحَمَلُ، وَالثَّوْرُ، وَالْجَوْزَاءُ، وَالسَّرَطَانُ، وَالأَسَدُ، وَالسُّنْبُلَةُ، وَالْمِيزَانُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْقَوْسُ، وَالْجَدْيُ، وَالدَّلْوُ، وَالْحُوتُ، وَهِيَ الْمُرَادُ بِالْبُرُوجِ حَيْثُ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النِّسَاء: ٧٨].

هذه البروج لها تفسيرانِ عندَ العلماء سواء كان العلماءَ الأقدمين أو المحدثين، فقيل: إن هذه البروج هي نَفْسُ الكواكب المذكورة، وهي نجومٌ عِظَامٌ في السماء، والنجوم بعضُها أكبرُ من الأرض بملايينِ المراتِ، فـ﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النَّجْم: ٤٩] قيل: إنها أكبرُ من الشمس بعشرة آلاف مرةً، وأبعدُ من الأرض أكثرَ من بُعْدِ الشمسِ من الأرض بمليون مرةً، فالبرجُ -بلغة العرب-:

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) في التفسير من سنن سعيد بن منصور (٥/ ٣٧٨): [حرثان، والطارق، والذيال، وذو الكنفات، وذو الفرع، ووثابٌ، وعمودان، وقابسٌ، والصروح، والمصبح، والفليق، والضياء، والنور...].

القصرُ، أو البناء الهائل الضخم. ويُطلق البرجُ على النجم نفسه، أو يطلق على المنازل التي يسير فيها النجمُ[١].

وبرج القوس: هو الْمَنْزِلُ الذي يسلكه القوسُ في دورانه إما حولَ نفسه، أو حولَ الشمس، أو حولَ الأرض، أو حولَ ما يدور عليه، والله أعلم، فمدارُ القوسِ يُطلق عليه البرجُ، أو أن القوسَ نفسَه هو البرج، والدلو، والحَمَل، والثور، والجوزاء...إلخ، هي الأبراج لِعِظَمِهَا، وَلِكِبَرِهَا، وليست الأبراجُ في السماء هي هذه الاثْنَا عَشَرَ فقط، فكل النجوم التي في السماء أبراجٌ، وكل نجم كما هو معلوم له مدارٌ يسير فيه فلا يخرجُ عنه أبدًا. وهذه النجومُ أَمْرُهَا عجيبٌ، بعضُها يُرْسِلُ الضوءَ منذ خمسين ألف سنة، فَيصِلَ إلى الناسِ في هذا الزمانِ، ويسيرُ هذا الضوءُ بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، سرعةُ الضوءِ المشهورةُ: إما مائة وستة وثمانين ألف ميل في الثانية، أو ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، فضَوْءَهُ يُرْسِلُهُ منذ خمسينَ ألفَ سنةٍ، وَوَصَلَ لِلتَّوِّ، يقول العلماء: وبعضُ النجوم لا نراها؛ لأن ضوءها لم يَصِلْ إلينا حتى الآنَ، منذ عشرات الآلاف من السنين، فسبحان الله!

وبعض العلماء يقول: إن هذه النجوم التي نراها الآنَ قد كانت في مكانها التي كانت عليه منذ آلاف السنين، أَمَّا الآن فيمكن ألا تكون في مكانها هذا الذي نراه، إما أَنَّهَا قد انْدَثَرَتْ، أو تَفَجَّرَتْ، أو تَحَوَّلَ مَسَارُهَا، أو أنها لم تَعُدْ موجودةً في الفضاء، تَحَوَّلَتْ إلى مادةٍ أخرى، والله أعلم بها.

وكل آية في القرآن وَرَدَ فيها البروجُ المقصودُ بها هذا، إلا في قوله تعالى:

---

(١) انظر: لسان العرب (٢/ ٢١١).

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٧٨] أي: حصونٍ وقصورٍ.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الْحِجْر: ٦٧] هِيَ: سَدُومُ أَكْبَرُ مَدَائِنِهِمْ، وَالْبَوَاقِي: صَعْدَةُ، وَعُمْرَةُ، وَدُومَا.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ﴾ [النَّحْل: ٧] قِيلَ: مَكَّةُ. الأصحُّ أنه على الإطلاق ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾. الإنسان الذي ليس عندَه دابةٌ يحمل عليها متاعَه وأغراضَه، فإنه سيحمل في الصحراء كل ما يحتاجه لِقَطْعِهَا، فإن حمل كثيرًا فلا يستطيع أن يجوزَ الصحراءَ لتعبه المتكرر، وإن حمل قليلًا لا يستطيع أن يجوز الصحراء لِقِلَّةِ زَادِهِ وَمَائِهِ، فهذه الدوابُّ تُيَسِّرُ. وإنما قال: مكة؛ لأنها أكثرُ البُلْدَان التي كان يَرْتَحِلُ إليها العربُ للتجارة وأداءِ الحجِّ والعمرة، وهناك الأسواق التي تجمع العربَ كَعُكاظ، وَمِجَنَّة، وَذِي الْمَجَازِ، وكانوا يتطارحونَ فيها الأشعارَ، ويذكرونَ فيها القصائدَ، ويفخرونَ فيها بالأنساب، ويفخرون فيها بالآباء وَهَلُمَّ جَرًّا. ولذلك قال بعضُ المفسرين: هي مكةُ؛ لأن العربَ أكثرَ ما يذهبونَ إلى مكةَ من بلدان جزيرة العرب.

﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النَّحْل: ١٦] هِيَ: الثُّرَيَّا، وَالْفَرْقَدَانِ، وَبَنَاتُ نَعْشٍ، وَالْجَدْيُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْجِنْسُ.

كل هذه النجوم على هيئة ما ذُكِرَ، موجودةٌ في السماء بطريقةٍ معينةٍ مُحْكَمَةٍ يعرفها أهلُ الفَلَكِ، ويعرفها العربُ والذين كانوا يسيرونَ في الصحراء، فيهتدون بهذه النجوم، ويعرفونَ طريقَهم، قبلَ أن تُوجَدَ وسائلُ الملاحةِ المعروفةُ، إنما كان يَعْرِفُ الْخِرِّيتُ الطريقَ بهذه النجوم، وفي النهار يهتدونَ بالشمس، أَمَّا في الليل فيهتدونَ بفضلِ الله تعالى بهذه النجوم العجيبة الوضع التي تَدُلُّهُمْ،

وَلِمُكْثِ هذا النجم مئاتِ السنين وآلافَ السنين، فإنه لا يُغَيِّرُ مكانَه إلا نادرًا، فيستدلونَ بهذه النجوم على طُرُقِهِمْ.

﴿وَكَلْبُهُم بَسِطٌ﴾ [الكَهْف: ١٨] اسْمُهُ: قِطْمِيرٌ.

﴿بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكَهْف: ١٩] هِيَ: طَرَطُوسُ بِفَتْحِ الرَّاءِ.

الوَرِقُ هي فضةٌ مَصْكُوكَةٌ؛ كان مصْكوك عليها اسم دِقْيَانُوسَ مَلِكِهِمْ، عندما خرجوا من الكهف بعد ثلاثمائة سنةٍ، وجدوا الناسَ وتعاملوا بتلك النقود، فتعجب الناس وسألوه: من أين أتيتَ بهذه النقود؟ وعرفوا أن هؤلاء الفتيةَ لهم شأنٌ غريبٌ. وطرطوس في شمال سوريا(١).

﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكَهْف: ٦٠] قِيلَ: بَحْرُ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَقِيلَ: بَحْرُ الْعَرَبِ وَبَحْرُ الزُّقَاقِ، وَقِيلَ: بَحْرُ الأُرْدُنِّ وَبَحْرُ الْقُلْزُمِ، وَقِيلَ: طَنْجَةُ وَأَفْرِيقِيَّةُ.

﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكَهْف: ٧٧] قِيلَ: أَنْطَاكِيَا، وَقِيلَ: أَيْلَةُ، وَقِيلَ: النَّاصِرَةُ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ. الناصرةُ مَهْدُ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، موجودةٌ إلى اليوم؛ لذلك سُمُّوا نصارى؛ لأنه وُلِدَ فيها، أو وُلِدَ حَوَالَيْهَا ﷺ، وأنطاكيا معروفةٌ إلى الآنَ في تركيا، وأيلةُ سبق ذكرها.

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٢٢] هُوَ وَادِي بَيْتِ لَحْمٍ.

﴿سَرِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٢٤] هُوَ نَهْرٌ. وقيل: هو الوجيهُ، يقال: فُلانٌ السَّرِيُّ، أَيِ: الْوَجِيهُ، ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قيل: بأنه عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو سَرِيٌّ لا شَكَّ، نبي من الأنبياء الكبار، وقيل بأن السري: هو النهر المعروف.

---

(١) انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٠).

﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩] هُوَ النِّيلُ.

﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١] الشَّامُ. الشامُ أرضٌ مباركةٌ مَدَحَهَا رسولُ الله ﷺ فقال: «فِي آخِرِ الزَّمَانِ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، وَقَدْ رَأَيْتُ مَلائِكَةَ الرَّحْمَنِ تَبْسُطُ أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ»[(١)]، وقد أخرج ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ جزءًا في فضائل الشام طَبَعَهُ المكتبُ الإسلاميُّ، تحقيق الأستاذ: زهير شاويش حفظه الله.

وبلاد الشام تُطْلَقُ على تلك الرقعةِ الكبيرةِ (فلسطينُ وسوريا ولبنانُ والأردنُّ) فهي أرضٌ مُبَارَكَةٌ مهدُ الأنبياء، بل أكثرُ الأنبياءِ في أرض الشام، وكأنه إذا قيل: الشام، فإنها يراد بها فلسطينَ أكثرَ؛ لِمَا فيها من كَثْرَةٍ كَاثِرَةٍ من الأنبياء، وهناك آثارٌ على أن المقصود بالشام: هي رَبْوَةٌ دمشقَ المشهورةُ، وقيل غيرُ ذلك.

﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤] سَدُومُ.

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] قِيلَ: أَرْضٌ، وَقِيلَ: أَرْضُ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: الأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] قِيلَ: دِمَشْقُ وَغُوطَتُهَا، وَقِيلَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: الرَّمْلَةُ، وَقِيلَ: مِصْرُ، وَقِيلَ: النَّاصِرَةُ.

الذي أعرفه هو الأولُ دمشقُ، والغوطةُ في دمشق كانت من عجائبِ الدنيا، وَشِعب بوان، وبستانانِ آخرانِ، بستانٌ كبيرٌ ضخمٌ يُسَمَّى: شِعْب بوان في فارس، فيها عجائب الدنيا من الأشجار والبساتين، كانت عشرات الكيلو مترات، والآنَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٥٤)، وابن حبان (٧٣٠٤) وغيرهم؛ زيد بن ثابتٍ يقول: قال رسول الله ﷺ يومًا ونحن عنده: «طوبى للشام»... فذكره.

قُلِّصَتْ حتى أصبحت أقلَّ من عشرة كيلو مترات بالطول، وطولُها كان يبلغ ٣٥ كيلو أو أكثر، لكنها الآنَ قُلِّصَتْ مع العمران(١).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفُرْقَان: ٥٣] قِيلَ: هُوَ بَحْرٌ مَعْرُوفٌ يَلْتَقِي فِيهِ الْمَاءُ الْمِلْحُ وَالْعَذْبُ.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٨] هُوَ الْفَيُّومُ، وَقِيلَ: أَرْضُ مِصْرَ.

الفيومُ مدينةٌ موجودةٌ في الجنوب الغربي من القاهرة، وكانت مشهورة في الماضي، زَارَهَا هارونُ الرشيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكانت مشهورةً بِهَوَائِهَا ومزارعها، أما الآنَ فهي أقلُّ بكثيرٍ من كثيرٍ من مُدُنِ مصرَ(٢).

﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ [النَّمْل: ١٨] هُوَ بِالشَّامِ، وَقِيلَ: بِالطَّائِفِ، وَقِيلَ: بِالْيَمَنِ.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [النَّمْل: ١٨] قِيلَ: اسْمُهَا: حَرَمْيَا، وَقِيلَ: طَاخِيَةُ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ ذَلِكَ وَالنَّمْلُ لا يُسَمِّي بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلا يُمْكِنُ لِلآدَمِيِّينَ تَسْمِيَةُ وَاحِدَةٍ مِنْهُ بِعَيْنِهَا؛ إِذْ لَيْسَ مِمَّا يَدْخُلُ تَحْتَ مُلْكِهِمْ كَالْخَيْلِ وَالْكِلابِ.

قوله: النملُ لا يُسَمِّي بعضُه بعضًا. نقول: لعل النمل يسمي بعضه بعضًا، فليس هناك غرابة، فالنمل الذي يتكلم ويتخاطب ليس هناك مانعٌ بأن يُسَمِّي بعضُه بعضًا، وقوله: **ولا يمكن للآدميين تسميةُ واحدةٍ منها بعينها؛ إِذْ ليس مما يدخل تحت ملكهم كالخيل والكلاب**، نفرض أننا أَدْخَلْنَاهَا تحتَ ملكنا، أَحَطْنَاهَا بشيء، فلا يمكن تسميتُها أيضًا؛ لأنها ليست مما يُمَيَّزُ ويُعرف بسهولة.

وَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَلَعَلَّهَا سُمِّيَتْ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللهِ وَعَرَفَهَا الأَنْبِيَاءُ أَوْ بَعْضُهُمْ

---

(١) انظر: معجم البلدان (٤/ ٢١٩).

(٢) انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٨٦).

قَبْلَ سُلَيْمَانَ، وَخَصَّهَا بِالتَّسْمِيَةِ لِصُدُورِ هَذِهِ الْحِكَمِ الْعَجِيبَةِ مِنْهَا.

لكن الأمر كما ذكرت سابقا: القرآنُ لا يهتم باسم النملة، وباسم الطائر، إنما يهتم بالعبرة من القصة.

قُلْتُ: اسْتِشْكَالُ السُّهَيْلِيِّ لا مَعْنَى لَهُ، فَقَدْ قَالَ الْفِرْيَابِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] **قَالَ: أَصْنَافًا مُصَنَّفَةً تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ أَسْمَاءَ الأَجْنَاسِ.**

أي: إذا اجْتَمَعَ النملُ فهو نَمْلٌ، وإذا اجتمع النحلُ فهو نَحْلٌ، وإذا اجتمع كذا فهو كذا، فهذا اسمُ الجنسِ، لا يُراد واحدٌ بمفرده من النمل.

قوله: **استشكالُ السُّهَيْلِيِّ لا معنَى له**؛ لأن مجاهدًا يقول: هي أصنافٌ مصنفةٌ تُعرف بأسمائها، وإنما يكون لاستشكالِ السهيليِّ معنًى إذا كان مرادُ مجاهدٍ أسماءَ الأجناس، يعني: اسمُ الجنس نَمْلٌ، ليس هناك أسماءٌ تحت هذا الاسم، وليس النملُ يُعرف بأسماء خاصة فيما نَعْلَمُ نحن، وقد يكون لهم أسماء يُعرفون بها، وما يمنع ذلك؟!

﴿لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النَّمْل: ٢٠] **قِيلَ: اسْمُهُ يَعْفُورُ، وَقَالَ الْحَسَنُ: اسْمُهُ عَنْبَرٌ.**

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ [النَّمْل: ٢٢] **الْمُرَادُ هُنَا: الْمَدِينَةُ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ صَنْعَاءَ.**

وإنما قال: المراد هنا المدينة ولم يكن المراد ملكة سبأ؛ لأنها مصروفة؛ لأنه لو كان يُراد به القبيلةُ المعروفةُ، أو يراد به الملكة لقال: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأَ) بمنع الصرف، للعَلَمِيَّة أو التأنيث: التأنيثَ المجازيَّ أو الحقيقيَّ، الحقيقي على أنه اسم الملكة، أو المجازيّ على أنه اسمُ القبيلةِ، لكن المرادَ هنا المكانُ؛ لذا صُرِفَ.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ [الْقَصَص: ١٥] هِيَ مَنْفُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. منفُ منها أطلال باقية إلى اليوم في مصر، اكتشفها بعضُ الآثاريين الفرنسيين الذين كانوا يأتونَ إلى مصر في الثلاثينات والعشرينات من هذا القرن الميلادي(١).

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الْقَصَص: ٨٥] هِيَ مَكَّةُ. لذلك قيل: إن من الْمُجَرَّبَاتِ أن هذه الآيةَ -﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾- إذا قالها الإنسانُ وهو خارجٌ من بلده فإنه -إن شاء الله- يرجع إليها مرةً أخرى، بعضُ العلماء يقول: ذلك من الْمُجَرَّبَاتِ، والله أعلم بذلك، ونزلت على رسول الله ﷺ منصرفه من مكة وقت الهجرة(٢).

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرُّوم: ٢-٣] هِيَ: أَذرِعَاتٌ.

كأنها درعا الآنَ المشهورةُ والموجودةُ في جنوب سوريا(٣).

وَبُصْرَى، وَهِيَ أَدْنَى أَرْضِ الشَّامِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَقِيلَ: أَرْضُ الأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ، وَقِيلَ: الْجَزِيرَةُ؛ لأَنَّهَا أَدْنَى أَرْضِ الرُّومِ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ.

الشيخُ الزَّنْدَانِيّ حفظه الله يقول: أَثْبَتَ العلماءُ الذين يهتمونَ بظواهرِ الأرضِ وعلماءُ الجيولوجيا -علم طبقات الأرض- أن أَدْنَى بقعةٍ في الأرض هي البقعةُ التي فيها بيتُ المقدس مكان إسراء رسول الله ﷺ، وهي المكان الذي دَارَتْ فيه الواقعةُ بينَ الرومِ وفارسَ، قالوا: إن أَدْنَى أو أخفض الأرضِ جميعًا هو في ذلك المكان في فلسطين. وتَكَلَّمَ عنها في محاضرة منذ أَمَدٍ بعيدٍ،

---

(١) انظر: معجم البلدان (٥/ ٢١٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: معجم البلدان (١/ ١٣٠).

وقال: إنهم أَثْبَتُوا هذا عِلْمِيًّا.

﴿دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ١٤] هِيَ الأَرَضَةُ. وَالأَرْضُ: مَصْدَرُ أَرَضَتِ الْخَشَبَةُ لا الأَرْضُ الْمَعْرُوفَةُ.

أَرَضَتِ الدابةُ أرضًا: أي: أَكَلَتْهَا أكلًا، فدابةُ الأرضِ: ليست الأرضَ المعروفةَ، إنما الدابة التي تقوم بِفِعْلِ الأَرْضِ، وَفِعْلُ الأرضِ هو: أَكْلُ الخشبِ ونشارتِه والورقِ، وكلّ هذه المنتجات واسمُها سِيلِيلُوزْ، وهذه حشرة تأكلُه(١).

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [يس: ١٣] هِيَ: أَنْطَاكِيَا.

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٧] هُوَ الْكَبْشُ الَّذِي قَرَّبَهُ هَابِيلُ.

قيل: الكبشُ الذي قَرَّبَهُ هابيلُ وَتَقَبَّلَهُ اللهُ، هو الكبشُ نفسُه الذي أُنْزِلَ من الجنةِ لفداءِ إسماعيلَ، كما يقولون؛ لأنه كان من عاداتهم إذا تُقُبِّلَتْ قَرَابِينُهُمْ أن تأتيَ نارٌ من السماء فتحرقها، فكأنه ذلك الكبش الذي تُقُبِّلَ من هابيلَ ولم يُتَقَبَّلْ من قابيلَ. وَوَرَدَ في الآثار أن هذا الكبشَ سيكونُ في الجنة، وَيُسْتَثْنَى من سائر الحيوانات، والله أعلم.

﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ [الصَّافَّات: ١٤٥] هُوَ سَاحِلُ قَرْيَةٍ مِنَ الْمُوصِلِ.

وهذه القريةُ يقال: إنها قريبة من نِينَوَى، وهي قريةُ يونس بْنِ مَتَّى عليه الصلاة والسلام، فجاء الحوتُ وَنَبَذَهُ، يقول الألوسيُّ في «روح المعاني»(٢) بأنها دجلة، وقال: قد رأيتُ بها حيتانًا ضخمة جِدًّا، يقول: التقمه في دجلةَ وأعاده إلى قريةٍ قريبةٍ من دجلةَ، واللهُ أعلمُ بالذي حَدَثَ.

---

(١) انظر: تاج العروس (١٨/ ٢٢٧).

(٢) روح المعاني (١٢/ ١٣٩).

﴿رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزُّخْرُف: ٣١]: مَكَّةَ وَالطَّائِف. الرجلُ هو: عروةُ بنُ مسعودٍ الذي أَسْلَمَ بعدَ ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والآخر هو الوليد بن المغيرة في مكة، وقد مات كافرًا.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزُّخْرُف: ٥١] هِيَ أَرْبَعَةٌ: نَهْرُ الْمَلِكِ، وَنَهْرُ طُولُونَ، وَنَهْرُ دِمْيَاطَ، وَنَهْرُ تِنِّيسَ. كأنه يريد فروعَ النيل التي تَمُرُّ بهذه الأماكن.

﴿يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] هُوَ صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَقْرَبُ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ. المنادي هو إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْفُخُ في الصور، لكن المكان القريب أين هو؟ الله أعلم.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ [الطُّور: ٤] اسْمُهُ: الضَّرَاحُ، فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَقِيلَ: فِي جَهَنَّمَ. قيل في بعض الآثار: إنه فوقَ الكعبةِ، كلَّ يومٍ يدخله سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يرجعون إلى يوم القيامة[1]، والله أعلم بمكانه، لَكِنَّ كلمةَ المعمورِ يُسْتَبْعَدُ أن يكون في جهنم، والله أعلم.

﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ [النَّجْم: ١] هُوَ: الثُّرَيَّا.

نَجْمٌ ضخمٌ في السماء كان العربُ يعتمدونَ عليه في الْمِلاحَةِ.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الْحَشْر: ٧] هِيَ: فَدَكُ، وَبَدْرٌ وَالصَّفْرَاءُ، وَنَحْوَهَا. فَدَكُ قرية قريبة من خيبر أُخِذَتْ صُلْحًا لَمَّا سَمِعَ أهلُها بفتحِ خيبرَ أَرْسَلُوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُصَالِحَهُمْ على نصفِ ثِمَارِهَا وَخَرَاجِهَا، ففعل رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت مما أَفَاءَ اللهُ على المسلمين بدونِ قتالٍ، وهي التي

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) في حديث طويل وفيه: فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يومٍ سبعون ألف ملكٍ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...».

اخْتَلَفَ في شأنِها بعضُ الصحابة بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ، هل يُوَرِّثُونَهَا إلى أهله أم لا؟ والقصةُ معروفةٌ[(١)]، وبدرٌ أيضًا معروفةٌ. والصفراءُ: وادٍ بينَه وبينَ المدينة يومان أو ثلاثة أيام، وقيل: هو من جهة يَنْبُعَ، أي: هو بين المدينة وينبع، وهو الآن واد كثير النخل والزرع.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ [الْحَشْر: ٩] هِيَ: الْمَدِينَةُ. الأنصار رضي الله عنهم.

﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٥١] هو الأَسَدُ، رَوَاهُ الْبَزَّارُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. يقول الهيثميُّ رحمه الله: رجالُ هذا الأثر عن أبي هريرة ثقاتٌ[(٢)].

﴿بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التَّكْوِير: ١٥-١٦] هِيَ: زُحَلُ، وَالْمُشْتَرَى، وَالْمِرِّيخُ، وَالزَّهْرَةُ، وَعطَارِدُ.

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطَّارِق: ٣] قِيلَ: زُحَلُ، وَقِيلَ: الثُّرَيَّا.

﴿جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الْفَجْر: ٩] وَادِي الْحِجْرِ، وَقِيلَ: وَادِي الْقُرَى.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [الْبَلَد: ١] هُوَ مَكَّةُ، وَكَذَا: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التِّين: ٣].

(الْفِيلُ) مَحْمُودٌ.

(الْغَاسِقُ) الْقَمَرُ كَمَا فِي الْحَدِيث.

وقد ورد في الحديث أن النبيَّ ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «**اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا -وَأَشَارَ إِلَى الْقَمَرِ- فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»[(٣)]، بعضُ علماءِ الطبِّ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٩٣) ومسلم (١٧٥٩).

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار (١٥/ ١٠): عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٢): ورجاله ثقاتٌ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٦٦) والنسائي في الكبرى (١٠٠٦٤-١٠٠٦٥) والطيالسي في مسنده (٣/ ٩٠) وأحمد في المسند (٢٥٨٠٢) وغيرهم، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها.

والطبيعة الآنَ قد أثبتَ عِلْمِيًّا -فيما يقول- أن القمرَ في حال اكتمالِه في اليوم الثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ والخامسَ عشرَ له تأثيرٌ على دَمِ الإنسانِ، وهذا التأثيرُ إنما يزولُ بصيامِ تلك الأيام، الأيام البيض، ولا يُستبعد ذلك؛ إِذْ للقمرِ تأثيرٌ عظيمٌ بإذن الله على البحر في الْمَدِّ وَالْجَزْرِ، فيقولون: له تأثيرٌ على دَمِ الإنسانِ يُشَابِهُ تأثيرَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ في الأيام الثلاثة في منتصفِ الشهرِ عندَما يكون مُكْتَمِلًا، يقول: فكان من حكمةِ أَمْرِ رسولِ الله ﷺ بالصيام في الأيام البيضِ هي هذه.

والحديث عند الترمذيِّ، ويقول فيه: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ(١).

الْفَصْلُ الرَّابِعُ: فِي الْمُبْهَمِ مِنْ أَسْمَاءِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَسَائِرِ الأَزْمِنَةِ.

﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة: ٤] هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَكَذَا سَائِرُ الأَيَّامِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مَا نَذْكُرُهُ.

كلُّ يومٍ يقال له: يومُ الدينِ يُقصد به يومُ القيامةِ، إلا ما نَذْكُرُهُ، يعني: استثناءً.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأَعْرَاف: ١٤٢] هِيَ ذُو الْقِعْدَةِ، مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَهِيَ الَّتِي فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ. كأنه يقول: هي ذو القعدة، وأتممناها بعشر: أي من ذي الحجة، هذا معنى ذِي القعدة من ذي الحجة.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤] زَعَمُوهَا سَبْعَةً، وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ. أي: اليهود.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧] فِي شَوَّالٍ، وَذِي الْقِعْدَةِ، وَعَشْرٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ(٢). قال الحاكمُ: صحيحٌ على شرط

---

(١) جامع الترمذي (٣٣٦٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٠٣) والطبراني في الأوسط (٧/ ١٢٦) وسعيد بن منصور في التفسير (٣/ ٧٨٤) والدارقطني في السنن (٢٤٥٥) وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الشيخين، وَسَكَتَ عنه الذهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، لم يُعَلِّقْ عليه بشيء، ونحن لا نحتاج إلى أَثَرِ الحاكمِ؛ لأن هذا الأمرَ -أن أَشْهَرَ الحجِّ في شوال، وذي القعدة، وعشر من ذي الحجة- مشهورٌ.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤] هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الثَّلاثَةُ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧] هُوَ رَجَبُ.

﴿تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٥٥] هُوَ يَوْمُ أُحُدٍ.

﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الْمَائِدَة: ٢] الْمُرَادُ بِهِ: ذُو الْقِعْدَةِ.

﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ [الْمَائِدَة: ١٩] هِيَ مُدَّةُ مَا بَيْنَ عِيسَى وَالنَّبِيِّ ﷺ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ، وَقِيلَ: خَمْسُمِائَةٍ وَسِتُّونَ. لأن النبيَّ ﷺ وُلِدَ في عام الفيل سنةَ إحدى وسبعينَ وخمسمائة، وَبُعِثَ على رأس الأربعين ﷺ، فيكون بينَه وبينَ عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قُرَابَةُ ستمائة سنة.

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأَنْفَال: ٤١] هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ.

سُمِّيَ: الفرقانَ؛ لأن الله فَرَّقَ به بينَ الحقِّ والباطل.

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التَّوْبَة: ٢] هِيَ مِنْ عَاشِرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ إِلَى عَاشِرِ رَبِيعِ الآخِرِ سَنَةَ عَشْرٍ، وَقِيلَ: مِنْ عَاشِرِ ذِي الْقِعْدَةِ.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التَّوْبَة: ٢٥] كَانَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التَّوْبَة: ٢٨] هُوَ سَنَةُ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

هو مرتبطٌ بالبراءة من المشركين في سورة التوبة.

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التَّوْبَة: ٣٦] هِيَ: رَجَبٌ، وَالْمُحَرَّمُ، وَذُو الْقِعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ.

﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٤٢] قِيلَ: سَبْعٌ، وَكَذَلِكَ فِي الرُّومِ.

أي: قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ سَيَغْلِبُ الرومُ الفُرْسَ في بضع سنين قَادِمَاتٍ، سَتَتَحَوَّلُ الهزيمةُ إلى نَصْرٍ مرةً أخرى[١]، وَحَدَثَ هذا. والبضعُ من ثلاثة إلى تسعة، فَحَصَلَ في السنةِ السابعةِ كما يُقال، والله أعلم.

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩] قِيلَ: يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَقِيلَ: يَوْمُ عِيدٍ لَهُمْ قَبْلَ النَّيْرُوزِ وَوَافَقَ يَوْمَ السَّبْتِ. يوم النَّيْرُوزُ ما زال الفُرْسُ يحتفلون به.

﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الْحَجّ: ٢٨] هِيَ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، ونعلم ما فيه من فضائلَ، وَقِيلَ: أَيَّامُ النَّحْرِ، وَقِيلَ: يَوْمُ عَرَفَةَ وَالنَّحْرِ وَالتَّشْرِيقِ.

يوم التشريق يُقصد به ثلاثةُ أيام، على الجنس.

﴿يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٨٩] يَوْمَ أَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ أَظَلَّهُمْ سَحَابٌ فَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نارًا.

الله تبارك وتعالى جَعَلَ ذلك اليومَ يومًا شديدَ الحرارةِ، فَرَأَوْا سحابًا فاجتمعوا تحتَ السحابة؛ لِيَتَّقُوا حَرَّ الشمسِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى عليهم العذابَ[٢].

---

(١) الحديث في ذلك سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩/ ٢٨١٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٠): عن بريرٍ الباهلي، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن هلاكِ قوم شعيبٍ وقول الله لهم: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، قال عبد الله بن عباسٍ: «بعث الله عليهم حرًا شديدًا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرابًا إلى البرية، فبعث الله سحابةً فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردًا ولذةً فنادى بعضهم بعضًا حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم نارًا». قال عبد الله بن عباسٍ: «فذاك عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يومٍ عظيمٍ».

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القَصَص: ١٥] قِيلَ: وَقْتَ الْقَائِلَةِ. القيلولة، وهي النومُ في وسط النهار. وَقِيلَ: بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. هذه قصةُ موسى عليه الصلاة والسلام المشهورةُ عندما دخل المدينة على حين غفلة من أهلها.

﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت: ٩] يَوْمَ الأَحَدِ وَالاثْنَيْنِ.

﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٠] أَيْ: تَمَامِهَا بِالثُّلَاثَاءِ وَالأَرْبعَاءِ.

خلق الله تبارك وتعالى الأرضَ في يومين، لكن تقديرَ الأقواتِ وإرساءَ النِّعَمِ فيها كان في يومينِ آخَرَيْنِ، فصارت أربعةَ أيام.

﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٢] هُمَا: الْخَمِيسُ وَالْجُمُعَةُ. لذلك يقول اليهود: إن الله -تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا- استراح يومَ السبتِ؛ لذلك يستريحونَ يومَ السبتِ، ولا يَعْمَلُونَ فيه أيَّ عملٍ مَهْمَا كان ذلك العملُ، فَمِنْ هذا أخذوه. والله تبارك وتعالى لا ينبغي له التعبُ ليستريح، ولا يصحُّ أن يُوصف اللهُ تبارك وتعالى بهذا، لكن اليهودَ قومٌ يَجْنَحُونَ إلى التجسيمِ القويِّ، فالتجسيمُ ظاهرٌ في عقائدهم، وقد رَدَّ اللهُ تبارك وتعالى عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] من لغوب، (من) التبعيضيةُ، ولو شيئًا قليلًا مِنْ تَعَبٍ، سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدُّخَان: ٣] هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَقِيلَ: لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

ليلة النصف من شعبان فيها آثارٌ يَرْقَى مجموعُها إلى درجة الحَسَن، وشيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إن هذه الليلةَ وَرَدَتْ فيها آثارٌ صحيحةٌ -يقصد

بمجموعِها- لكن لم يَرِدْ شيءٌ في فضلِ قيامِها وصيام نَهارها. لكن لو صَامَ أحدٌ نهارَها وقام ليلَها معتمِدًا على هذه الآثار النبوية على أنها ليلةٌ مباركةٌ فلا شيءَ في ذلك. ومن أراد التوسعَ فَلْيَرْجِعْ إلى ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «لطائفُ المعارفِ فيما وَرَدَ في مواسمِ العامِ من وظائفَ» فقد تكلم في هذه المسألة وَأَوْرَدَ الآثارَ الواردةَ في ليلة النصف من شعبان. وأَلَّفَ أحدُ الْمُحْدَثِينَ كِتَابًا في فضل شعبان عمومًا، وأوردَ فيه الكلامَ على ليلة النصف منه، والله تعالى أعلم. ولكن الليلةَ المباركةَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ هي ليلةُ القَدْرِ ولا شك، فهي أفضلُ ليلةٍ في السنة كلِّها، وهذا الترجيحُ واضحٌ بالأحاديث والآثار، وقد قَدَّمْتُ الحديثَ فيه في مبحثِ إنزالِ القرآنِ من أول الكتاب.

﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [القَمَر: ١٩] هُوَ يَوْمُ الأَرْبِعَاءِ. وَنَحْسُهُ عَلَيْهِمْ لا فِي ذَاتِهِ. النحسُ الذي فيه كان بسببِ عذابِهم في ذلك اليوم، لا في ذات اليوم وأن يوم الأربعاء يومُ نحسٍ كما يعتقد بعضُ الناس، فالأيام ليس فيها يوم نحس، إنما الأيام كلُّها أيامُ اللهِ تبارك وتعالى، فلا يُتشاءم بالأيام كما كان يَفعل أهلُ الجاهلية.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الْحَاقَّة: ٧] قِيلَ: هِيَ أَيَّامُ الأَعْجَازِ فِي عَجُزِ الشِّتَاءِ، وَأَوَّلُهَا: الأَرْبِعَاءُ، وَقِيلَ: الْجُمُعَةُ. في آخِرِ الشتاءِ تكون هناك أيامٌ ولها أسماءٌ: صِنٌّ، وَصِنَبْرٌ... سبعةُ أسماء، وقيل: ثمانيةُ أيامٍ، وهذه الأيام يُقَالُ لها: أيامُ الأعجاز، وَمَنْ أرادَ أن يتوسع في معرفتِها فَلْيَرْجِعْ إلى: «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَعَجُزُ الشيءِ: آخِرُهُ(١).

﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفَجر: ١] هُوَ الصُّبْحُ مُطْلَقًا، وَقِيلَ: صُبْحُ يَوْمِ النَّحْرِ، وَقِيلَ: هُوَ الْمُحَرَّمُ؛ لأَنَّهُ فَجْرُ السَّنَةِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الأقرب أنه الصبح مطلقًا.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفَجر: ٢] هِيَ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَقِيلَ: عَشْرُ الْمُحَرَّمِ، وَقِيلَ: الْعَشْرُ الأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ. هناك خلاف بينَ عشرِ ذي الحجة، وعشرِ رمضانَ الأخيرةِ، لكن الراجحَ عندَ المفسرينَ أنها عشرُ ذي الحجةِ، وهي ليالٍ عشرٌ مباركاتٌ كثيرةُ البركةِ، فيها -كما أخبر رسولُ الله ﷺ- أعمال مباركة مَنْ عَمِلَهَا يُتقبل منه ويُضاعف له الأجر، فهي ليالٍ عشرٌ من أول ذي الحجة.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفَجر: ٣] قِيلَ: الْيَوْمَانِ بَعْدَ النَّحْرِ، وَالثَّالِثُ (الشفعُ اليومانِ، والوترُ الثالثُ)، وَقِيلَ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالنَّحْرِ، وَلَيْلَةُ الْجُمعَةِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. أقوالٌ كثيرةٌ مَنْ أَرَادَ أن يرجعَ إليها فليرجع إلى التفسير.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفَجر: ٤] هِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ. أقسم اللهُ تعالى بالليل إذا يَسْرِ؛ أي: إذا يسري، أما أن تكون ليلةَ الجمعةِ فلعل السيوطي رَحِمَهُ اللهُ له مستندٌ في هذا.

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضُّحَى: ١] قِيلَ: هُوَ الضُّحَى الَّذِي كَلَّمَ اللهُ فِيهِ مُوسَى.

إما أن يكون ضُحَى اليومِ الذي كان قبلَ الليلة، أو يكون ضحى اليوم الذي بعدَ الليلةِ، أما أن يكون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَّمَهُ اللهُ ضُحًى -أي: في وقت الضحى- فهذا ما لا أعرفه، فبمراجعة كتب التفسير أورد الطبريُّ رَحِمَهُ اللهُ وغيرُه آثارًا تدلُّ على أنه رآه ليلًا، فلعل السيوطيَّ رَحِمَهُ اللهُ وقع على ما لَمْ أَرَهُ، والله أعلم؛ لأن الأثرَ نفسَه

---

(١) تاج العروس (١٢/ ٣٥٦).

مُتَّصِلٌ، حتى إن الشوكانيَّ رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ هذه المسألةَ، والقرطبي ذَكَرَهَا أيضًا، وأُثِرَ عن السلف -قتادةَ ومقاتلِ بنِ سليمانَ وغيرهما- أنهم فَسَّرُوا الضحى بأنه الذي كَلَّمَ اللهُ فيه موسى.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضُّحى: ٢] قِيلَ: هِيَ لَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ. ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: ليلةُ الإسراءِ، والله أعلم.

﴿لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [الْقَدْر: ٢] فِيهَا نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ قولًا لا يَحْتَمِلُهَا هَذَا الْمَحَلُّ، وَأَرْجَحُهَا فِي مَذْهَبِنَا أَنَّهَا مُخْتَصَّةٌ بِالْعَشْرِ الأَخِيرِ، وَأَنَّهَا لَيْلَةُ الْحَادِي أَوِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ، وَعِنْدِي أَنَّهَا لا تَلْتَزِمُ لَيْلَةً بِعَيْنِهَا، وَقَدْ قَالَهُ جَمَاعَةٌ وَنُقِلَ عَنْ نَصِّ الشَّافِعِيِّ، وَاخْتَارَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

يقول أُبَيٌّ: (لو أردتُ أن أُقْسِمَ أنها ليلةُ السابع والعشرين لفعلتُ)، وهذا أثرٌ صحيحٌ عنه[1]، والأرجحُ عند كثيرٍ من العلماء أنها في ليلة السابع والعشرين. وعندَ الشافعيةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ: أنها لا تختصُّ بيومٍ مُعَيَّنٍ، بل إنها تدورُ في العشرِ الأواخرِ، وذكر ذلك الإمامُ النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ في (المجموع) ونَقَلَهُ عن عددٍ من أئمة الشافعية، بل قال بعضُهم: إنها تدور في رمضان كله، لكن الآثار الواردة فيها أنها في العشر الأواخر كما قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ أنها: ليلة الحادي أو الثالث والعشرين. وهناك آثارٌ أنها ليلةُ الخامسِ والعشرين، وهناك آثار بأنها ليلة السابع والعشرين، فالمسألةُ فيها كلامٌ طويلٌ كما ذَكَرَ الإمامُ السيوطيُّ رَحِمَهُ اللهُ، والأقربُ -والله أعلم- أنها في العشرِ الأواخرِ، والأقربُ عند كثيرٍ من العلماء أنها ليلة السابع والعشرين، يعني: أنها تلتزم ليلةً مُعَيَّنَةً، ليس كما ذَكَرَ السيوطيُّ، والله أعلم.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٧٦٢).

النوع الحادي والمائة
أسماء من نزل فيهم القرآن

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَقَدْ وَقَفْتُ فِيهِ عَلَى تَصْنِيفٍ لِبَعْضِ الْقُدَمَاءِ، وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: (مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا قَدْ نَزَلَتْ فِيهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ)، وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى سَرْدِهِمْ هُنَا مُرَتَّبِينَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ تَكْرَارٌ كَثِيرٌ؛ لأَنَّ غَالِبَ مَنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ذُكِرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ خُصُوصًا فِي الْمُبْهَمَاتِ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَذْكُرَ هُنَا بَعْضَ مَنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ ذِكْرٌ.

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: نَزَلَ فِيهِ آيَاتٌ مِنْهَا: آخِرُ سُورَةِ اللَّيْلِ.

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: نَزَلَ فِيهِ آيَاتٌ مِنْهَا: مُوَافَقَاتُهُ الْمَشْهُورَةُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]. وافق ربَّه في ثلاث، أو في أربع: (آية الحجاب، ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التَّحْرِيم: ٥] كأن عمرَ قالَها بنفسه لأزواج النبي ﷺ، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، والإثخان، وتحريم الخمر)(١).

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأَنْبِيَاء: ١٠١]. كما قال المحقق في الهامش: لم تُذْكَرْ، لكن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (فضائل الصحابة) ذَكَرَ أن هذه الآية نَزَلَتْ في عثمانَ وغيره.

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المَائِدَة: ٥٥]... الآيَة(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢١٨) والحاكم في علوم الحديث (١٠٢): عن أبيه، زيد بن الحسن، عن جده قال: سمعت عمار بن ياسرٍ، يقول: وقف على علي بن أبي طالبٍ سائلٌ... الحديث. وانظر: =

القصةُ معروفةٌ أن عَلِيًّا رَضِوَاللَّهُعَنْهُ كان في الركوع فجاء سائلٌ يسأل فَنَزَعَ خاتَمه وأعطاه إياه، وهذا الأثر يقول الهيثمي رَحِمَهُٱللَّهُ: أخرجه الطبراني في «الأوسط» وفيه مَنْ لم أعرفهم(١)، أي: فيه بعضُ المجاهيلِ في السند، لكنه يقول: إن هذه الرواية لها شواهدُ عند ابن جرير، وعندَ أبي حاتمٍ أيضًا. لكن شيخ الإسلام يذهب إلى أن الْحَدِيثَ مَوْضُوع بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ(٢).

أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ [آل عِمْرَانَ: ١١٠] كَذَا قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ. أي: الكتابُ الذي قال فيه أَوَّلًا: رأيتُ فيه تصنيفًا لبعض القدماء، ولم أرتضِ ضبطَه للمسائل، لم يذكر اسمَه، وهذا أدبٌ من السيوطي رَحِمَهُٱللَّهُ، حتى ينتقده كما شاء؛ لأنه لم يَرِدْ في كتب التفسير المعتمدَة أن أُبَيَّ بنَ كعبٍ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ نَزَلَتْ فيه هذه الآيةُ، أو شُمِلَ بهذه الآية، نَعَمْ هو كان من الصحابة الذين هم خيرُ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ، أما أن ينزل فيه هذا النصُّ لذاته، فلم يَرِدْ.

أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ...﴾ [النِّسَاء: ٩٤]. القصةُ مشهورةٌ: وهي قصة الرجل الذي قَتَلَه أسامة بعدَ أن قال: لا إله إلا الله، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، حتى قال أسامةُ: تَمَنَّيْتُ أَنِّي لم أُسْلِمْ إلا يومَئذ. من شدةِ عتابِ النبيِّ ﷺ له، وهو حِبُّهُ وَابْنُ حِبِّهِ رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا(٣).

= الضعيفة، للعلامة الألباني (٤٩٢١).

(١) مجمع الزوائد (٧/ ١٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام (١٣/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٢٦ و١٢/ ٣٧٨-٣٧٩)، وأحمد =

أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ: مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ١٤٣]... وَكَذَا أَبُو أُمَامَةَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ. أسعدُ بنُ زُرَارَةَ رضي الله عنه خَزْرَجِيٌّ شَهِدَ العقبتينِ وَتُوُفِّيَ في السنة الأولى من الهجرة.

الأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ الثَّقَفِيُّ الْكَافِرُ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٠٤].

الأخنس بن شريق؛ جاء إلى النبي ﷺ وأَظْهَرَ الإسلامَ فَأَعْجَبَ ذلك النبيَّ ﷺ، وكان الأخنس رجلًا مُفَوَّهًا، وكان من أشدِّ أعدائِه عليه لعنةُ الله، وتوفي كافرًا، ثم لَمَّا رجع إلى مكة لَقِيَ زَرْعًا للمؤمنين فَأَحْرَقَهُ، ولقي حُمُرًا فَعَقَرَهَا، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٠٤-٢٠٥][1].

إِرْبِدُ بْنُ قَيْسٍ الْجُعْفِيُّ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ...﴾ [الرَّعْد: ١٣] الآيَةَ.

الذي جاء مع عامرِ بنِ طُفَيْلٍ إلى المدينة، فقال عامر لإربد: أنا أشغله عنكَ (أي: رسول الله ﷺ) حتى تضربه بالسيف من ورائه، فلما أراد إربدُ أن يضربَ رسولَ الله ﷺ تَمَثَّلَ له شيءٌ عظيمٌ بينَه وبينَ رسول الله ﷺ، أو أنه قد جَمُدَتْ يدُه على السيف فلم يَسْتَطِعْ أن يَمُدَّهَا، فَكَلَّمَهُ عامرُ بن طُفَيْلٍ وأطال الكلامَ معه

=

(٢٢٤٩٠)، والنسائي في الكبرى (٨٥٩٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٤٢)، وأبو يعلى (٦٨٢٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٠٨-٢٠٩)، وابن حبان (٥٩٧٢)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٨٠)، والحاكم (١/ ١٨-١٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١١٦). إسناده صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٣/ ٥٧٢) وابن أبي حاتم (٢/ ٣٦٤): عن السدي به.

حتى يفعل إربدُ ما يريد أن يفعلَ، فلم يستطع أن يفعل شيئًا، فقال له عامرٌ: أَتَجْعَلُ لي الأمرَ بعدَك؟ قال رسول الله ﷺ: «**ذَلِكَ لَيْسَ لَكَ وَلا لِقَوْمِكَ**»، فَخَرَجَا من عندِه، فقال له: ما مَنَعَكَ أن تفعلَ، فذكر له المانعَ، فأنزل الله صاعقةً على إربدَ هذا في الطريق فماتَ، وماتَ عامرُ بنُ طُفَيْلٍ بعدَه في بيت امرأة سلولية؛ لذلك قال المثل المشهور: (أَغُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ وَفِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ)، وكانت هذه السلوليةُ منبوذةً.

يعني: هذه موتةٌ مَهِينَةٌ، فإن الله تعالى أهانه لِمَا أراد أن يصنع برسول الله ﷺ[1].

بَشِيرُ بْنُ النُّعْمَانِ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً﴾ [البَقَرَة: ٢٢٤].

كان بشير بن سعد بن النعمان قد تزوج أختَ عبدالله بن رواحةَ فَطَلَّقَهَا، فحلف عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ ألا يُكَلِّمَهُ وَأَلَّا يَرُدَّ عليه أختَه، فنزل قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ في إرجاعِ أختِ عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ إلى زوجِها بشيرِ بنِ سعدِ بنِ النعمانِ رضي الله عنهم جميعًا، فلو قال: (نزل في شأنه) لكان أدقَّ؛ لأنه نزل في عبد الله بن رواحة[2].

تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ الدَّارِيُّ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ...﴾ [المَائِدَة: ١٠٦] وَفِي عَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ[3]. تميم بن أوس الداريُّ كان معه عَدِيُّ بنُ بَدَّاءٍ،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (١/ ٣٣٠) والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٢٦٢).

(٣) سبق تخريجه.

وقصتُهما مشهورةٌ سبق ذكرها. وذكرنا أن عَدِيّ بن بَدَّاءٍ مات نصرانيًّا، أما تميم فقد أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونُقِلَتْ عنه قصة الجساسة[(١)].

ثَوْبَانُ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ، نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾ الآيَةَ [النِّسَاء: ٦٩]. عندما حَزِنَ لأجل أن رسولَ الله ﷺ إذا انتقلَ إلى الرفيقِ الأعلى وانتقل ثَوْبَانُ فإنهما لا يلتقيانِ في درجةٍ واحدةٍ، وهذا لاختلاف ما بينهما، فَحَزِنَ لذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، وثوبانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصلُه من اليمن، فهو رجلٌ عربيٌّ لكن أصابَه سِبَاءٌ؛ لأن العربَ كانت تَتَخَطَّفُ المستضعفينَ الذين ليس لهم قبائلُ قويةٌ تحميهم في أرجاء الجزيرة ويبيعونهم على أنهم أرقّاء، كما حَدَثَ لسلمانَ من قبائل بني كلب عندما خانوا العهدَ معه وَبَاعُوهُ على أنه رقيقٌ. فأصاب ثوبان سباءٌ فاشتراه النبيُّ ﷺ وَأَعْتَقَهُ وصار مولًى لرسول الله ﷺ. والذي يُعتق هو صاحبُ الولاءِ، أي: النصرة والحِلْفِ والميراثِ، وَثَبَتَ على ولائه ذلك حتى انتقل رسولُ الله ﷺ إلى الرفيقِ الأعلى، ثم انتقل ثوبانُ إلى الشام مَكَثَ فيها إلى سنةِ أربعٍ وخمسينَ من الهجرة ومات فيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ: نَزَلَ فِيهِ أَوَّلُ الْمُمْتَحَنَةِ. القصة معروفةٌ[(٢)].

الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ هُوَ مَقْتُولُ عَيَّاشٍ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٩٢][(٣)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ذكرنا في أول الكتاب أن عياشَ بنَ أَبِي رَبيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قد أَسْلَمَ قديمًا في المدينة، وكان يُعَذِّبُهُ على الإسلام الحارثُ بنُ يزيدَ، فأسلم الحارثُ وَذَهَبَ مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ فلقيه عياشٌ في الحَرَّةِ في المدينة فَقَتَلَهُ ظَنًّا منه أنه ما زال كافرًا؛ لأنه كان يعذبه عذابًا شديدًا في مكة، فأنزل اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾.

الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ الأَسَدِيُّ: نَزَلَتْ فِيهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ ...﴾ [الْمَائِدَة: ١٠١]. سأله عن الحجِّ، أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ: نَزَلَ فِيهِ آخِرُ الشُّعَرَاءِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧].

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٤-٢٢٧] وحسانُ هو واحدٌ منهم، ومنهم كعبُ بنُ مالكٍ، وعبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ، وغيرهم، هم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

حَنْظَلَةُ بْنُ شَمَرْدَلٍ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النِّسَاء: ١٠].

صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الرُّومِيُّ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٠٧].

صهيبُ بنُ سنانٍ ليس رُومِيًّا، هو رجلٌ من العرب، لكنه أيضًا جرى عليه سباءٌ، واشتُري في بلاد الروم وهو صغير، فصار ألكن لا يستطيع الإفصاحَ كما يفعل العرب؛ لأن العرب أهل الفصاحة والبلاغة، وكان من أوائل المسلمين

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقصتُه أنهم سَاوَمُوهُ على ماله فأعطاهم إياه، وقال له رسولُ الله ﷺ: «رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى»(١).

صَبِيحٌ مَوْلَى حُوَيْطِبٍ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النُّور: ٣٣].

صَبِيحٌ هذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جد محمد بن إسحاق من قِبَلِ أُمِّهِ، فمحمد بن إسحاق من الموالي، وليس قُرَشِيًّا، وإنما هو قرشي بالولاء، وصبيح مولى حُوَيْطِبِ بنِ عبدِ العُزَّى، فهو قرشيٌّ بالولاء أيضًا، ومولَى القوم منهم، يدخل في أحلافِهم، ويعطى للموالي على أنهم من صميم القبيلة. والكتابةُ: إذا جاءك العبدُ وأراد أن يُحَرَّرَ فيجب عليك أن تُكَاتِبَهُ؛ وهذه من محاسن الإسلام، لكن لو أَعَانَهُ بشيء كما فَعَلَ حويطب -فحويطبٌ أراد منه مائةَ دينارٍ وأسقط عنه عشرينَ- فهذا من الإحسانِ، لكن يجبُ على ذلك العبد أن يؤديَ ما عليه، فإذا أَدَّى ما عليه صار حُرًّا.

عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ: نَزَلَ فِيهِ آيَةُ اللِّعَانِ. عاصمُ بنُ عَدِيٍّ ليس له علاقةٌ بآيةِ اللعانِ، وإنما نزلت آية اللعان في كلٍ من عُوَيْمِرٍ وَهِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ، أما عاصمُ بنُ عَدِيٍّ فليس له في الأمر شيءٌ، وإنما أراد منه هلالٌ أن يسألَ رسولَ الله ﷺ عن رَجُلٍ من المسلمين وَجَدَ مع امرأتِه رجلًا فماذا يصنع؟ أعاذنا الله من هذا، فذهب عاصمٌ يسأل رسولَ الله ﷺ. فلم تنزل فيه هو(٢).

عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٨]. وقصتُه مشهورةٌ، عندما أُخِذَ منه مفتاحَ الكعبةِ، وقد هَاجَرَ قبلَ الفتحِ

(١) المعجم الكبير الطبراني (٧٣٠٨).

(٢) سبق تخريجه.

هو وخالدُ بنُ الوليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هَاجَرَا معًا إلى رسول الله ﷺ وَشَهِدَا مع رسول الله ﷺ الفتحَ[1].

عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ: نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ [الْكَهْف: ٢٨].

عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ مِنَ الأعرابِ، وكان في بداية أمره فيه جفاء، فطلب رسول الله ﷺ إذا جاءه عيينةُ أن يُخرج عنه سلمانَ قال: (نَتَأَذَّى بِرِيحِهِ)، وقَدْ أَسْلَمَ ثم حَسُنَ إسلامُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، نَزَلَ فِيهِ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى﴾ [الْبَقَرَة: ١٩٦].

عَائِشَةُ نَزَلَتْ فِيهَا عِدَّةُ آيَاتٍ، مِنْهَا: قِصَّةُ الإِفْكِ[2]. وكان لها عقد فَقَدَتْهُ، فَحَبَسَتِ المسلمين حتى يبحثوا عن عقدها، وكان في ذلك خيرٌ عظيمٌ؛ لأنهم لم يكن لديهم ماءٌ وتأخر الوقتُ فنزل في شأنهم آيةُ التيمم، فقال أسيد بن حضير: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ. ونزل فيها أولُ سورة التحريم.

أُمُّ سَلَمَةَ: نَزَلَ فِيهَا: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ...﴾ الآيَةَ [النِّسَاء: ٣٢].

لأنها كانت تشكو إلى رسول الله ﷺ تفضيلَ الرجال على النساء، فَبَيَّنَ لها رسولُ الله ﷺ أن حُسْنَ تَبَعُّلِ المرأة لزوجها ومراعاة شأنه وشأن أطفاله يعدل جهاد الرجل وجماعاته وجُمُعه، فهذا من فضلِ الإسلامِ العظيمِ أيضًا، ولعل امرأةً في الإسلام خيرٌ من ملايين الرجال، الصحابياتُ مع رسول الله ﷺ، خديجةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَمْ لها من شأنٍ عظيمٍ في الإسلام، وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يقول مسروقٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما رأيتُ أحدًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أعلمَ بِفِقْهٍ ولا طِبٍّ ولا شِعْرٍ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

من عائشةَ)[١] كانت عالمةً من علماء المسلمين!

أُمَيْمَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ: نَزَلَ فِيهَا: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ ...﴾ الآيَةَ [الْبَقَرَة: ٢٣٠].

كانت زوجةً لرفاعة فطلقها طلاقًا بائنًا، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزَّبِير، فطلقها، فأتت النبي ﷺ فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى الأول؟ فقال: «**لا، حَتَّى يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ، وَتَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ**»[٢]، كنايةً عن الْجِمَاعِ.

وَقَدْ ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي صَدَّرْنَا بِذِكْرِهِ جَمَاعَةٌ مَعَ مَا نَزَلَ فِي كُلٍّ مِنْهُمْ، لَكِنَّ غَالِبَهُ لا تَرْكَنُ النَّفْسُ إِلَيْهِ؛ لأَنَّ بَعْضَهُ ثَبَتَ فِي التَّفَاسِيرِ الْمُعْتَمَدَةِ وَالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ خِلافُهُ، وَبَعْضُهُ لا يُدْرَى مَا مُسْتَنَدُهُ فِيهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَصْرِفَ الْعِنَايَةَ إِلَى تَحْرِيرِ كِتَابٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى مُتَتَبِّعًا لَهُ مِنَ الأَحَادِيثِ وَمَشْهُورِ التَّفَاسِيرِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وقد حَصَلَ له ذلك الرجاءُ وَأَلَّفَ كتابًا في هذا الباب اسمه: «لُبابُ النقولِ في أسبابِ النزولِ»، وهو كتابٌ مشهورٌ، مطبوعٌ، مُتَدَاوَلٌ.



---

(١) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (٢٦٠٤٤) فقد رواه عن عروة وليس عن مسروق.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

النوع الثاني بعد المائة: التأريخ

يقال: التأريخ، أو التاريخ، أو التوريخ، كل ذلك صحيح.

هَذَا النَّوْعُ مِنْ زِيَادَتِي، وَهُوَ مِنْ أَنْوَاعِ عُلُومِ الْحَدِيثِ، وَمَوْضُوعُهُ ثَمَّ ذِكْرُ وَفَيَاتِ الْمَشَاهِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَنَذْكُرُ هُنَا وَفَيَاتِ الْمَشَاهِيرِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ مِمَّنْ ذَكَرْنَاهُمْ فِي النَّوْعِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ وَتَالِيهِ، وَالنَّوْعِ الثَّالِثِ وَالتِّسْعِينَ.

تَقَدَّمَتْ وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَسْمَاءِ.

وَتُوُفِّي أَبُو بَكْرٍ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ[(١)].

وَعُمَرُ: آخِرَ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ شَهِيدًا[(٢)].

وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وعشرة أيام.

وَعُثْمَانُ: سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مَقْتُولًا ظُلْمًا[(٣)].

عندما قُتِلَ عثمانُ رضي الله عنه صَارَ خلافٌ طويلٌ وقد قتل ظُلْمًا، فالأعرابُ الذين جاءوا وأحاطوا ببيتِهِ وحركتهم بعضُ الشبهات، لكن التحقيقَ أنه مظلومٌ فيها كلِّها، وقد خاطب رضي الله عنهم الصحابة في حصاره، قال: أَنْشُدُكُمُ اللهَ أليسَ كذا؟ أليسَ كذا؟ ألم يَقُلْ رسولُ الله ﷺ كذا؟[(٤)] ولم يُخَالِفْهُ أحدٌ، فلم يكن

(١) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٣١).

(٢) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥٩١).

(٣) انظر: معرفة القراء الكبار (٩)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) عن أبي عبد الرحمن، أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة»؟ فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة؟» فجهزتهم، قال: فصدقوه بما قال، وقال عمر في وقفه: «لا جناح على من وليه أن يأكل، وقد يليه الواقف وغيره فهو واسعٌ لكلٍ».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أخطأ، إنما كان مُتَأَوِّلًا في بعض الأمور التي يكون فيها شيء من الاجتهاد.

وَعَلِيٌّ: سَنَةَ أَرْبَعِينَ مَقْتُولًا شَهِيدًا[١].

وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا[٢]. يقول فيه عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ حَيًّا لَوَلَّيْتُهُ)[٣] مِنْ شِدَّةِ حُبِّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَالِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ. اخْتُلِفَ في معاذٍ كثيرًا، قيل: سَبْعَ عَشَرَة، وقيل: ثَمَانِيَ عَشَرَة، وتُوُفِّيَ في دمشقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

وَأُبَيٌّ: سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ. في المدينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

وَابْنُ مَسْعُودٍ[٦] **وَأَبُو الدَّرْدَاءِ: سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلاثِينَ**[٧]. أبو الدرداء في دمشق، وابن مسعود في الكوفة، وأبو الدرداء اسمُه: عويمر بن زيد، وَكُنَى الصحابة المشهورين لا ينبغي أن يغفل عنها طالبُ العلم.

وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ. في المدينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٨].

وَأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ. واسم أبي موسى: عبد الله بن

---

(١) انظر: معرفة القراء (١١)، غاية النهاية (١/ ٥٤٦).

(٢) انظر: غاية النهاية (١/ ٣٠١).

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٥٦٨)، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ١٥٦).

(٤) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٠١).

(٥) انظر: معرفة القراء الكبار (١٣).

(٦) انظر: معرفة القراء الكبار (١٤).

(٧) انظر: معرفة القراء الكبار (١٩).

(٨) انظر: معرفة القراء الكبار (١٧).

قيس[١].

وَأَبُو هُرَيْرَةَ: سَنَةَ سَبْعٍ، وَقِيلَ: ثَمَانٍ، وَقِيلَ: تِسْعٍ وَخَمْسِينَ. اخْتُلِفَ في وفاته، وفي اسمِه على أقوال كثيرة[٢].

وَعَلْقَمَةُ: سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ. هو أَحَدُ أصحابِ عبدِ الله بن مسعود ﵁، الذين كانوا في الكوفة معه[٣].

وَمَسْرُوقٌ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ. أحدُ التابعينَ الكبار الذي أَخَذَ عن كثير من الصحابة[٤].

وَزِرٌّ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ. زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ[٥].

وَعَبِيدَةُ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ. عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ[٦].

وَابْنُ عَبَّاسٍ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ[٧].

وَأَبُو الْعَالِيَةِ[٨] وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ[٩]: سَنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعِينَ. واسم أبي العالية: رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ.

وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ شهيدًا قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ لَعَنَهُ اللهُ[١٠].

---

(١) انظر: معرفة القراء الكبار (١٨).

(٢) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٧٠).

(٣) انظر: غاية النهاية (١/ ٥١٦).

(٤) غاية النهاية (٢/ ٢٩٤).

(٥) انظر: غاية النهاية (١/ ٢٩٤).

(٦) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٩٨).

(٧) انظر: معرفة القراء الكبار (٢٢).

(٨) انظر: معرفة القراء الكبار (٣١).

(٩) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٠٨).

(١٠) انظر: غاية النهاية (١/ ٣٠٥).

ذكرنا من قبل أن الصحيح -إن شاء الله تعالى- أنه لا يجوز لَعْنُ مُعَيَّنٍ من أهل القِبْلَةِ، فلم يُكَفِّرِ الحجاجَ أحدٌ من المسلمين، إنما رَجَوْا له النارَ لِمَا كان عليه مِنْ ظُلْمٍ عظيمٍ، وَلِمَا قَتَلَ من مجموعةٍ من خيار المسلمين، منهم: سعيدُ بنُ جبيرٍ. فالأصحُّ -إن شاء الله تعالى- أن المسلمَ الْمُعَيَّنَ لا يُلْعَنُ ما دام عُلِمَ أنه قد مات على الإسلام، إنما يقال: قَبَّحَهُ الله، قَاتَلَهُ اللهُ؛ لأن اللعنَ طردٌ وإبعادٌ من رحمة الله، ولا يَعْرِفُ ذلك أحدٌ على اليقين، فقد كانت له بعض الحسنات، لكن -كما يقول الذهبي رَحِمَهُ اللهُ-: (مَغْمُورَةٌ فِي بَحْرِ سَيِّئَاتِهِ)، فعندَه بعضُ الحسناتِ مثل: نقطِ المصاحفِ، وكان يحفظُ القرآنَ حفظًا جَيِّدًا مَتِينًا، وكان له بعضُ الأعمال الطيبة مثل إيقاف الخوارج، فالخوارجُ كادوا يستولونَ على الدولة الإسلامية، وكانت لهم معاركُ ضخمةٌ مع الحجاج، واستطاع إيقافَهم بعد زمان طويل من المعارك، حتى إن الخوارج كانوا سببًا رئيسًا من أسباب تأخر الفتوح؛ لأن الدولة الإسلامية لم تَعُدْ تستطيع أن تُوَجِّهَ الجيوشَ للفتوح خارجَ حدودها كما كانت من قبل، والخوارجُ كانت لهم سيئاتٌ كثيرةٌ، فهذا الرجلُ من حسناتِهِ أنه أَوْقَفَهم، وأوقف الفتنَ التي كانت قائمةً في العراق.

وَمُجَاهِدٌ: سَنَةَ مِائَةٍ. مجاهدٌ فيه خلافٌ، قيل: مائة، وقيل: إحدى ومائة[(١)].

وَالضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ: سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَةٍ. الضحاك أحد التابعين الذين كانوا يأخذون التفسيرَ عن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، واختلف في لُقْيَاهُ ابنَ عباسٍ، والأصحُّ أنه لم يَلْقَهُ، وإن كانت هناك رواياتٌ كثيرةٌ لِلضَّحَّاكِ عن ابن عباس مثبتةٌ في تفسير ابن كثير، وابن جرير، لكن الأصحَّ أنه كان يُرْسِلُهُ عن ابن عباس ولم يَلْقَهُ[(٢)].

(١) انظر: معرفة القراء الكبار (٣٧).

(٢) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٣٨).

وَعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ[١].

وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَالأَعْرَجُ[٢]: سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ.

المشهورُ أن الذي مات مع الحسنِ البصريِّ سنةَ عشرٍ ومائةٍ هو: ابنُ سِيرِينَ، والفرقُ بينهم مائةُ يومٍ، تَقَدَّمَ الحسنُ وَتَبِعَهُ ابنُ سِيرِينَ[٣].

وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ[٤] وَعِكْرِمَةُ بْنُ خَالِدٍ: سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ[٥].

وَقَتَادَةُ: سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ[٦].

وَابْنُ عَامِرٍ: سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَةٍ. هو عبد الله مُقْرِئٌ دِمَشْقِيٌّ مشهورٌ، يقول الإمامُ ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ: ظَلَّ أهلُ بلادِ الشامِ على قراءةِ ابنِ عامرٍ حتى آخِرِ القرنِ الخامسِ الهجريِّ، (وهي إحدى القراءات السبع المتواترة المشهورة المعروفة)[٧].

وَعَاصِمٌ: سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ. عاصمٌ المشهورُ[٨].

وَأَبُو جَعْفَرٍ: سَنَةَ ثَلاثِينَ وَمِائَةٍ. هو: يزيدُ بنُ القَعْقَاعِ أحدُ أئمةِ التابعينَ الْمَدَنِيِّينَ، الذين كانوا في المدينة رحمهم الله تعالى، رَوَى مَنْ حَضَرَ غُسْلَهُ أنه رأى نورًا في صَدْرِهِ، فكان لا يشك مَنْ حَضَرَ غُسْلَهُ أنه نورُ القرآنِ، كهيئةِ

---

(١) انظر: غاية النهاية (١/ ٥١٥).

(٢) انظر: غاية النهية (١/ ٣٨١).

(٣) انظر: غاية النهاية (١/ ٢٣٥).

(٤) انظر: غاية النهاية (١/ ٥١٣).

(٥) انظر: غاية النهاية (١/ ٥١٥).

(٦) انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٥).

(٧) سبق التعريف به.

(٨) سبق التعريف به.

المصحفِ المفتوحِ في صَدْرِه، وهو صاحبُ قراءةٍ عشريةٍ متواترةٍ معروفةٍ[١].

وَالأَعْمَشُ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ. هو سليمانُ بنُ مِهْرَانَ[٢].

وَأَبُو عَمْرٍو: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ. أبو عَمْرِو بنِ العلاءِ البصريُّ المشهورُ العالِمُ اللغويُّ الكبيرُ، والمقرئ الكبير أحد القراء العشرة.

وَحَمْزَةُ: سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ.

وَنَافِعٌ: سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ.

وَحَفْصٌ: سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ.

وَالْكِسَائِيُّ: سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ.

وَشُعْبَةُ: سَنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ.

وَوَرْشٌ: سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. هو عثمان بن سعيد المصري، وَلُقِّبَ بِوَرْشٍ لِبَيَاضِهِ، وَالوَرْشُ هو اللبنُ.

وَالْيَزِيدِيُّ وَابْنُ ذَكْوَانَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ.

وَيَعْقُوبُ: سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ.

وَقَالُونُ وَخَلَّادٌ: سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَخَلَفٌ: سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَرُوَيْسٌ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلاثِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَهِشَامٌ: سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَالدُّورِيُّ: سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) سبق التعريف به، ومن الأعمش إلى ابن مجاهد تقدمت تراجمهم.

وَالْبَزِّيُّ: سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَالسُّوسِيُّ: سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَقُنْبُلٌ: سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَابْنُ جَرِيرٍ: سَنَةَ عَشْرٍ وَثَلاثِمِائَةٍ.

وَابْنُ مُجَاهِدٍ: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ.

ذكر قطرة يسيرة من بحر علماء القرآن والتفسير، فعلماء التفسير وعلماء القرآن كُثُرٌ ولله الحمد، فذكر وفيات بعضٍ يسيرٍ منهم.



خاتمة

فِي وَفَاةِ الْمَلَكِ الْكَرِيمِ جِبْرِيلَ النَّازِلِ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ (الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ) مِنْ طَرِيقِ زَائِدَةَ بْنِ أَبِي الرُّقَادِ عَنْ زِيَادٍ النُّمَيْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٦٨] قَالَ: فَكَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى ثَلاثَةٌ: جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ مَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَ وَجْهُكَ الْكَرِيمُ، وَعَبْدُكَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ. فَيَقُولُ: تَوَفَّ نَفْسَ مِيكَائِيلَ[١]. هذه الروايةُ من ناحية إسناد الحديث روايةٌ ساقطةٌ؛ لأن زائدَة بنَ أَبِي الرُّقَادِ قالوا: إنه مُنْكَرُ الحديثِ، وزياد النميري ضعيفٌ؛ لذلك السيوطي رَحِمَهُ اللهُ يبين ضَعْف الحديثِ، فيقول: رَوَى البيهقيُّ في كتاب البعث والنشور، من طريق زائدة بن أبي الرقاد، وهو كتابٌ مخطوطٌ غيرُ مطبوعٍ ولكنه موجودٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ عِند[٢] الطَّبَرَانِيِّ: فَيَقَعُ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ مَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَ وَجْهُكَ الْبَاقِي الْكَرِيمُ وَعَبْدُكَ جِبْرِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ، فَيَقُولُ: تَوَفَّ نَفْسَ جِبْرِيلَ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ مَنْ

---

(١) عزاه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ للبيهقي في كتابه (البعث والنشور)، ولم أقف عليه في المطبوع. وأخرجه ابن جرير في التفسير (٢٠/ ٢٥٤) وأبو بكر الكلاباذي في بحر الفوائد (٣٦١): عن عمه يزيد الرقاشي، عن أنس ابن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وفي إسناده يزيد بن أبان الرقاشي: قال الحافظ: ضعيف زاهد. وأما رواية البيهقي، فمن طريق: زائدة بن أبي الرقاد، قال الحافظ: منكر الحديث.

(٢) وفي نسخة [عن] وفي عزو المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الحديث للطبراني خطأ، وقد يكون تصحف من [الطبري] إلى [الطبراني] والله أعلم.

بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَ وَجْهُكَ الْكَرِيمُ وَعَبْدُكَ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَيَقُولُ: مُتْ فَيَمُوتُ، ثُمَّ يُنَادِي ﷻ: أَنَا بَدَأْتُ الْخَلْقَ ثُمَّ أُعِيدُهُمْ.

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ وَعَوْنِهِ.

قَالَ مُؤَلِّفُهُ رَحِمَهُ اللهُ: وَفَرَغْتُ مِنْ تَأْلِيفِهِ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الثُّلاثَاءِ سَابِعَ رَجَبٍ الْفَرْدِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ. وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَ الله عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ أَجْمَعِينَ.

فِي عَاشِرِ شَهْرِ شَوَّالٍ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ وَحَسْبُنَا اللهُ وَحْدَهُ.

هذا الناسخُ فَرَغَ من نسخِ الكتابِ في هذه السنة التي ذَكَرَهَا، أما السيوطيُّ يقول: **فرغتُ منه في سابع رجب الفرد**، أي: المنفرد عن تتابع الأشهر الحرم، فقيل: رجب الفرد، فأَلَّفَهُ سنةَ اثنتين وسبعين وثمانمائة، وَوُلِدَ هو سنةَ ٨٤٩هـ، يعني: فَرَغَ من تأليف الكتاب وعمرة ثلاثٌ وعشرونَ سنةً. وفي هذا دعوةٌ لطلاب العلم حتى يتعلموا ويتفقهوا؛ لأن السيوطي رَحِمَهُ اللهُ قد أَلَّفَ كتابًا مثل هذا وليس بالكتاب اليسير وعمرُه ثلاثٌ وعشرونَ سنةً فقط، وَذَكَرَ فيه مروياتٍ كثيرة، وذكر فيه أخبارًا عديدة رواها عن العلماء، وأسندَها عنهم.

فنسأل اللهَ تعالى أن يَجْعَلَنَا ممن يستمع القولَ فيتبعُ أَحْسَنَهُ، وأن يباركَ لنا في هذا الكتاب وفي عِلْمِ مُصَنِّفِهِ رَحِمَهُ اللهُ، والله تعالى أعلم وأحكم. وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

